المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك عبد العزيز
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

الأسرة الزبيرية ودورها السياسي خلال القرن الأول الهجري

درجة الماجستير

إعداد
نادية عالم قربان

إشراف
د. فائزة إسماعيل أكبر

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

مُقَدِّمَة

حفل التاريخ الإسلامي بالعديد من الأسر الإسلامية التي قامت في مناطق متعددة من الدولة الإسلامية بعضها قد درست دراسة وافية، وبعضها مرّ بها الباحثون مروراً سريعاً، وبعضها مازال مطموساً لم يتناولها المؤرخون بالبحث والتمحيص.

وعندما فكرت الباحثة في كتابة بحث في التاريخ الإسلامي أخذت تقلب صفحات التاريخ تبحث عن موضوع له تأثيره في مجريات الأحداث في التاريخ الإسلامي فوجدت أن الأسرة الزبيرية تمثل ما تهدف إليه إذ وقفت الأحزاب السياسية والدولة الأموية منها موقفاً كان له أثره البالغ على مجراها.

و لم تقصد الكتابة عن الأسرة فحسب، ولكن كان الهدف أن تتناول الدراسة بالتفصيل والتحليل الأسرة الزبيرية ودورها منذ عهد الرسول ﷺ مروراً بعهد الخلفاء الراشدين ﷺ و حتى نهاية دورها السياسي في عهد الدولة الأموية وموقفها من الأحزاب السياسية المختلفة.

وكان سبب اختيار هذا الموضوع هو أن تاريخ هذه الأسرة جاء مبعثراً بين صفحات المصادر والمصنفات وخصوصاً، أن معظم الباحثين الذين تناولوها اكتفوا بذكر أخبار بعض الشخصيات من الأسرة، فبعضهم ذكر الزبير بن العوام ﷺ ودوره مع النبي ﷺ في الدعوة المحمدية وبعضهم ذكر عروة بن الزبير وفقهه وبعضهم ذكر عبد الله بن الزبير ﷺ وموقفه من الأمويين وهكذا، ولا يكاد يخلو مصدر من إشارة إلى الأسرة أو خبر عنها، ولعل ذلك هو الذي يجعل محاولة الكتابة في هذه الأسرة أمراً محفوفاً بالصعوبات، وقد اتصفت الدراسات السابقة بنظرة عامة لم تتوخ التفاصيل في أحداث الأسرة وإظهار دورها السياسي بشكل متكامل من بداية الأسرة حتى نهايتها، كل ذلك زاد الباحثة عزماً في الاتجاه إلى جمع وتصنيف هذه الأسرة في بحث مستقل يكون – بإذن الله – مرجعاً يجمع سيرة هذه الأسرة وتاريخها وأثرها خلال القرن الأول الهجري.

وكان القصد من وراء هذا الاختيار أن تكون بداية أولية لدراسة جديدة لبعض جوانب هذه الأسرة.

وقد وقفت الباحثة على أفراد الأسرة الزبيرية الذي كان لها الكثير من المساهمات الفعالة في الحياة السياسية والعلمية والدينية والتجارية داخل وخارج جزيرة العرب منذ العصر الجاهلي، إذ تنتمي أصولها إلى بني أسد الذين كان لهم مع بني عمومتهم من بني هاشم وبني أمية دور مهم في الحياة العامة في مكة، فقد انفردت بسيادة مكة والولاية على بيت الله الحرام دون بقية القبائل العربية، ثم وضحت دور الزبير بن العوام ﷺ إذ كان من السابقين الأولين للإسلام بعد البعثة المحمدية، ثم كان لآل الزبير دور مهم في عهد الخلفاء الراشدين ﷺ وبالأخص بعد خلافة عمر بن الخطاب ﷺ إذ وقف آل الزبير بجانب الخليفة عثمان بن عفان ﷺ حتى مقتله ثم نادوا بالثأر له، وعارضوا علي بن أبي طالب ﷺ، وبعد مقتل علي ﷺ وأثناء الحكم الأموي ظهرت معارضة آل الزبير واضحة لمعاوية بن أبي سفيان ﷺ ثم جاء دور مقاومة الأمويين وتأليب الناس عليهم، فكان الصراع بين الحجاز والشام في الاحتفاظ بكرسي الخلافة، وانتهى الصراع بمقتل عبد الله بن الزبير ﷺ ، فكان مقتله آخر فصول الدور السياسي لآل الزبير، حيث لم يخرج من بين أفراد الأسرة الزبيرية بعد ذلك من كان يتطلع للقيام بدور مهم في الحياة السياسية سواء في الحجاز أو الشام أو أي بقعة من الدولة الإسلامية.

أما المنهج الذي سار عليه البحث فيتلخص في الأمور الآتية:

- أخذت الباحثة الحادثة التاريخية على اختلافها من مصادرها الأصلية وتحليلها على الرغم، مما فيها من غموض وتضارب أو تشابه، ومن ثم الخروج بصورة تكاد تكون أقرب إلى الواقع بقدر جهدها وطاقتها اعتقاداً منها أن دورها ليس الدفاع عن الأسرة أو اتهامها بمقدار ما هو إبراز الحقيقة وتعريف القارئ بها.
- عدم التسليم بمعظم الآراء التي ذكرها المؤرخون، و لم تسلم بها حقائق.
- التزمت الباحثة أثناء البحث لهذا الموضوع المنهج العلمي المحايد مستهدفة الوصول إلى الحقيقة العلمية الخالية من التعصب والخالصة من الهوى.

أما خطة البحث فقد قسمت الباحثة الحث إلى أربعة فصول يسبقها مقدمة وتمهيد ويتلوها خاتمة.

المقدمة: وضحت فيه الباحثة اسباب اختيار موضوع البحث والمنهج الذي سارت عليه، ثم دراسة أهم المصادر التي اعتمدت عليها مع بيان الصعوبات التي واجهتها، ثم تلت ذلك توضيح خطة البحث.

التمهيد: تناولت فيه الباحثة أصول الأسرة الزبيرية، وقد وقفت فيه على أصول الأسرة الزبيرية، مبينة انتسابهم لقصي بن كلاب، الذي يعد أحد أجداد هذه الأسرة، ويعد المؤسس الأول لقريش في مكة إذ جمع قبائل قريش، وأسكنهم مكة، وأنشأ وظائفها الإدارية، فقد كانت كلها في يده لا ينازعه فيها أحد ، الفصل الأول: "الزبير بن العوام ﷺ" وكان في أربعة مباحث:المبحث الأول: نسبه ومولده وأسرته: تناول فيه البحث نسب الزبير بن العوام ﷺ ووضحت فيه الباحثة قرابته من رسول الله ﷺ، حيث لم تذكر المصادر السنة التي ولد فيها الزبير ﷺ، لذا قامت بعملية حسابية تمكنت فيها من الوصول إلى السنة التي ولد فيها، وتتمنى أن يكون جانبها الصواب في ذلك، ثم تطرقت إلى أمه صفية بنت خويلد -رضي الله عنها- التي ربته يتيماً، وكيف كانت شديدة عليه، ثم ذكرت زواجه من أسماء بنت أبي بكر ﷺ ، ثم وقفت على أخوته وأبنائه ، المبحث الثاني: "إسلام الزبير بن العوام ﷺ وعلاقته بالرسول ﷺ":تناولت فيه الباحثة قصة إسلام الزبير بن العوام ﷺ، وكيف كرس الزبير ﷺ نفسه لخدمة الدعوة والرسول ﷺ حتى أصبحت للزبير ﷺ مكانة خاصة عند رسول الله ﷺ، فقد كان ذا مكانة كبيرة من الاحترام والتبجيل عنده وصحبه ،المبحث الثالث: "أهم أعمال الزبير ﷺ في عهد الرسول ﷺ": وضحت فيه الباحثة أهم أعمال الزبير ﷺ في عهد الرسول ﷺ منها أثناء الهجرتين إلى الحبشة ثم المدينة ثم اشتراكه في الحروب التي خاضها رسول الله ﷺ مع قريش ودوره البارز فيها : معركة بدر، ومعركة أحد، وغزوة الأحزاب، وغزوة خيبر، وفتح مكة، وغزوة حنين، ثم وضحت دور الزبير بن العوام ﷺ في الكتابة لرسول الله ﷺ وكيف كان يستعين به الرسول ﷺ في شؤون الكتابة بالإضافة إلى الأعمال العسكرية. وتكليف الرسول ﷺ له بمهمات كثيرة غير حربية،وبما أنه كان من أخص أقرباء رسول الله ﷺ فقد أقطعه الرسول ﷺ الأراضي، حتى أصبح قدوة لغيره من الصحابة ﷺ في إحياء الأراضي الموات، ثم الإنفاق منه وإخراج العطايا والصدقات منها، ثم ذكرت روايته لعدد من الأحاديث النبوية الشريفة ، المبحث الرابع: " أبناء الزبير بن العوام ﷺ":تناولت فيه

الباحثة بالدراسة بعض من أبناء الزبير ﷺ الذين كان لهم دور بارز في تـــاريخ الدولـــة الإسلامية، سواء من الناحية السياسية أو الفكرية ومنهم: عبد الله بن الزبير، والمنذر بـــن الزبير، وعروة بن الزبير، ومصعب بن الزبير، وجعفر بن الزبير، وخالد بن الزبير، وعمرو بن الزبير، وعبيدة بن الزبير وأخيراً حمزة بن الزبير.الفصل الثاني "الأسرة الزبيرية في عهد الخلفاء الراشدين ﷺ والدولة الأموية"، وقد جعلته الباحثة في أربعة مباحـــث:المبحـــث الأول: " الأســـرة الزبيريـــة في خلافـــة أبي بكـــر الـــصديق وخلافـــة عمـــر بـــن الخطاب ﷺ":وضحت فيه العلاقة بين أبي بكر الصديق ﷺ والأسرة الزبيرية، إذ بـــدأت العلاقة بين أبي بكر والزبير ﷺ حتى قبل إسلامهما وقد توثقت هذه العلاقة بعد إسلامهما وزادت بعد زواج ابن العوام بابنة أبي بكر الصديق ﷺ، وبينت دور الزبير أثناء البيعـــة لأبي بكر ﷺ، ثم دوره في حرب الردة داخل الجزيرة العربية، ومـــن ثم دوره في الجهـــاد خارج الجزيرة العربية، ثم دوره في معركة اليرموك، وكيف أن أبا بكر ﷺ لم يبخل عليه، فقد أقطعه الإقطاعات ، ثم وضحت مكانة الأسرة الزبيرية عند عمر بن الخطاب ﷺ فقد كان الزبير ﷺ محل ثقة وتقدير من عمر ﷺ، فكان يأخذ برأيه في كثير من المواقـــف، ثم تناولت دوره في حركة الجهاد والفتوحات في عهد عمر بن الخطاب ﷺ، فقد اشترك في كل المعارك التي خاضها وابلى بلاء حسناً (معركة القادسية، فتح مصر).المبحث الثـــاني: "الأسرة الزبيرية في خلافة عثمان بن عفان ﷺ، وموقفها من الفتنة":وضحت فيه الباحثة أن الزبير بن العوام ﷺ كان أحد المقربين إلى الخليفة عثمان بن عفان ﷺ فقـــد بـــدأت علاقته به قبل الإسلام، وظهرت بشكل أقوى منذ إسلامهما، وحـــتى هجرتيهمـــا إلى الحبشة ثم المدينة، ثم تطرقت إلى المتغيرات التي حدثت في عهد الخليفة عثمان ﷺ، الـــتي جعلت الناس تنقم عليه، ثم ظهر دور عبد الله بن الزبير ﷺ بشكل واضح في هذه الفترة إذ شارك في فتح شمال أفريقيا وسوسة، وأظهر الخليفة عثمان ﷺ، إعجابه بابن الزبير، ثم تناولت الباحثة الفتنة وأسبابها ونتائجها التي انتهت بمقتل الخليفة عثمان بن عفـــان ﷺ، وفيها ظهر موقف الأسرة الزبيرية بوضوح، إذ لم يتخلوا عن الخليفة في الوقت الذي تخلى عنه الكثير من الصحابة.المبحث الثالث: " الأسرة الزبيرية في خلافة علي بن أبي طالـــب ﷺ وموقفها منه "قسمت الباحثة هذا المبحث إلى ثلاث نقاط:موقعة الجمل ، مقتل الزبير بن العوام ، حال أسرة الزبير ﷺ بعد مقتله ، بداية وضحت علاقة القرابة بين الزبير بـــن

العوام وعلي بن أبي طالب ﷺ، ثم موقفه من البيعة لعلي ﷺ، ثم ذكرت دوره مع طلحة بن عبيد الله ﷺ والسيدة عائشة-رضي الله عنها-، وابنه عبد الله ﷺ في موقعة الجمل ضد الخليفة علي ﷺ، التي انتهت بمقتل علي والزبير ﷺ ، ثم وقفت على حالة أسرة الزبير بعد مقتله.المبحث الرابع: "الأسرة الزبيرية ي خلافة معاوية بن أبي سفيان ﷺ وابنه يزيد":وضحت فيه الباحثة موقف عبد الله بن الزبير ﷺ وأسرته من خلافة معاوية بن أبي سفيان ﷺ قبل تولي معاوية الحكم وبعد أن تولى الحكم وتمت له البيعة، فقد كان يرى نفسه أحق من معاوية في الحكم، وبينت كيف كان معاوية يتخذ منه مواقف متفاوتة، فتارة يكسبه إلى جانبه بالحسنى، وتارة يتوعده ويتهدده، وأحياناً يلجأ معاوية للحجة والبرهان، حتى اشتد التفاخر بينهما؛ ليثبت كل منهما أنه أفضل وأحق بالخلافة من الآخر.ثم بينت دور عبد الله بن الزبير من معاوية ﷺ بعد تولية العهد لابنه يزيد، وكيف استطاع معاوية ﷺ اتباع أساليب متباينة حتى تحققت رغبته في البيعة لابنه يزيد، وفي إرساء دعائم مبدأ جديد في النظام السياسي الإسلامي وهو حصر الخلافة في أسرة بني أمية.ثم أردفت ذلك بموقف الأسرة الزبيرية بعد وفاة معاوية ﷺ وتولي ابنه يزيد الحكم، إذ كانوا هم وأبناء الصحابة في المدينة من المعارضين ليزيد، فنتج عن ذلك خروج عبد الله بن الزبير ﷺ من المدينة إلى مكة، وخروج الحسين بن علي ﷺ إلى الكوفة، حيث استشهد فيها، ثم كان قتال جيش يزيد لأهل المدينة وما نتج عن ذلك، ثم ذكرت حصار الجيش الأموي لمكة، ثم كانت وفاة يزيد أثناء الحصار. الفصل الثالث :"خلافة عبد الله بن الزبير ﷺ في الحجاز"وقد جعلته في ثلاث مباحث:المبحث الأول: " الأسباب التي دعت عبد الله بن الزبير ﷺ إلى إعلان نفسه خليفة، وموقف الحجاز من دعوته": وفيه عددت مع الشرح بالتفصيل الأسباب التي دعت عبد الله بن الزبير ﷺ لإعلان نفسه خليفة وهي:

أولاً:ما قام به معاوية بن أبي سفيان ﷺ وابنه يزيد :

أ – نقل مركز العالم الإسلامي إلى دمشق.

ب – سب معاوية بن أبي سفيان ﷺ وولاته عليّ بن أبي طالب ﷺ على المنابر.

ج – مقتل الحسن والحسين أبناء عليّ ﷺ.

د - وقعة الحرة وما نتج عنها.

هـ -إحراق الكعبة في عهد يزيد.

و - موقف معاوية بن يزيد من الخلافة.

ثانيـاً : عدم تطلع الصحابة ﷺ وأبنائهم إلى الخلافة.

ثالثـاً : ضعف السلطة الأموية في الحجاز.

رابعـاً: سوء الحالة الاقتصادية في الحجاز.

خامساً : التباين الواضح بين شخصية ابن الزبير ﷺ ويزيد بن معاوية .

هذه الأسباب التي استطاعت الباحثة أن تستنتجها وجعلت الناس يلتفون حول ابن الزبيرﷺ ويؤيدونه من سائر أطراف العالم الإسلامي. المبحث الثاني : " إعلان عبد الله بن الزبير ﷺ خلافته في الحجاز، وأهم المناطق التي سيطر عليها".قبل الحديث عن إعلان عبد الله بن الزبير ﷺ خلافته في الحجاز تحدثت الباحثة عن موقف أهالي الحجاز من دعوته، فقسمتهم إلى قسمين موقف الهاشميين وغير الهاشميين منه، وقد خصصت الهاشميين في شخص محمد بن الحنفية ﷺ وشيعته وموقفهم من ابن الزبيرﷺ لما ترتب عليهم من نتائج، ثم عبد الله بن عباس ﷺ وموقفه من دعوة ابن الزبيرﷺ ، أما بالنسبة لغير الهاشميين فتمثل موقفهم في موقف عبد الله بن عمر بن الخطابﷺ، وامتناعه عن البيعة لابن الزبير ﷺ وسبب ذلك، ثم بينت أثر هذا الموقف على دعوة ابن الزبيرﷺ ، وكيف أخذ عبد الله بن الزبير ﷺ البيعة من أهل الحجاز، وذكرت أسباب رغبة أهل الحجاز في حكم ابن الزبير ﷺ، ثم ذكرت المناطق التي سيطر عليها ابن الزبيرﷺ (اليمن، وخراسان، والعراق، والبصرة، والكوفة، ومصر، والشام ماعدا الأردن).المبحث الثالث: " علاقة ابن الزبير ﷺ بالأمويين، وموقفه من الحركات المناوئة لهم":وفيه بينت كيف أن عبد الله بن الزبير ﷺ بدأ يعلن دعوته بعد مقتل الحسين بن علي ﷺ ، وكيف التف الناس حوله وطلبوا منه البيعة لنفسه بالخلافة وموقف يزيد بن معاوية منه، وكيف أنه أرسل في إحضاره موثقاً في سلسلة، وتابعت الأحداث بعد ذلك موضحة موقف ولاة الأمويين في مكة والمدينة تجاه عبد الله بن الزبير ﷺ ، ثم انتقلت إلى الحديث عن محاصرة الأمويين في المدينة واستنجادهم بيزيد بن معاوية وموقف يزيد ثم وفاته، وتابعت الأحداث

فتحدثت عن تنازل معاوية الثاني عن الخلافة، ثم وفاته وأثر ذلك على البيت الأموي، ثم بينت موقف الأمويين تجاه عبد الله بن الزبير ﷺ وكيف أنهم اجتمعوا وبايعوا مروان بن الحكم، ثم تحدثت عن جهود مروان في استعادة الشام إلى حظيرة الدولة الأموية واستيلائه على مصر والجزيرة، مع استعراض الأحداث لكل منهما ثم أردفت ذلك بالحديث عن الصراع بين مروان بن الحكم وابن الزبير ﷺ على المدينة، وكيف أن مروان فشل في الاستيلاء عليها من ابن الزبير ﷺ ، وقد تعرضت لموقف عبد الله بن الزبير ﷺ من الحركات المناوئة للأمويين المتمثلة في الشيعة والمختار بن أبي عبيد والخوارج، أما ما يخص الشيعة فقد تناولت فيه تعريف حزب الشيعة، ونشأتهم حتى ظهور حزب التوابين، فعرفت بهم وبنشأتهم وكيف تكونوا وكيف أن ثورتهم بدأت سرية، ثم انتقلت إلى الحديث عن موقف ابن الزبير ﷺ تجاه التوابين، وكيف أنه رأى أن يستفيد من عدائهم لبني أمية وطلبه منهم الانضمام إليه ورفضهم لذلك، وأن ابن الزبير ﷺ لم يستفد منهم، أما فيما يخص حزب المختار، تحدثت عن المختار الثقفي وظهوره على مسرح الأحداث السياسية، ثم خروجه إلى الحجاز وقدومه إلى عبد الله بن الزبير ﷺ ومبايعته له، وكيف أن المختار أخلص لابن الزبير ﷺ ووقف إلى جانبه في الدفاع عن البيت الحرام أثناء الحملة التي أرسلها يزيد بن معاوية بقيادة الحصين بن نمير، وموقف المختار بعد ذلك وخروجه من الحجاز إلى العراق ومحاولته ضم صفوف الشيعة إلى جانبه، وموقف عاملي ابن الزبير منه وسجنهما له ثم خروجه من السجن ودعوته أهل العراق باسم الحسين بن علي ﷺ ، ثم محمد بن الحنفيةﷺ، واجتماع الشيعة حوله وتأهبهم للخروج وموقف عبد الله بن مطيع عامل ابن الزبير ﷺ تجاههم، وما حدث من حرب بينهم أدت في النهاية إلى استيلاء المختار على الكوفة وخروج عامل ابن الزبير منها ثم واصلته بالحديث عن موقف المختار من ابن الزبيرﷺ فبينت محاولة المختار خديعة ابن الزبير ﷺ وموقف ابن الزبير ﷺ تجاهه، وكيف انتهى الأمر بإرسال ابن الزبير ﷺ أخاه مصعبا والياً إلى البصرة، وموقف مصعب تجاه المختار وما انتهى به الأمر من وقوع معركة بين الطرفين انتهت بهزيمة المختار وأتباعه وزوال ثورة الشيعة التي لم تعمر في الكوفة أكثر من عام ونصف ، أما فيما يخص الخوارج فقد بدأته بالحديث عن التعريف بالخوارج ونشأتهم مخصصة الحديث عن الخوارج الأزارقة، فبينت وقوفهم إلى جانب عبد الله بن الزبير ﷺ في الدفاع عن مكة عندما

حاصرها جيش الشام ثم انصرافهم عنه بعد ذلك موضحة السبب في ذلك، ثم انتقلت إلى الحديث عن القتال بينهم وبين ابن الزبير ﷺ وانشغال عبد الله بن الزبير ﷺ بهم، الأمر الذي كان من أهم عوامل انتصار عبد الملك بن مروان عليه، وختمت حديثها عن الخوارج هل كان عبد الله بن الزبير ﷺ مصيباً في مصارحته للخوارج بآرائه التي تخالف مبادئهم أم مخطئاً ؟ وقد أجابت عن ذلك.أما الفصل الرابع :"نهاية خلافة عبد الله بن الزبير ﷺ":وقد قسمته إلى ثلاث مباحث :المبحث الأول: " تولي عبد الملك بن مروان الخلافة والحرب بينه وبين عبد الله بن الزبير ﷺ": تحدثت فيه الباحثة عن الصراع بين عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير ﷺ في العراق، فأوضحت الظروف التي أحاطت بعبد الملك عند توليه الخلافة والصعوبات التي واجهته وكيف تغلب عليها، كما تحدثت عن خروج عبد الملك بجيش الشام لقتال مصعب بن الزبير في العراق، واستعرضت المعارك التي دارت بين الطرفين وانتهت بهزيمة مصعب بن الزبير وقتله ،ثم تلت ذلك بالحديث عن الصراع بين عبد الملك بن مروان وابن الزبير ﷺ على الحجاز، فأوضحت الأسباب التي دفعت عبد الملك إلى إخضاع بلاد الحجاز ثم إرساله الجيوش إلى الحجاز للقضاء على ابن الزبير ﷺ والمحاولات التي بذلها ونتائجها ، وتحدثت عن اختيار عبد الملك بن مروان للحجاج بن يوسف الثقفي ليتولى قيادة الجيش المتجه إلى الحجاز موضحة سبب هذا الاختيار، ثم استعرضت القتال الذي حدث بين جيش الحجاج وجيش ابن الزبير ﷺ، الذي أدى في النهاية إلى القضاء على جيش ابن الزبير واستشهاد عبد الله بن الزبير ﷺ.
المبحث الثاني:" أسباب هزيمة ابن الزبير ﷺ": وفيه تناولت الباحثة الأسباب التي أدت إلى هزيمة ابن الزبير ﷺ وعدم استمرار فترة خلافته أكثر من تسع سنوات وتتلخص هذه الأسباب في:وفرة موارد عبد الملك بن مروان وقلة موارد عبد الله بن الزبير ﷺ ،قلة دهاء ابن الزبير ﷺ وعدم خبرته بفنون السياسة ،حصار الجيش الأموي لابن الزبير ﷺ ،عدم إنفاق ابن الزبير ﷺ على أصحابه في وقت الشدة.المبحث الثالث: " الأعمال الدينية والإدارية التي قام بها عبد الله بن الزبير ﷺ فترة خلافته":خصصت الباحثة هذا المبحث للأعمال الدينية التي قام بها ابن الزبير ﷺ والمتمثلة في إعادة بناء الكعبة بعد ما أصابها من حصار أهل الشام لمكة وضرب البيت بالمنجنيق في عهد يزيد بن معاوية، ثم ذكرت أنه وسع المسجد الحرام توسعة كبيرة بعد أن اشترى دوراً من الناس شمالاً وشرقاً وجنوباً

وغرباً ، أما بالنسبة للأعمال الإدارية التي قام بها ابن الزبير ﷺ فتـــرة خلافتـــه التـــسعة سنوات فلم تختلف النظم الإدارية التي اتبعها ابن الزبير ﷺ كثيراً عن النظم التي ســـادت في عهد الخلفاء الراشدين ﷺ، ثم وضحت الصلاحيات الكبيرة التي منحها ابن الزبير ﷺ لولاته، ثم ذكرت بأن الوظائف الإدارية في عهد ابن الزبير ﷺ لا تتوافر معلومات مفصلة عنها، وأن المعلومات التي وصلت عنهم تقتصر على ذكر أسمـــاء بعـــض المـــوظفين، ثم وضحت كيف كان ابن الزبير ﷺ شديداً في حساب ولاته ويعاقبهم، وانـــه اعتمـــد في تعيين المناصب الإدارية على الصحـــابة والتابعين، كما اهتم بتولية أبنائه وإخوته مناصب مهمة، وبينت السبب في ذلك.أما الخاتمة فقد أتت فيها الباحثة بخلاصة لما تضمنه البحث مع الإشارة إلى الأفكار الجديدة وما توصل إليه البحث من نتائج، وألحقتها بقائمة لأهـــم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في هذا البحث، وفهرس لموضوعات البحث.أما فيما يخص المصادر المستخدمة في البحث فقد تنوعت المصادر بين مؤلفات تاريخيـــة (كتـــب التاريخ والتراجم والأنساب والطبقات)، وكتب أدبية، وفقهية، ومع أن كل صنف مـــن هذه المؤلفات له اهتماماته، إلا أنها جميعاً تناولت الموضوع من هذا الجانب أو ذاك، لـــذا فقد أفادت منها الباحثة جميعاً، وإن اختلفت مقدار الفائدة بين مصدر وآخر، وفيما يلي عرض لأهم المصادر:يأتي في مقدمة المصادر التاريخية التي زودت البحث بمعلومات مهمة، كتب الطبقات منها: كتـــــاب " **الطبقـــات الكـــبرى**" لمحمـــد بـــن ســـعد (ت ٨٤٤/٢٣٠م)، ويحتوي الكتاب على تراجم الصحابة ﷺ والتابعين، والخلفاء إلى وقتـــه، وابن سعد لايعتمد على التسلسل الزمني في كتابه إلا أنه يمتاز بمعلوماته الدقيقة الموثقـــة، وهو في كتابه يزودنا بمعلومات مهمة عن الأسرة الزبيرية، والمكانة التي حظي بها صحابة رسول الله ﷺ، كما زودنا الكتاب عن دور الأسرة الزبيرية في الأحـــداث الـــسياسية في عهد الخلفاء الراشدين ﷺ ، ثم كتب الأنساب منها:كتاب "**نسب قريش**"، لمصعب بـــن عبـــــــــــــد الله الزبيري (ت ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م)، ففيه معلومات نادرة لم ترد في غيره من المصادر عن العشائر والأسر والشخصيات البارزة ومكانتها الاجتماعيـــة ودورها السياسي، مع إشارات إلى أماكن إقامتها وأملاكـــها وثرواتها، ولكن الكتـــاب ركز على النسب، فقد أورد الزبير معلومات عن نسب آل الزبير ، متناولاً أبناء الزبير بن

العوام ﷺ وأحفاده ذاكراً علاقة كل منهم معه، وتدرج في ذكر أخبارهم والمكانة التي حظي بها آل الزبير بين القبائل، والجدير ذكره أن الزبيري لم يهتم كثيراً بالإسناد فيما أورده من معلومات عن الأسرة، وتبدو ميوله الزبيرية واضحة في ذكر أخبارهم ، وكتاب " **جمهرة نسب قريش وأخبارها**" للزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م)، فقد اعتمد فيه مؤلفه على كتاب " نسب قريش" لمصعب الزبيري، إلا أن ابن بكار أضاف له كثيراً، حيث أورد معلومات أفادت البحث من الناحية الإدارية، فقد ذكر عدداً من أسماء الشخصيات الإدارية التي اعتمد عليها ابن الزبير ﷺ ، وكتاب " **أنساب الأشراف**" لأحمد بن يحي البلاذري (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)، فهو من المصادر الأساسية التي لا يستغني عنها الباحث في دراسة تاريخ الدولة الأموية، ويتضمن معلومات واسعة، كما قدم معلومات مهمة عن حياة الأسرة، كما قدم معلومات قيمة ومهمة عن المناظرات التي كان معاوية ﷺ يعقدها في مجالسه التي تكشف عن سياسة معاوية ﷺ في معاملته لأبناء الأسرة الزبيرية وأبناء الصحابة ﷺ، ويلاحظ في كتاب البلاذري مراعاة التسلسل الزمني بصورة عامة مع الإشارة بوضوح إلى النواحي المالية والاقتصادية والاجتماعية، ويمتاز البلاذري بالتدقيق بحيث يتضح جهده في جمع المادة عن طريق زيارته للأمصار أما كتب التاريخ منها: كتاب" **تاريخ مكة** "لمحمد بن عبد الله الأزرقي (ت ٢٥٠هـ / ٨٦٥م)، فهو من أقدم المؤلفات التاريخية التي وصلتنا عن تاريخ مكة، وقد نهج الأزرقي فيه خطة سهلة وسلسة في تدوين أخباره، وقد قسمه إلى فصول مبوبة، واهتم بذكر الإسناد في أغلب رواياته، وقد أورد الأزرقي طائفة كبيرة من المعلومات يندر أن يجدها الباحث في مصدر آخر، لذلك فإن هذا الكتاب يعد في طليعة المصادر القيمة التي لا يستغني عنها الباحث في تاريخ مكة، وإن كان لا يهتم كثيراً بالناحية السياسية، ويفصل الأزرقي في حريق الكعبة وجاء بمعلومات فريدة عن العمران، فقد فصل في ذكر بناء الكعبة، مقدراً الجهود التي بذلها ابن الزبير ﷺ في إعادة بناء الكعبة على أساس بناء إبراهيم عليه السلام، كما انفرد بذكر توسيع المسجد الحرام ، وكتاب " **التاريخ** " لليعقوبي (ت ٢٨٤هـ/٨٩٤م)، وتضمن معلومات مهمة عن الأسرة الزبيرية في نواحي الحياة المختلفة،ولا يطيل في ذكر الأحداث،

التي أفدت منها كثيراً في البحث، وتبدو ميوله واضحة لآل البيت، ولكن هـــذا لايـــؤثر بصورة مباشرة على صحة معلوماته،لأنه لا يتدخل فيما يورد من أحداث، لكنه يتـــدخل عادة في اختيار الألفاظ التي توحي بهذه الميول ، ومن المصادر الرئيسة، كتـــاب "**تـــاريخ الأمم والملوك**" لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ/٩٣٢م)، وتبدو أهميـــة كتابه واضحة حيث يذكر روايات مختلفة عن كل حدث، لكنه لم يعط رأيه فيها، كمـــا يبدو اهتمامه بشكل واضح بتسلسل الإسناد، ولا يمكن لأي باحث الاستغناء عنه، وقـــد استفدت منه فائدة كبيرة ، وكتاب" **مروج الذهب ومعادن الجوهر**"، فلعلي بن الحسن بن عبد الله المسعودي(ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، الذي زار كثيراً من البلدان والأقاليم للعلم والمعرفة، وكان شاهد عيان على الحوادث والأخبار، ويلاحظ عليـــه اعتمـــاده المنـــهج الموضوعي في تدوين الحوادث والأخبار إذ جمـــع الحـــوادث التاريخيـــة تحـــت رؤوس موضوعات، إلا أنه يهمل ذكر مصادره، فقد قدم معلومات قيمة عن الأسرة الزبيرية، ثم إن المسعودي عندما يذكر موقف ابن الزبير ﷺ من آل البيت يشعر القارئ بأنه متحامل على ابن الزبير ﷺ ويظهر تعاطفه مع آل البيت ، وهذا ما جعلني أقارن ما يـــورده مـــع المصادر المحايدة والمعتدلة ، وكتاب " **الكامل في التاريخ**" لمؤلفه أبي الحسن علي بـــن أبي الكرم بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الـــشيباني المعـــروف بـــابن الأثـــير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ويُعد من المصادر الأساسية في دراسة التاريخ الإسلامي، إذ يعـــرض الحقائق التاريخية عرضاً مبسطاً ومترابطاً، وقد استفدت من هذا الكتاب كثيراً إذ أمـــدني بمعلومات وافية ، وفيما يخص كتب الجغرافيا فأخص منـــهاكتاب " **معجـــم البلـــدان**" لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي(ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) وقد أفادني في التعريف بالبلدان والأماكن التي ورد ذكرها في البحث ما ساعد على التصور الجغرافي لسير المعارك وتطور الأحداث وتتبعها على فهم الصلة بينها ، أما المصادر الأدبية فكثيرة ومتنوعة، وقد استفاد منها البحث كثيراً، ومنها كتاب الـــزبير بـــن بكـــار " **الأخبـــار الموفقيات**" (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م)، الذي قدم معلومات قيمة عن آل الزبير وأفاد البحث في جوانب متعددة ، وكتاب " **العقـــد الفريـــد**" لابـــن عبـــد ربـــه الأندلـــسي(ت ٣٢٨هـ/٩٧٩م)، فمن المصادر التي احتلت مكاناً بارزاً على صعيد الأدب والتـــاريخ،

ويمتاز هذا الكتاب بغزارة مادته، وحسن تبويبه، وجودة اختياره، إذ أجاد ابن عبد ربه دراسة علوم عصره من تاريخ وشعر وفقه وغير ذلك فيجد القارئ في كتابه أخباراً كثيرة عن كبار رجال الإسلام، وفيه كثير من المعلومات التاريخية والنصوص الأدبية، وأخبار العرب في الجاهلية والإسلام، وألوان معيشتهم، وأساليب حياتهم، وعلى الرغم من أن ابن عبد ربه واسع الإحاطة جيد السرد للأخبار والوقائع، إلا أنه يجب أخذ أخباره ورواياته بشيء من التحفظ،لأنه حذف ذكر الإسناد،وبعض الأخبار التي رواها لا نعرف من أين استقاها ، أما المصادر الفقهية فأخص بالذكر منها كتاب " **الخراج**" لأبي يوسف (ت ١٨٢هـ/٧٩٨م)، وكتاب "**الأموال**" لأبي عبيد (ت ٢٢٤هـ/٨٣٨م)، فقد تناولت الإدارة العربية للبلاد المفتوحة أرضاً وسكاناً، وركزت على تنظيمات الرسولﷺ، والخلفاء الراشدين ﷺ، ونادراً ما ذكرت هذه الكتب الأسرة الزبيرية بالرغم من المعلومات التاريخية التي تتضمنها،وقد استفدت منها في بعض المواضع في البحث ، أما الدراسات الحديثة فقد تناولت الأسرة الزبيرية وعرضتها بطرق مختلفة فبعضها أفرد بالزبير بن العوام ﷺ وبعضها الآخر بعبد الله بن الزبير ﷺ وبعضها الآخر بعروة بن الزبير وهكذا، فقد تعرضت بعض هذه المراجع والدراسات الحديثة لجوانب موضوع دراستنا وقد أوردت ملاحظات قيمة ومفيدة مع أنها مقتضبة، إلا أنها على جانب كبير من الأهمية، رجعت إليها واستفدت منها بشكل كبير، ويأتي في مقدمتها كتاب " **الدولة الأموية**" ليوسف العش، وكتاب "**العشرة المبشرون بالجنة**" لعبد المنعم الهاشمي، وكتاب" **فرسان من عصر النبوة**" لأحمد خليل جمعة، وغيره مما سيظهر في البحث ، وفضلاً عن ذلك، فقد رجعت الباحثة إلى عدد من الدراسات السابقة والمقالات التي لها علاقة بموضوع البحث ، ومنها " **حركة عبد الله بن الزبير** " لمحمود محمد الرويضي ، و" **الحياة السياسية في بلاد الشام في خلافة معاوية بن أبي سفيان**" لطلال صالح غرايبة ، وقد أفادت الباحثة من الآراء التي جاءت بها هذه الدراسات، غير أن المصادر الأولية بقيت الموارد الأساسية التي قام عليها البحث. ومن الصعوبات التي واجهتها الباحثة أثناء إعداد البحث خصوصية الفترة وقداسة الشخصيات الإسلامية وكونهم من الصحابة رضوان الله عليهم ، واختلاف المؤرخين في ذكر الحوادث التاريخية،

وما يتعلق بها من الزمان والمكان وما إلى ذلك، كذلك انقياد بعض المؤرخين لعواطفهم ما ترتب عليه إغفالهم- عن قصد أو غير قصد- لبعض المعلومات المفيدة ما يجعل الباحث في حيرة من أمره أحياناً، يضاف إلى ذلك تفرق المعلومات في المصادر المختلفة وتشابك الأحداث وتحقيق الروايات وفهمها والتوفيق بين المتناقض منها الأمر الذي يستدعي الدقة والحيطة وبذل الجهد للسير في طريق الصواب والوصول إلى الغاية المطلوبة، وقد حاولت كثيراً التوفيق بين الروايات المختلفة كي ألتزم جانب الحيدة ، وعدم المس بمكانة الصحابة رضوان الله عليهم ، وان كان في البحث شيء من النقص أو القصور فحسب الباحثة أنها بذلت ما تملك من جهد وطاقة فإن تكن وفقت فلله الحمد والشكر، وإن كانت الأخرى فحسبها أنها بشرٌ تصيب وتخطىء، ولا تلتمس سوى سعة الصدر والتوجيه فيما عسى أن يكون موضعاً للنقد والتصحيح، فالنقص والخطأ من لوازم الإنسان والكمال لله وحده.

﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ صدق الله العظيم

(هود ٠٨٨)

تمهيد

مكانة آل الزبير في المجتمع المكي قبل الإسلام:

أجمع أهل الأنساب على أن قريشاً هم أبناء فهر بن مالك [1]، فكل من ولده هذا الرجل فهو قرشي[2]، وهو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان [3]، وكان أبناء فهر وما تفرع عنهم متفرقين لا يجمعهم جامع حتى أتى قصي – الجد الخامس للزبير بن العوام ﷺ– فجمعهم في مكة، ووزعهم في نواحيها، في بطاحها وظواهرها، ونظم أمورهم[4]، وأبو قصي هو كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، كان قد تزوج فاطمة بنت سعد بن باسل بن خثعمة الأسدي، فأنجبت له : زُهرة وزيداً، ومات كلاب بن مرة وابنه زيد فطيم، فتزوجت أم زيد رجلاً من بني عذرة اسمه ربيعة بن حرام، فنقلها إلى أرض قومه[5]، ولما كان ابنها زيد صغيراً فقد أخذته معها، وأبقت أخاه زُهرة في مكة لأنه كان رجلاً بالغاً [6]، ولأن زيداً عاش بعيداً عن أرض قومه وأرضه فقد نعتوه بقصي (أي البعيد) [7]، وعندما شب قصي وعرف مكان قومه في مكة رحل إليهم، واستقر فيهم، وكان أمر

---

[1]– أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب ابن الكلبي، جمهرة النسب، رواية: السكري، عن ابن حبيب، تحقيق: ناجي حسن، الطبعة الأولى، (بيروت : عالم الكتب، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م)، ص ٢١.

[2] –أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، الطبعة السادسة، (بيروت: دار صادر، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م)، ج١، ص ٢٣٣.

[3] – محمد بن حبيب البغدادي، المنمق في أخبار قريش، تصحيح وتعليق : خورشيد أحمد فاروق، الطبعة الأولى، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م)، ص ٢٠.

[4] – محمد بن عبد الله الأزرقي،أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق : رشدي الصالح ملحس، الطبعة الثامنة، (مكة المكرمة: مطابع دار الثقافة، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م)،ج١،ص ١٠٧ ؛ أبو عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي،أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق : د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الطبعة الثالثة،(بيروت : دار خضر، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م)، ج٥، ص١٧٢.

[5] – محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق وتعليق: حمزة النشرتي، عبد الحفيظ فرغلي، عبد الحميد مصطفى، (القاهرة: المكتبة القيمة، ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م)،ج ١، ص ٩٣؛ الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص ص١٠٤-١٠٥ ؛ اليعقوبي، تاريخ، ج١، ص ٢٣٧؛ تقي الدين الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، إشراف : سعيد عبد الفتاح، تحقيق: عادل عبد الحميد العدوي، هشام عبد العزيز عطا، أشرف أحمد الجمال، الطبعة الأولى، (مكة المكرمة : مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م)، ج٢، ص ٧٤٨.

[6] –عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، تعليق: تركي فرحان المصطفى، الطبعة الأولى، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م)، ص ٣٢٧.

[7] – أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الابياري، عبد الحفيظ شلبي، الطبعة الأولى، (بيروت : دار قلم، ١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م)، السيرة النبوية، ج ١، ص ١١٥ ؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٩٤.

مكة إلى قبيلة خزاعة ورئيسها يومئذ حُليل بن حبيشة الخزاعي، فتقرب إليه قصي وتزوج ابنته "حُبّى"، وعندما مات حُليل أوصى بالرئاسة إلى قصي، فاستولى قصي على مكة وقام بتنظيم أمورها، ثم جمع قبائل قريش بعد أن أجلى بني خزاعة عنها، وهكذا آلت أمور مكة إلى قريش بزعامة قصي [1].

وفيه يقول الشاعر[2]:

أبوكم قُصَيٌّ كانَ يُدعَى مُجمعًّاً   به جَمّعَ اللهُ القبائلَ من فِهر

وولدت حبى لقصي أولاده الأربعة: عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي [3]،وبنتيه، تخمر وبرة[4]، ولأن قصيًّا جمع قبائل فهر وأسكنهم مكة فقد دعي مجمعاً لما جمع من أمرها، وتيمنت بأمره[5] .

والزبيريون موضوع بحثنا بطن من بني أسد بن عبد العزى بن قصي[6]، فبين أسد وقصي أب واحد، وبين أسد وفهر الذي هو قريش سبعة آباء.

أصبح قصي سيد مكة بلا منازع إذ قام بتخطيطها وتقسيمها أرباعاً بين قومه فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها [7]، وتولى إدارة مكة طوال حياته وجعل من داره – دار الندوة – مركز هذه الإدارة، فأصبحت دار مشورة للمجتمع المكي تبرم فيه جميع أمور المدينة من مشورة وعقد لواء الحرب وعقود النكاح خروج عير قريش وقدومها إليها، وجعل بابها نحو المسجد [8]، لعله أراد أن يكسب قراراتها القدسية والاحترام من قبل الآخرين.

---

[1] – ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ١٢٦ ؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ص ٩٥-٩٦ ؛ ابن حبيب، المنمق، ص ٣٢؛ الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص ١٠٧.

[2] – اليعقوبي، تاريخ، ج١، ص ٢٤٠.

[3] – ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ص ٣٢٧؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢، ص ٧٥٣

[4] – ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ١١٦ ؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٩٨.

[5] – ابن هشام، السيرة النبوية، ج١،ص ١٣٢؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٠٠ ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ص ٣٢٨.

[6] –أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، د.ط، (بيروت : دار الكتب العلمية، ص ١٣١.

[7] –ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ص ٣٢٨.

[8] – ابن هشام، السيرة النبوية، ج١،ص ص ١٣٢-١٣٣؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٩٩؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ص ٣٢٨؛

وجدد بناء الكعبة، فقيل أن قصياً أخذ في بنيان البيت وجمع نفقته ثم هدمها فبناها بنياناً لم يبن أحدٌ ممن بناها مثله، وكان طول جدرانه تسعة أذرع، فجعله ثماني عشرة ذراعاً[١]،واتخذ له سقفاً من خشب الدوم وجريد النخل [٢]، وهو أول من حفر بئراً بمكة بعد إسماعيل عليه السلام وأسماها بئر العجول، وهي التي في دار أم هانىء بنت أبي طالب[٣]، وكانت إلى قصي الحجابة[٤] والسقاية[٥] والرفادة[٦] والندوة[٧] واللواء[٨]، فحاز شرف مكة كلها[٩].

وقد أحدث قصي أموراً عدة منها إيقاد النار بالمزدلفة حين الوقوف بها، ليراها كل من دفع من عرفة عند النفرة، ودام إشعال النار في الجاهلية، وفي صدر الإسلام في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم[١٠]، ومما استحدثه قصي أيضاً الرفادة، وقد فرض قصي على قريش الرفادة وقال لهم حين أمرهم به: " يا معشر قريش إنكم جيران الله، وأهل بيته الحرام، وإن الحاج ضيف الله وزوار بيته، وهو أحق الضيف بالكرامة، فاجعلوا لهم شراباً وطعاماً أيام الحج حتى يصدروا عنكم "، ففعلوا، فكانوا يخرجون لذلك كل

---

[١] – اليعقوبي، تاريخ، ج١، ص ٢٤٠.

[٢] – الفاسي، شفاء الغرام، ج ١، ص ١٩٦ ؛ حسين مؤنس، تاريخ قريش، الطبعة الأولى، (جدة: الدار السعودية، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م)، ص ١٠٥.

[٣] – اليعقوبي، تاريخ، ج١، ص ٢٤٠.

[٤] – الحجابة: أن تكون مفاتيح البيت عنده فلا يدخله أحد إلا بإذنه .

ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ١٣٢.

[٥] – السقاية : يعني سقاية زمزم، وكانوا يصنعون بها شراباً في الموسم للحاج الذي يوافي مكة ويمزجونه تارة بعسل، وتارة بلبن، وتارة بنبيذ، يتطوعون بذلك من عند أنفسهم.

ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ١٣٢.

[٦] – الرفادة : خرجاً تخرجه قريش في كل موسم من أموالها فيصنعون منه طعاماً للحاج، فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد .

ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ١٣٦.

[٧] – الندوة: الاجتماع للمشورة والرأي، وكانت الدار التي اتخذها قصي لذلك يقال لها(دار الندوة)، وهذه الدار صارت بعد بني عبد الدار إلى حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، فباعها في الإسلام بمئة ألف درهم، في زمن معاوية، فلامه معاوية في ذلك، وقال : أبعت مكرمة آبائك وشرفهم ؟ فقال حكيم : ذهبت المكارم إلا التقوى، والله لقد اشتريتها في الجاهلية بزق خمر، وقد بعتها بمائة ألف درهم، وأشهدكم أن ثمنها في سبيل الله.

ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ١٣٢.

[٨] – اللواء: يعني في الحرب، لأنه كان لا يحمله عندهم إلا قوم مخصوصون.

ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ١٣٢.

[٩] – ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ١٣٢.

[١٠] – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ١٠٣.

عام من أموالهم خرجاً فيدفعونه إليه فيضعه طعاماً للناس أيام مُنى، فاستمر قومه على ذلك من بعده حتى جاء الإسلام [(١)].

وقد جمع قريشاً من حوله ولكنه قسمها إلى قسمين : أدخل قصي بطون قريش كلها وادي مكة الأبطح فعرفوا بقريش البطاح، بينما أنزل القسم الآخر في أطرافها فعرفوا بالظواهر وهم : بنو معيص بن عامر بن لؤي، وبنو تيم الأدرم بن غالب بن فهر، وبنو محارب بن فهر، وبنو الحارث بن فهر [(٢)] .

ثم لما كبر قصي، عهد بالوظائف إلى ابنه عبد الدار دون إخوته،وكان عبد مناف قد شُرِّف في زمان أبيه، وذهب كل مذهب، وكذلك عبد العزى وعبد قصي، وقال قصي لعبد الدار: أما والله يا بني لألحقنك بالقوم، وإن كانوا قد شرفوا عليك، لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها له، ولا يعقد لقريش لواء لحربها إلا أنت بيدك، ولا يشرب أحد بمكة إلا من سقايتك، ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعاماً إلا من طعامك، ولا تقطع قريش أمراً من أمورها إلا في دارك، فأعطاه دار الندوة التي لا تقضي قريش أمراً من أمورها إلا فيها، وأعطاه الحجابة واللواء والسقاية والرفادة[(٣)].

غير أن الخلاف مالبث أن دب بين أبناء العمومة بعد وفاة عبد الدار، حيث جمع بنو عبد مناف بن قصي، وهم عبد شمس وهاشم والمطلب ونوفل على أن يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار مما كان من الوظائف منهم، وأدى هذا الموقف إلى انقسام قبيلة قريش إلى فئتين متنازعتين، ضمت الفئة الأولى بني عبد مناف وبني أسد بن عبد العزى بن قصي وبني زهرة بن كلاب وبني تيم بن مرة بن كعب وبني الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، فهم يد واحدة في التناصر، وسموا بـ (المطيبين)[(٤)]، أما الفئة الثانية التي أطلق عليهم (الأحلاف)، أو (لعقة الدم) بني عبد الدار وبني مخزوم وبني سهم وبني جمح

---

(١) – ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ص ١٣٦–١٣٧؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ص ١٠٣–١٠٤؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ص ٣٢٨.

(٢) – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ١٠٠؛ محمود زايد، التاريخ السياسي لمكة قبل الإسلام، مجلة العربي، العدد ٤٢، (الكويت : ذو القعدة ١٣٨١هـ = مايو ١٩٤٢م)، ص ٢٠.

(٣) – ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ١٣٦؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٠٤ ؛ عمر فروخ، تاريخ الجاهلية، الطبعة الأولى، (بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٦٤م)، ص ١١٣؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢، ص ٧٥٩.

(٤) – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ص ١٠٩–١١٠؛ الفاكهي، أخبار مكة، ج٥، ص ١٧٦.

وبني عدي فتعاقدوا وتحالفوا وتعاهدوا عند الكعبة حلفاً مؤكد ألاّ يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً[1].

وهكذا رجع الفريقان إلى الصواب واتفقوا على تقسيم الوظائف التي اختص بها بنو عبد الدار على الشكل التالي: أخذ بنو عبد مناف السقاية والرفادة، وبنو عبد الدار الحجابة والندوة واللواء، وبذلك تراضى الطرفان وثبت كل قوم مع من حالفوا[2].

ومن هنا تتضح مكانة الأسرة الزبيرية منذ ما قبل الإسلام، فقد أثبتت جهود قصي وهو أحد أجدادها في تحقيق ما يشبه الدولة في مكة ؛لأن مكونات الدولة موجودة، فالأرض هي مكة وما جاورها، والحكومة هي رجال الملأ من قريش والشعب من سكن مكة من أبناء القبائل الأخرى، وبذلك تكون مدينة مكة قد استكملت كل الأركان الضرورية لتكوين الدولة، من شعب وإقليم وحكومة تدير السلطة من غير الخضوع لأية إرادة أجنبية[3].

ثم تابع أفراد من الأسرة إكمال مابدأه جد هذه الأسرة من السيادة على بقية القبائل العربية الموجودة في مكة.

وامتد دور الأسديين في مكة بعد قصي إذ ترأس المشورة في دار الندوة يزيد بن زمعة بن الأسود، إذ كانوا لا يصدرون قراراً إلا بعد

---

[1] – ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ص ١٣٧–١٣٨؛ ابن حبيب، المنمق، ص ص ٣٣–٣٤؛ الفاكهي، أخبار مكة، ج٥، ص ص ١٧٦– ١٧٩ ؛ توفيق بَرو، تاريخ العرب القديم، الطبعة الثانية، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م)، ص ١٧٧.
قصة المطيين ولعقة الدم أو الأحلاف: أن هاشماً وعبد شمس والمطلب ونوفل بني عبد مناف، أجمعوا أن يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار بن قصي، مما كان قصي قد جعله إلى عبد الدار من الحجابة واللواء والرفادة والسقاية والندوة، ورأوا أنهم أحق به منهم لشرفهم عليهم وفضلهم في قومهم، وكان الذي قام بأمرهم هاشم بن عبد مناف، فأبت بنو عبد الدار أن تسلم ذلك إليهم، وقام بأمرهم عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، فصار مع بني عبد مناف بنو أسد بن عبد العزى بن قصي، وبنو زهرة بن كلاب، وبنو تيم بن مرة وبنو الحارث بن فهر، وصار مع بني عبد الدار بنو مخزوم، وبنو سهم وجمح، وبنو عدي بن كعب، وخرجت من ذلك بنو عامر بن لؤي وبنو محارب بن فهر، فلم يكونوا مع واحد من الفريقين، فعقد كل قوم على أمرهم حلفاً مؤكداً ألا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً، فأخرجت بنو عبد مناف ومن صار معهم جفنة مملوءة طيباً فوضعوها حول الكعبة، ثم – غمس القوم أيديهم – فيها، وتعاهدوا وتعاقدوا وتحالفوا، ومسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم، فسموا المطيبين . وأخرجت بنو عبد الدار ومن كان معهم جفنة من دم فغمسوا أيديهم فيها، وتعاقدوا وتحالفوا ألا يتخاذلوا، فسموا الأحلاف ولعقة الدم .
ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١،ص ص ١٠٩–١١٠؛ الفاكهي، أخبار مكة، ج٥، ص ص ١٧٥– ١٧٧.

[2] – ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ١٣٨؛ الفاكهي، أخبار مكة، ج٥، ص ص ١٧٥ – ١٧٩؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ص ٣٢٩.

[3] –ابراهيم محمد علي الجبوري، قصي بن كلاب ودوره في تنظيم قريش وقيادته لها، مجلة شؤون اجتماعية، (الشارقة : جمعية الاجتماعيين، ربيع ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م)، العدد ٦٥، ص ١٩.

موافقتـــه، فقد بلغ أرقى مراتـــب السيـــادة بحكـــمته وســـــداد رأيـــه، وعقلـــه الرشـــيد فـــهو مســـتشار قريـــش، وله الحـــق في نقـــض رأيهـــم، والاعـــــتراض على كـــل ما يخـــــالف وجـــــهة نظـــره، ثم أســـلم واســـتـــشهد يوم الطائف[١].

ومن بني أسد خويلد بن أسد، وهو جد الزبير بن العوام ، الذي كان من أشراف قريش، وكان يوم الفجار[٢] على بني عبد العزى[٣]. ونوفل بن خويلد، الذي قتل يـــوم بدر كافراً[٤].

وكان آخر من انتهت إليهم الزعامة عند ظهور الإسلام، وإبان قيـــام الـــدعوة وأحداثها في مكة من بني أسد الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وكان من أشد الناس[٥]، وكان من سادات قريش في الجاهلية وشعرائهم[٦]،وكان من مهـــاجرة الحبشة [٧]، كما أنه هو الذي صدَّ ابن عمه عثمان بن الحويرث عن ملك مكة[٨] .

---

[١] – أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، مراجعة وضبط : لجنة من العلماء بإشراف محمـــد علـــي بيضون، د.ط، (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـــ = ١٩٩٨م)، ص ١١٩؛ أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري، نسب قريش، تعليق : إ. ليفي بروفنسال، الطبعة الثالثة، (القاهرة : دار المعارف، ١٩٥٣م)، ص ٢٢١.

[٢] – حرب الفجار: كانت هذه الحرب في الحقيقة نزاعاً على النفوذ التجاري والأدبي، بين قريش وأحلافها وبين هوازن القبيلة المعروفة بعـــددها وبطشها، وقد سميت بالفجار؛ لأنها وقعت في الأشهر الحرم وهي الشهور التي تعظمها العرب وتحرم فيها القتل والقتال فيما بينها وأيامهـــا خمـــسة تفرقت على أربع سنين (يوم نخلة، ويوم شمظة، ويوم العبلاء، ويوم شرب ويوم الحريرة وهو آخر أيامهم، وانقضت هذه الأيام الخمسة، ثم تداعى الفريقان إلى السلم وعقدوا على ذلك المواثيق وانتهت سنة(٥٨٩م)، وقد شهد الرسول ﷺ حرب الفجار سنة إحدى وعشرين.

أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي،مروج الذهب ومعادن الجوهر، الطبعة الأولى،(بيروت: المكتبة العصرية،١٤٢٥هـــ=٢٠٠٥م)، ج ٢، ص ٢٢٥ ؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢، ص ص ٧٧٨ –٧٨٤؛ ؛ سعيد الأفغاني، أسواق العـــرب في الجاهليـــة والإســـلام،الطبعة الثانية،(دار الآفاق العربية، ١٤١٣هـــ=١٩٩٣م)، ص ص ١٦٢–١٨٠ ؛ محمد أحمد جاد المولى بك، على محمد البجاوي، محمد أبـــو الفضل ابراهيم، أيام العرب في الجاهلية، (بيروت : المكتبة العصرية، ١٩٦١م)، ص ٣٢٢.

[٣] –مؤرج بن عمرو السدوسي، كتاب حذف من نسب قريش، رواية، أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي، نشره، صلاح الدين المنجد، د.ط، (القاهرة : مكتبة دار العروبة، ١٩٦٠م)، ص ٥٢.

[٤] – السدوسي، حذف من نسب قريش، ص ٥٢.

[٥] – ابن الكلبي، جمهرة أنساب العرب، ص ١١٨.

[٦] –ابن سعيد الأندلسي، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق: نصرت عبد الرحمن، د.ط، (عمان : مكتبة الأقـــصى، د. ت)، ج١، ص ٣٥١.

[٧] – السدوسي، حذف من نسب قريش، ص ٥٢.

[٨] – قيل : إنه وفد عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى بن قصي على قيصر، وتوصّل إلى أن ملّكه على مكة، فأعلن ابـــن عمـــه الأسود بن المطلب بانكار ذلك وتابعته قريش، فانصرف عثمان إلى قيصر، فدست قريش إلى عمرو بن جفنة ملك عرب الشام أن يـــريحهم منه، فوضع له من سمّه.

الأندلسي، نشوة الطرب، ج١، ص ص ٣٥٠–٣٥١؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢، ص ص ٨٠٨–٨٠٩.

وقد وصف رسول الله ﷺ بطون قريش بقوله :" عبد مناف عِزّ قريش، وأسـد ركنها وعضدها، وعبد الدار رؤوسها وأوائلها، وعدي جناحاهـا، ومخـزوم ريحانتـها وأراكتها في نظرهما، وجمح وسهم عديدها، وعامر ليوثها وفرسانها، والناس تبع لقريش، وقريش تبع ولد قصي"[1].

[1] – الفاكهي، أخبار مكة، ج٥، ص ١٦٦ ؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢، ص ٧٤٠.

الفصل الأول

(الزبير بن العوام ﷺ)

١. نسبه ومولده وأسرته.

٢. إسلامه وعلاقته بالرسول ﷺ بعد إسلامه.

٣. أهم أعمال الزبير ﷺ في عهد الرسول ﷺ.

٤. أبناء الزبير بن العوام ﷺ .

الزبيربن العوام ﷺ

أولاً:نسبه ومولده وأسرته:

هو الزبير ابن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن كعب بن لؤي القرشي الأسدي ﷺ[١]، وأمه صفية[٢]،وهي بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ والنبي ﷺ ابن خاله[٣]، وبذلك يجتمع نسب الزبير مع نسب الرسول ﷺ في قصي بن كلاب من جهة أبيه العوام بن خويلد، ومن جهة أمه صفية في جد الرسول ﷺ عبد المطلب[٤]. وتتعدد مسألة قرابة الرسول ﷺ مع الزبير بن العوام ﷺ من عدة جهات، يرويها عبد الله بن الزبير ﷺ عن أبيه،أنه قال له:"يا بني: كان عندي أمك[٥] وعند رسول الله ﷺ خالتك عائشة[٦] وبيني وبينه من الرحم والقرابة ما قد علمت، وعمة أبي حبيبة بنت أسد جدته، وأمي عمته، وأمه آمنة[٧] بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة وزوجته

---

[١] – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص٦٦٧.

[٢] – صفية بنت عبد المطلب: هي عمة رسول الله ﷺ، وأمها هالة بنت وهيب بن عبد مناف، وهي أخت حمزة بن عبد المطلب لأمه، تزوجها في الجاهلية الحارث بن حرب، ثم خلف عليها العوام بن خويلد، فولدت له الزبيروالسائب وعبد الكعبة، أسلمت صفية وبايعت الرسول وهاجرت إلى المدينة.

ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص ص ٤٥-٤٦.

[٣] –الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش وأخبارها، شرح وتحقيق : محمود محمد شاكر، (القاهرة: مطبعة المدني، ١٣٨١هـ) ج١، ص ٤٣ ؛، أبو العباس محب الدين أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري، الرياض النضرة في مناقب العشرة، إخراج، عبد المجيد طعمة حلبي، الطبعة الأولى،، (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م)، ج٤،ص ٢٢٩.

[٤] –أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: روائع التراث العربي، ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م)، ج٢، ص٢٣٩.

[٥] – أمه: هي أسماء بنت أبي بكر ، كان إسلامها مبكراً، هاجرت إلى المدينة وهي حامل بعبد الله بن الزبير ووضعته بقباء، وتوفيت بمكة في جمادي الأولى سنة ثلاث وسبعين بعد قتل ابنها بيسير، وكانت تسمى" بذات النطاقين" لأنها شقت خمارها وشدت به السفرة التي صنعتها للنبي حين أراد الهجرة، فشدت السفرة بنصفه وانتطقت النصف الثاني وقال لها النبي : أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة.

أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب،تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى،،(بيروت : دار الجيل، ١٤١٢هـ=١٩٩٢م)، ج٤، ص١٧٨٢ .انظر ملحق رقم ١ ، ص ٢٥٥.

[٦] – عائشة: هي عائشة بنت أبي بكر الصديق بن أبي قحافة، تزوجها رسول الله وهي ابنة ست سنوات، وأعرس لها وهي ابنة تسع سنوات، وكانت تحسن الفرائض تصوم الدهر، وكانت أحب نساء الرسول ﷺ إليه، ورأت جبريل ﷺ ولم تره امرأة غيرها.

ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص ص ٦٣-٧٣.

[٧] – آمنة بنت وهب: هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة، أم النبي عليه السلام، وكان عبد المطلب قد خطبها لابنه عبد الله فزوجها إياه وحملت بالنبي ﷺ .

خديجة[1] بنت خويلد عمتي[2]، وقد كانت أسرته شريفة النسب من جهة أبيـــه وأمـــه، فأبوه العوام كان شريف قومه وسيدهم المطاع[3].

لم يذكر المؤرخون سنة ولادة الزبير ﷺ ولكن باحتساب السنة التي توفي فيهـــا الزبير ﷺ وهي سنة ٣٦هـــ = ٦٥٦م[4]، وهو ابن خمس وسبعين سنة[5] تكون ولادته سنة تسع وثلاثين قبل الهجرة والله أعلم.

عاش يتيماً بعد فقد أبيه العوام الذي مات مقتولاً في حـــرب الفجـــار، فتكفـــل بمعيشته عمه نوفل بن خويلد[6].

فقيل إنه بعد موت أبيه العوام[7] تولاه عمه بالنفقة وتولت أمه مسؤولية تربيتـــه. فكانت تكثر من ضربه وتقسو عليه، وتعامله بأسلوب عنيف وطبيعة قاسية فيتدخل العم ناصحاً إياها بالرفق به، وقد عاتبها مرة بقوله:" ما هكذا يُضَرب الولد، إنك لتـــضربينه ضرب مبغضة فوجزت به صفية : من قال إني أبغضه فقد كذب،إنما أضربه لكي يلـــب ويهزم الجيش ويأتي بالسلب ولا يكون لماله خبأ مخب يأكل من تمر وحب" [8].

= جمال الدين القرشي البكري ابن الجوزي البغدادي، صفة الصفوة، الطبعة الأولى (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢١هـــ ٢٠٠٠م)،ج١، ص ١٤ وما بعدها.

[1] – خديجة بنت خويلد: هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب، وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم، وكان أبوها ذا شرف في قومه، ونزل مكة وحالف بها بني عبد الدار قصي، تزوجها الرسول ﷺ وهي ابنة ثمان وعشرين سنة ومهرها اثنتا عشرة ويقال إنها كانت يوم تزوجها رسول الله ﷺ ابنة أربعين سنة.

ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص ١٣ وما بعدها .

كانت السيدة خديجة رضي الله عنها ذات شرف ومال كثير، وتجارة وكانت أموالها كثيرة الربح، لكنها لم تشترك مع التجـــــــــار في أمر ما، ولم يعرف عنها أنها خرجت إلى الأسواق، أو غادرت بيتها لعرض أو طلب.

إبراهيم محمد حسن الجمل، البينة وأثرها في حياة الـــسيدة خديجة بنت خويلد، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد٥٨،(المدينة المنورة: ربيع الآخر، جمادى الأولى، جمادى الآخرة١٤٠٣هـــ)، ص ٨٢٢.

[2] – محب الدين الطبري، الرياض النضرة، ج ٤، ص ٢٢٩.

[3] – عبد المنعم الهاشمي، العشرة المبشرون بالجنة، الزبير بن العوام،الطبعة الأولى،(الكويت : مكتبة ابن قتيبة، ١٩٩٠م)، ج٢، ص٦.

[4] – شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد علي العسقلاني، الإصـــابة في تمييـــز الـــصحابة، (بـــيروت: دار الفكـــر، ١٣٩٨هـــ= ١٩٧٨م)، ج١، ص ٥٤٦.

[5] – المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ٢٨٤.

[6] – نوفل بن خويلد: هو الذي يُقال له:" ابن عدية، من عدي بن خزاعة، أمه عمة بديل بن ورقاء بن عبد العزى، وكان نوفل شديداً على المسلمين، وهو الذي قرن أبا بكر وطلحة في حبل بمكة وقُتِل يوم بدر كافراً. الزبيري، نسب قريش، ص ص ٢٢٩–٢٣٠.

[7] – قتل العوام بن خويلد في يوم العبلاء – إحدى أيام حرب الفجار–و كانت حرباً بين هوازن وكنانة،التقوا فيهاعلى قـــرن الحـــول في اليوم الثالث من أيام عكاظ، واقتتلوا وكانت الهزيمة على كنانة، فقتل مرة بن معقب الثقفي العوام بن خويلد في هذا اليوم.

محمد أحمد جاد بك، أيام العرب في الجاهلية، ص ٣٢٣.

[8] – العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص٥٤٥.

و هناك رواية أخرى تذكر: " أن صفية كانت تضرب الزبير ضرباً شديداً وهو يتيم، فقيل لها: قتلته، ضلعت فؤاده، أهلكت هذا الغلام، قالت: إنما أضربه كي يلب ويجر الجيش ذا الجلب"[١]، ويبدو أنّ أمه كانت تريد أن يكون ابنها شجاعاً مقداماً جلداً لا يهاب الموت.

ولما نضج الزبير ﷺ واشتد عوده، أصبح فارساً يجيد ركوب الخيل والنزال كراً وفراً، يتقن الضرب بالسيف والرمي بالرمح[٢].

وقد كنته السيدة صفية بـ "أبي الطاهر" تيمناً بكنية أخيها الزبير بن عبد المطلب واكتنى هو بـ "أبي عبد الله" بابنه عبد الله[٣].

وقد ورد في صفة الزبير ﷺ أنه كان رجلاً طويلاً إذا ركب خطت رجلاه الأرض[٤]، وكان أبيض خفيف العارضين[٥]، وكان قوي البنية والساعد، جلداً صبوراً على الأهوال[٦].

وقد تزوج الزبير بن العوام ﷺ من السيدة أسماء بنت أبي بكر ﷺ، فقد تزوجها في مكة قبل الهجرة إلى المدينة، فهاجرت وهي حامل،ووضعت ابنها عبد الله بقباء [٧] فكان أول مولود للمسلمين بالمدينة المنورة. وقد ذكرت أسماء- رضي الله عنها- فرح المسلمين بمقدمه فرحاً شديداً ؛ لأن اليهود كانوا يشمتون بالمسلمين ويشيعون بأن نساء المدينة لم يولد لهن، فلما ولدت أسماء عبد الله خابت آمال اليهود، إذ قيل لهم: إن اليهود

---

[١] – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٦٦٩.

[٢] –الهاشمي، العشرة المبشرون بالجنة، ص٧ .

[٣] – عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري الشهير بابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، د.ط، (بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م) ، ج٢، ص٩٨.

[٤] – العسقلاني، الإصابة في تميز الصحابة، ج١، ص٦٩.

[٥] – العسقلاني، تهذيب التهذيب، ضبط ومراجعة: صدقي جميل عطار،الطبعة الأولى، (دار الفكر للنشر والتوزيع: ١٤١٥هـ=١٩٩٥م)، ج ٣، ص١٤٣.

[٦] – أحمد خليل جمعة، فرسان من عصر النبوة،الطبعة الأولى، (بيروت: اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م)، ص٦٩.

[٧] – ابن الأثير، أسد الغابة، ج٦، ص٩.

قد سحرتكم فلا يولد لكم[1]، ثم طلقها الزبير[2] فكانت عند ابنها عبد الله ﷺ[3].

كان للزبير أخوة كثيرون، بعضهم كان من أبيه وبعضهم الآخر كان من أبيه وأمه، ومنهم من دخل الإسلام ومنهم من لم يسلم، فمن الذين أسلموا شقيقه السائب بن العوام ﷺ[4] وأمه صفية وقد شهد أحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ،وقتل يوم اليمامة شهيداً، سنة ١٢هـ/٦٣٣م في خلافة أبي بكر[5] الصديق ﷺ،وليس له عقب[6]، ثم شقيقته أم حبيب[7]، وقد تزوجت خالداً بن حزام ﷺ[8] أخا حكيم بن حزام[9].

كما أسلم أخواه من أبيه، عبد الرحمن بن العوام ﷺ[10] وزينب بنت

---

[1] — العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢،ص ص ٣٠٩-٣١٠.

[2] — يروي ابن الأثير في سبب طلاق السيدة أسماء رضي الله عنها، قيل : إن عبد الله قال لأبيه مثلي لا توطأ أمه! فطلقها،وقيل: كانت قد أسنّت وولدت للزبير عبد الله وعروة والمنذر ﷺ، وقيل: إن الزبير ضربها فصاحت بابنها عبد الله، فاقبل إليها، فلما رآه أبوه قال: أمك طالق إن دخلت، فقال عبد الله : أتجعل أمي عرضة ليمينك؟! فدخل فخلصها منه، فبانت منه.

ابن الأثير، أسد الغابة، ج٦، ص١٠،٩.

[3] — ابن الأثير، أسد الغابة، ج٦، ص ٨.

[4] — ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٤، ص ١٤٥.

[5] — ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، ص١٤٥.

[6] — ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٤، ص ١٤٥.

[7] — ولدت أم حبيب لخالد بن حزام أم الحسن.

العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٨، ص١٨٧.

[8] — خالد بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، أمه أم حكيم، اسمها فاختة بنت زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي، كان قديم الإسلام بمكة، وهاجر إلى أرض الحبشة،مات قبل أن يدخل أرض الحبشة، ومن ولده الضحاك بن عثمان والمغيرة بن عبد الرحمن الحزامي، وكلاهما قد حمل العلم ورواه.

ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، ص ص ١٤٥- ١٤٦.

[9] — حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد يكنى أبا خالد، كان من سادات قريش ووجوهها في الجاهلية والإسلام، أعتق في الجاهلية مائة رقبة، وفي الإسلام مائة رقبة وحمل على مائة بعير، قدم المدينة ونزلها وبنى داراً بها ومات بالمدينة سنة (٥٤هـ/٦٧٣م)، وهو ابن مائة وعشرين سنة- رحمه الله-.

ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج١، ص ص ٢٦٢-٢٦٣؛ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ريح النسرين فيمن عاش من الصحابة مائة وعشرين، تحقيق: عدنان أحمد مجود، الطبعة الأولى،(جدة : دار الوفاء،١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م)،ص ٤٩.

[10] — عبد الرحمن بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وهو الأخ الأكبر للزبير، وأمه أم الخير بنت مالك بن عميلة العبدرية، شهد بدراً مع المشركين كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة فسماه الرسول ﷺ عبد الرحمن، واستشهد يوم اليرموك وقتل ولده عبد الله يوم الدار، وقيل أسلم يوم الفتح،مات في خلافة عمر ﷺ، وصحب النبي ﷺ.

العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص ص ٤١٥-٤١٦ ؛ فوزي محمد ساعاتي، شهداء بلاد الشام في عهد الخلفاء الراشدين ﷺ، مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية المحكمة، العدد ١٨، (السنة الحادية عشرة: ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م). ص ١٩٤.

العوام[1] ، وكان اسم عبد الرحمن في الجاهلية (عبد الكعبة)، فسماه رسول الله ﷺ (عبد الرحمن)، واستشهد يوم اليرموك[2].

وكان له أخ يسمى (بجير بن العوام)[3] استشهد يوم اليمامة وقيل قُتِل في الجاهلية[4]،أمّا خاله فحمزة [5]بن عبد المطلب القرشي ﷺ ، وأمه هي هالة بنت أهيب بن عبد مناف بنت عم آمنة أم النبي ﷺ[6].

وقد بنى الزبير ﷺ دارا له في المدينة المنورة في الجهة الغربية من المسجد، وكانت ملاصقة لدار طلحة بن عبيد الله ﷺ ، قسمها الزبير ﷺ على ابنيه عمر وعروة ، فكان الجزء الملاصق لدار طلحة ﷺ من الجهة الغربية لعمرو بن الزبير، والجزء الذي يليه لعروة بن الزبير، وكان يحدُّ دار الزبير من الجنوب زقاق القياشين، وشرقاً دار طلحة بن عبيد الله[7] ﷺ.

---

[1] – زينب بنت العوام،، وهي أم عبد الله بن حكيم بن حرام، أسلمت وبقيت إلى أن قتل ابنها يوم الجمل.
ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٦، ص ١٣٣.

[2] – محب الدين الطبري، الرياض النضرة في مناقب العشرة، ج٤، ص ص٢٣٠-٢٣١.
اليرموك: واد بناحية الشام في طريق الغور يصب في نهر الأردن ثم يمضي إلى البحيرة المنتة وكانت به حرب بين المسلمين والروم في أيام أبي بكر الصديق بقيادة خالد بن الوليد وقد تمكن المسلمون من الانتصار، وكانت من أعظم انتصارات المسلمين ؛لأن الروم بالغوا في الاحتشاد.
شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي البغدادي، معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، الطبعة الأولى، ج(٥)، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م)، ص٤٩٧.

[3] – بجير بن العوام قتله في الجاهلية صبيح بن سعيد بن هانئ الدوسي من أجداد أبي هريرة.
العسقلاني، الإصابة في تميز الصحابة،ج ١، ص ١٣٨.

[4] – العسقلاني، الإصابة في تميز الصحابة، ج١، ص ١٣٨.

[5] – حمزة بن عبد المطلب،أبو عمارة عم النبي ﷺ وأخوه من الرضاعة، اسلم في السنة الثانية من البعثة لازم نصر الرسول ﷺ وهاجر معه أرسله الرسولﷺفي سرية فكان ذلك أول لواء عقد في الإسلام واستشهد بأحد ولقبه النبي سيد الشهداء.
.العسقلاني، الإصابة في تميز الصحابة، ج١، ص٣٥٤.

[6] – العسقلاني، الإصابة في تميز الصحابة، ج١، ص٣٥٢.

[7] –محمد الياس عبد الغني، عمر محمد فلاته، بيوت الصحابة حول المسجد النبوي الشريف، الطبعة الرابعة، (المدينة المنورة :مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م،ص ص١٢٩-١٣٠.انظر ملحق رقم (   ) الرسم التقريبي لبيوت الصحابة.

ثانياً: إسلام الزبير بن العوام ﷺ وعلاقته بالرسول ﷺ:

اختلف المؤرخون حول تحديد سن إسلام الزبير ﷺ عند إسلامه، فذكر ابن سعد أنه أسلم وهو ابن ست عشرة سنة[١]، بينما ذكر ابن عبد البر أنه أسلم وهو ابن اثـنتي عشرة سنة، وقيل : أسلم الزبير ﷺ وهو ابن ثماني سنين[٢]، وأن إسلامه كان بعد إسلام أبي بكر ﷺ بيسير، وأنه كان رابعاً أو خامساً في الإسلام[٣]، وكان إسلامه على يـد أبي بكر الصديق ﷺ[٤].

ويمكن ترجيح ما ذكره "ابن عبد البر" من أنه أسلم وهو ابن ثماني سنين [٥] خاصة إذا علمنا أنه كان يبلغ من العمر يوم معركة بدر تسع وعشرون سنة كما ذكـر ابـن سعد[٦]، فإذا قمنا بطرح عمره سنة ولادته تسعة وثلاثين قبل الهجرة من عمره يوم بـدر يكون عمره عند إسلامه مابين سبع إلى ثماني سنين، وهو الأقرب إلى الصواب والله أعلم.

هدى الله قلب الزبير ﷺ للإسلام فأسـلم دون خوف، فكان يرتاد دار عمته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها - زوج رسول الله ﷺ - بين الحين والآخر، وكان يلتقي في دارها بابن خاله علي بن أبي طالب ﷺ ، وذات يوم وجد عليا يصلي، فتعجب من أمر صلاته، فتحدث معه وسمع منه، وحدث أن جاءه ذات يوم أبو بكر ﷺ فحدثه بأمر الإسلام، ودعوة محمد بن عبد الله الجديدة، واتفق مع أبي بكر ﷺ على لقاء رسول الله ﷺ ليلا، فرحب به الرسول وأجلسه، فشهد الزبير ﷺ لله بالوحدانية وأن محمدا رسول الله [٧]،وقيل أنه دخل على رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت إلى ماذا تدعو ؟ فقال : " أدعوك إلى أن تشهد أن لا اله إلا الله، وأن محمداً رسول الله"، قال : فإني أشهد أن لا اله إلا الله، وأنك رسول الله يا رسول الله، إن شئت لنبادينهم بالإسلام ولا نستسر به،

---

(١) – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢،ص٦٧.

(٢) – ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٢، ص٥١١.

(٣) – ابن الأثير، أسد الغابة، ج٢،ص٩٨؛ ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج١، ص١١٦.

(٤) – موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، التبين في أنساب القرشيين،تحقيق وتعليق: محمد نايف الدليمي،الطبعة الثانية، (بيروت: مكتبة النهضة العربية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص٢٧٠ ؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢، ص ٢١٨.

(٥) – ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٢، ص ٥١١.

(٦) – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٦٨٤.

(٧) – عبدالمنعم الهاشمي، من أعلام الصحابة، الطبعة الأولى، (بيروت : دار ابن حزم، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م)،ج ١، ص ص ١١١-١١٢.

فإنا على حق وهم على باطل، فقال رسول الله ﷺ :" إنا لم نؤمر بالقتال"، فخرج الزبير ولقيه أبو البختري، وهو العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى قال: أفعلتها يابن العوام ؟ قال: نعم، قال: إنا لا نقرك وما تريد من مفارقة دين آبائنا وعيب آلهتنا، قال الزبير : اصنع مابدا لك فإنما تعبدون حجراً لا يسمع ولا يبصر، ولا ينفع ولا يضر، فاستشهد أبوالبختري بالاية القرآنية [1]:

﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ ۝٣ ﴾[2].

ولم يستطع الزبير ﷺ أن يكتم إيمانه، فلما علم عمه نوفل بذلك كان يعذبه ويعلقه في حصير ويدخن عليه بالنار، ويقول له: ارجع إلى الكفر، فيقول الزبير ﷺ : لا أكفر أبداً[3]، فلما رأى عمه صبره على العذاب تركه[4].

وبعد إسلامه كرس الزبير ﷺ نفسه لخدمة الدعوة والرسول ﷺ، فلقدكان إيمانه منذ البداية قوياً . وكان موقفه كغيره من المسلمين الآخرين في الدور السري من مراحل الدعوة التي استمرت ثلاث سنوات، يأتمر بأوامر الرسول ﷺ ويتحمل الأذى والاستهزاء من أهل مكة بقلب مخلص لا يترك رسول الله ﷺ ورفاقه لحظة.

ورُوِي عن أسماء بنت أبي بكر– رضي الله عنها– أنها قالت: قال الزبير بن العوام ﷺ: لقد رأيت اليوم عجباً ! رأيت نفراً من المشركين جلوساً حول الكعبة ورئيسهم أبوجهل بن هشام[5]، فأقبل رسول الله ﷺ وهم يتآمرون بمناهضته، فوقف عليهم

---

[1] - البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٩، ص ص ٤٢٠-٤٢١.

[2] -سورة الزمر ، آية رقم ٣.

[3] – ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج١، ص١١٦؛ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ=١٩٩٧م)،ج ١، ص١٣١.

[4]– محب الدين الطبري، الرياض النضرة في مناقب العشرة، ص ٢٤٠.

[5] – أبو جهل هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي.

ابن حبيب، أبو جعفر محمد، المحبر، تصحيح: ايلزه ليختن شتيتر،د.ط، (بيروت: دار الآفاق الجديدة)، ص ١٦١.

كان أبو جهل من أشد الناس إيذاء لرسول الله ﷺ، وتوعد الرسول ﷺ بأنه إذا جلس إلى الصلاة أن يأتي بحجر ينضخ به رأس النبي ﷺ، وعندما أصبح أبو جهل أخذ الحجر وجلس ينتظر الرسول ﷺ حتى بدأ بالصلاة فحمل أبو جهل الحجر وأقبل نحو الرسول ﷺ حتى دنا منه ثم رجع منهزماً متغيراً لونه مرعوباً قد يبست يداه على حجره، وقذف بالحجر، وعندما سألوه ما به قال: قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم

الزبير ﷺ وقال: قبحتم، وقبح صاحبكم، فكأنهم خرسوا ما فيهم أحد يتكلم ولا يقوم، ولقد نظرت إلى أخبثهم وأنجسهم وهو يعدو في أثر رسول الله ﷺ، يعتذر إليه ويقول: كف عنا ونكف عنك، ورسول الله ﷺ يقول لا أكف عنك حتى تؤمن بالله أو أقتلك، قال: وأنت تقدر على قتلي؟ قال: الله يقتلك ويقتل هؤلاء.فانصرف أبو جهل وأولئك منكسرين[1].

وقد ذكرت المصادر حادثة تظهر مدى صدق الزبير ﷺ وحبه للرسول ﷺ فقد كان أول رجل سل سيفه الزبير بن العوام ﷺ، وكان سبب ذلك، أن المسلمين لما كانوا مع النبي ﷺ بمكة، وقع الخبر أن النبي ﷺ قد أخذه الكفار، فأقبل الزبير يشق الناس بسيفه، والنبي ﷺ بأعلى مكة، فقال له : مالك يا زبير ؟ قال : أُخبرت أنك أُخذت،فصلى عليه النبي ﷺ ودعا له ولسيفه[2].وقد قال عنه علي بن أبي طالب ﷺ عندما جيء له بسيف الزبير ﷺ بعد مقتله بعد معركة الجمل سنة ٣٦هـ: إن هذا السيف طالما فرج الكرب عن رسول الله ﷺ[3].

وقد أنشد شاعر الإسلام حسان بن ثابت ﷺ[4] في ذلك قائلاً:

فكم كربة ذبَّ الرسول بسيفه ... عن المصطفى والله يعطي ويجزل[5]

ولم يتخلف الزبير ﷺ عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ،وقد قال فيه رسول الله ﷺ:" لكل نبي حواري وإن حواريَّ الزبير بن العوام"[6].

=البارحة، فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل، لا والله ما رأيت مثل هامته ولا مثل قصرته ولا أنيابه لفحل قط، فهم بي يأكلني، فقال رسول الله ﷺ " ذلك جبريل ﷺ، لو دنا لأخذه".

ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص ص ٢٨١-٢٨٢.

[1] -أبو الفرج بن عبد الرحمن الجوزي، الوفا بأحوال المصطفى، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الطبعة الأولى، (مصر: مطبعة السعادة، ١٣٨١هـ=١٩٦٦م)، الجزء الأول من الباب التاسع عشر، ص ص١٨٩-١٩١.

[2] -الأصفهاني، حلية الأولياء، ج ١، ص١٣٢ ؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٢، ص ٩٨ ؛ العسقلاني، الإصابة في تميز الصحابة، ج ١، ص ٥٤٥.

[3] - ابن الأثير، أسد الغابة، ج٢،ص١٠٠.

[4] - حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد بن مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار، يكنى (أبا الوليد)، وقيل: أبو عبد الرحمن، وقيل أبو الحسام، لمناضلته عن رسول الله ﷺ ولتقطيعه أعراض المشركين، يُقال له: شاعر رسول الله ﷺ، كان الرسول ﷺ ينصب له منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يقول: ان الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح عن رسول الله.

ابن الأثير، أسد الغابة، ج١،ص ٤٨٢.

[5] -ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٢، ص ٩٩ ؛ الأصفهاني، حلية الأولياء، ج١، ص١٣٢.

[6] -أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، مراجعة وضبط: محمد علي القطب، هشام البخاري، الطبعة الرابعة، ج(٣)، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ=١٩٩٨م)، ص ١١٤٤؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢،ص٦٧٣.

معنى قوله ﷺ حواري الزبير أي خاصتي من أصحابي وناصري، ومنه الحواريون أصحاب عيسى ﷺ أي خاصته وأنصاره.

كما ورد بأنه سُئِل في مجلس فيه أكثر من عشرين رجلاً من أصحاب الـنبي ﷺ: من كان أكرم الناس على رسول الله ﷺ ؟ قالوا: الزبير وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما[1].

وأخرج الطبراني عن سهل رضي الله عنه قال: لما قدم النبي ﷺ من حجة الوداع صعد المنبر وقال: أيها الناس إن أبا بكر لم يسؤني قط، فاعرفوا له ذلك، أيها الناس إني راض عنه، وعن عمر وعثمان وعلي وطلحة[2] والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف والمهاجرين الأولين، فاعرفوا ذلك لهم[3].

وقيل إن الرسول الله ﷺ صعد أحداً[4]، فرجف، فقال لما انتفض حراء : اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد؟وقد كان على الجبل علي وعثمان وطلحة والزبير رضي الله عنهم[5].

ومما يؤكد محبة رسول الله ﷺ للزبير، ما رواه سيدنا عثمان رضي الله عنه من أن الزبير رضي الله عنه كان أحب الناس إلى رسول الله ﷺ[6].

ومما سبق تتضح مكانة الزبير عند النبي ﷺ وعلاقته القوية به، فقد كان ذا شأن ومكانة كبيرة من الاحترام والتبجيل عند رسول ﷺ وصحبه رضي الله عنهم.

= أبي الفداء الحافظ الدمشقي ابن كثير، البداية والنهاية، توثيق: الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل احمد عبد الموجود، الطبعة الأولى، (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ=١٩٩٤م)، ج ١،ص٦٦.

=كما قال روح بن القاسم: عن قتادة أنه ذكر يوماً الحواريين، فقيل له: وما الحواريون ؟ قال: الذين تصلح لهم الخلافة، وقيل إن الحواريين كلهم من قريش، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وحمزة وجعفر وأبو عبيدة الجراح وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة والزبير رضي الله عنهم. ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٢، ص٥١٣.

[1] – محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري البري، الجوهرة في نسب النبي ﷺ وأصحابه العشرة، تعليق: محمد التونجي، الطبعة الأولى، (الرياض: دار الرفاعي، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م)، ص ٢٨٢.

[2] – طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، أبو محمد، أمه الصعبة بنت عبد الله بن مالك الحضرمية، يعرف بطلحة الخير، وطلحة الفياض، من السابقين الأولين إلى الإسلام، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد أصحاب الشورى، لم يشهد بدراً لأنه كان بالشام تاجراً، وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد، وبايع بيعة الرضوان، وقتل يوم الجمل. ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٢، ص ص ٤٦٧ – ٤٦٨.

[3] – السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق: أحمد إبراهيم زهوة، سعيد بن أحمد العيدروسي، الطبعة الثالثة،(بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م)، ص ٤٥.

[4] – أُحد: اسم الجبل الذي كانت عنده غزوة أُحد، وهو جبل أحمر، بينه وبين المدينة قرابة ميل في شمالها.
الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ١٣٥.

[5] –أبو عبد الله أحمد بن محمد ابن حنبل، فضائل الصحابة، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، الطبعة الثانية، (الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م)،ج ٢، ص٩٢١ ؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٢،ص٩٩.

[6] – البخاري، الصحيح، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ج ٣، ص ١١٤٤.

ثالثاً: أهم أعمال الزبير ﷺ في عهد الرسول ﷺ :

للزبير بن العوام ﷺ مواقف جليلة وخالدة في عهد الرسول ﷺ تتجلى في معارك الجهاد من أجل إعلاء راية الإسلام بقيادة الرسول ﷺ .

١.أهم الأعمال التي قام بها في عهده ﷺ :

- الهجرة إلى الحبشة و إلى المدينة.
- كتابته لرسول الله ﷺ.
- في مهمات أخرى.
- إقطاع الرسول ﷺ للزبير بن العوام ﷺ.
- روايته لأحاديث رسول الله ﷺ.

٢.اشتراكه في الحروب ودوره البارز فيها.

- معركة بدر.
- معركة أحد.
- غزوة الأحزاب.(الخندق)
- غزوة خيبر.
- فتح مكة.

▪ الهجرة إلى الحبشة وإلى المدينة:

أخذت دعوة النبي ﷺ تنتشر بين الناس، فكسبت عناصر جديدة وقوية، لـذلك استاءت قريش ووقفت موقفاً عدائياً، أصبح على إثره كـل مـسلم معـرض للخطـر والاضطهاد [1]، ولما رأى رسول الله ﷺ ما أصاب أصحابه من الشدة، قـال لهم": لـو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه" [2]، فأطاعوا أوامر الرسول ﷺ وهاجر عشرة رجال ونسوة، ثم زاد عددهم حتى بلغ ثلاثمائة وثمانين رجلاً وسبع عشرة امرأة إضافة إلى الصبيان، وكـان من ضمنهم عثمان بن عفان ﷺ وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ، كما كان الزبير بـن العوام ﷺ أحد أفراد هذه المجموعة المهاجرة[3]،وكان أصغر القوم سناً [4].

وقد لاقوا من النجاشي[5]- وهو كما وصفه الرسول ﷺ لهم قبل مجيئهم عنـده- العطف والأمان والترحاب، وقد غمرهم ببره، وأنزلهم خير مترل، لذلك اعترف بإحسانه جميع المهاجرين والمهاجرات.

ولقد حدث في الحبشة أن قام نزاع بين النجاشي ملك الحبشة وبين جيش كثيف زحف به أعداء النجاشي لينتزعوا منه ملكه وسلطانه في فتنة داخلية، واشتد أوار الحرب

---

[1] – قيل إن أشد شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ أنه بينما كان رسول الله ﷺ بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فاقبل أبو بكر بأخذ منكب عقبة ودفعه عن رسول الله ﷺ وقال: أتقتلون رجـلاً أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم.

البخاري، الصحيح، كتاب مناقب الأنصار، ج ٣، ص ١١٧٧ ؛ ابن الجوزي، الوفا بأحوال المصطفى، ج١، ص١٩.

[2] – ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٣٠٠؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٩ ؛ ابن الجوزي، الوفا بأحوال المصطفى، ج١، ص١٩٣ ؛ د. صلاح التجاني حمودي، هجرة المسلمين إلى الحبشة أسبابها ونتائجها، مجلة العصور، المجلد التاسع،(محـرم: ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م)، ص ٢٤٨.

[3] – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ص٢٨٤/٢٨٥؛ أحمد بن يحي بن جابر البلاذري، أنساب الأشراف،تحقيق: سهيل زكار، رياض زركلي،الطبعة الأولى،(بيروت: دار الفكر، ١٤١٧هـ=١٩٩٦م)، ج ٢، ص ٢٢٨ ؛ ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج١، ص١١٦.

[4]– ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٣١٥.

[5] – كان موت النجاشي في رجب من سنة (٩هـ/٦٣٠م)، ونعاه رسول الله ﷺ إلى الناس في اليوم الذي مات فيه وصلى عليه في البقيع، ورفع إليه سريره بأرض الحبشة حتى رآه وهو بالمدينة وصلى عليه، وتكلم المنافقون، فقالوا: أيصلي على هذا العلج؟ فأنزل الله تعـالى" وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما انزل إليهم" سورة آل عمران آية رقم ١٩٩" .

ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص ٣٨١.

وروي في صحيح البخاري : أن رسول الله ﷺ قال حين مات النجاشي : " مات اليوم رجل صالح، فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة".
كتاب مناقب الأنصار، ج ٣، ص ١١٨٤.

بين الفريقين، فجزع المسلمون لذلك جزعاً شديداً، وأرادوا أن يطمئنوا على نتيجة الحرب ومصير النجاشي وقال بعضهم لبعض: من رجل يخرج حتى يحضر وقيعة اليوم ثم يأتينا بالخبر؟ فتقدم الزبير متطوعاً وكان أصغر القوم سناً، فنفخ له المسلمون قربة فجعلها في صدره ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم ثم انطلق حتى حضرهم ورجع إلى قومه بالخبر السار وهو انتصار النجاشي على أعدائه فدعا له المسلمون بخير[1] وقالت أم سلمة[2] أم المؤمنين -رضي الله عنها- وإحدى المهاجرات إلى الحبشة، وهي تروي هذا الخبر:"ورجع النجاشي وقد أهلك الله عدوه، ومكن له في بلاده واستوثق عليه أمر الحبشة فكنا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة"[3].وبانتصار النجاشي على خصمه أمن المسلمون مرة ثانية على حياتهم وأرواحهم.

وكانت للنجاشي علاقات وثيقة بالمهاجرين،منها:علاقته بالزبير بن العوام رضي الله عنه ، و يتضح ذلك جلياً في الحربة التي وهبها للزبير رضي الله عنه وكانت تحمل بين يدي رسول الله ﷺ في الأعياد والمعارك[4].

ومع ازدياد اضطهاد كفار قريش للرسول ﷺ والمسلمين حتى الذين رجعوا من الحبشة واشتداد الأمر عليهم رأى الرسول ﷺ أنه لافائدة من بقائهم في مكة المكرمة، فعزم على الهجرة إلى يثرب؛[5] ليتخذها قاعدة جديدة لنشر الإسلام بعد أن وثق من إيمان الأنصار بدينه، لذلك أمرهم بالهجرة إليها[6]. فتهيأ المسلمون وأخذوا يهاجرون إلى هناك،

---

(1) – ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ص٣١٠-٣١٥.

(2) – أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة، اسمها هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وأمها عاتكة بنت عامر بن ربيعة، تزوجها أبو سلمة عبد الله بن عبد أسد بن هلال بن مخزوم، وهاجر بها إلى الحبشة في الهجرتين فولدت له زينب وسلمة وعمر ودرة ثم مات في السنة الرابعة للهجرة، فتزوجها رسول الله ﷺ، وتوفيت في ذي القعدة سنة (٥٩هـ/٦٧٨م) .
ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨ ،ص ص ٩٧-٩٨.

(3) – ابن هشام، السيرة النبوية، ١،ص٣١٥.

(4) – ابن الجوزي، الوفا بأحوال المصطفى، ج٢، ص٥١٩.

(5) – يثرب مدينة الرسول ﷺ سميت بذلك لأن؛أول من سكنها عند التفرق يثرب بن قانية من مهلائيل عليه السلام فلما نزلها رسول الله ﷺ سماها طيبة وطابة كراهة للتثريب، وسميت (مدينة الرسول) لنزوله بها.
الحموي، معجم البلدان، ج٥،ص ٤٩٣.

(6) – ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ٤٢٣.

وكان من ضمنهم الزبير بن العوام ﷺ[1]. الذي قطع المسافة بين مكة والمدينة محتملاً المشاق في سبيل الله[2].

ونزل الزبير في المدينة على المنذر بن محمد بن عقبة ﷺ[3]، بالعصبة دار بني جحجبي[4]، وكان رسول الله ﷺ قد آخى بين المسلمين قبل رحيلهم من مكة إلى المدينة، وقد آخى الرسول ﷺ بين الزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود ﷺ[5] في مكة [6]، فلما وصل الرسول ﷺ إلى المدينة وسع قاعدة الأخوة، فآخى بين الأنصار والمهاجرين.

وقد اتفقت المصادر في مؤاخاة الزبير بن العوام ﷺ، فيذكر ابن سعد في طبقاته[7]: أن الرسول ﷺ لما قدم المدينة آخى بين الزبير وبين سلمة بن سلامة بن وقش ﷺ[8]، ويتفق معه ابن هشام في ذلك، إلا أنه يذكر اسمه بسلامة بن سلامة بن وقش[9]، وكذلك يذكر المقدسي أن الرسول ﷺ آخى بينه وبين سلمة بن وقش[10]،

---

[1] جميل إبراهيم حبيب، سيرة الزبير بن العوام ومواقفه من معارك التحرير والفتوحات الإسلامية، الطبعة الأولى،(بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٥م)، ص ص٣٢-٣٤.

[2] – أحمد عبد الجواد الدومي؛ حسن صالح العناني، سلسلة أبطال الإسلام، الزبير بن العوام، العدد٧، (بيروت: منشورات المكتبة العصرية)، ص٢٧٠.

[3] – المنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجبي ابن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، شهد بدراً، واحداً، وقتل يوم بئر معونة، يكنى بأبي عبدة.

ابن الأثير، أسد الغابة، ج٤،ص ص٤٩٥-٤٩٦.

[4] – ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٤٣٢.

[5] – عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث، أمه أم عبد الله بن مسعود أم عبد بنت عبدود بن سواء بن قريم من بني هذيل، كان إسلامه قديماً حين أسلم سعيد بن زيد وزوجته فاطمة بنت الخطاب، قبل إسلام عمر بزمان، وكان سبب إسلامه أنه كان يرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط، فمر به رسول الله عليه السلام، وأخذ شاة حائل من تلك الغنم لم يتر عليها الفحل فمسح ضرعها، فنزل لبن فحلبه في إناء وشرب وسقى أبا بكر، شهد بدراً والحديبية وهاجر الهجرتين فصلى القبلتين وشهد له رسول الله بالجنة .

ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص ص٣٥-٤٥ ؛ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٣، ص ص٩٨٤-٩٨٨ .

[6] – ابن الأثير، أسد الغابة، ج٢، ص٩٨.

[7] – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٤١٤.

[8] سلمة بن سلامة بن وقش، يكنى بأبي عوف، أمه سلمى بنت سلامة بن خالد بن عدي وهي عمة محمد بن سلمة، شهد سلمة العقبة الأولى والآخرة.

ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣،ص ٤١٣.

[9] – ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٤٥٥.

[10]– المقدسي، التبين في أنساب القرشين، ص٢٢٣ ؛ محمد رجاء حنفي عبد المتجلي، الزبير بن العوام البطل والقائد جواري الرسول الكريم، مجلة الخفجي، العدد ٩، (شوال : ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م)، ص ٣٨.

ويؤكـــد ذلك ابن الأثير فقد ذكر أن الرسول ﷺ لما قدم المدينة آخى بين الزبير و سلمة بن سلامة بن وقش[١]، وقد هاجرت معه السيدة أسماء بنت أبي بكر ﷺ[٢].

▪ دور الزبير في الكتابة لرسول الله ﷺ :

كان الرسول ﷺ يستعين بالزبير بن العوام ﷺ في شؤون الكتابة بالإضـــافة إلى قيامـــه بالأعمال العسكرية الفذة فقد جاء في كتاب تاريخ ابن خياط ، من كتب للرسول ﷺ هم ﷺ:

" – زيد بن ثابت , كاتب الوحي .
– معاوية بن أبي سفيان .
– حنظلة بن ربيعة الأسدي .
– عبدالله بن سعد بن أبي السرح.
– بلال بن رباح.
– وفي الخندق الزبير بن العوام وغيره " [٣]

كما ذكر المقدسي في كتابه : " وممن كتب لرسول الله ﷺ .. علـــي بـــن أبي طالب و الزبير بن العوام .. "[٤].

وقيل إن الزبير بن العوام ﷺ هو الذي كتب لبني معاوية بن جرول الكتاب الذي أمره رسول الله ﷺ أن يكتبه لهم[٥].

---

[١] – ابن الأثير، أسد الغابة، ج٦، ص٩.
[٢] – ابن الأثير، أسد الغابة، ج٦، ص٩.
[٣] – ابن خياط، تاريخ خليفة، ص٩٩.
[٤] – المقدسي، التبيين في أنساب القرشيين، ص٧٤ ؛ محمود شيت خطاب، السفارات والرسائل النبوية كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ومواده الكتابية، مجلة المورد، المجلد السادس عشر، العدد الأول، (بغداد:وزارة الثقافة والأعلام. ١٤٠٠هـ = ١٩٨٧م)، ص ٣٢.
[٥] – محمود شيت خطاب، السفارات والرسائل النبوية كتاب النبي ﷺ ومواده الكتابية، مجلة المورد، المجلد ١٦، العدد١،(بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، ربيع ١٩٨٧م)، ص ٣٢.

■ **الزبير ﷺ في مهمات أخرى :**

وقد كلف الرسول ﷺ الزبير ﷺ بمهمات أخرى غير حربية، ومنها:

" جاء رجل إلى قرية من قرى الأنصار, فقال : إن رسول الله ﷺ أرسلني إليكم وأمركم أن تزوجوني منكم فلانة، و لم يكن أرسله النبي ﷺ , فأرسل رسول الله ﷺ علياً والزبير ﷺ, فقال: "اذهبا فإن أدركتماه فاقتلاه ولا أراكما تدركانه ". فذهبا فوجداه قد لدغته حية "[1].

كما يتضح دور الزبير ﷺ في مهمات غير عادية مع رسول الله ﷺ عند اجتماعه ﷺ بوفد الجن، وفي ذلك يخبرنا الزبير ﷺ بقوله :" صلى بنا رسول ﷺ الصبح في مسجد النبي ﷺ فلما انصرف قال : أيكم يتبعني إلى وفد الجن الليلة، فأسكت القوم فلم يتكلم منهم أحد، قال ذلك ثلاثاً , فمر بي يمشي فأخذ بيدي فجعلت أمشي معه حتى حبست عنا جبال المدينة كلها , وأفضينا إلى أرض براز، فإذا رجال طوال كأنهم الرماح مستنفرو ثيابهم من بين أرجلهم، فلما رأيتهم غشيتني رعدة شديدة حتى ما تمسكني رجلاي من الفرق[2] فلما دنونا خط لي رسول الله ﷺ بإبهام رجله في الأرض خطاً وقال لي : اقعد في وسطه فلما جلست ذهب عني كل شيء كنت أجده من ريبة , ومضى النبي ﷺ بيني وبينهم،فتلا قرآناً وبقوا حتى طلع الفجر , ثم أقبل حتى مَّر بي فقال لي : الحق فجعلت أمشي معه فمضينا غير بعيد فقال لي : التفت وانظر هل ترى حيث كان أولئك أحد ؟ فقلت : يارسول الله أرى سواداً كثيراً، فخفض رسول الله ﷺ رأسه إلى الأرض فنظم عظماً بروثة ثم رمى بها إليهم وقال : رشد أولئك من وفد قوم هم وفد نصيبين، سألوني الزاد فجعلت لهم كل عظم وروثة قال الزبير : فلا يحل لأحد أن يستنجي بعظم وروثة ".[3]

---

[1] – جلال الدين السيوطي, الخصائص الكبرى, (ت ٩١١هـ), الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م)، ج ٢، ص١٣١ .

[2] – الفرق : هو الخوف.

بدر الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالله الشبلي، أحكام الجان , تحقيق: السيد الجميلي, (بيروت: دار ابن زيدون , ١٤٠٥هـ =١٩٨٥م)، ص٧٠.

[3] – الشبلي، أحكام الجان، ص ص٦٩–٧٠.

ولعل مما سبق يتضح لنا تقريب الرسول ﷺ للزبير ﷺ، وتكليفه بمهمات كثيرة، فكان من كتبته، ومن مبعوثيه، ومرافقيه.

- **إقطاع الرسول ﷺ للزبير بن العوام ﷺ:**

كان الغرض من إقطاع[1] الأرض هو إحياء الأراضي الموات واستثمارها والانتفاع بخيراتها من منطلق الحرص على مصالح الجماعة ,[2] إذ تدل الأحاديث النبوية على ذلك لقوله ﷺ :"ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير،أو إنسان، أو بهيمة، إلا كان له به صدقة"[3].

وقوله ﷺ : " من أعمر أرضاً ليست لأحد فهو أحق".[4]

ويرجع نظام الإقطاع إلى عهد الرسول ﷺ، فقد أقطع أناساً أرضاً بقصد تعميرها[5] حيث ذكر أبو عبيد بن سلام:" أن رسول الله ﷺ أقطع الزبير ﷺ أرضاً بخيبرفيها شجر ونخل"[6]ثم إن أبا عبيد يقول في كتابه " أما إقطاع النبي ﷺ الزبير ﷺ أرضاً ذات نخل وشجر فإنا نراها الأرض التي كان رسول الله ﷺ أقطعها الأنصاري فأحياها وعمرها , ثم تركها بطيب نفس منه فقطعها رسول الله ﷺ للزبير ﷺ [7].

وقيل: أقطع رسول الله ﷺ الزبير بن العوام ﷺ ركض فرسه من موات النقيع فأجراه، ثم رمى بسوطه رغبة في الزيادة، فقال ﷺ أعطوه منتهى سوطه. وفي رواية أخرى

---

[1] – يقال : اقتطع طائفة من الشيء , أخذها ,وأقطعنى اياها : أذن لي في اقتطاعها , واستقطعه اياها : سأله أن يقطعه اياها . والإقطاعة : طائفة من أرض الخراج يقطعها الجند فتعجل لهم غلتها رزقاً *

(حسن إبراهيم حسن , ,علي إبراهيم حسن , النظم الإسلامية، الطبعة الرابعة، (القاهرة : مكتبة النهضة العربية , ١٩٧٠م). هامش ص٢٤٢،

[2] – .حسن علي حسن، التوم الطالب محمد , تاريخ الحضارة العربية الإسلامية . الطبعة الأولى،(الكويت: مكتبة الفلاح , ١٤٠٦ هـ –١٩٨٦م)،ص ص١٩٧–١٩٨ .

[3] – البخاري، الصحيح، ج٢، ص٦٩١.

[4] – البخاري، الصحيح، ج٢، ص٦٩٦.

المراد أن الأرض المتروكة بغير زرع ولا صاحب لها فهي أرض مباحة، يزرعها من يشاء ولرسول الله أن يعطي منها ما يشاء ليصلحها ويعمرها فإذا فعل فهي ملكه، وفي النظم الإسلامية أنها تُعفى من الضريبة خمسة أعوام أو عشر حسب حالها.

يحي آدم القرشي ، كتاب الخراج، تحقيق: حسين مؤنس، الطبعة الأولى، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٧هـ)، ص١١٧.

[5] – حسن، النظم الإسلامية، ص ٢٤٢.

[6] –أبو عبيد ابن سلام، الأموال، الطبعة الأولى، (بيروت: مؤسسة ناصر للثقافة)، ص ١١٩.

[7] – ابن سلام، الأموال، ص ١١٩.

أن الرسول ﷺ أقطع الزبير ﷺ حضر فرسه – أي ارتفاع الفرس في عدو، فأجرى الفرس حتى قام ثم رمى بسوطه، فقال ﷺ أعطوه حيث بلغ السوط وكان هذا الإقطاع من أموال بني النضير[١].

وعن هشام بن عروة قال : أقطع رسول الله ﷺ الزبير أرضاً فيها نخل من أموال بني النضير , وذكر أنها كانت أرضاً يُقال لها الجرف "[٢].

ويذكر أبو يوسف في كتابه الخراج : وقد اقطع رسول الله ﷺ وتألف على الإسلام أقواماً، وأقطع الخلفاء من بعده من رأوا أن في إقطاعه صلاحاً، وقيل إن رسول الله ﷺ أقطع لأناس من مزينة أو جهينة أرضاً فلم يعمروها، فجاء قوم فعمروها فخاصمهم الجهنيون أو المزنيون إلى عمر بن الخطاب ﷺ , فقال : لو كانت مني أو من أبي بكر لرددتها، ولكنها قطيعة من رسول الله ﷺ , ثم قال : من كانت له أرض ثم تركها ثلاث سنين فلم يعمرها فعمرها قوم آخرون فهم أحق بها[٣] [٤].

والذي يظهر من إقطاع الرسول ﷺ الأراضي للزبير ﷺ هو كون الزبير ﷺ من أخص أقرباء الرسول ﷺ، لذا كان قدوة مثلى لغيره من الناس في إحياء الأراضي الموات وطلب الرزق من الله بنية صادقة صالحة، ثم الإنفاق منه و إخراج العطايا والصدقات منها.

■ **رواية الزبير ﷺ لأحاديث الرسول ﷺ :**

روى الزبير ﷺ العديد من الأحاديث النبوية الشريفة، إلا أنها تعد قليلة بالنسبة للفترة الزمنية الطويلة التي قضاها وعاشها مع الرسول ﷺ في مكة والمدينة. وعندما سئل عن سبب ذلك كما ذكر البخاري في صحيحه "أن، عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه

---

(١) – الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١٠٤؛ قطائع الرسول ﷺ، مجلة المؤرخ العربي (الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب)، (١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م)، العدد (٣٣)، ص ١٩٩.

(٢) –يعقوب بن إبراهيم أبو يوسف، الخراج،(بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م)، ص، ٦١ ؛ عبد الله بن عثمان الخراشي، النشاط الاقتصادي في منطقة المدينة المنورة في العهد النبوي، رسالة دكتوراه، (الرياض: جامعة الملك سعود)، ص ١٠٤.

الجُرف : بالضم ثم السكون، موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام، كانت به أموال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ولأهل المدينة، وفيه بئر جُشم، وبئر جمل.

الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٤٩.

(٣) – أبو يوسف، الخراج، ص٦١.

(٤) – انظر ملحق رقم ٢ ، ص (٢٦٦) عن وثيقتين منشورتين كتبتا على عهد رسول الله، تتضمن إقطاع الرسول للزبير بن العوام.

قال: قلت للزبير: إني لا أسمعك تُحدث عن رسول الله ﷺ كما يُحدث فلان وفلان؟ قال: أما أني لم أفارقه، ولكن سمعته يقول:" من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار"[1].ومن الأحاديث التي رواها الزبير بن العوام ﷺ عن رسول الله ﷺ ما جاء تحت موضوع الاستعفاف عن المسألة:

قال الزبير بن العوام عن رسول الله ﷺ : " لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها، فيكف بها وجهه خير له من أن يأتي رجلاً فيسأله، أعطاه أو منعه"[2].

ويُقال بأن الزبير بن العوام ﷺ روى عن النبي ﷺ ثمانية وثلاثين حديثاً فقط[3].

ويتضح من أعمال الزبير أن شخصيته كانت تتعدد وتتنقل عبر صور ومواقف متباينة، بين جندي للرسول ﷺ، إلى أحد قواده، إلى أحد كتابه ومنفذ لأوامره في المهمات الخاصة، إلى كونه أحد مستشاريه والمتكلمين في مجلسه إذا شاركهم الرسول ﷺ في مشورة، ثم أحد الرواة لأحاديث الرسول ﷺ بعد وفاته- وإن كانت قليلة-.

مما يبين مكانة الزبير وشأنه ومعزته ومبلغ احترام وتبجيل الرسول ﷺ وصحابته له.

٢- اشتراكه في الحروب ودوره البارز فيها:

- **معركة بدر عام ٢هـ/٦٢٣م.**

التقى جيش الكفار وعددهم (٩٥٠) محارباً مع جيش المسلمين وعددهم(٣١٤) مقاتلاً عند موقع ماء يعرف بـ"بدر"[4]، في السابع عشر من رمضان سنة ٢هـ/٦٢٣م، وكان النصر فيه للمسلمين، وكان الزبير بن العوام ﷺ يُعلَم بعصابة صفراء، وروي أن

---

[1] - البخاري، الصحيح، ج١، ص٦١ ؛ العسقلاني، الإصابة في تميز الصحابة، ج ١، ص ٥٤٥.

[2] - البخاري، الصحيح،ج١، ص٤٣٩.

[3] -الدومي، سلسلة أبطال الإسلام، الزبير بن العوام،ص٨١.

[4] - بدر: ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء بينه وبين الجار وهو ساحل البحر ليلة، ويقال إنه ينسب إلى بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة، به سميت بدر التي كانت بها الوقعة المباركة، وبهذا الماء كانت الوقعة التي أظهر الله بها الإسلام، وفرق بين الحق والباطل في رمضان سنة اثنتين للهجرة.

الحموي، معجم البلدان،ج١،ص٤٢٥.

الملائكة نزلت يوم بدر على خيل بُلق عليها عمائم صُفر[1]، فكان على الزبير ﷺ يومئذ عصابة صفراء[2]، وقيل كان على الزبير ﷺ يوم بدر ربطة صفراء متعجراً بها، فقال النبي ﷺ ؛ إن الملائكة نزلت على سيماء الزبير ﷺ[3].

وفي رواية أنه لم يكن مع النبي ﷺ يوم بدر غير فرسين أحدهما للزبير ﷺ[4]، وقيل إنه كان في معركة بدر فرسان، أحدهما للزبير ﷺ يُسمى (السيل) وقيل يُسمى (اليعسوب)[5].

وجاء من مواقف الزبير ﷺ في معركة بدر رواية عن عروة عن أبيه : أن أصحاب النبي ﷺ قالوا للزبير ﷺ يوم وقعة اليرموك: ألا تشد فنشد معك، فحمل عليهم، فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضُربها يوم بدر . قال عروة: فكنت أدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير"[6].

وقال الرسول ﷺ في أهل بدر:" وجبت لكم الجنة" [7]، وقال ﷺ " لن يلج النار أحد شهد بدراً والحديبية"[8]، كما يروي البخاري : أن جبريل الطَّيْلا ، جاء إلى النبي ﷺ فقال : ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال : من أفضل المسلمين، قال جبريل الطَّيْلا : وكذلك من شهد بدراً من الملائكة "[9]. والزبير ﷺ ممن شهد بدراً والحديبية، ويكفيه هو ومن شهد بدراً هذه التزكية السماوية والنبوية الشريفة التي منحها لهم الرسول ﷺ

---

(1) – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص١٨؛ ابن الجوزي، صفة الصفوة،ج١، ص١١٦.

(2) – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٣٥؛ العسقلاني، الإصابة في تميز الصحابة، ج١، ص٥٤٥.

(3) – العسقلاني، الإصابة في تميز للصحابة، ج١، ص٥٤٥.

(4) – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٦٧١.

(5) – ابن هشام، السيرة، ج ٢، ص ٥٨٧ ؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٣٤٦ ؛ اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٤٥ .

(6) – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص ٣٥ ؛ البخاري، الصحيح،ج٣، ص١١٤٥؛ العسقلاني، الإصابة في تميز الصحابة،،ج١، ص٥٤٥.

(7) – البخاري، الصحيح،ج٣، ص١٢١٩.

(8) – ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٢، ص٥١٣.

الحديبية: هي قرية متوسطة ليست بالكبيرة سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها، وقيل سميت الحديبية بشجرة حدباء كانت في ذلك الموضع، وبين الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل .

الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٦٥.

(9) – البخاري ، الصحيح، كتاب المغازي، ج ٣، ص ١٢١٩.

وأكدها جبريل عليه السلام،وبشرهم بها تثميناً لدورهم وتقديراً لجهودهم لنصرة دين الله عز وجل ، ويذكر أنه كان عمر الزبير رضي الله عنه يوم بدر تسعا وعشرين عاماً[1]،

▪ معركة أحد[2] عام ٣هـ/٦٢٤م:

بعد أن انتصر المسلمون في معركة بدر فكرت قريش بإنزال ضربة ساحقة بالمسلمين تمحو بها آثار هزيمة بدر، وأعدّوا عدتهم لقتال المسلمين بقيادة أبي سفيان بن صخر بن حرب، أما الرسول ﷺ فقد قسّم المسؤولية في جيش المسلمين بدقة وحرص، ونظم جيشه قبل المعركة وجعل على ميمنته علي بن أبي طالب وعلى الميسرة المقداد بن عمرو الساعدي، والزبير بن العوام على الرجالة رضي الله عنهم[3].

ويُروى أنه جاء عن الزبير بن العوام رضي الله عنه، قوله:" عرض رسول الله ﷺ سيفاً يوم أحد، فقال : من يأخذ هذا السيف بحقه؟

قلت : أنا يارسول الله، فأعرض عني!. ثم قال: من يأخذ هذا السيف حقه؟ فقام أبو دجانة[4] سماك بن خرشة رضي الله عنه فقال: أنا أخذه يا رسول الله، بحقه، فما حقه؟ قال الرسول ﷺ : " أن لاتقتل به مسلماً، ولا تغر به عن كافر"، قال فدفعه[5]، قال الزبير رضي الله عنه: وجدت في نفسي حين سألت رسول الله ﷺ السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة، وقلت : أنا ابن صفية عمته، ومن قريش، وقد قمت إليه فسألته إياه قبله، فأعطاه إياه وتركني، والله لأنظرن ما يصنع فأتبعته، فأخرج عصابة حمراء، فعصب بها رأسه، فقالت الأمصار : أخرج أبو دجانة رضي الله عنه عصابة الموت، فجعل لا يلقي أحدا إلا قتله، وكان من المشركين

---

[1] – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٦٨٤.

[2] – كانت غزوة أحد يوم السبت لسبع ليال خلون من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهراً من مهاجرة.الرسول ﷺ .
ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص ٤٩.

[3] –خليفة ابن خياط، تاريخ ابن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية،(بيروت : مؤسسة الرسالة، دار القلم، (١٣٩٧هـ= ١٩٧٧م)، ص٦٧.

[4] – أبو دجانة : سماك بن أوس بن خرشة بن لوذان بن عبدود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الساعدي، وهو مشهور بكنيته (أبو دجانة)، شهد بدراً وأحداً وجميع المشاهد مع رسول الله ﷺ ، وأعطاه رسول الله ﷺ سيفه يوم أحد، وكان من الشجعان المشهورين بالشجاعة وكانت له عصابة حمراء يعلم بها في الحرب، استشهد يوم اليمامة .
ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص ص٥٦١-٥٦٣؛ابن الأثير، أسد الغابة، ج٢، ص ص ٢٩٩-٣٠٠.

[5] –أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي البغدادي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، د.ط (بيروت : دار الكتب العلمية، د. ت)، ص ٤٩.

رجل لا يدع لنا جريحاً إلا ذفف عليه،فجعل كل واحد منهم يدنو من صاحبه فدعوت الله أن يجمع بينهما، فألتقيا، فاختلفا ضربتين، فضرب المشرك ابا دجانة، فاتقاه بدرقته، فعضت بسيفه، وضربه أبو دجانة فقتله، ثم رأيته قد حمل السيف على فوق رأس هند بنت عتبة[1]، ثم عدل السيف عنها، قال الزبير فقلت : الله ورسوله أعلم، وقال أبو دجانة في ذلك: أكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة"[2].

وقد ترك موقف رسول الله ﷺ منه في عدم إصغائه إليه أثراً في نفسه، ومع ذلك فقد كان حريصاً على متابعة نتائج اختيار الرسول ﷺ لأبي دجانة ﷺ ، فكان الموقف بمثابة اختبار لإخلاص الزبير ﷺ لرسول الله ﷺ الذي أسفر عن مدى بذله وتضحيته لرسوله الكريم ﷺ.

وقد كان الزبير أحد أبطال جيش الرسول ﷺ في (أحد) لما يتمتع به من الجرأة والإقدام في القتال.

إذ أمر رسول الله ﷺ الزبير بن العوام ﷺ على الخيل، ومعه يومئذ المقداد الكندي ﷺ[3]، وأعطى رسول الله ﷺ اللواء رجلاً من قريش، يقال له مصعب بن عمير ﷺ[4]، وخرج حمزة بن عبد المطلب ﷺ

---

[1] – هند بنت عتبة بن ربيعة: أسلمت يوم الفتح، وبايعت بعد إسلام زوجها أبي سفيان، كانت حازمة، شاعرة، ذات نفس وأنفة، كانت قبل أبي سفيان عند الفاكه بن المغيرة، وقيل تزوجها حفص بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، فولدت له أبانا، وشهدت أحداً كافرة، وشهدت اليرموك وحرضت على القتال مع زوجها أبي سفيان، توفيت يوم توفي أبو قحافة والد أبو بكر الصديق في ولاية عمر بن الخطاب ﷺ.

ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص ص٢٧٢-٢٧٦؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٦، ص ص٢٩٢-٢٩٣؛ المقدسي، التبيين في أنساب القرشيين،ص ص٢١٨-٢١٩.

[2] – ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣، ص ص ٦٢-٦٢؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص٥١٠.

[3] – المقداد الكندي: هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن قضاعة البهراوي المعروف بالمقداد ابن الأسود، وينسب إلى الأسود بن عبد يغوث الزهري، لأنه حالفه فتبناه الأسود فنسب إليه، وهو قديم الإسلام من السابقين، وكان أول من أظهر الإسلام بمكة شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وتوفي في المدينة في خلافة عثمان بن عفان ﷺ وكان عمره سبعين عاماً.

ابن الأثير، أسد الغابة، ج٤، ص ص ٤٧٥-٤٧٨.

[4] – مصعب بن عمير: هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي بن كلاب يكنى أبا عبد الله ﷺ ، من فضلاء الصحابة وخيارهم ومن السابقين إلى الإسلام، اسلم ورسول الله ﷺ في دار الأرقم، وكتم إسلامه من أمه وقومه خوفاً، هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة ليعلم الناس القرآن ويصلي بهم، وقف رسول الله ﷺ على مصعب بن عمير ﷺ وهو منجعف على وجهه يوم أحد شهيداً وكان صاحب لواء رسول الله ﷺ .

ابن الأثير، أسد الغابة، ج٤، ص ص٤٠٥-٤٠٨.

بالجيش، وأقبل خالد بن الوليد[1] على خيل المشركين ومعه عكرمة[2]، فبعث رسول الله ﷺ الزبير ﷺ وقال له: استقبل خالد بن الوليد وكن بإزائه حتى أوافيك، وأمر طائفة أخرى، فقال، كونوا من الجانب الآخر حتى آذنكم، وأقبل أبو سفيان[3] يحمل اللات والعزى [4]، فأرسل النبي ﷺ إلى الزبير ﷺ أن يحمل، فحمل على خالد بن الوليد، فهزمه الله ﷻ ومن معه، وبعث رسول الله ﷺ أناساً من أهل البأس، فكان من ورائهم، وقال لهم كونوا ها هنا فردوا وجه من فرّ منا وكونوا حرساً لنا من ظهورنا[5].

ثم شد الزبير والمقداد بن أسود الكندي ﷺ على المشركين فهزماهم، وحمل النبي ﷺ: فهزموا أبا سفيان[6]. ولكن قِسماً من الرماة غلبتهم نشوة الظفر فتركوا أمكنتهم ونزلوا

---

[1] – خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي، سيف الله أبو سليمان ﷺ ، أمه لبابة الصغرى بنت الحارث بن حرب الهلالية، أحد أشراف قريش في الجاهلية، شهد مع كفار قريش الحروب إلى الحديبية، ثم أسلم سنة سبع بعد خيبر، شهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة ثم شهد حنيناً والطائف، حارب أهل الردة زمن أبي بكر الصديق ﷺ وفتح دمشق،توفي بمدينة حمص سنة إحدى وعشرين.

العسقلاني، الإصابة في تميز الصحابة، ج ١، ص ص ٤١٣ – ٤١٥.

[2] – عكرمة: عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام المخزومي القرشي، من صناديد قريش في الجاهلية والإسلام، كان هو وأبوه من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ واسلم عكرمة بعد فتح مكة، وحسن إسلامه، فشهد الوقائع، وولي الأعمال لأبي بكر ﷺ ، واستشهد في اليرموك، أو يوم مرج راهط، وعمره اثنان وستون عاماً.

ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ص ٥٦٧ – ٥٧٠ ؛ خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس وتراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين، الطبعة الثالثة، ج ٤، (بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٩٨م)، ص ص٢٤٤–٢٤٥ .

[3] – أبو سفيان: صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي أسلم يوم فتح مكة وشهد حنيناً، وأعطاه رسول الله ﷺ غنائمها وشهد الطائف ورُمي بسهم ففقئت عينه، استعمله النبي ﷺ على نجران، فمات النبي ﷺ وهو وال عليها ورجع مكة فسكنها برهة ثم رجع إلى المدينة فمات بها.

ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٢، ص ٧١٤.

[4] – اللات والعزى: اللات صخرة مربعة بيضاء ومنقوشة، وكان سدنتها آل أبي العاص بن مالك من ثقيف، وقيل إن اللات مشتق من الإلاهات، ولكنه أطلق على معبود معين واعتادوا على القسم باللات في شعرهم، وأقاموا بيتاً لها في وادي وج، وبيت اللات يمثل معبداً لأهل الطائف وقد عظمتها قريش أيضا، كانت نهاية اللات على يد المغيرة بن شعبة حين بعثه الرسول إلى ثقيف حين أسلمت، فهدمها وحرقها بالنار.

أما العزى : اسمها مشتق من العزة والقوة وهي تتكون من ثلاث من شجر السمر في وادي نخلة الشامية شرق مكة عبدها غطفان وكان بنو صرمة بن مرة سدنتها وقد عظمتها قريش وباهلة وغنى، وقالوا إن ربهم يصيف عند اللات ويشتي عند العزى، وقد تسمى العرب بها وفعلت قريش كذلك، وجلب قصي صنم العزى ومناة إلى مكة لما سافر إلى سوريا.

عواطف أديب سلامة، قريش قبل الإسلام دورها السياسي والاقتصادي والديني، رسالة ماجستير، إشراف: عبد الرحمن الطيب الأنصاري، (الرياض: دار المريخ للنشر، ١٤١٤هـ= ١٩٩٤م). ص ص٢٨٣–٢٨٥ ؛ زهير أحمد القيسي، الأصنام، مجلة التراث الشعبي، العدد(١)،(بغداد: دار الحرية للطباعة،١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م)، ص ص ٦٠–٦١.

[5] الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٢، ص ٥٠٨.

[6] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٢، ص ٥٠٩.

ليحاربوا مع جيش الرسول ﷺ الذي التحم مع الكفار ففطن الكفار وخالد بن الوليد[1] إلى قمة الجبل، ورأوا قلة الرماة فصاح في خيله، ثم حمل فقتل الرماة وحمل على أصحاب النبي ﷺ وهزموهم[2].

ويذكر البلاذري : أنه يوم أُحد عندما ألَّح المشركون على المسلمين بالحرب، وأكثروا فيهم القتل، لم يثبت مع رسول الله ﷺ إلا خمسة عشر رجلاً، فكانوا لا يفارقونه وحموه، وكان منهم الزبير بن العوام ﷺ ، كما يقول : إنه بايع رسول الله ﷺ يوم أُحد على الموت ثمانية، منهم الزبير بن العوام ﷺ ، فلم يُقتل أحد منهم[3].

وقد قال الزبير بن العوام ﷺ معللا سبب خسارتهم " لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب، مادون أخذهن قليل ولا كثير إذ مالت الرماة إلى العسكر حتى كشفنا القوم يريدون النهب، وخلَّوا ظهورنا للخيل، فؤتينا من أدبارنا، وصرخ صارخ: ألا إن محمداً قد قتل، فانكفأنا وانكفأ القوم علينا بعد أن أصبنا أصحاب اللواء، حتى ما يدنو إليه أحد من القوم"[4].

وذكر يونس عن ابن اسحاق أن طلحة بن أبي طلحة العبدري حامل لواء المشركين يومئذ دعا إلى البراز، فأحجم عنه الناس، فبرز إليه الزبير بن العوام ﷺ ، فوثب حتى صار معه على جمله، ثم اقتحم به الأرض فألقاه عنه وذبحه بسيفه، فأثنى عليه رسول الله ﷺ وقال: إن لكل نبي حواريا وحواري الزبير[5]، وقال لو لم يبرز إليه لبرزت أنا لما رأيت من إحجام الناس عنه"[6].

ومن المواقف التي تدل على أن الزبير ﷺ كان ملازماً للرسول ﷺ في كل وقت، ما يرويه البلاذري : من أن أبي بن خلف، شدَّ على رسول الله ﷺ بحربة، فأعان الله،

---

[1] – كانت قريش تدعو الوليد ريحانتها وكان يسمى ريحانة مكة، لأنه كان وحده يعدل قريشاً كلها في كسوة الكعبة، فيكسوها من ماله سنة وتكسوها قريش مجتمع سنة، وذكر أن حارس بيت العزى لما سمع بمسير خالد بن الوليد اليه ليحطمه علق في عنق الصنم سيفه وهرب . بسيم الذويب، الإسلام يحطم الأصنام، مجلة الرسالة الإسلامية، العدد ١١٨، ١١٧،(بغداد:المكتبة الوطنية، شعبان، رمضان، (١٣٩٨هـ=١٩٧٨م)، ص ٦٦.

[2] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٢، ص ٥١٠.

[3] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٣٨٩ ؛ اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٤٧.

[4] – ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣، ص١٢ ؛ ابن خياط، تاريخ خليفة، ص٦٨.

[5] – البخاري، الصحيح،ج٣، ص١١٤٤.

[6] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص١٧.

الرسول ﷺ عليه فقتله، وكانت الحربة للزبير بن العوام ﷺ أخذها رسول الله ﷺ منه فطعن ابن خلف بها[1].

هذا هو الزبير بن العوام ﷺ في أحد، وإن مما يلفت النظر هو ثقة الرسول ﷺ بشجاعته إذ جعله في المقدمة إزاء جيش العدو يوقع بهم الهزيمة وهذه المواقف تدل على قوة إيمان الزبير ﷺ وإخلاصه للعقيدة وحبه للرسول ﷺ وملازمته له يوم أحد، والثبوت معه ومبايعته له على الموت، فلقد صدق وعده وبقي مع الرسول ﷺ مدافعاً عنه ولم يتركه.

■ غزوة الأحزاب (الخندق) عام٥هـ/٦٢٦م :

بعد معركة أُحد جهز الكفار عشرة آلاف مقاتل لمهاجمة المدينة، معتمدين على مساعدة اليهود لهم في محاربة النبي ﷺ والمسلمين، فاقترح الرسول ﷺ التحصن في المدينة، وأمر بحفر الخندق حول المدينة بمشورة سلمان الفارسي ﷺ[2]، وقد دام حصار المدينة فترة طويلة فخارت قوى الكفار وقلت مؤنهم وساءت الأحوال المناخية فرجعوا خائبين يجرون أذيال الفشل، فالتفت المسلمون إلى جيرانهم من اليهود (بني قريظة) الذين خرقوا بنود الصحيفة فحاصروهم واستسلم اليهود على أن يحكم بمصيرهم سعد بن معاذ ﷺ[3]، فقضى بقتل رجال بني قريظة وسبي نسائهم وصبيانهم[4].

---

[1] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٣٩٠.

[2] – سلمان الفارسي: يكنى أبا عبد الله من أصبهان من قرية يقال لها(جي)، سافر يطلب الدين مع قوم، فغدروا به فباعوه من اليهود، ثم انه كوتب، فأعانه الرسول ﷺ في كتابته، أسلم مقدم النبي ﷺ المدينة وأول غزوة غزاها مع النبي الخندق، وشهد ما بعدها، وولاه عمر ﷺ المدائن.

ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج٢، ص ١٨٤ .

[3] – سعد بن معاذ ﷺ : هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امريء القيس، الأوسي الأنصاري، صحابي جليل من الأبطال، من أهل المدينة، كانت له سيادة الأوس، وحمل لوائهم يوم بدر، وشهد أحدا، فكان ممن ثبت فيها، وكان من أطول الناس وأعظمهم جسماً، ورُمي بسهم يوم الخندق، فمات من أثر جرحه، ودفن بالبقيع، وعمره سبع وثلاثون سنة، فحزن ﷺ عليه النبي ﷺ وفي الحديث" اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ!".

الزركلي، الأعلام، ج ٣، ص ٨٨.

[4] – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص ص٢٩٢-٢٩٤.

وقد كان لعبد الله بن الزبير ﷺ دورٌ في هذه الغزوة، تحدث عنه بقوله:" جعلت يوم الخندق مع النساء والصبيان في الأُطُمُ[1]، ومعي عمر بن أبي سلمة[2] فجعل يطاطىء لي فأصعد على ظهره، فأنظر، قال: فنظرت إلى أبي وهو يحمل هاهنا ومرة هاهنا فلم يرتفع له شيء إلا أتاه، فلما أمسى جاءنا إلى الأُطُمُ، قلت له: يا أبت رأيتك اليوم وما تصنع، قال: ورأيتني يا بني ! قلت: نعم، قال: فدى لك أبي وأمي"[3].

وقد ذُكر أن الزبير ﷺ حمل على نوفل بن عبد الله المخزومي بالسيف فضربه فشقه باثنين[4]،فبعث المشركون يطلبون جسد نوفل حين قتل وعرضوا عليه الدية وأعطوا رسول الله ﷺ بجسده عشرة آلاف درهم، فسأل الصحابة النبي ﷺ أن يبيعهم جسده فقال النبي ﷺ لا حاجة لنا بجسده ولا ثمنه، فشأنكم به، فخلى بينهم وبينه[5]، وانصرف الزبير ﷺ بعد قتل نوفل وهو يقول:

إني امرؤ أحمي وأحتمي   عن النبي المصطفى الأمي[6]

كما يذكر أن رسول الله ﷺ قال يوم الأحزاب: " من يأتينا بخبر القوم؟ فقال الزبير: أنا، ثم قال: " من يأتينا بخبر القوم؟ فقال الزبير:أنا، ثم قال : من يأتينا بخبر القوم؟ فقال الزبير ﷺ : أنا، ثم قال ﷺ :" إن لكل نبي حوارياً وإنَّ حواري الزبير ".[7]

---

[1] – الأطم: يُقال بضمتين وبضمة ثم السكون، والأطم والأجم بمعنى واحد، وهي الحصون. وأكثر ما يسمى بهذا الاسم (حصون المدينة). الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٢٥٩.

[2] – عمر بن أبي سلمة: هو عمر بن عبد الله أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وآل، من الصحابة، ولد بالحبشة، رباه النبي ﷺ، وولي البحرين زمن علي، وشهد معه وقعة الجمل، وتوفي بالمدينة، له اثنا عشر حديثاً.
الزركلي، الأعلام، ج٥، ص ص ٥١-٥٢.

[3] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص٨٨.

[4] – ابن سعد، الطبقات الكبرى،ج٣، ص٩٥.

[5] – ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٢١٦ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص٥٧٤.

[6] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص٨٧.

[7] – البخاري، الصحيح، ج٣، ص١٢٥٤ ؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٦٧٥ ؛ ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج ١، ص ١١٧ ؛ العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ١، ص ٥٤٦.

■ الزبير في خيبر عام ٧ هـ/٦٢٨م:

شارك الزبير رضي الله عنه كذلك في غزوة خيبر[١]، وذلك بعد أن قتل علي رضي الله عنه مرحب اليهودي، حيث يُذكر: " أن أخا مرحب وهو ياسر خرج بعده وهو يقول: هل من مبارز ؟ فقيل إن الزبير رضي الله عنه خرج له، فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب - رضي الله عنها - يقتل ابني يا رسول الله، فقال بل ابنك يقتله إن شاء الله، فالتقيا فقتله الزبير رضي الله عنه، قال : فكان الزبير إذا قيل له والله إن كان سيفك يومئذ صارماً يقول والله ماكان بصارم ولكني أكرهته[٢] ".

وجاء في رواية أخرى تظهر مكانة الزبير رضي الله عنه لدى رسول الله ﷺ "أن رسول الله ﷺ قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم إلى قصرهم، فغلب على الأرض و الزرع و النخل، فصالحوه على أن يجلو منها، و لهم ما حملت ركابهم و لرسول الله ﷺ الصفراء و البيضاء، ويخرجون منها، واشترط عليهم أن لايكتموا ولا يغيبوا شيئاً فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد فغيبوا كنزاً لحيي بن أخطب[٣]، وكان احتمله معه إلى خيبر حين أجلبت النضير وجيء بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق إلى رسول الله ﷺ فسأله الرسول ﷺ: عن كنز بني النضير، فجحد كنانة أن يكون يعلم مكانه، فأتى رسول الله ﷺ برجل من اليهود، فقال لرسول الله ﷺ : إني قد رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة، فقال رسول الله ﷺ لكنانة : أرأيت إن وجدناه عندك، أأقتلك ؟ قال : نعم، فأمر رسول الله ﷺ بالخربة فحُفرت، فأُخرج منها بعض كنزهم، ثم سأله ما بقي، فأبى أن يؤديه، فأمر به رسول

---

[١] - خيبر: هي ناحية من الشام، يطلق هذا الاسم على الولاية وتشتمل هذه الولاية على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير وأما لفظ خيبر فهو بلسان اليهود الحصن ولكون هذه البقعة تشتمل على هذه الحصون سميت خيابر، وقد فتحها النبي ﷺ في سنة سبع للهجرة وقيل سنة ثمان.
الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٦٨.

[٢] - ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٢٨٤ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٣، ص١١ ؛ ابن كثير، البداية و النهاية، ج٤ ، ص ١٥٤.

[٣] - حيي بن أخطب النضري، جاهلي، من الأشداء العُتاة، كان ينعت بسيد الحاضر والبادي، أدرك الاسلام وآذى المسلمين، فأسروه يوم قريظة، ثم قتلوه، ويُقال إنه عندما أتى بحيي بن أخطب إلى رسول الله ﷺ في هذا اليوم، نظر إليه رسول الله ﷺ وقال: أما والله ما لمت نفسي في عداوتك، ولكنه من يخذل الله يُخذل، ثم أقبل على الناس، فقال : أيها الناس، انه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه.
ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣، ص٢٠٦ ؛ الزركلي، الأعلام، ج٢، ص ٢٩٢.

اللهﷺ الزبير بن العوام ﷺ، فقال ﷺ للزبير: عذبه حتى تستأصل ما عنده،ثم قتل رسول الله ﷺ ابني أبي الحقيق،أحدهما زوج صفية بنت حيي بن أخطب "[1].

وتتجلى في هذه المواقف الحكمة النبوية الصائبة، فقد كان الرسول ﷺ أعلم الناس برجاله، وأخبرهم بقدراتهم، ومناسبة كل منهم للمهمة الموكلة إليه، ولذا كانت ثقة الرسول ﷺ بالزبير ﷺ في محلها، فقد أثبت أنه جدير باعتماد الرسول ﷺ عليه، وصلاحيته في المهمة التي كلفه بها.

ومما يجدر ذكره أنه كان للزبير بن العوام ﷺ فرس شهد عليه خيبر يُقال له معروف[2].

■ الزبير ﷺ في فتح مكة سنة ٨ هـ/٦٢٩م :

وفي فتح مكة كان للزبير ﷺ دورٌ مهمٌ حتى قبل أن تسير الجيوش إلى فتحها، ومنذ أن قرر رسول الله ﷺ المسير إليها، حيث يذكر ابن هشام "أنه , لما أجمع رسول اللهﷺ المسير إلى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة[3] كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم، ثم أعطاه امرأةَ وجعل لها جُعلاً على أن تبلغه قريشاً فجعلته في رأسها ثم فتلت عليها قرونها ثم خرجت به، وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث على بن أبي طالب و الزبير ﷺ وراءها فخرجا حتى أدركاها بالحليفة فاستنزلاها فالتمسا في رحلها فلم يجدا شيئاً فقال لها علي بن أبي طالب ﷺ :إني أحلف بالله ماكذب رسول الله ﷺ ولاكُذبنا، ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفك فلما رأت الجد منه, قالت, أعرض , فأعرض فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه[4].

---

[1] – ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص٢٨٦ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٣، ص ١٤ ؛ ابن كثير، البداية و النهاية, ج٤, ص ١٦١.

[2]– ابن الأعرابي , (٢٣١هـ) , رواية الجواليقي , أبو منصور , (ت ٥٤٠هـ) , أسماء خيل العرب وفرسانها , تحقيق : نورى حمودي القيسي, حاتم صالح الضامن , الطبعة الأولى، (بيروت : عالم الكتب , ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م)، ص ٣٨.

[3] – حاطب بن أبي بلتعة، يكنى أبا محمد، وهو من لخم، لما هاجر حاطب وسعد مولاه من مكة إلى المدينة نزلا على المنذر بن محمد بن عقبة، آخى الرسول ﷺ بين حاطب ورخيلة بن خالد، شهد حاطب بدراً واحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ومات بالمدينة سنة(٣٠هـ/٦٥٠م) وهو ابن خمس وستين، وصلى عليه عثمان بن عفان ﷺ .
ابن سعد , الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ص ٦٨٥-٦٨٦.

[4]– ابن هشام , السيرة النبوية , ج٤ , ص ٤١، البخاري، الصحيح، كتاب المغازي، ج ٣، ص ١٢١٦ ؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٤٥٠ ؛ اليعقوبي، تاريخ، ج ٢ن ص ٥٨.

وقال ابن إسحاق :"إن رسول الله ﷺ حين فرّق جيشه من ذي طوى[1] , أمر الزبير بن العوام ﷺ أن يدخل في بعض الناس من كدى، وكان الزبير ﷺ على المجنبة اليسرى،[2] وأمر سعد بن عبادة ﷺ [3] أن يدخل في بعض الناس من كداء[4]،فلولا شجاعة الزبير ﷺ وقوته ومعنوياته الفائقه لما كلفه رسول الله ﷺ للقيام بهذا الدور.

ويذكر ابن سعد أن رسول الله ﷺ " لما دخل مكة وهدأ الناس جاء بفرسي ابن الزبير و المقداد بن الأسود ﷺ ، وقام رسول الله ﷺ بمسح الغبار عن وجهيهما بثوبه وقال: " إني جعلت للفرسين سهمين، وللفارس سهماً فمن نقصهما ينقصه الله[5]، وكانت مع الزبير ﷺ إحدى رايات المهاجرين الثلاث في الفتح"[6] .

▪ الزبير في حنين عام ٨هـ/٦٢٩م :

وقد شارك الزبير ﷺ في حنين، وأبلى في هذه الغزوة بلاءً حسناً، يقول ابن هشام "بلغني أن خيلاً طلّت لمالك بن عوف [7] وأصحابه على الثنية فقال لأصحابه : ماذا

---

[1] - ذي طوى : روى أن بكة اسم القرية، ومكة مغزى بذى طوى، لايراه أحد ممن مرَّ من أهل الشام والعراق و اليمن و البصرة، إنما هى أبيات في أسفل ثنية ذي طوى، وقيل: ذو طوى هو بطن الوادي.

الحموي، معجم البلدان، ج٥ ، ص ٢١١ .

[2] - ابن سعد , الطبقات الكبرى , ج٢ ص ٦٧٣ .

[3] - سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبي حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة، يكنى أبا ثابت ﷺ، وأمه عمرة بنت مسعود بنت قيس بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار بن الخزرج، كان سعد يكتب العربية في الجاهلية وقت كانت الكتابة في العرب قليلة، لم يشهد بدراً لأنه كان يكسر أصنام بني ساعدة، وشهد العقبة، وكان أحد النقباء الاثنى عشر، شهد أحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، خرج مهاجراً إلى الشام في أول خلافة عمر بن الخطاب ﷺ لأنه كان كارهاً لجواره، وتوفي بحوران سنة خمس عشرة .

ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣،ص ص ٦٢٧ -٦٣٢ .

[4] - ابن هشام، السيرة النبوية , ج٤ , ص ٤٩ .

كداء : بأعلى مكة عند المحصَّب دار النبي ﷺ من ذي طوى إليها . التي دخل منها النبي ﷺ وهى العقبة الصغرى التي تهبط منها إلى الأبطح و المقبرة فيها عن يسارك، فكأنه عليه الصلاة والسلام عند دخوله مكة ضرب دائرة في دخوله و خروجه .

الحموي، معجم البلدان , ج٤, ص ص ٤٩٩ - ٥٠٠ .

[5] - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٦٧٣.

[6] - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٦٧٣.

[7] - مالك بن عوف : مالك بن عوف بن سعد بن ربيعة بن يربوع بن واثلة بن دهمان ابن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن النصري , انهزم يوم حنين كافراً وكان رئيس المشركين يومئذٍ ولحق يوم إنهزامه بالطائف فقال رسول الله ﷺ : لو أتاني مسلماً لرددت إليه أهله وماله فبلغه ذلك فلحق برسول الله ﷺ فأسلم فأعطاه ماله وأهله، وأعطاه مائة من الإبل، وكان مالك شاعراً استعمله الرسول على من أسلم من قومه، وأمره رسول الله بمعاودة ثقيف ففعل وضيق عليهم وحسن إسلامه. وقال حين أسلم :

ترون ؟ قالوا نرى فارساً طويل الباد واضعاً رمحه على عاتقه , عاصباً رأسة بملاءة حمراء , فقال هذا الزبير بن العوام , وأحلف باللات ليخالطنكم فأثبتوا له , فلما انتهى الزبير إلى أصل الثنية أبصر القوم, فصمد لهم فلم يزل يطاعنهم حتى أزاحهم عنها" [1].

ومن استعراض مواقف الزبير ﷺ في المعارك التي خاضها مع الرسول ﷺ تظهر الشجاعة التي تمتع بها الزبير ﷺ ، وحبه وولاءه للرسول ﷺ، وحسن رأيه، وحكمته في التصرف، واعتماد الرسول ﷺ عليه.

رابعاً: أبناء الزبير بن العوام :

كان للزبير ﷺ أبناء كثيرون ذكرت المصادر أسماءهم وهم: عبد الله وعروة والمنذر وعاصم والمهاجر وخديجة الكبرى وأم الحسن وعائشة، وأمهم أسماء بنت أبي بكر[2].وخالد وعمر وأمهم أم خالد، وهي: أمة بنت خالد بن سعيد بن العاص[3] ويضيف الجوزي بأن أم خالد ولدت للزبير بالإضافة إلى خالد وعمر , حبيبة وسودة وهند[4].ومصعب وحمزة ورملة وأمهم الرباب بنت أنيف بن عبيد[5].وعبيدة وجعفر وأمهما زينب بنت بشر بن عمرو بن مرثد من بني قيس بن ثعلبة[6].وزينب وأمها أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معُيط[7]. وخديجة الصغرى وأمها الحلال بنت قيس [8].

وستتناول الدراسة بعض من أبناء الزبير الذين كان لهم دور بارز في تاريخ الدولة الإسلامية سواء من الناحية السياسية أو الفكرية .

= ما إن رأيت ولا سمعت بما أرى في الناس كلهم كمثل محمد

ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب , ج٣,ص ص ١٣٥٦-١٣٥٧ .

(١) – ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤، ص ص٩٨-٩٩.

(٢) – ابن سعد الطبقات الكبرى، ج٨، ص٢٨٩.

(٣) – ابن سعد الطبقات الكبرى، ج٨، ص٢٧١.

(٤) – ابن الجوزي، صفة الصفوة،ص١١٦ .

(٥) – ابن الجوزي، صفة الصفوة، ص١١٦ .

(٦) – الزبيري، نسب قريش، ص ٢٣٦.

(٧) – ابن الجوزي، صفة الصفوة، ص١١٦.

(٨) – ابن الجوزي، صفة الصفوة، ص١١٦.

■ عبد الله بن الزبير ﷺ:

وُلد بقباء[١] بالمدينة المنورة، وكان أول مولود ولد في الإسلام في السنة الأولى من الهجرة النبوية ١هـ/٦٢٢م، وقيل على رأس عشرين شهراً من مهاجرة الرسول ﷺ[٢]،وقد أتت به أمه أسماء إلى رسول الله ﷺ فوضعه في حجره،ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ ثم حنكه بتمرة ثم دعا له[٣]، وقيل إن المسلمين فرحوا بولادته فرحاً شديداً -كما ذكرنا سابقاً -لأن اليهود كانوا يقولون : سحرناهم فلا يولد لهم ولد. وقد سماه رسول الله ﷺ عبد الله، وكناه أبا بكر باسم جده الصديق وكنيته[٤].

تزوج تماضر بنت منظور بن زبان بن سيار بن عمرو بن جابر ابن عقيل، فولدت له خبيباً وحمزة وعباداً وثابتاً[٥] .كما تزوج أم هاشم بنت منظور بن سيار أخت تماضر فولدت له هاشماً وقيساً والزبير وعروة[٦].

كما تزوج حنتمة بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فولدت له عامراً وموسى[٧]، و تزوج ريطة بنت عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام فولدت أبا بكر[٨]، وتزوج أم ولد فولدت له عبد الله [٩]. وتزوج عائشة بنت عثمان بن عفان فولدت له بكراً [١٠].

---

(١) – قُباء : بضم القاف يقع على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة، بها أثر بنيان كثير، بنى الأنصار وأصحاب رسول الله ﷺ بها مسجداً يصلون فيه .

الحموي، معجم البلدان , ج ٤ ,ص ٣٤٢ .

(٢) – ابن حبيب، المحبر، ص٢٧٥.

(٣) – ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢، ص١٨١.

(٤) – السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٦٣.

(٥) – الزبيري، نسب قريش، ص ص٢٣٩-٢٤٠.

(٦) – الزبيري، نسب قريش،ص٢٤٣.

(٧) – الزبيري، نسب قريش , ج١، ص ٢٤٣ , ابن بكار، الزبير، جمهرة نسب قريش، ص٩٥ .

(٨) – الزبيري، نسب قريش،ص٢٤٣، ابن بكار، جمهرة نسب قريش، ج١، ص٩٦.

(٩) – الزبيري، نسب قريش، ص٢٤٣.

(١٠) – ابن بكار، جمهرة نسب قريش , ج ١ , ص ٩٦ . ومن الجدير ذكره بأن بكر بن عبد الله بن الزبير لم نجد له ذكراً في كتاب نسب قريش للمصعب وربما سقط من كتابه شيء لأنه قال : (وكان عبد الله يكنى أبا بكر ويكنى أبا خبيب بابنه خبيب بن عبد الله) .

وكان النبي ﷺ قد جمع أبناء المهاجرين والأنصار الذين ولدوا في الإسلام حين ترعرعوا فبايعهم، وكان منهم عبد الله بن الزبير ﷺ، وتوفي النبي ﷺ وعبد الله ابن عشر سنين[1].

وكان عبد الله شجاعاً فصيح اللسان منذ صغره[2]،وكان صواما قواما طويل الصلاة، قسم الدهر ثلاث ليال , ليلة يصلي قائماً حتى الصباح , وليلة راكعاً وليلة ساجداً حتى الصباح[3]، وكيف لا يكون كذلك وهو الذي نشأ في حجر خالته عائشة –رضي الله عنها– وتغذى بتعاليم النبوة، فقد شهد المعارك في عهد الرسول ﷺ، واشترك مع أبيه في فتح الشام، واشترك في فتح مصر في عهد عمر بن الخطاب ﷺ كما بعثه عثمان بن عفان ﷺ إلى أفريقيه وعلى يده تم فتحها[4]، وحارب في معركة الجمل إلى جوار أم المؤمنين السيدة عائشة –رضي الله عنها– [5].

ومن آثاره ما عرف عنه من بطولات ومواقف مشرفة في جميع الميادين العلمية والسياسية والحروب – سنتعرض لها في فصل لا حق بإذن الله –. بالإضافة إلى دوره البارز في رواية الحديث النبوي الشريف[6]، وآثاره في مجال الأدب، حيث ترك مجموعة من الخطب وُسِمَت بعضها بالطابع الديني، وبعضها الآخر بالطابع السياسي.[7]

---

(1) – الزبيري، نسب قريش، ص٢٣٧.

(2) – يخبرنا ابن الأثير في تاريخه أن ابن الزبير كان شُجاعاً يتحلى بالجرأة حيث أحضره أبوه الزبير عند رسول الله ﷺ ليبايعه وعمره سبع سنين أو ثماني سنين، فلما رآه النبي ﷺ مقبلاً تبسم ثم بايعه .

ابن الأثير، أسد الغابة, ج ٣ , ص ١٣٨ ؛ العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة , ج ٢ , ص ٣١٠ .

– كما هناك قصة تدل على جراءته النادرة وهو صغير، إذ مر به عمر بن الخطاب، وكان عبد الله مع صبيان يلعبون، ففروا وبقي هو؛ فقال له عمر : لماذا لم تفر مع رفاقك؟ فأجابه بجراءة وفصاحة:"لم أجرم فأخافك، وليست الطريق ضيقة فأوسع لك".

محمد حسني عبد الرحمن، عبد الله بن الزبير، مجلة الرسالة، (القاهرة: جمادى الأولى،١٣٥٤هـ = ١٩٣٥م)، العدد ١١١،ص ص ١٣٤٥-١٣٤٦.

(3) – ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ١٣٨ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٦٣.

(4) – ابن الأثير، أسد الغابة , ج ٣ , ص ١٣٩ , الزبيري , نسب قريش , ص ٢٣٧ .

(5) – احمد بن محمد ابن عبد ربه الاندلسي، العقد الفريد، الطبعة الأولى، ج٥، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ=١٩٩٦م)، ص٦٠ وما بعدها.

(6) – الزبيري، نسب قريش، ص٢٣٧.

(7) – ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤،ص ص١٧٠-١٧١.

- **المنذر بن الزبير:**

هو المنذر بن الزبير، أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق , يُكنى بأبي عثمان [١]،وهو ثاني ولد الزبير بن العوام، وكان سيداً حليماً , وهو يتلو عبدالله في السن[٢].قاتل في حصار الحصين بن نمير [٣]على بغله،فصرع فيها فقاتل وهو راجل فلم يزل يقاتل حتى قتل[٤]. وله من الأبناء أحد عشر ذكراً وبنتان من زوجات عدة[٥].

- **عروة بن الزبير:**

هو عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ابن كلاب، يكنى بأبي عبد الله، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق. وكان ثقة كثير الحديث فقيهاً عالماً مأموناً ثبتاً[٦].

ومما أثر عن ابنه هشام أنه كان يغتسل كل يوم مرة، وكان يسرد الصوم[٧] أي يداومه، فكان يصوم الدهر كله إلا يوم الفطر ويوم النحر، حتى أنه توفي وهو صائم. قال هشام بن عروة: كنا نسافر مع عروة فنصوم ونفطر فلا يأمرنا بالصيام ولا يفطر هو[٨].

وقد توفي عروة بن الزبير في أملاكه بمجاح في ناحية الفرع ودفن هناك يوم الجمعة سنة ٩٤هـ/٧١٢م [٩].

---

[١] – ابن سعد، الطبقات الكبرى , ج ٥ , ص ص ٢١٨ – ٢١٩ .

[٢] – الزبيري، نسب قريش، ص٢٤٤.

[٣] – الحصين بن نمير: هو الحصين بن نمير بن نائل، أبو عبد الرحمن الكندي، قائد، من القساة الأشداء، المقدمين في العصر الأموي، من أهل حمص، وهو الذي حاصر عبد الله بن الزبير بمكة ورمى الكعبة بالمنجنيق، وكان في آخر أمره على ميمنة عبيد الله ابن زياد في حربه مع إبراهيم بن الأشتر، فقتل مع ابن زياد على مقربة من الموصل.

الزركلي، الأعلام، ج ٢،ص ٢٦٢.

[٤] – الزبيري، نسب قريش، ص٢٤٥.

[٥] – ابن سعد، الطبقات الكبرى , ج ٥ , ص٢١٩.

[٦] – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥،ص ص٢١٤-٢١٥.

[٧] – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص ٢١٦ ؛ سلوى مرسي الطاهر، أول سيرة في الإسلام عروة بن الزبير، الطبعة الأولى،(عمان: دار الفارس، ١٩٩٥م)، ص١٧.

[٨] – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٢١٧، عبد الله بن فهد الشريف، فقه الإمام عروة بن الزبير، رسالة دكتوراه، (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤٠٨هـ)، ص ٥٧.

[٩] – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٢١٨.

وكان يقال لهذه السنة (سنة الفقهاء) لكثرة من مات من الفقهاء فيها، وله بالمدينة دار[1]، وقيل كان برجل عروة آكلة[2] فقطع رجله.

من أخباره حين قطعت رجله : أنه حينما أرادوا قطعها عرضوا عليه أن يشرب شيئاً يغيّب عقله حتى لا يحس بالألم ويتمكنوا من قطعها , فقال : ما ظننت أن أحداً يؤمن بالله يشرب شيئاً يغيب عقله حتى لا يعرف ربه عز وجل، ولكن هلموا فاقطعوها، فقطعوها من ركبته وهو صامت لا يتكلم , وروى أنهم قطعوها وهو في الصلاة فلم يشعر لشغله بالصلاة . وقيل : قدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك ومعه ابنه محمد بن عروة، فدخل محمد دار الدواب، فضربته دابة فخر، فحمل ميتاً، ووقعت في رجل عروة الآكلة، ولم يدع تلك الليلة ورده، فقال له الوليد: اقطعها، قال: لا، فترقت إلى ساقه، فقال له الوليد: اقطعها وإلا أفسدت عليك جسدك، فقطعت = = بالمنشار – وهو شيخ كبير – من المفصل وهو صائم، وقيل إنه كان يقرأ ربع القرآن كل يوم ويقوم به ليله، فما تركها إلا ليلة قطع رجله، ثم عاد وحزبه من الليلة المقبلة[3].

وله من الأبناء: عشرة من الذكور وثمانية من الإناث[4].

■ مصعب بن الزبير :

هو مصعب بن الزبير، يكنى بـ "أبي عبد الله"ولم يكن له ابن يسمى عبد الله[5]،أمه الرباب بنت أنيف بن عبيد بن مصاد بن كعب بن عليم بن جناب من كلب[6]، ولاه أخوه عبد الله العراق، وقاتل المختار بن أبي عُبيد

---

(1) – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٢١٨.

(2) – آكلة: داء يأخذ في الأعضاء يؤدي إلى قطعها.

(3) – الأصفهاني ،حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ج ٢، ص ص ٢٠٠-٢٠٦؛ ابن كثير ، ج٩،ص ٨٩؛ عبدالرحمن رأفت باشا، عروة بن الزبير منارة هدى ودليل فلاح ، وداعية خير طوال حياته ، المجلة العربية ، (الرياض: شعبان،١٣٩٧هـ-١٩٧٧م) العدد٢،ص٩٠.

(4) – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٢١٤.

(5) – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٢٢٠.

(6) – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٢١٩.

الثقفــــــي[١] بالكوفة[٢] وقاتله حتى قتله وبعث برأسه إلى أخيــه عبــد الله[٣]،تــوفي مصعب مقتولاًسنة٧٢هــ/٦٩١م، وقد قتله الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان[٤].

▪ جعفر بن الزبير :

هو جعفر بن الزبير، أمه زينب، وهي أم جعفر بنت مرثد بن عمروبن عبد عمرو بن بشر ابن عمرو بن مرثد بن سعد بن مالك بن قيس بن ثعلبة[٥]، وكان له من الأبنــاء تسعة ذكور وأربع عشرة بنتاً من زوجات عدة[٦]،وقيل إنه كبر وبقي حتى مــات ســنة ٩٩هــ/٧١٧م ، في آخر خلافة سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموي[٧].

▪ خالد بن الزبير :

هو خالد بن الزبير، أمه أم خالد واسمها: أمة بنت خالد بن سعيد بن العاص بــن أمية[٨]. استعمله عبد الله بن الزبير ﷺ على اليمن. له من الأبناء سبعة ذكور،وست مــن الإناث، من زوجات عدة[٩].

---

(١) – المختارين أبي عُبيد : مختارين أبي عبيد بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف الثقفي أبو إسحاق , كان أبوه من جلة الصحابة , ولد المختار عام الهجرة , وأخباره غير حسنة , خرج يطلب بثأر الحسين بن علي وهو الذي أخذ رأس الحسين ثم حمله إلى الكوفة وقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص , وقتل عبيد الله بن زياد , ثم سار إليه مصعب بن الزبير من البصرة فقتل المختار بالكوفــة ســنة (٦٧هــ/٦٨٦م)، وكانت إمارته على الكوفة سنة ونصف سنة وكان عمره سبعاً وستين .

ابن الأثير،أسد الغابة, ج ٤ , ص ص ٣٤٦ – ٣٤٧ .

(٢) – الكوفة : المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق وسميت بالكوفة، لاستدارتها وقيل لاجتماع الناس بها وكان تمصيرها في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٧ هــ .

الحموي، معجم البلدان , ج ٤ , ص ص ٥٥٩ – ٥٦٠

(٣) – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٢٢٠.

(٤) – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٢٢٠.

(٥) – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٢٢١.

(٦) – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٢٢١.

(٧) – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٢٢١ ؛ أبو الفوز محمد أمين البغدادي الشهير بالســـويدي. سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، (بيـــروت : دار الكتب العلمية، بدون تاريخ)، ص٣٦٣،

(٨) – ابن سعد، الطبقات الكبرى , ج ٥ , ص٢٢٢.

(٩) – ابن سعد، الطبقات الكبرى , ج ٥ , ص٢٢٢.

■ عمرو بن الزبير :

هو عمرو بن الزبير، أمه أم خالد، وهى أمـــة بنت خالد بن سعيد بن العـــاص [1]، ويُذكر أن عمرو بن الزبير كان من أعدى الناس لعبدالله بن الزبير ﷺ. ولاه عمـــرو بن سعيد بن العـــاص[2]، شرطة المدينـــة، فضرب ناساً كثيراً مـــن قـــريش والأنـــصـــار بالسياط وقال هـــؤلاء شيعة عبدالله بن الزبير . ثم وجـــهه عمـــــرو بـــن ســـعيد إلى عبـــدالله في جيش من أهل الشام وأمره بقتال أخيه فمضى عمرو حتى قدم مكة ونـــزل بذى طوى، ووجه عبدالله إليه مصعب بن عبدالرحمن بن عوف[3] و عبدالله بن صفوان[4] في جمع فاقتتل الجيشيان وانهزم أصحاب عمرو بن الزبير وتفرقوا، فسجن عبـــد الله بـــن الزبير عمرو وجُلد مئة جلدة فلم يبلغ حتى مات , ثم أمر عبدالله أن يُطـــرح عمـــرو في شعب الجيف، وهو الموضع الذي صلب فيه عبدالله بن الزبير ﷺ[5].

وترك عمرو من الأبناء ذكرين و ثلاث إناث مـــن زوجـــات عدة [6].

---

[1] – ابن سعد، الطبقات الكبرى , ج ٥ , ص٢٢٢.

[2] – عمرو ابن سعيد : عمرو بن سعيد بن العاص القرشي أمه صفية بنت المغيرة بن عبدالله بن مخزوم , عمـــة خـــالد بن الوليد بن المغيرة , هاجر الهجرتين إلى الحبشة و المدينة , هو وأخوه خالد بن سعيد , وقدما معاً على النبي ﷺ وكان إسلام عمرو بعد أخية خالد بيسير .

ابن الأثير، أسد الغابة , ج ٣ , ص ص ٧٢٧ – ٧٢٨ .

[3] – مصعب بن عبدالرحمن بن عوف : هو مصعب بن عبدالرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهـــرة , يكنى بـــأبي زُرارة , وأمه أم حريث من سبي بهراء من قضاعة .

ابن سعد، الطبقات الكبرى, ج ٥ , ص ١٨٨ .

عبدالرحمن بن عوف بن عبد عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب ابن مرة القرشي الزهري، وكان اسمه في الجاهلية عبد عمرو وقيل عبد الكعبة، فسماه الرسول عبدالرحمن، ولد بعد الفيل بعشر سنين وأسلم قبل أن يدخل الرسول عليه السلام دار الأرقم، كان مـــن المهاجرين الأولين، هاجر الهجرتين، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع النبي– صلى الله عليه وسلم–، كان كثير الإنفاق، أعتـــق في يـــوم واحد ثلاثين عبداً، قال عنه النبي ﷺ " عبدالرحمن بن عوف أمين في السماء أمين في الأرض"، توفي سنة (٣١هـ/٦٥١م)، بالمدينة وهو ابن خمس وسبعين سنة، وأوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله.

ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ص ٣٧٦ – ٣٨١.

[4] – عبدالله بن صفوان : عبدالله بن صفوان بن أمية بن خلف الجمحي، كان مع ابن الزبير لما حجره الحجاج، فبذلوا لـــــه الأمان حين تفرق الناس عن ابن الزبير، ولم يقبل الأمان وقتل عبدالله بن صفوان يوم قُتل عبدالله بن الزبير– منتصف جمادى الأخرة سنة ثلاث وسبعين– وبعث الحجاج برأسه ورأس ابن الزبير إلى المدينة، فنصبوهما يسخرون منها ثـــم بعثوا بالرؤوس إلى عبد الملك بن مروان .

ابن الاثير، أسد الغابة , ج٣ , ص ١٧٥.

[5] – ابن سعد، الطبقات الكبرى , ج ٥ , ص٢٢٣.

[6] – ابن سعد، الطبقات الكبرى , ج ٥ , ص٢٢٢.

■ عبيدة بن الزبير :

هوعبيدة بن الزبير، أمه زينب بنت مرثد بن عمرو بن عبد عمرو من بني قيس بن ثعلبة[١]، له من الأبناء المنذر و زينب من زُوجين [٢].

■ حمزة بن الزبير :

هو حمزة بن الزبير، أمه الرباب بنت أفيف بن عبيد بن مصاد بن كعب بن علـى بن جناب بن كلب , وهو أخو مصعب بن الزبير لأبيه وأمه [٣]،وله من الأبناء عمـارة، توفي و لم يعقب، فورثه عروة و جعفر ابنا الزبير[٤].

---

[١] – ابن سعد، الطبقات الكبرى , ج ٥ , ص٢٢٤.

[٢] – ابن سعد، الطبقات الكبرى , ج ٥ , ص٢٢٤.

[٣] – ابن سعد، الطبقات الكبرى , ج ٥ , ص٢٢٤.

[٤] – ابن سعد، الطبقات الكبرى , ج ٥ , ص٢٢٤.

– يروي ابن سعد: أن الزبير سمى ابنه المنذر بالمنذر الأنصاري، إذ عزَّ عليه قتله في السنة (٤هـ/٦٢٥م)، وسمى (عروة) بعروة بن مسعود الثقفي،إذ قُتل بالنبل من أهل الطائف سنة (٩هـ/٦٣٠م)، و(حمزة) بحمزة بن عبد المطلب شهيد أحد، وسمى (جعفراً) بجعفر بن أبي طالب الطيار شهيد غزوة مؤتة، و(مصعباً) بمصعب ابن عمير حامل اللواء وشهيد أحد، و(عبيدة) بعبيدة بن الحارث شهيد غزوة بدر، و(خالداً) بخالد بن سعيد شهيد مرج الصفر، و(عمراً) بعمرو بن سعيد أخى خالد الذي قُتل يوم اليرموك، والشهداء الذين اختار أسماءهم لبنيه بطولاتهم تستحق التنويه، وقد تمنى لبنيه أن يكونوا مثلهم، مؤمنين صابرين، ينشرون العقيدة، ويرفعون راية الإسلام.

ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٦٦٨ ؛السيد حسن فرون، مذهب حواري النبي في تسمية أبنائه، مجلة الأزهر، الجزء الخامس، السنة السادسة والأربعون،(رجب :١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م)، ص ص ٥١٨-٥١٩.

انظر الملاحق من ملحق رقم ٣ ص ٢٥٧ الى ملحق رقم ١١ ص ٢٦٥.

الفصل الثاني

(الأسرة الزبيرية في عهد الخلفاء الراشدين ﷺ والدولة الأموية)

١. الأسرة الزبيرية في خلافة أبي بكر الصديق وخلافة عمر بن الخطاب ﷺ.

٢. الأسرة الزبيرية في خلافة عثمان بن عفان ﷺ، وموقفها من الفتنة .

٣. الأسرة الزبيرية في خلافة علي ﷺ وموقفها منه .

أ- موقعة الجمل.

ب- مقتل الزبير بن العوام ﷺ، وحال الأسرة بعد مقتله.

٤. الأسرة الزبيرية في خلافة معاوية بن أبي سفيان ﷺ وابنه يزيد بن معاوية.

١ . الأسرة الزبيرية في خلافة أبي بكر الصديق وخلافة عمر بن الخطاب ﷺ.

■ الأسرة الزبيرية في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ:

تعود علاقة الزبير بأبي بكر الصديق ﷺ إلى ماقبل دخولهما الإسلام،فقد أسلم الزبير على يد أبي بكر الصديق ﷺ[١]، فكان إسلامه بعد أبي بكر، وأنه كان رابعاً أو خامساً [٢] في الإسلام.

وقد كان أبو بكر والزبير ﷺ مرتبطين ببعضهما ارتباطاً وثيقاً بعد إسلام الزبير، ويظهر ذلك في مواقف عديدة منها:

قول عائشة- رضي الله عنها- لعروة: إن أباك والله من الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح.وتعني أبا بكر والزبير، وقالت : لما انصرف المشركون من أحد، وأصاب أصحاب رسول الله ﷺ ما أصابهم فخاف ﷺ أن يرجعوا، فقال " من ينتدب لهؤلاء في آثارهم حتى يعلموا إن بنا قوة"، فانُتدب أبو بكر والزبير في سبعين فخرجوا في آثار القوم، فسمعوا بهم فانصرفوا، قالت : فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يقاتلوا عدواً" [٣].

ثم توثقت علاقة الأسرة الزبيرية بأبي بكر الصديق ﷺ بالمصاهرة، إذ تزوج الزبير من أسماء بنت أبي بكر الصديق أخت السيدة عائشة أم المؤمنين ﷺ زوجة رسول الله ﷺ، ويظهر أنه تزوج من أسماء بمكة بعد الرجوع من الحبشة وقبل الهجرة إلى المدينة،إذ ولدت ابنها عبدالله بن الزبير في سنة ١هـ/٦٢٢م، وكانت حبلى به عندما هاجرت من مكة المكرمة، إذ تذكر المصادر بأن" أسماء خرجت حين هاجرت وهي حبلى بعبد الله فقدمت قباء فولدته هناك "[٤]، فكان بذلك أول مولود يولد في الإسلام، وبولادة عبد الله بن الزبير توثقت روابط الأسرتين بالدم والنسب،تتحدث أسماء بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنها- عن قصتها مع زوجها الزبير بن العوام فتقول: تزوجني الزبير ، وماله

---

[١] – محمود غيث خطاب، قادة فتح الشام ومصر، د.ط، (بيروت : دار الفتح، ١٩٦٥م)،ص ١٩٩.
[٢] – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٦٦٩ ؛ ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج ١، ص ١١٦.
[٣] – الأصبهاني، معرفة الصحابة، ص ٣٤٧ ؛ العسقلاني، الإصابة في تميز الصحابة، ج ١، ص ٥٤٦.
[٤] – محب الدين الطبري،الرياض النضرة في مناقب العشرة، ص ٢٤٧.

شئ غير فرسه فكنت أسوسه وأعلفه، وأدق لناضحـــه النوى، واستقي واعجن، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير الذي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي(١).

وكان الزبير ﷺ شديداً عليها فأتت أباها أبا بكر الصديق ﷺ فشكت ذلك إليه ذات يوم فقال لها: يابنية اصبري فإن المرأة إذا كان لها زوج صالح، ثم مات عنـــها فلـــم تتزوج بعده جمع بينهما في الجنة (٢).

يتضح من خلال هذا الحوار قوة محبة أبي بكر الصديق للزبير ﷺ ويقينه بصلاحه، إذ لم يقل شيئاً يمسه،بل حث ابنته على تحمل الحياة الزوجية وضرورة الصبر عليها .

وفي يوم البيعة لأبي بكر الصديق ﷺ يوم قبض رسول الله ﷺ لم يتخلف أحدٌ عن البيعة من قريش سوى عليّ ﷺ والزبير وطلحة بن عبيد الله وخالد بن العاص ﷺ(٣)، ثم بايعوه في البيعة العامة(٤)،حيث يُذكر أن أبا بكر قال لعلي بن أبي طالـــب ﷺ: قـــد علمت أني كنت في هذا الأمر من قبلك، قال: صدقت ياخليفة رسول الله، فمـــد يـــده فبايعه، فلما جاء الزبير قال أبوبكر: أما علمت أني كنت في هذا الأمر قبلك ؟ فمد يـــده فبايعه(٥).

ومن أخبار الزبير في عهد أبي بكر الصديق ﷺ أنه اشترك مع علي وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف ﷺ في الوقوف خلف الخليفة أبي بكر ﷺ لأداء صلاة الميت على جنازة فاطمة الزهراء- رضي الله عنها-(٦).

وقد كان له دورٌ في حرب الردة إذ ارتدت أحياء كثيرة من الأعراب عن الإسلام وظهر النفاق ومدعو النبوة بالمدينة، واشتد الحال، وقد أنفذ الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ

---

(١)- ابن سعد،الطبقات الكبرى، ج ٨، ص ٢٩٠.

(٢)- ابن سعد، الطبقات الكبرى ، ج ٨، ص ٢٩١.

(٣) — خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي وهو ابن أخ أبي جهل بن هشام، قتل أبوه العاص ببدر كافراً، استعمله عمر على مكة وكذلك عثمان،

ابن الأثير،أسد الغابة، ج ١، ص ص ٥٧٧-٥٧٨.

(٤) — محب الدين الطبري،الرياض النضرة في مناقب العشرة، ص ص ١١٩- ٢٠٠.

(٥) — محب الدين الطبري، الرياض النضرة في مناقب العشرة، ص ٢١٥.

(٦)— محب الدين الطبري، الرياض النضرة في مناقب العشرة، ص ٢١٥.

جيش أسامة بن زيد[1] إلى الشام فقلَّ الجند عنده، فطمعت الأعراب في المدينـــة، وقـــرروا الهجوم عليها، فجعل الصديق على أنقاب المدينة حراساً يبثون بالجيوش حولها، وعقد الألوية لأحد عشر أميراً، وكان أحد أمراء الحرس الزبير بن العوام ﷺ[2]، وقد استمرت حـــروب المرتدين عاماً ونصف العام حتى عادت الجزيرة كلها مؤمنة وكان النصر للإسلام[3].

ثم يأتي دور الزبير بن العوام ﷺ في عهد الصديق ﷺ أثناء جهاده في سبيل الـــدين خارج الجزيرة العربية،عندما دعا الخليفة أبو بكر ﷺ إلى مجلس يضم القادة لمناقـــشة فـــتح جبهات متتالية ضد أقوى قوتين عالميتين في تلك الفترة من التاريخ، وهمـــا الإمبراطوريـــة الفارسية التي حكمت العراق ، والإمبراطورية الرومانية التي حكمت الشام، وبعـــد اتخـــاذ القرار دعا القادة إلى اجتماع حرب يستنفرهم فكان رأي الجميع الموافقة علـــى القـــرار، والذي يهمنا هنا أن الزبير بن العوام ﷺكان أحد القادة الذين ساعدوا وساندوا الخليفة في إتمام العمليات العسكرية [4]. وسنرى كيف برز دوره في معركة اليرموك، إذ خرج خالـــد بن الوليد في ستة وثلاثين من الكراديس، وجعل لكل كردوس رئيساً يأتمر بأمر رئيس الميمنة أو الميسرة أو القلب، وكل كردوس يزيد قليلا عن الألف، وكان الزبير ﷺ أحد القـــادة الذين أسهموا في إحراز النصر يوم اليرموك،إذ تولى إمارة أحد الكراديس وأصيب بجـــرح غائر[5]، وقد قال له أصحاب رسول الله ﷺ يوم اليرموك :" ألا تشد فنشد معك فحمـــل عليهم فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضربها يوم بدر، وقد قال عروة : كنـــت أدخل أصابعي في تلك الضربـــات ألعب وأنا صغير [6]، ورُوي أن في صدره لأمثال العيون من الطعن والرمي[7].

---

[1]- أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبدالعزى بن زيد بن امرئ القيس بن عامر بن كلب، أمه أم أيمن حاضنة رسول الله، وقد قال عنه النبي ﷺ " إن أسامة بن زيد أحب الناس إليَّ، فاستوصوا به خيراً" يُقال إنه توفي آخـــر أيـــام معاوية ســـنة (٥٨هـــ/٦٧٧م) أو (٥٩هـــ/٦٧٨م)، بالجرف وحُمِل إلى المدينة.

ابن الأثير، أسد الغابة، ج ١، ص ص ٧٩ – ٨١.

[2] –محمد بن أحمد كنعان، تاريخ الخلافة الراشدة (خلاصة تاريخ ابن كثير)، الطبعة الأولى، (بـــيروت : مكتبـــة المعـــارف، ١٤١٧هـــ= ١٩٩٧م)، ص ص٣١ – ٣٧ .

[3] –محمد علي مغربي،أعلام الصحابة(١)، الطبعة الأولى،(جدة : دار العلم،، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م)، ص ١٠٧ .

[4] –أحمد إسماعيل علي، تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل الميلاد حتى نهاية العصر الأموي، الطبعة الثالثة، (دمـــشق: دار دمـــشق، ١٩٩٤م)، ص ١٠٣ .

[5] – الهاشمي، من أعلام الصحابة، ص ص١٣٠-١٣١.

[6] – محب الدين الطبري،الرياض النضرة في مناقب العشرة، ص ٢٣٩.

[7] – محب الدين الطبري، الرياض النضرة في مناقب العشرة، ص ٢٤٠.

ثم إن أبا بكر ﷺ لم يبخل على الزبير ﷺ فقد ذكرت المصادر أن أبا بكر ﷺ أقطع الزبير ﷺ الجرف[1].

■ الأسرة الزبيرية في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ:

كان الزبير ﷺ محلّ ثقةٍ وتقدير من عمر بن الخطاب ﷺ، فقد كان يعده أحد الصحابة الذين تركهم النبي ﷺ وهو راضٍ عنهم، وقد ظهر ذلك في أكثر من موقف ومن ذلك ،إنه حين قسَّم الطعام الذي أرسله عمرو بن العاص ﷺ عام الرمادة سنة ١٨هـ للمسلمين فقال له الخليفة عمر ﷺ:"تعترض العير فتميلها إلى أهل البادية فتقسمها بينهم، فوالله لعلك تكون أصبت بعد صحبتك رسول الله ﷺ شيئاً أفضل منه، فأبى الزبير ﷺ واعتل"[2]. فبالرغم أن ابن الزبير ﷺ لم يوافق إلا أن هذا الموقف يدلنا على مدى حرص الخليفة عمر ﷺ على أخذ رأي الزبير في أي أمر يخص الجماعة ،وكذلك موقفه أثناء سؤال الناس عمر ﷺ أن يستخلف فأبى، فصعد عمر ﷺ يوماً المنبر وأوصى بأنه إذا مات أن يكون أمر المسلمين إلى الستة الذين فارقوا الرسول ﷺ وهو راضٍ عنهم وقال عنهم إنهم من أهل الجنة، وكان من بينهم الزبير بن العوام ﷺ[3].

- قول عمر ﷺ عنه لو عهدت عهداً أو تركت تركة لكان أحب إلي أن أجعلها إلى الزبير فانه ركن من أركان الدين[4].

- وسمع عمر ﷺ رجلاً يقول : أنا ابن حواري رسول الله ﷺ، فقال عمر ﷺ إن كنت من آل الزبير وإلا فلا[5].

---

[1] — ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص٦٧٢.

[2] — ابن سعد،الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ص ٢٤٣-٢٤٤.

قيل : " إن عمر كتب إلى عمرو بن العاص عام الرمادة : من عبدالله عمر أمير المؤمنين إلى العاص بن العاص أما بعد، افتراني هالكاً ومن قبلي وتعيش أنت ومن قبلك؟ فيا غوثاه،ثلاثاً".

ابن سعد،الطبقات الكبرى، ج ٣ ص ٢٤٣.

[3] —البخاري، الصحيح، ج ٣، ص١١٣٩ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٢٢٨ ؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٢، ص ٩٩.

[4] — الأصبهاني، معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٣٥٥ ؛ العسقلاني، الإصابة في تميز الصحابة، ج ١، ص٥٤٦.

[5] — الأصبهاني، معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٣٥٦ ؛ العسقلاني، الإصابة في تميز الصحابة، ج ١، ص٥٤٦.

- وسُئِل عمر بن الخطاب ﷺ يوم طُعن عمن يستخلف ؟ فكرر قوله: علـيكم هـؤلاء الرهط الذين قال عنهم رسول الله ﷺ " إنهم من أهل الجنة، وذكر منهم الزبير بن العوام حواري رسول الله وابن عمته"[1].

وقد أقطع عمر الزبير ﷺ العقيق أجمع[2]،ولم يستثنِ عمر ﷺ بقية الأسرة الزبيرية من العطاء، فعندما فرض عمر ﷺ الأعطية، فرض لأسماء بنت أبي بكر-رضي الله عنها- ألف درهم[3].

أخبار الزبير في عهد عمر بن الخطاب ﷺ:

يروي ابن سعد أنه اجتمع علي وعثمان والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عـوف وسعد بن أبي وقاص ﷺ[4] وكان أجرأهم على عمر عبد الرحمن بن عوف، قالوا : يـا عبد الرحمن ! لو كلمت أمير المؤمنين للناس، فإنه يأتي الرجل يطلب الحاجة فتمنعه هيبته أن يكلمه في حاجته حتى يرجع و لم تقض حاجته، فدخل عليه فكلمه فقال: يـا أمـير المؤمنين لِن للناس فإنه يقدم عليك القادم فتمنعه هيبتك أن يكلمك في حاجته حتى يرجع و لم يكلمك، قال: يا عبد الرحمن أنشدك بالله أعلي وعثمان وطلحة والزبير أمروك بهذا ؟ قال: اللهم نعم ! قال: يا عبد الرحمن لقد لنت للناس حتى خشيت الله في الشدة، فـأين المخرج ؟ فقام عبد الرحمن يبكي، يجري رداءه، ويقول : أف لهم بعدك[5].

ومن أخباره كذلك في عهد عمر ﷺ: أن رجلاً من بني أسد شهد عمرﷺ يسأل أصحابه ومنهم طلحة وسلمان والزبير وكعب ﷺ فقال : إني سائلكم عن شيء فإيـاكم أن تكذبوني وتهلكوا أنفسكم، أنشدكم بالله: أخليفة أنـا أم ملـك! فقـال: طلحـة

---

(1) – اليعقوبي،تاريخ، ج٢، ص ١٦٠، الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ص ٢٢٧-٢٢٨.

(2) – محب الدين الطبري، الرياض النضرة، ص ٢٣٩.

(3) – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص ٢٩٤.

(4) – سعد بن أبي وقاص بن مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري (٢٣ق.هـ - ٥٥هـ)، المكي أصلاً، الكوفي إقامـة، المـدني وفاة، الملقب بفارس الإسلام، فاتح العراق ومدائن كسرى، شهد الخندق والحديبية وخيبر وفتح مكة، وكانت معه إحدى رايات المهاجرين الثلاث، نزل الكوفة فجعلها خططاً لقبائل العرب، وابتنى فيها داراً فكان أول الأمراء عليها، وكان ثلثاً في الإسلام، وأول من رمى بسـهم في سبيل الله، وكان من أصحاب الشورى، جمع النبي له أبويه يوم أحد، مات بالعقيق فحمل إلى المدينة ودفن بها.
ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص ص ١٨ - ٣٤ ؛ ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج١، ص ١٢٢ ؛ فؤاد صالح السيد، معجم الأوائل في تاريخ العرب والمسلمين، الطبعة الأولى، (بيروت: دار المناهل، ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢م)، ص ٢٤.

(5) – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٣١٤.

والزبير ﷺ! إنك لتسألنا عن أمر ما نعرفه، ما ندري ما الخليفة من الملك، فانبرى سلمان من وسط الملأ ليجيب عن سؤال عمر، وقال له بأنه خليفة وليس بملك مادام يسير على سنة الله ورسوله [1] ﷺ، ما يدل على أن الزبير كان من أصحاب الشورى وممن كانت لهم كلمتهم عند الخليفة ومن يثق بآرائهم لما عُرف عنه من حكمة وسداد رأي.

ومن أخباره كذلك: عندما اشتدت حاجة الخليفة عمر ﷺ في القوت اجتمع نفر من الصحابة منهم عثمان وعلي وطلحة والزبير ﷺ فقالوا: لو قلنا لعمر في زيادة نزيده إياها في رزقه. فرفض، وقال لابنته حفصة أبلغيهم أن رسول الله ﷺ قدر فوضع الفضول مواضعها وتبلغ بالتزجية، فوالله لأضعن الفضول ولأتبلغن بالتزجية[2].

دور الزبير ﷺ في الفتوحات:

كان للزبير ﷺ دور بارز في حركة الجهاد والفتوحات من أجل إعلاء راية الإسلام ، حيث شارك في العديد من المعارك والفتوحات وهي:

١. معركة القادسية:

كان الزبير آنئذٍ في المدينة راجعاً من الشام بعد مشاركته في معركة اليرموك، ولما عزم الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ المسير بنفسه لقيادة جيش القادسية كان الزبير ﷺ من أوائل الصحابة استعداداً للانضواء تحت لواء جيش الخلافة، وقد قلده عمر ﷺ مركزاً عسكرياً مهماً، حيث كان هو وعبد الرحمن بن عوف ﷺ على المجنبتين وتحرك الجيش ثم توقف الخليفة في موضع من المدينة واجتمع بقادة الجيش والصحابة للتشاور، ووصل الأمر ببقاء

---

[1] سجيل إبراهيم حبيب ، سيرة الزبير بن العوام، ص ٩٦.

[2] — ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،د.ط ، (بيروت: دار صادر، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٠م)، ج٢، ص ص ٤٠٤ – ٤٠٥ . التزجية : الاكتفاء.

يذكر : أن عمر بن الخطاب أبى إلا الشدة وحصر على نفسه، فجاء المسلمون فدخلوا على حفصة، فقالوا : أبى عمر إلا شدة على نفسه وحصراً، وقد بسط الله في الرزق، فليبسط في هذا الفيء فيما شاء منه، وهو في حل من جماعة، فكأنما قاربتهم في هواهم، فلما انصرفوا من عندها، دخل عليها عمر فأخبرته بالذي قال القوم، فقال : ياحفصة بنت عمر نصحت قومك وغششت أباك، إنما حق أهلي على نفسي ومالي، فأما في ديني وأمانتي فلا.

ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٢٠٠.

عمر ﷺ في المدينة وإرسال سعد بن أبي وقاص محله، وقد بقي الزبير مع الخليفة ﷺ في المدينة للتعاون في إدارة شؤون الحكم[1].

٢. فتح مصر:

كان للزبير دور بارز في فتح مصر، فلّما قصد عمرو بن العاص ﷺ[2] مصر لفتحها، كتب إلى الخليفة يستمده، فأرسل له اثني عشر ألفا[3] فوصلوا إليه وكن فيهم أربعة الآف، عليهم أربعة من الصحابة الكرام، الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود[4] وعبادة بن الصامت[5] ومسلمة بن مخلد[6] ﷺ. وحين قدم الزبير على عمرو ﷺ وجده مُحاصِراً حصن بابليون[7]، حيث دام الحصار سبعة أشهر، وطال الحصار فقيل

---

[1] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ص ٤٥٠– ٤٥٢.

[2] – عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي السهمي، وهو الذي أرسلته قريش إلى النجاشي لتسليم من عنده من المسلمين، فخرج من عنده مهاجراً إلى النبي ﷺ فأسلم عام خيبر، وقيل أسلم عند النجاشي قبل فتح مكة بستة اشهر، استعمله الرسول على عُمان إلى أن توفي النبي ﷺ، وولاه أبو بكر أميراً لفتح الشام، ثم ولاه عمر فلسطين، وفتح مصر وتولى أمرها، ثم أقرّه عثمان عليها أربع سنين، وكان أحد الحَكَمَين يوم التحكيم زمن علي بن أبي طالب، ثم استعمله معاوية على مصر إلى أن مات سنة(٤٣هـ/٦٦٣م).

ابن الاثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ص٧٤٠ – ٧٤٣.

[3] –أبو العباس أحمد بن يحي بن جابر البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، عمر أنيس الطباع، (بيروت: مؤسسة المعارف، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م)، ص٣٠٠.

[4] – هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطرود بن عمرو بن سعد بن وهير بن لؤي بن ثعلبة بن مالك بن قُضاعة البهراوي المعروف بالمقداد بن الأسود وينسب إلى الأسود بن عبد يغوث الزهري، ونسب إليه لأنه حالفه فتبناه الأسود، قديم الإسلام من السابقين، وهاجر إلى الحبشة ولم يقدر على الهجرة إلى المدينة حتى بعث رسول الله عبيدة بن الحارث في سرية فانحاز المقداد إلى المسلمين، شهد بدرا وكان له فيها فرس، وشهد أحداً والمشاهد كلها مع رسول الله عليه السلام.

ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٤، ص ص ٤٧٦–٤٧٧.

[5] – عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن قوقل، اسمه غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، شهد العقبة الأولى والثانية، شهد بدرا وأحداً والخندق والمشاهد كلها، استعمله النبي على بعض الصدقات، كان ممن جمع القرآن زمن الرسول، وكان يعلم أهل الصفة ثم أرسله عمر ليعلم الناس القرآن بالشام، توفي سنة (٣٤هـ/٦٥٤م)، بالرملة وقيل بالبيت المقدس وهو ابن اثنين وسبعين .

ابن الأثير،أسد الغابة، ج ٣، ص ص ٥٦–٥٧.

[6] – هو مسلمة بن مخلد بن الصامت بن نيار بن لوذان بن عبد ودّ بن زيد بن ثعلبة ابن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الخزرجي الساعدي، ولُد حين قدم النبي المدينة مهاجراً، وشهد بعد النبي فتح مصر وسكنها، ثم تحول إلى المدينة وكان من أصحاب معاوية، وشهد معه صفين، استعمله معاوية على مصر والمغرب، توفي سنة (٦٢هـ/٦٨١م)، بالمدينة وقيل بمصر .

ابن الأثير، أسد الغابة،،ج٤، ص ص ٣٩٨–٣٩٩.

[7] – البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٩٩–٣٠٠ ؛ الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ص ٢٩٧–٢٩٨.

للزبير ﷺ: إن بها الطاعون، فقال: إنما جئت للطعن والطاعون[1]، ثم أبطأ الفتح على عمرو بن العاص ﷺ، فقال الزبير ﷺ: إني أهب نفسي لله ﷻ فمن شاء أن يتبعني فليفعل، فوضع سلماً وأسنده إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام،ثم صعد وأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعاً، فما شعروا إلا والزبير ﷺ على رأس الحصن يكبر ومعه السيف، وقيل إن الزبير ﷺ هو أول من علا حصنها [2]- فلما رأى الروم أن العرب قد ظفروا بالحصن انسحبوا[3]، وبذلك فتح حصن بابليون أبوابه للمسلمين فانتهت بفتحه المعركة الحاسمة لفتح مصر سنة ٢٠هـ/٦٤٠م [4].

وعقد عمرو بن العاص ﷺ والمقوقس[5] صلحاً بعد استلام الحصن، وكان الزبير ﷺ ممن شهدوا هذا الصلح، ولم يكن الزبير ﷺ الشاهد الوحيد من أسرته على ذلك بل كان هناك عدد من أفراد أسرته،منهم ابنه عبد الله وابنه محمد،كانوا شهوداً على وثيقة الصلح بين الطرفين، فاختط الزبير ﷺ بمصر وابتنى بها داراً معروفة[6].

ولما أنجز عمرو بن العاص ﷺ بمعاونة الزبير فتح مصر قال الزبير ﷺ: اقسمها يا عمرو ! فأبى إلا أن يأتيه أمر من عمر بن الخطاب ﷺ بذلك، فقال الزبير: والله لتقسمنها كما قسم رسول الله ﷺ خيبر، فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب ﷺ، فلم يوافق عمر ﷺ على قسمتها[7].

وما يدل على علو مكانة الزبير عند عمر بن الخطاب ﷺ أن عمر ﷺ سأل الزبير ﷺ " يا أبا عبد الله هل لك في ولاية مصر ؟ فقال: لا حاجة لي فيها، ولكن أخرج مجاهداً وللمسلمين معاوناً، فإن وجدت عمراً قد فتحها لم أعرض لعمله وقصدت إلى بعض السواحل فرابطت بها، وإن وجدته في جهاد كنت معه[8]".

---

(1) – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٦٧٦ ؛البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٩٩.

(2) – البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٠١.

(3) – الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ص ٢٩٨-٢٩٩ ؛ إبراهيم عبد الكريم السنيدي، الصحابي الجليل الزبير بن العوام، مجلة كلية الملك خالد العسكرية، العدد ٤٠، (شتاء : ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م)، ص ١١٣.

(4) – البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٠٩.

(5) – المقوقس صاحب الإسكندرية، أهدى إلى النبي ﷺ، ولم يسلم ولم يزل نصرانياً، ومنه فتح المسلمون مصر، اسمه جريج. ابن الأثير،أسد الغابة،، ج ٤ ، ص ٤٨٠.

(6) – البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٩٩ .

(7) – البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٠٠.

(8) – البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٩٩.

٢. الأسرة الزبيرية في خلافة عثمان بن عفان ﷺ وموقفها من الفتنة.

كان الزبير بن العوام ﷺ أحد المقربين إلى الخليفة عثمان بن عفان ﷺ، وقد بدأت علاقتهما ببعض قبل الإسلام، وتوطدت بعده، وظهرت بشكل أقوى منذ إسلامهما معاً على يد أبي بكر الصديق ﷺ ، فقد ذكر ابن هشام : أسلم بدعاء أبي بكر ﷺ ، عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله ﷺ، فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له،فأسلموا وصلوا، فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام فصلوا وصدقوا رسول الله ﷺ بما جاءه من الله[1].

وفي رواية أخرى عن إسلامهما "أن عثمان وطلحة خرجا على أثر الزبير بن العوام ﷺ فدخلا على رسول الله ﷺ فعرض عليهما الإسلام وقرأ عليهما القرآن وأنبأهما بحقوق الإسلام فآمنا وصدقا"[2].

ثم توطدت العلاقة بشكل أوسع وأوثق على يد رسول الله ﷺ في أيام المحن في مكة وتنكيل قريش بالمسلمين، ثم كانا معاً في الهجرة إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وبقيت علاقتهما قوية في أيام خلافة أبي بكر الصديق ﷺ ، وأصبح هو وعثمان بن عفان وعلي وسعد وطلحة وعبد الرحمن ﷺ من أهل الشورى في خلافة عمر ﷺ. كماكان من جملة المرشحين للخلافة-كما ذكرنا سابقاً-، ولمّا تولى عثمان ﷺ الخلافة بايعه الزبير ﷺ ولم يخالفه[3].

إلا أن هناك من المتغيرات في عهد الخليفة عثمان ﷺ ، منها ما ذكره ابن سعد بقوله:" لما ولي عثمان استمر ست سنين لا ينقم الناس عليه شيئاً [4]، وأنه لأحب إلى قريش من عمر بن الخطاب، لأن عمر كان شديداً عليهم، فلما وليهم عثمان لان [5]لهم ووصلهم، ثم توانى في أمرهم إذ كان كثير اليد والإحسان

---

(1) – ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ص ٢٣٩ – ٢٤١.

(2) – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٦١٠.

(3) محمد علي مغربي، عثمان بن عفان ذو النورين،الطبعة الأولى،(جدة : دار العلم، ١٤٠٤هـ =١٩٨٤م)، ص ٢١ .

(4) – اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ١٧٣.

(5) –" ذهب بعضهم إلى أن لين عثمان كان أقوى سبب لموقف دعاة الفتنة لما أحاطوا به في المدينة لينزعوا عنه القميص الذي ألبسه الله إياه بإجماع الأمة خاصتها وعامتها، وما كان هذا من لينه وإنما كان ليقينه أنه سوف يلقى الله شهيداً أو كانت شهادته موعوداً بها من النبي عليه السلام في أكثر من مرة".

لأهل بيته فقد استعمل أقرباءه وأهل بيته في الست الأواخر[1]، وكتب لمروان بن الحكم[2] بخمس مصر، وأعطى أقرباءه المال وتأول في تلك الصلة التي أمر الله بها، واتخذ الأموال واستلف من بيت المال وقال: إن أبا بكر وعمر تركا من ذلك ما هو لهما وإني أخذته فقسمته في أقربائي، فأنكر الناس عليه ذلك"[3].

وحين احتج عليه الناس ذلك رد بقوله: " أنا أخبركم عني وعما وليت، إن صاحبيَّ اللذين كانا قبلي ظلما أنفسهما ومن كان منهما بسبيل احتساباً، وإن رسول الله ﷺ كان يعطي قرابته، وأنا في رهط أهل عيلة وقلة معاش، فبسطت يدي في شيء من ذلك لما أقوم به فيه، فإن رأيتم ذلك خطأ فردوه، فأمري لأمركم تبع"[4].

ومن المتغيرات كذلك في عهده تركه الصحابة ﷺ يخرجون خارج المدينة دون أن يمنعهم كما كان عمر بن الخطاب ﷺ يفعل، فقد حاصرهم عمر ﷺ بالمدينة وكان يقول : أخوف ما أخاف على هذه الأمة انتشاركم في البلاد، ولما ولي عثمان ﷺ خلّى عنهم فانتشروا في البلاد وانقطع إليهم الناس[5]. وسوف نرى نتائج هذه المتغيرات فيما بعد.

وقد سمح عثمان بن عفان ﷺ في أواخر خلافته للصحابة ﷺ بأن يستبدلوا أملاكهم في الحجاز أملاكا في الأمصار التي هاجروا إليها،حيث اقتنى جماعة من الصحابةﷺ الضياع والدور، ومنهم الزبير بن العوام ﷺ حيث بنى دارا له في البصرة [6]، فترلها التجار وأرباب الأموال وأصحاب الجهاز من البحرين وغيرهم، وابتنى دورا بمصر

= فتحي السيد أحمد الرشيدي، عثمان بن عفان وسياسته في الحكم والإدارة، رسالة ماجستير، (القاهرة: جامعة الأزهر، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م)، ص١٢٤.

(١) – اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ١٧٤.

(٢) – هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، يكنى(أبا عبد الله) وهو ابن عم عثمان بن عفان، وُلد على عهد رسول الله لم ير النبي لأنه خرج إلى الطائف طفلا لما نفى النبي أباه الحكم إليها، ثم لما استخلف عثمان ردهما، استعمله معاوية على المدينة ومكة والطائف ثم عزله، ثم استقام له الأمر بالشام ومصر، كانت مدة ولايته تسعة اشهر ثم توفي .

ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٤، ص ص ٣٦٨ – ٣٦٩.

(٣) – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٦٢٣.

(٤) –الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٣٤٥ ؛ صادق إبراهيم عرجون، عثمان بن عفان، الطبعة الثالثة،(جدة : الدار السعودية، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٣م)، ص ٩٨ .

(٥) – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٨١.

(٦) – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٦٨٠ ؛ المسعودي، مروج الذهب،ج ٢، ص ٢٦٢؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، (القاهرة : مطبعة حجازي، ١٩٩٥م)، ص ٣٤٤ .

والكوفة والإسكندريـــة وفي البيت الذي ابتناه في مصر نزل ابنه عبد الله بن الـــزبير ﷺ، حين غزا أفريقيا مع ابن أبي السرح ﷺ[١].

ويظهر مما سبق أن الخليفة عثمان ﷺ سمح للصحابة ﷺ بمزاولة التجارة في عهده، ومنهم صديقه الزبير ﷺ ،مما سيكون له الأثر فيما بعد، حيث أنكر عليه الناس ذلك، ومما ورد عن علاقة الزبير بعثمان ﷺ أن عثمان ﷺ أجاز الزبير بن العوام ﷺ بستمائة ألف، فترل على أخواله ببني كاهل فقال: أي المال أجود؟ قالوا: مال أصبهان[٢]، قال: أعطوني من مال اصبهان[٣].

ومما روي عن أيضاً عن ممارسة الزبير ﷺ للتجارة في عهد عثمان بن عفـــان ﷺ وهو: أن عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال: أشهد أن رسول الله ﷺ أقطعني وعمـــر بـــن الخطاب أرض كـــــذا وكذا،فذهب الزبير إلى آل عمر ﷺ فاشترى منهم نصيبهم وقال لعثمان ﷺ ، إن ابن عوف قال كذا وكذا فقال: هو جائز الشهادة له وعليه[٤].

ثم إن علياً بن أبي طالب ﷺ أنكر على عثمان ﷺ ضعفه ورقته علـــى أقربائـــه، وذّكره بأن عمر ﷺ كان شديداً على عماله، وكيف كان يعاقبهم على أخطائهم، وهنا يذكر لنا ابن الأثير ما دار بين عثمان وعلي ﷺ :" قال عثمان ﷺ: هل تعلم أن عمر ولّى معاوية ؟ فقد وليته، فقال علي : أنشدك الله، هل تعلم أن معاوية كان أخوف لعمر مـــن يرفأ غلام عمر له؟ قال : نعم، قال علي: فإن معاوية يقتطع الأمور دونك ويقول للناس: هذا أمر عثمان وأنت تعلم ذلك فلا تغير عليه"[٥].

---

[١] – البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٩٩.

عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشي العامري، قريش الظواهر لـيس من البطاح، وهو أخو عثمان من الرضاعة، أرضعت أمه عثمان، أسلم قبل الفتح وهاجر إلى رسول الله، وكان يكتب الوحي عـن رسـول الله ﷺ ثم ارتد مشركاً وصار إلى قريش بمكة، فلما كان يوم الفتح أمر الرسول بقتله، ففر إلى عثمان، فغيبه حتى أتى بـه إلى رسـول الله فاستأمنه له، وأسلم ذلك اليوم وحسن إسلامه، ثم ولاه عثمان مصر ففتح على يده أفريقية، توفي بعسقلان سنة (٣٦هـ/٦٥٦م)، وقيل سنة (٣٧هـ/٦٥٧م).

[٢] – أصبهان: مدينة عظيمة من أعلام المدن، مساحتها ثمانون فرسخاً وهي ستة عشر رستاقاً، كل رستاق ثلاثمائة وستون قرية قديمة سوى المحدثة وهي غاية في الطيب والصحة والعذوبة، وخرج منها العلماء والأئمة في كل فن مالم يخرج من مدينة من المدن، فتحت في عهد عمر بن الخطاب بعد فتح نهاوند.

الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ص ٢٤٤ – ٢٤٩.

[٣] – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٦٧٦.

[٤] – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٦.

[٥] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ص٣٣٧–٣٣٨ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٨١.

يتضح لنا من خلال الحوار الذي دار بينهما أن عثمان بن عفان ﷺ لم يكن يستعمل الشدة مع عماله في الولايات المختلفة على عكس ما كان يتصف به عمر بن الخطاب ﷺ مع عماله في الأقاليم.

وامتدت العلاقة بين الخليفة عثمان ﷺ والأسرة الزبيرية،ويظهر ذلك جلياً في إعجاب عثمان ﷺ بعبد الله بن الزبير ﷺ عند اشتراكه في فتح شمال أفريقيا[1]، فحين وصل الجيش الإسلامي إلى قرطاجة[2] بقيادة عبد الله بن أبي السرح ﷺ – وكان أخا عثمان بن عفان من الرضاعة[3] – وجد جيش البطريق جريجوريوس (جرجير) والموالين له كبير العدد، مما أخاف ابن أبي السرح ﷺ ، فطلب المدد من الخليفة عثمان ﷺ فأرسل عبد الله بن الزبير ﷺ في جماعة، حيث وضع خطة جديدة للقتال تعتمد على المباغتة، فنجحت الخطة واستطاع الجيش الإسلامي الوصول إلى معسكر الروم والوصول إلى خيمة جريجوريوس وقتله[4]، ويذكر البلاذري في كتابه قول عبد الله بن الزبير ﷺ حيث قال:

"أغزانا عثمان بن عفان أفريقية، وكان بها بطريق سلطانه من أطرابلس إلى طنجة، فسار عبد الله بن أبي السرح حتى حل بعقوبة، فقاتله أياما حتى قتله الله، وكنت أنا الذي قتلته وهرب جيشه فتمزقوا، وأصاب المسلمون غنائم كثيرة"[5].

ثم كان دور عبد الله بن الزبير ﷺ في سوسة[6]، حين بعثه معاوية بن

---

[1] – عبد الرحمن عبد الله محمد المقرن، ولاية أفريقية في العهد الأموي، رسالة ماجستير، (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: ١٤٠٥– ١٤٠٦هـ)، ص ١٢.

[2] – قرطاجة: بلد قديم من نواحي أفريقية، كانت مدينة عظيمة شامخة البناء، أسوارها من الرخام الأبيض، بنى المسلمون من رخامها – لما خربت– عدة مدن.

الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ص ٣٦٧–٣٦٨.

[3] –أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، جمال الشيال، (مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٣٧٩هـ = ١٩٥٩م)، ص١٣٩.

[4] – ابن الأثير، أسد الغابة، ج٣، ص١٣٩؛ شحادة علي الناطور، عبد الله بن الزبير والانتفاضة الثورية في عهد بني أمية، الطبعة الأولى،(عمان : دار ابن رشد، ١٩٨٤م)، ص ٢٠،٢١ .

[5] – البلاذري، فتوح البلدان، ص٣١٨.

[6] – سوسة: بلد بالمغرب وهي مدينة عظيمة بها قوم لونهم الحنطة يضرب إلى الصفرة وبين سوسة والمهدية ثلاثة أيام، خرج منها محدثون وفقهاء وأدباء، ومن القيروان إلى سوسة ستة وثلاثون ميلاً، ويحيط بها الماء من ثلاث نواح الشمال والجنوب والشرق.

الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٢٠.

حديج[1] لقتال نقفور، وعندما بلغ نقفور أن عبد الله بن الزبير ﷺ نزل بساحل سوسة، رجع مراكبه وأخلى ذلك الساحل فترل عبد الله في جيشه حتى بلغ البحر ونزل على باب مدينة سوسة، ونزل عن فرسه وصلى بالناس صلاة العصر والروم يتعجبون من قلة اكتراثه بهم، فزحفوا إليه وهو مقبل على صلاته حتى فرغ منها فركب وشد عليهم فهزمهم حتى حجزهم في مدينتهم[2].

ومما يدل على قوة العلاقة بين عثمان بن عفان ﷺ وأسرة الزبير بن العوام ﷺ أن عبد الله بن الزبير ﷺ هو الذي انطلق إلى أمير المؤمنين عثمان ﷺ مبشراً بما أفاء الله على المسلمين من الفتح، حيث" قدم عبدالله بن الزبير على الخليفة عند فتح أفريقية فأخبره مشافهة، وقص عليه كيف كانت الواقعة، فأعجب عثمان ماسمع منه فقال له: تقوم بمثل هذا الكلام على الناس؟ فقال يا أمير المؤمنين: أنا أهيب لك مني لهم، فقام عثمان في الناس خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس: إن الله قد فتح عليكم أفريقية، وهذا عبد الله بن الزبير يخبركم خبرها إن شاء الله، وكان عبد الله بن الزبير إلى جانب المنبر فقام خطيباً وكان أول من خطب إلى جانب المنبر ثم سكت، فنهض إليه أبوه الزبير فقبل عينيه وقال:﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[3] يابني مازلت تنطق بلسان أبي بكر حتى صمت"[4].

ويُقال إن أباه أخذ بيده بعد سماعه ما قاله ابنه وقال مُفتخراً: إذا أردت أن تتزوج امرأة فانظر إلى أبيها وأخيها قبل أن تتزوجها[5]. وكأنه يشبهه ببلاغة أبي بكر الصديق ﷺ إذ كان جده.

---

[1] – معاوية بن حديج بن جفنة بن حارثة بن عبد شمس بن معاوية، ابن جعفر بن أسامة بن سعد بن أشرس بن شبيب بن السكون السكوني، وقيل الكندي وقيل الخولاني، يُقال بأنه هو الذي قتل محمد بن أبي بكر بأمر من عمرو بن العاص، غزا أفريقية ثلاث مرات فأصيبت عينه في إحداها، وقيل غزا الحبشة مع ابن أبي السرح فأصيبت عينه هناك .

ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٤، ص ص ٤٣٠-٤٣١.

[2] – الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٢١.

[3] – سورة آل عمران ، آية رقم ٣٤.

[4] – ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٤، ص ص ٩٩-١٠٠؛ العسقلاني، الإصابة في تميز الصحابة، ج٢، ص٣١١ ؛ أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، د.ط ، (بيروت : المكتبة العلمية ، ١٣٥٢هـ = ١٩٣٣م) ، ج١، ص ص ٢٧٩-٢٨٠؛ الناطور، عبد الله بن الزبير والانتفاضة الثورية، ص ٢٣ ؛ شفيق جبري، البيان الصادق، المجلة العربية، العدد ١، (السعودية: محرم، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٨م)، ص ١٤ .

[5] – حبيب، سيرة الزبير بن العوام، ص ١٢٥.

ومما يدل على ثقة عثمان بن عفان رضي الله عنه بعبد الله بن الزبير رضي الله عنه، أنه أوكل إليه مهمة نسخ ما جُمع من القرآن الكريم في الرقاع زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، بعد أن أخذها من حفصة بنت عمر رضي الله عنها وأمر زيد بن ثابت رضي الله عنه[1] وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص [2]وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام[3] فنسخوها في المصاحف، وقال لهم عثمان رضي الله عنه: إذا اختلفتم فاكتبوها بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم[4].

وفي خضم هذه الأحداث في عهد عثمان رضي الله عنه من مزاولة التجارة وجمع القرآن، كانت هناك نار الحقد لا زالت تستعر في قلوب الذين أضر الإسلام بمصالحهم ومن أسلم من اليهود ظاهراً، وممن دخل الإسلام حديثاً ولم يترسخ في أعماقه وكانت توجد فئات منهم في مصر والكوفة والبصرة والشام، كل هذه العوامل أدت إلى الفتنة المُدبرة من قبل السبئيين[5] إذ زوروا الرسائل على ألسنة بعض الصحابة رضي الله عنهم، منهم: عليّ وطلحة

---

[1] – زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان الأنصاري الخزرجي، كان عمره لما قدم النبي عليه السلام المدينة إحدى عشرة سنة، استصغره الرسول يوم بدر فرده، وأول مشاهده الخندق، وكان يكتب لرسول الله الوحي، وكانت ترد إلى الرسول ﷺ كتب بالسريانية فأمر زيد فتعلمها، وكتب بعد النبي ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، توفي سنة (٤٥هـ/٦٦٥م)، وصلى عليه مروان بن الحكم، ولما توفي قال ابو هريرة: اليوم مات حبر هذه الأمة.

ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٢، ص ص ١٢٦–١٢٧.

[2] – سعيد بن العاص بن سعيد بن أبي احيحة بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، كان عمره حينما توفى رسول الله عليه السلام تسع سنين،، قُتل أبوه يوم بدر كافراً، أستعمله عثمان– رضي الله عنه– على الكوفة، اعتزل الفتنة في خلافة عثمان، استعمله معاوية على المدينة وصلى على الحسن بن علي فترة ولايته عليها.

ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ص ٣٢ –٤٠.

[3] – عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي، أمه فاطمة بنت الوليد بن المغيرة، توفي أبوه الحارث بن هشام في طاعون عمواس، فتزوج عمر بن الخطاب امرأته فاطمة أم عبد الرحمن، ونشأ عبد الرحمن في حجر عمر، وشهد الجمل مع عائشة، وكان صهر عثمان، تزوج مريم ابنة عثمان،توفي في خلافة معاوية.

ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ص ٣٢٧–٣٢٨.

[4] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١١٢.

[5] – السبئية: اللفظة تعني نسبة هذه الطائفة إلى عبد الله بن سبأ، نشأت طائفة السبئية قبل خلافة علي– رضي الله عنه–، يزعمون أن نبي الله كتم عن أمته تسعة أعشار القرآن، وهم بعد هذا يهتدون لوحي ضل عنه الناس وعلم خفي،ويعتقدون بالوهية علي بن أبي طالب ويقولون بالرجعة وأن الأموات يرجعون إلى الدنيا، وهم أول من أظهروا الطعن في الصحابة، ومن أمثلتهم كنانة بن بشر التجيبي في مصر، وعمير بن ضابئ من الكوفة، والمغيرة بن سعيد من الكوفة وجابر الجُعفي من الكوفة.

سليمان بن حمد العودة، عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام،الطبعة الثالثة، (الرياض: دار طية، ١٤١٢هـ)، ص ص ١٩٨–٢٤١.

والزبير ﷺ، وهي التي رتبت الفساد وهي التي دبرت الرسالة المزعومة [1] على لسان عثمان ﷺ إلى عامله بمصر، حيث كانوا يسعون لقتل الخليفة عثمان ﷺ، وقد رفض الصحابة محاولة قتله فقام بعضهم بالدفاع عنه ومنهم الزبير بن العوام ﷺ فبينما كان الثوار متجمعون في المدينة محاصرين لدار عثمان ﷺ، جاء بنو عمرو بن عوف [2] إلى الزبير ﷺ مدافعين عن عثمان بن عفان ﷺ فأرسل الزبير ﷺ أبو حبيبة [3] إلى عثمان ﷺ وطلب منه أن يقرأه السلام ويقول له:" يقول لك أخوك أن بني عمرو جاءوني ودعوني أن يأتوني ثم يصيروا إلى ما أمرهم به، فإن شئت أن آتيك فأكون رجلاً من أهل الدار يصيبني ما

---

[1] – كان ابن سبأ يهودياً من أهل صنعاء، أسلم زمن عثمان بن عفان– رضي الله عنه–، ثم بدأ يتقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد من أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر، وأظهر آراء :أن سيدنا محمداً أفضل من سيدنا عيسى فهو أحق بالرجوع إلى الأرض من عيسى عليه السلام ؛ ثم قال: لكل نبي وصي، وعلي وصي محمد، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء؛ ثم قال: إن عثمان أخذ الخلافة بغير حق، وعلي رضي الله عنه وصي رسول الله، فانهضوا في هذا الأمر، فحركوه، وابدأوا بالطعن على أمرائكم...فبث دعاته، وكاتب من كان استفسد في الأمصار، فجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم، فلما سمع أهل بلد كتب بلد آخر في عيوب الولاة، قالوا: " إنا لفي عافية مما ابتلى به هؤلاء"، ووصلت المدينة هذه الكتب المفتعلة من جميع الأمصار، فنشرها المنافقون بقراءتها في المساجد، فلما كثرت هذه الأخبار، ذهب الصحابة إلى سيدنا عثمان ﷺ، وسألوا منه هل عنده خبر سري أو رسمي عن تلك المفاسد في عماله؟ فقال : لا والله، ما جاءني إلا السلامة، ومع ذلك أرسل عثمان رجالا ذوي ثقة للبحث والتحقيق، فجالوا في جميع مقاطعات الدولة، فلما رجعوا، قالوا: ما أنكرنا شيئاً، ولا أنكر أعلام المسلمين ولا عوامتهم، وأن أمرائهم يقسطون بينهم، فرجع جميع المبعوثين إلا عمار بن ياسر، استبطأ في مصر، فكتب والي مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى الخليفة سيدنا عثمان: أن عماراً قد استمال قوم بمصر وقد انقطعوا إليه، منهم عبد الله بن السوداء يقصد به ابن سبأ، وفي شوال سنة(٣٥هـــ)خرج ما بين ستمائة وألف رجل من مصر، عليهم رفقة ابن سبأ، وابن سبأ معهم، يريدون الحرب مع عثمان ولكن أظهروا أنهم يريدون الحج، وكذلك خرج من كل مصر طائفة منهم من الكوفة والبصرة، فوردوا = قرب المدينة، وكلهم يريدون عزل عثمان، ودخل الثائرون المصريون المدينة المنورة، وطلبوا من عثمان رضي الله عنه عزل والي مصر، فقبل في الفور بدون حاجة، وسأل الثائرين: من يريدون محله؟ فسموا محمد بن أبي بكر الصديق، فقبل عثمان طلبهم، وكتب الولاية له، ولم يتوقع الثائرون أن عثمان سيوافق على طلبهم، ولم يجدوا بدا من أن يخرجوا من المدينة مع محمد بن أبي بكر، فلما كانوا في الطريق، مر بهم راكب مسرع، ووجدوا عنده مكتوباً رسمياً لسيدنا عثمان إلى والي مصر يأمره بقتل محمد بن أبي بكر إذا وصل إليه كما ويأمره أن يصلبهم ويقطع أيديهم وأرجلهم، فاقبل محمد بن أبي بكر وابن سبأ وآخرون حتى قدموا المدينة، فأتوا علياً، فقالوا : ألم ترَ إلى عدو الله (أي سيدنا عثمان رضي الله عنه) يكتب فينا كذا وكذا، وإن الله قد أحل دمه فقم معنا،قال علي ﷺ: والله ما أقوم معكم، قالوا : فلم كتبت إلينا؟ قال: والله ما كتبت إليكم كتاباً قط، فنظر بعضهم إلى بعض...

الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ص ٣٤٠–٣٦٥ ؛ أبي بكر بن العربي المالكي، العواصم من القواصم، تحقيق: محب الدين الخطيب، إخراج الأحاديث: محمود مهدي الاستانبولي، تعليق: محمد جميل غازي، الطبعة الثالثة، (بيروت: دار الجيل، ١٤١٤هـ =١٩٩٤م)،ص٧٧– ٧٩ ؛ محمد حميد الدين، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة،الطبعة الخامسة ، (بيروت: دار النفائس ، ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م)، ص ص ٥٣٤-٥٣٨.

[2] – بنو عمرو بن عوف قبيلة كبيرة من الخزرج أحد فرعي الأنصار، وكان النبي ﷺ عند وصوله إلى المدينة مهاجراً من مكة نزل ضيفاً عليهم ثلاثة أيام ثم انتقل إلى بني النجار.

ابن العربي،،العواصم من القواصم، ص١٤٠ .

[3] – أبو حبيبة مولى الزبير بن العوام، وهوجد موسى بن عقبة بن أبي عياش مولى الزبير، وأم موسى بن عقبة بنت أبي حبيبة.

ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ٣٥٧.

يصيب أحدهم، فعلت، وإن شئت انتظرت ميعاد بني عمرو بن عوف، فأدفع بهم عنك، فعلت"، فأبلغ أبو حبيبة رسالة الزبير ﷺ فقال عثمان ﷺ :" الله أكبر، الحمد لله الذي عصم أخي ! قل له إنك إن تأتِ الدار تكن رجلاً من المهاجرين، حرمتك حرمة رجل، وغناؤك غناء رجل، ولكن انتظر ميعاد بني عمرو فعسى الله أن يدفع بك "، فقام أبو هريرة وقال: " أيها الناس سمعت أذناي رسول الله ﷺ يقول: تكون بعدي بفتنة وأحداث، فقلت : وأين النجاة منها يارسول الله قال: الأمير وحزبه، وأشار إلى عثمان، فقال القوم : ائذن لنا فلنقاتل، فقد أمكنتنا البصائر ؟ فقال عثمان: عزمت على أحد كانت لي عليه طاعة ألا يُقاتل، قال: فبادر الذين قتلوا عثمان ميعاد عمرو بن عوف فقتلوا عثمان رضي الله عنه"[١].

وفي صحيح ابن حبان، عن أبي سعيد مولى أبي أسيد الأنصاري، قال : "إن عثمان ﷺ يوم الحصر أخذ يذكر المحاصرين أنه اشترى بئر رومة، ويمنعوه منها، وأخذ يوعظهم ويذكرهم، فلم يستجيبوا له، فقال لامرأته افتحي الباب، ووضع المصحف بين يديه، وذلك أنه رأى من الليل، أن نبي الله ﷺ يقول له : أفطر عندنا الليلة، فدخل عليه رجل، فقال عثمان ﷺ: بيني وبينك كتاب الله، فخرج وتركه، ثم دخل عليه آخر، فقال له : بيني وبينك كتاب الله، والمصحف بين يديه، قال : فأهوى له بالسيف، فاتقاه بيده فقطعها، فلا أدري أقطعها و لم يبنها أم أبانها، فقال عثمان ﷺ:أما والله إنها لأول كف خطت المفصل، فنضح الدم على هذه الآية،﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[٢] قال : وإنها في المصحف ما حكت"[٣].

وروي أن النبي ﷺ قال لعثمان ﷺ :" تقتل وأنت مظلوم، وتقطر قطرة من دمك على ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ﴾[٤] قال : فإنها إلى الساعة لفي المصحف"[٥]، وأخرج الحاكم، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : " ياعثمان تُقتل وأنت تقرأ سورة

---

(١) ــ ابن العربي، العواصم من القواصم، ص ص ١٣٩-١٤٠ الحاشية.

(٢) ـ سورة البقرة، آية ١٣٧.

(٣) ــ محمد بن حبّان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن لبان، تحقيق : شعيب الأرنؤوط،الطبعة الثانية، (بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م)، ج ١٥، ص ٣٦١.

(٤) ــ سورة البقرة ، آية ١٣٧.

(٥) ــ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ٤٩.

البقرة، فتقع قطرة من دمك على ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [1][2].

وكان قد أرسل الصحابة ﷺ أبناءهم للدفاع عنه، منهم علي بن أبي طالب وطلحة والزبير ﷺ،كما اشترك مروان بن الحكم وسعيد بن العاص في الدفاع عنه، وكان من أبرز المدافعين عن الخليفة :عبد الله بن الزبير ﷺ[3] والروايات كثيرة في ذلك منها :

حين قال له عبد الله بن الزبير ﷺ :يا أمير المؤمنين إنا معك في الدار عصابة مستنصرة، ينصر الله بأقل منهم، فأذن لنا، فقال عثمان ﷺ : أنشد الله رجلاً اهراق فيّ دمه[4]، ومن هنا نرى أنه ﷺ كان كارهاً للفتنة، وكان يريد أن يتقي الله في دماء المسلمين.

ومن شدة ثقة عثمان بن عفان ﷺ بالزبير ﷺ وأسرته انه أمّر عبد الله بن الزبير ﷺ على الدار يوم الحصر، وقال: "من كانت لي عليه طاعة فليطع عبد الله بن الزبير "؛ لأنه كان يعلم بأن ابن الزبير لن يخالف له أمراً، حيث قال له عبد الله بن الزبير ﷺ : قاتلهم،فوالله لقد أحلّ الله لك قتالهم إلا أن عثمان ﷺ قال: لا والله لا أقاتلهم أبداً[5]، وأقام عثمان ﷺ مُحاصراً أربعين يوماً[6].

وكان عبد الله بن الزبير ﷺ آخر من خرج من دار عثمان ﷺ ، وأمره أن يصير إلى أبيه في وصية بما أراد.وأمره أن يأتي أهل الدار فيأمرهم بالانصراف إلى منازلهم، فكان

---

[1] – السيوطي، الخصائص الكبرى، ص ٢٠٨.

[2] – قامت الباحثة بزيارة لجمهورية أوزبكستان، خلال صيف(١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م)، وهناك في طاشكند العاصمة قامت بجولة لمدرسة موي مبارك، حيث يوجد به المصحف الذي كان بين يدي عثمان ﷺ يوم وفاته، فالموجود ليس القرآن كاملاً وإنما ثلاثة أرباع القرآن، مكتوب على جلد الغزال، وبالتحديد الآية رقم (١٣٧) من سورة البقرة عليه دم سيدنا عثمان ﷺ ، وقد تمكنت الباحثة من الحصول على صور فوتوغرافية من النسخة الأصلية لذلك المصحف الكريم،وصور للمدرسة الموجود بها المصحف . انظر الملحق ص ص٢٧٠/٢٧٧.

[3] – المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٢٦١ ؛ سعيد عوضة أحمد دماس، عقد التحكيم بين علي ومعاوية، رسالة ماجستير، الرياض: جامعة الامام محمد بن سعود، ١٣٩٩/١٤٠٠هـ)، ص ٤٨.

[4] – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ص ٦٣١-٦٣٢.

[5] – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢ ، ص ٦٣١.

[6] – اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ١٧٦.

خروج عبد الله رضي الله عنه في آخرهم [1]، وكان يحدث الناس عن عثمان رضي الله عنه بآخر ما مات عليه، وقيل إنه جُرح يومئذ بضع عشرة جرحاً[2].

وقد ظل عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد وفاته ثلاثة أيام لم يُدفن [3]، ثم استأذن كلٌّ من حكيم بن حزام [4] وجبير بن مطعم بن عدي [5]علياً رضي الله عنه في دفنه فأذن لهما، فخرج به حكيم رضي الله عنه في اثني عشر رجلاً وفيه الزبير رضي الله عنه ، فصلى عليه حكيم بن حزام رضي الله عنه ، وقيل صلى عليه جبير بن مطعم رضي الله عنه [6]،وقيل حضره عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما[7].

يتضح لنا مدى ارتباط الزبير بن العوام رضي الله عنه وأبنائه بعثمان رضي الله عنه سواء في مساندته أثناء خلافته ومروراً بفترة محنته، إذ قاموا بالدفاع عنه بقوة، وأخيرا بعد وفاته إذ لم يتركه الزبير إلا بعد أن صلى عليه في الوقت الذي تخلى عنه الكثير من أصحابه.

---

(1) – ابن العربي، العواصم من القواصم، ص ١٣٩.

(2) – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٦٣١.

(3) – اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ١٧٦.

(4) – حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، من المؤلفة، عاش مائة وعشرين سنة، ستين في الجاهلية وستين في الإسلام، توفي بالمدينة سنة (٥٤هـ/٦٧٣م)، لم يقبل شيئا بعد النبي من احد، أعتق مائة رقبة في الجاهلية، وأعتق مائة رقبة في الإسلام، ذهب بصره قبل موته.

الإمام الحافظ يحي بن عبد الوهاب بن منده الأصبهاني، من عاش مائة وعشرين سنة من الصحابة، تحقيق : مجدي السيد إبراهيم، (القاهرة : مكتبة القرآن)، ص ص ٢١-٢٧ .

(5) – جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي القرشي النوفلي، يكنى(أبا محمد)، كان من حلماء قريش وسادهم، وكان له عند رسول الله عليه السلام يد، وهو من كان أجار رسول الله ﷺ لما قدم من الطائف حين دعا ثقيفاً إلى الإسلام، وكان أحد الذين نقضوا الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم وبني المطلب، أسلم بعد الحديبية وقبل الفتح، توفي سنة (٥٧هـ/٦٧٦م) وقيل سنة (٥٩هـ/٦٧٩م).

ابن الأثير، أسد الغابة، ج ١، ص ص ٣٢٣-٣٢٤.

(6) – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ص ٤١٢-٤١٣.

(7) –ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص٤٩١.

٣. الأسرة الزبيرية في خلافة علي بن أبي طالب ﷺ وموقفها منه.

أ. موقعة الجمل.

ب. مقتل الزبير بن العوام ﷺ .

ج. حال أسرة الزبير ﷺ بعد مقتله.

الزبير بن العوام ﷺ ابن عمة علي ﷺ،وأبوه العوام خال زوجته فاطمة بنت النبي محمد ﷺ، فبالإضافة إلى قرابته من علي ﷺ فهو يرتبط به ارتباطاً قوياً منذ مراحل الدعوة الأولى؛ لأنهما من المسلمين الأوائل الذين أطلق عليهم رسول الله ﷺ -كما ذكرنا سابقاً – العشرة المبشرين بالجنة. فقد توطدت العلاقة بينهما منذ أيام الدعوة، حيث كانا مع رسول الله ﷺ في مكة أيام المحن، ثم في المدينة بعد الهجرة، وبعد وفاة النبي ﷺ مباشرة إذكان الزبير ﷺ يرى أن تنتقل الخلافة إلى علي بن أبي طالب ﷺ، ومن الجدير بالذكر هنا الإشارة إلى أنه قبيل وفاة عمر ﷺ عندما اختلى به حول الخلافة، قال له الزبير ﷺ : جعلت أمري لعلي[١]. وكان علي ﷺ يقدر للزبير بن العوام ﷺ قرابته ومكانته وصداقته ومواقفه معه.

ويذكر الطبري : أن المدينة بقيت بعد مقتل الخليفة عثمان ﷺ خمسة أيام بأيدي الثوار، الذين كانوا يلتمسون إجابة علي أو طلحة أو الزبير ﷺ ؛ للقيام بأمر الخلافة، فيأتي المصريون علياً ﷺ فيختبىء منهم ببساتين المدينة، فإذا لقوه باعدهم وتبرأ منهم، ويطلب الكوفيون الزبير ﷺ فلا يجدونه، ويطلب البصريون طلحة ﷺ فإذا لقيهم باعدهم وتبرأ من مقالتهم[٢].

ويتفق المؤرخون[٣] على أن الزبير وطلحة ﷺكانا من أسرع الناس وأولهم في مبايعة علي بن أبي طالب ﷺ على الخلافة بعد استشهاد عثمان بن عفان ﷺ وتبعهما عامة الناس بعد ذلك، حيث اجتمع المهاجرون والأنصار بالمدينة حين قُتل عثمان ﷺ وفيهم طلحة والزبير ﷺ ، فأتوا علياً ﷺ فقالوا : يا أبا حسن هلم نبايعك، فقال لا

---

(١) – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٤٣٢، الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١٣.

(٢) – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤،ص ٤٣٢.

(٣) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٧ ؛ اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ١٧٨ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ص ٤٢٧ – ٤٢٨.

حاجة لي في أمركم، إني معكم فمن اخترتم فقد رضيت به، فاختاروا، فقالوا : مانختار غيرك، وجاءوا إليه مراراً وأحب علي أن تكون بيعته عن رضا وإجماع المسلمين، فصعد المنبر وقال ﷺ: إني قد كنت كارهاً لأمركم فأبيتم إلا أن أكون عليكم، ألا وإنه ليس لي أمر دونكم، ألا وإنه مفاتيح مالكم معي، ألا وإنه ليس لي أن آخذ منه درهماً دونكم، رضيتم؟ قالوا: نعم ؛ قال : اللهم اشهد عليهم، ثم بايعهم على ذلك[1].

إلا أن الطبري يذكر رواية أخرى عن بيعة علي ﷺ فقد قال : بايع الناس علي بن أبي طالب ﷺ ، فأرسل إلى الزبير وطلحة ﷺ فدعاهما إلى البيعة، فتلكأ طلحة ﷺ ،فقام مالك الأشتر النخعي[2] وسل سيفه وقال: والله لتبايعن أو لأضربن به مابين عينيك، فقال طلحة ﷺ : وأين المهرب عنه! فبايعه وبايعه الزبير ﷺ والناس[3].

كما ذكر أن طلحة والزبير ﷺ سألا علياً ﷺ أن يؤمرهما على الكوفة والبصرة،فقال: تكونان عندي فأتجمل بكما، فإني وحش لفراقكما[4].

وقيل إنه: قال لهما: إن أحببتما أن تبايعاني، وإن أحببتما بايعتكما، فقالا:بل نبايعك. وقالا بعد ذلك : إنما صنعنا ذلك خشية على أنفسنا، وقد عرفنا أنه لم يكن ليبايعنا. فظهرا إلى مكة بعد قتل عثمان بأربعة أشهر[5].

ثم يتفق البلاذري مع الطبري في مجيء حكيم بن جبلة[6] بالزبير ﷺ حتى بايع . فكان الزبير ﷺ يقول: جاءني لص من لصوص عبد القيس فبايعت واللّج

---

(1) – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ص ٤٢٧–٤٢٨.

(2) – مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة ابن ربيعة النخعي الكوفي إقامة، الملقب بالأشتر، أمير من كبار الشجعان، شهد اليرموك، وذهبت عينه فيها، كان من أنصار علي بن أبي طالب، شهد معه الجمل وصفين، ولاه علي مصر، فقصدها فمات في الطريق، وهو أول من بايع عليًا يوم الخميس الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة(٣٥هـ/٦٥٦م)، كان ممن يسعى في الفتة، وألب على عثمان رضي الله عنه وشهد حصره، ولاه علي رضي الله عنه على مصر بعد قيس بن سعد بن عبادة فسار حتى بلغ القلزم فمات بها، يقال مسموماً في شهر رجب سنة (٣٧هـ/٦٥٧م).

العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج٨، ص ص ١١١ –١١٢، السيد، معجم الأوائل، ص ٢٤.

(3) – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٤٢٩.

(4) – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص٤٢٩.

(5) – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص٤٢٩.

(6) – حكيم بن جبلة بن حصين بن أسود بن كعب بن عامر بن الحارث بن الدّيل بن عمرو بن غنم بن وديعة بن لكيز بن أقصى بن عبد القيس بن أسد بن ربيعة بن نزار، كان رجلاً صالحاً له دين مُطاعاً في قومه، بعثه عثمان على السند فنزلها ثم أقام بالبصرة، وبعثه عثمان بن حنيف أميراًعلي على البصرة عندما قدم الزبير وطلحة مع السيدة عائشة وقاتلهم قتالاً شديداً، وقُطعت رجله فأخذها وضرب بها الذي قطعها فقتله، ولم يزل يقاتل ورجله مقطوعة.

ابن الأثير، أسد الغابة، ج ١، ص ٥٢١.

على عنقي[١].

ومن هنا يظهر أن علياً ﷺ لم يطلب من الناس البيعة و لم يكن حريصاً على الخلافة؛ لأنه كان يدرك ظروف الأمة، إذ يقول: "دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وله ألوان، لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول"[٢].

ومما يؤكد ذلك رواية أخرى ذلك قوله للصحابة ﷺ عندما جاءوا يريدون مبايعته بعد مقتل عثمان ﷺ : "لاتفعلوا فإني أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً"[٣].

وهكذا تتضح رغبة الناس في أخذ البيعة لعلي ﷺ، وإجماع الغالبية منهم على ذلك، حتى إن ابن كثير والطبري نقلا مبايعة الأنصار كلهم وعدم تخلف أحد منهم عن البيعة[٤].

أما ما قيل عن بيعة طلحة والزبير ﷺ وكرههما لبيعة علي ﷺ، فإننا ندفع ذلك بما قدمنا في القول ببيعتهما، بل رغبتهما في ذلك ؛ حتى قيل إن أول من بايع :طلحة والزبير ﷺ[٥].

ونشير هنا إلى بعض ما نُقل مما يدفع مبايعة طلحة والزبير ﷺ كارهين:

حيث يذكر الطبري في رواية: أن علياً ﷺ جاء فقال لطلحة ﷺ: ابسط يدك ياطلحة لأبايعك. فقال طلحة: أنت أحق وأنت أمير المؤمنين، فابسط يدك، فقال: فبسط عليّ يده فبايعه[٦].

ثم يذكر اليعقوبي: إن أول يد بايعت، يدٌ شلاّء أو يدٌ ناقصة، ثم قام طلحة والزبير ﷺ فقالا : نبايعك يا أمير المؤمنين على أن علينا بيعة المهاجرين[٧]. ويتفق معه ابن كثير بأن أول من بايعه طلحة ﷺ بيده الشلاء[٨] ثم الزبير ﷺ[٩].

---

[١] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٨؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٤٣٥.

[٢] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٤٣٤.

[٣] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٤٢٧ ؛ابن الأثير،الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ص١٩٠-١٩١.

[٤] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٤٢٧ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص ١٨٢.

[٥] –الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤،ص ص ٤٢٨-٤٢٧ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص ١٨٠.

[٦] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٤٣٤ .

[٧] – اليعقوبي ،تاريخ، ج ٢، ص ١٧٨.

[٨] – الشلاء: المصابة بالشلل من يوم أحد لما وقى بها رسول الله عليه الصلاة والسلام.

ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص ١٨١.

[٩] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٤٢٧ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص ١٨٢.

وتمت البيعة لعلي ﷺ سنة ٣٦هـ/٦٥٦م ، فخطب في الناس وكان من الأمور التي أشار إليها حرمة المسلم وأن أذاه لا يحل إلا بما يجب[١]، كأنه يشير إلى قتلة عثمان ﷺ. ثم دخل عليه طلحة والزبير ﷺ ورؤوس الصحابة ﷺ وطلبوا منه إقامة الحدود والأخذ بدم عثمان ﷺ، فاعتذر لهم، بأن هؤلاء لهم أعوان، وأنه لايمكنه ذلك يومه هذا، فطلب منه الزبير ﷺ أن يوليه إمرة الكوفة ليأتيه بالجنود، وطلب منه طلحة ﷺ أن يوليه إمرة البصرة ليأتيه منها بالجنود ليقوى بهم على هؤلاء الخوارج[٢] وجهلة الأعراب، فقال لهما: مهلاً علي حتى أنظر في هذا الأمر[٣].

أ.موقعة الجمل:

عندما قتل عثمان ﷺ، كان أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين-رضي الله عنهن- قد خرجن إلى الحج في هذا العام فراراً من الفتنة[٤] . ثم استأذن طلحة والزبير علياً ﷺ في الاعتمار، فأذن لهما فخرجا إلى مكة وتبعهم خلق كثير [٥]، وهناك التقيا بأم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-، التي كانت تقيم مع بقية أزواج النبي ﷺ [٦]، ولما بلغ عائشة -

[١] - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٤٢٧ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٦، ص ١٨٢.

[٢] - الخوارج: جمع خارج وخارجي، أطلقت كلمة الخوارج على طائفة من أهل الآراء والأهواء لخروجها على الدين وللخوارج أسماء كثيرة، منها : (الحرورية، والشراة، والمارقة، والمحكمة) ،ومن أسباب خروجهم:(النزاع حول الخلافة، قضية التحكيم، جور الحكام وظهور المنكرات بين الناس، والعصبية القبلية، والعامل الاقتصادي، والحماس الديني)، ومن أشهر حركات الخوارج: (حركات الخوارج على الإمام علي بعد النهروان، وحركات الخوارج الثورية ضد الحكم الأموي، وحركات الخوارج الثورية على الدولة العباسية)، ومن فرق الخوارج (المحكمة، والأزارقة، والنجدات، والأباضية)، ومن خصائصهم: (الشجاعة وسرعة الاندفاع، والمبالغة في العبادة والزهد، والفصاحة وقوة التأثير، الصدق في الحديث، الميل إلى الجدل والقوة فيه).

المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٣١٤ ؛ غالب بن علي عواجي، الخوارج تاريخهم وآرائهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها، الطبعة الأولى،(دمنهور: ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م)، ص ص ١٧ - ٢٤٩.

[٣] - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٤٢٨ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٦، ص ١٨٣.

[٤] - كانت من بين الفتن ما تعرضت له أم المؤمنين (أم حبيبة) رضي الله عنها من إهانة، حيث ضرب البغاة وجه بغلتها وقطعوا أحبلها بالسيف وهي تحمل الماء لعثمان بعد أن منع عنه، وعلى اثر ذلك تهيأت عائشة للخروج للحج.

الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٣٨٦.

[٥] - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ص ٤٤٤-٤٤٥ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٢٠٤ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٦، ص ١٨٥.

[٦] - البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٢٣.

رضي الله عنها- خبر مقتل عثمان ﷺ قامت في الناس تحضهم على القيام بطلب دم عثمان ﷺ وأجابوها على ذلك[1].

وفي مكة كانت المشورة في جهة الخروج، فالزبير ﷺ يقول : عليكم بالشام فإن بها الأموال والرجال، وعبد الله بن عامر[2] يقول: عليكم بالبصرة فإن لي بها صنائع ولأهلها في طلحة هوى ، أما الشام فقد كفاكم معاوية أمرها . وأما عائشة-رضي الله عنها- فكانت ترى الخروج إلى المدينة، إلا أنه قيل لها : إن من معك لا يقرنون لتلك الغوغاء، وأخيراً استقر أمرهم على الذهاب إلى البصرة[3].

وناد منادٍ القوم: إن أم المؤمنين وطلحة والزبير ﷺ شاخصون إلى البصرة، فمن كان يريد إعزاز الإسلام وقتال المحلّين[4]، والطلب بثأر عثمان ﷺ ، ومن لم يكن عنده مركب أو جهاز فهذا جهاز وهذه نفقة، فحملوا ستمائة رجل على ستمائة ناقة، سوى من كان له مركب[5]، وأعان يعلى بن أمية ﷺ[6] الزبير ﷺ بأربعمائة ألف درهم وحمل سبعين رجلاً من قريش، وحمل عائشة-رضي الله عنها- على جمل يُقال له عسكر[7].

و لم يكن الزبير ﷺ المشارك الوحيد من أسرته في الخروج إلى البصرة،بل كان هناك ابنه عروة الذي استصغره الناس فردوه، وعبد الله بن الزبير ﷺ الذي اختارته عائشة-

---

(1) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص٢٣ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٤٥٨-٤٥٩ ؛ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٢٠٦ ؛ العودة، عبد الله بن سبأ، ص ١٧٨.

(2) – عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصي القرشي العبشمي، وهو ابن خال عثمان بن عفان، وُلد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، استعمله عثمان على البصرة سنة (٢٩هـ/٦٤٩م)، وولاه بلاد فارس، وافتتح خراسان كلها وأطراف فارس وسجستان وكرمان وزابلستان، وظل والياً عليها حتى قتل عثمان، وشهد موقعة الجمل، ولما انهزم كل من طلحة والزبير ومعهم عائشة سار إلى دمشق فأقام بها، ثم ولاه معاوية على البصرة ثلاث سنين، توفي سنة (٥٨هـ/٦٧٧م)، وأوصى إلى عبد الله بن الزبير .

ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ص ١٨٤-١٨٥.

(3) – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٤٥٠ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٢٠٨.

(4) – المحلين : الذين أحلوا دم عثمان.

العودة، عبد الله بن سبأ، ص ١٧٩.

(5) – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٤٥١ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٢٠٨.

(6) – يعلى بن أمية بن أبي عبيدة بن همام بن الحارث بن بكر بن زيد بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم التميمي الحنظلي، أمه منية بنت غزوان اخت عتبة بن غزوان، اسلم يوم الفتح، وشهد حنيناً والطائف وتبوك، وكان جواداً معروفاً بالكرم، وشهد الجمل مع عائشة ثم صار من أصحاب علي وقُتل معه بصفين.

ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٤، ص ٧٤٧.

(7) – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٤٥٢ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣ ، ص ص ٢٠٨-٢١٠.

رضي الله عنها- ليصلي بهم وهم في الطريق إلى البصرة [1]، وكان له من دور كبير في استمرارها- رضي الله عنها- إلى البصرة، وشاهد ذلك، فعندما سمعت- رضي الله عنها- في طريقها نباح كلاب، قالت: ما يُقال لهذا الماء الذي نحن فيه ؟ فقالوا لها : الحوأب، فصرخت بأعلى صوتها، وقالت : إنا لله وإنا إليه راجعون، إنّي لهيه، سمعت رسول الله ﷺ يقول وعنده نساؤه : أيتكن تنبحها كلاب الحوأب ؟!، ثم ضربت عضد بعيرها، فأناخته، وقالت : ردوني، أنا والله صاحبة ماء الحوأب، فأناخوا حولها يوماً وليلة، فقال لها عبد الله بن الزبير ﷺ ، أنه كذب من زعم أن هذا الماء الحوأب، وجاء بخمسين شاهداً من بني عامر وحلفوا على صدق ابن الزبير ﷺ [2].

وقدم طلحة والزبير وعائشة ﷺ البصرة،وبها عثمان بن حنيف الأنصاري ﷺ [3] والياً عليها لعليّ ﷺ، فخرج إليهم ثم اصطلحوا وكتبوا بينهم كتاباً بالكف عن القتال، وأن يترل طلحة والزبير ﷺ من البصرة حيث شاءوا، لا يعرض بعضهم لبعض حتى يقوم عليّ ﷺ [4].

أما عليّ ﷺ فحينما علم بمسير طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة ﷺ إلى البصرة، بعث عمار بن ياسر ﷺ [5] وابنه الحسن ﷺ [6] إلى الكوفة يستنفرا أهلها، ثم خرج

---

[1] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ص ٤٥٤– ٤٥٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣ ، ص ٢٠٩.

[2] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٢٤.

[3] – عثمان بن حنيف بن واهب بن العكم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحارث بن عمرو بن خنساء، أنصاري أوسي، وهو اخ لسهيل بن حنيف، شهد أحدا والمشاهد بعدها، استعمله عمر بن الخطاب على طلحة والزبير مع عائشة فأخرجوه منها، وسكن عثمان الكوفة وبقي إلى زمان معاوية.

ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص٤٧٣.

[4] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٢٦ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٤٦٢ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٢١٤ ؛ العودة، عبد الله بن سبأ، ص ص ١٧٩–١٨٠.

[5] – عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوذيم بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر الأكبر بن يان بن عنس بن مالك بن أود بن زيد العنسي، من السابقين الأولين إلى الإسلام وممن عُذب في الله، أسلم في دار الأرقم عند رسول الله عليه السلام، هاجر إلى المدينة وشهد بدراً واحداً والخندق وبيعة الرضوان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أول من بنى مسجداً في الإسلام في المدينة، استعمله عمر بن الخطاب على الكوفة، ثم صحب علياً وشهد معه الجمل وصفين، قال له رسول الله :" آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن"، فلما كان يوم صفين طلب شربة لبن، وشربها ثم قاتل حتى قُتل.

ابن الاثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ص٦٣١ – ٦٣٣.

[6] – الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو محمد، سبط النبي ﷺ، وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وهو سيد شباب أهل الجنة، سماه النبي الحسن، توفي سنة (٤٩هـ/٦٦٩م)، وقيل سنة (٥٠هـ/٦٧٠م).

ابن الأثير، أسد الغابة، ج١، ص ص٤٨٧–٤٩٣.

علي رضي الله عنه من المدينة بعد أن استعمل عليها سهل بن حنيف رضي الله عنه[1]، وغيّر وجهته بدلاً من الشـــــام إلى البصرة[2].

وقد اختلفت المصادر في ذكر أسباب خروج عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم وأسباب خروج علي رضي الله عنه في أثرهم:

فذكر بعضها أنه بعد أن أستقر الأمر لطلحة والزبير رضي الله عنهما في الذهاب إلى البـــصرة جاءا إلى عائشة — رضي الله عنها — وقالا لها:"يا أم المؤمنين دعي المدينة واشخصي معنا إلى البصرة، فإن أصلح الله الأمر وكان الذي تريدين، وإلا دفعنا بجهدنا حتى يقضي الله ما أراد[3]؛ مما يدل على أن هدفهما كان الصلح وتهدئة ثائرة الناس.

كما تذكر رواية أخرى أن عثمان بن حنيف رضي الله عنه عندما سأل السيدة عائشة — رضي الله عنها — عن سبب مجيئها إلى البصرة ذكرت له القيام بطلب دم عثمان رضي الله عنه[4] وتلت قولـــه تعالى :

♊♋♓✌ ♐❸❷♋✞•🗎 ❼⍰× ◆❸⬀❷⍄⌘ ·◆ ↓
◆❷◆✌❒🕮 ⇧♊◆✌ ·◆⍰◑ ⬀☠←♑🗁◆❑⇧♐❄☼
⬃❑❑🕮 ☹♎❑⬉❷⬃➔◆✌ ⬃❑❑🕮 ☹❑•♎⍄⑨✹⌚⍰♎
♊◆✌◆❑ 🗐 ✎❑♎❑✡♐♎♎✂ ♎▫⬃✓◆♎ ●⌧◯■🖫⇧◷⍰◑
◆⬈✐♎◆⬄♋☞⬀♎♎✂ ♎①♋♐◷•❶ ⬀♎⍄➔♎▦◆③
♋○⑩♋♎⬃•←☼ ◆♎⬀❑✹○•▫ ★✐♎♎✂ ♋☠♎✹➪⬄❺•✍
.[5] ↑♎ॐ☺⓿♋→◆⬉✂◷❷⇧♉❑🕮

ثم إن الزبير رضي الله عنه قال: " إن هذه لهي الفتنة التي كنا نُحدّث عنها، فقال له مولاه: أتسميها فتنة وتقاتل فيها؟ قال: ويحك: إنا نُبصّر ولا نبصُر، ما كان أمر قـــط إلا علمـــا موضع قدمي فيه، غير هذا الأمر، فإني لا أدري أمقبل أنا فيه أم مدبر؟[6].

---

[1] — سهل بن حنيف بن واهب بن العكيم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحارث بن عمرو، ويقال ابن خنساء، وهو انصاري أوسي، يكنى أبا سعد، شهد بدراً والمشاهد كلها مع النبي ﷺ وثبت يوم أحد، وكان بايع النبي يومها على الموت، وكان يرمي بالنبل عن رسول الله عليه السلام، مات سهل بالكوفة سنة (٣٨هـ/٦٥٨م)، وصلى عليه علي رضي الله عنه، وكبر عليه ستاً.

ابن الأثير، أسد الغابة، ج٢، ص٣١٨.

[2] — البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٢ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ص ٤٩٩–٥٠٥؛ العودة ، عبد الله بـــن سبأ، ص ١٨٠.

[3] — الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ص ٤٥٠–٤٥١ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٢٠٨.

[4] — البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٢٤ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٢١٣ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٦، ص ١٨٧.

[5] — سورة النساء، آية رقم ١١٤.

[6] — الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٤٧٦.

وكذلك عليّ بن أبي طالب ﷺ حينما سأله ابن أبي رفاعة بن رافع وقال له: يا أمير المؤمنين أي شيء تريد ؟ وأين تذهب بنا؟ فقال : أما الذي نريد وننوي فالإصلاح، إن قبلوا منا وأجابوا إليه، قال: فإن لم يجيبوا إليه؟ قال : ندعهم بغدرهم ونعطيهم الحق ونصبر، قال: فإن لم يرضوا؟ قال: ندعهم ما تركونا، قال: فإن لم يتركونا؟ قال: امتنعنا عنهم، قال: فنعم إذاً.، فقام إليه الحجاج بن غزية الأنصاري، فقال: لأرضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول، والله لينصرني الله كما سمانا أنصاراً[١].

وكان عليٌّ ﷺ يقول: منيت بفارس العرب – يعني الزبير ﷺ –،وبأيسر العرب – يعني يعلى بن أمية التميمي ﷺ –، وبفيَّاض العرب – يعني طلحة ﷺ –،وبأطوع الناس في الناس – يعني السيدة عائشة– رضي الله عنها–[٢] .

ثم لما وصل عليّ بن أبي طالب ﷺ ذي قار اجتمع عنده أهل الكوفة، وكان من رؤسائهم القعقاع بن عمرو التميمي ﷺ[٣] وقد بعثه علي ﷺ رسولاً إلى طلحة والزبير ﷺ بالبصرة ليدعوهما إلى الألفة والجماعة ويُعظم عليهم الفرقة والاختلاف، فذهب إلى البصرة وبدأ بعائشة فقال: أي أماه ما أقدمك هذا البلد ؟

فقالت: أي بني الإصلاح بين الناس، وطلب منها أن تبعث إلى طلحة والزبير ﷺ ليحضرا عندها فحضرا وسألهما عن سبب مجيئهما، فقالا: الإصلاح، وأقنعهما بأن يكونا مفاتيح خير كما كانا أولاً، وأشرفا على الصلح وأعجب عليّ ﷺ رد أم المؤمنين وطلحة والزبير ﷺ ، حيث قالوا للقعقاع ﷺ : قد أصبت وأحسنت فارجع فإن قدم عليّ ﷺ وهو على مثل رأيك صلح الأمر[٤].

وعزم عليّ ﷺ على الرحيل قائلاً: " ألا وإني راحل غداً فارتحلوا، ألا ولا يرتحل معي أحد أعان على قتل عثمان بشيء من أمور الناس".وكان هناك جماعة من جيش عليّ

---

[١] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٢٢٤ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٦، ص ١٨٨ .

[٢] – البلاذري، أنساب العرب، ج ٣، ص ٣٤.

[٣] – القعقاع بن عمرو التميمي، شهد وفاة النبي عليه السلام، وله أثر عظيم في قتال الفرس في القادسية وغيرها، وشهد مع عليّ الجمل وأرسله عليّ رضي الله عنه إلى طلحة والزبير فكلمهما كلاما حسنا، فقارب الناس به الصلح، وهو الذي قال فيه أبو بكر الصديق " صوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل".

ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٤، ص ١٠٩.

[٤] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٤٨٨ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص ١٩١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ص ٢٣٣-٢٣٤.

ﷺ يكرهون الصلح، ومنهم : عبد الله بن سبأ، والأشتر النخعي، وشريح بن أوفى، وغيرهم في ألفين وخمسمائة[1]، فقام الأشتر وقال: إن كان علي اصطلح معهم فإنما اصطلحوا على دمائنا وإن كان الأمر كذلك ألحقنا علياً بعثمان ، ثم قال ابن السوداء – عبد الله بن سبأ – إذا التقى الناس فانشبوا الحرب والقتال بينهم ولا تدعوهم يجتمعون[2].

وقبل أن تكون الوقعة كان علي ﷺ قد بعث إلى طلحة والزبير ﷺ يقول : إن كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع فكفوا حتى نترل فننظر في هذا الأمر، فأرسلا إليه في جواب رسالته : إنا على ما فارقنا القعقاع من الصلح بين الناس ؛ فاطمأنت النفوس وسكنت، واجتمع كل فريق بأصحابه، وبات الناس بخير ليلة[3].

وبات قتلة عثمان ﷺ بشر ليلة، باتوا يتشاورون وأجمعوا على أن يثيروا الحرب في ظلمة آخر الليل، واجتمعوا على إنشاب الحرب في السر، فخرج مضريهم إلى مضريهم وربيعهم إلى ربيعهم، ويمانيهم إلى يمانيّهم فوضعوا فيه السلاح، فثار أهل البصرة، وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين بهتوهم،وخرج الزبير وطلحة ﷺ في وجوه الناس وبعثا إلى الميمنة وإلى الميسرة وسألا ما هذا؟ فقالوا: قد علمنا أن عليّاً غير منته حتى يسفك الدماء ويستحل الحرمة، وإنه لن يطاوعنا، ثم سأل عليّ ما هذا؟

فقيل له: إن طلحة والزبير غير منتهين حتى يسفكا الدماء ويستحيلا الحرمة، وإنهما لن يطاوعانا[4]. وكان أمر الله وقامت الحرب وتبارز الفرسان وحاول عليّ ﷺ أن يوقف الحرب وكذلك طلحة ﷺ ولكن لم يسمعهما أحد[5]. وكان من جملة من تبارز الزبير وعمار ﷺ فجعل عمار ينخره بالرمح والزبير كاف عنه، ويقول له: اتقتلني يا أبا اليقظان ؟ فيقول : لا يا أبا عبد الله، وقد تركه الزبير لقول الرسول ﷺ :" تقتلك الفئة الباغية"[6].وقد قُتل في هذه المعركة خلق كثير جداً حتى جعلت عائشة –رضي الله عنها–

---

[1] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٤٩٦ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص ١٩١.
[2] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٥٠٢ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص ١٩١.
[3] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٥٠٣ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٦، ص ١٩٢.
[4] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ص ٥٠٦–٥٠٧.
[5] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٢٤٢ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٦، ص ١٩٢.
[6] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ص ٢٤٠ – ٢٤١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٦، ص ١٩٢.

تقول : والله لوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين عاماً[1].وفي رواية أخرى أن علياً ﷺ لما ركب الجيشان وتراءى الجمعان طلب طلحة والزبير ﷺ ليكلمهما، فاجتمعوا حتى التفت أعناق خيولهم وقال علي للزبير ﷺ: أما تذكر يوم مررت مع رسول الله ﷺ في بني غنم فنظر إلي وضحك وضحكت إليه، فقلت لايدع ابن أبي طالب زهوه، فقال لك رسول الله ﷺ : " إنه ليس بمتمرد، لتقاتلنه وأنت ظالم له ؟[2] فقال الزبير ﷺ : اللهم نعم، ولو ذكرت ماسرت مسيري والله أقاتلك، فرجع الزبير ﷺ على دابته يشق الصفوف، فعرض له ابنه عبد الله بن الزبير ﷺ، فقال : مالك ؟ فقال ذكرني حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ، سمعته يقول:" لتقاتلنه وأنت ظالم له"، ورجع إلى عائشة وذكر لها أنه لن يُقاتل علياً[3]، وقرر الزبير ﷺ في العودة إلى المدينة والكف عن القتال[4]، وفاءً لما سمعه من قول الرسول ﷺ، ووفاءً لما جرى بينه وبين علي ﷺ من شروط.

أما طلحة بن عبيد الله ﷺ فجاءه سهم طائش، يُقال رماه به مروان بن الحكم، ونزف منه الدم، وضعُف وامتلأ خفه دماً، فقال لغلامه أردفني – اركبني خلفك – فركب وراءه وجاء به إلى بيت في البصرة، فمات فيه ﷺ[5].

وكانت عائشة- رضي الله عنها- في هودجها أثناء المعركة، وكانت تدعو على قتلة عثمان ﷺ وأشياعهم، قالت عائشة-رضي الله عنها- : مازال جملي معتدلاً حتى فقدت أصوات بني ضبة، ثم أخذ الخطام سبعون رجلاً من قريش، وكل واحد يقتل بعد صاحبه، وكان من بين من أمسك بخطام جمل عائشة – رضي الله عنها – عبد الله بن الزبير ﷺ ، وقيل جرح عبد الله ﷺ يوم الجمل سبعاً وثلاثين جراحة[6].

وبعد انتهاء المعركة جاء عليّ ﷺ إلى أم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها- فقال لها: كيف أنت يا أمه ؟ قالت بخير، فقال : يغفر الله لك، ثم دخلت البصرة ومعها أخوها

---

[1] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٢٥٤ .

[2] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٥٢ ؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٢، ص ١٠٠، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٢٤٠ ؛ العسقلاني، الإصابة في تميز الصحابة، ج ١، ص ٥٤٦.

[3] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٢٤٠ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٦، ص ١٩٣.

[4] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٢٤٠ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٦، ص ١٩٩.

[5] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٢٤٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٦، ص ص ١٩٣-١٩٤.

[6] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٢٤٩ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٦، ص ص ١٩٥-١٩٦.

محمد بن أبي بكر، فنزلت في دار عبد الله بن خلف الخزاعي[١]، ولما أرادت الخروج من البصرة بعث إليها علي ﷺ بكل ما ينبغي من مركب وزاد ومتاع، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات وسيّر معها أخاها محمد بن أبي بكر[٢] وقصدت في مسيرها إلى مكة، فأقامت بها إلى أن حجت عامها ثم رجعت إلى المدينة رضي الله عنها سنة ٣٦هـ/٦٥٦م [٣].

ب.مقتل الزبير بن العوام ﷺ :

لما كان يوم الجمل ذكّر عليّ بن أبي طالب الزبير ﷺ بحديث رسول الله ﷺ-كما سبق ذكره- فرجع عن القتال وكر راجعاً إلى المدينة وجعل يقول [٤]:

ولقد علمت لو أنّ علمي نافعي   إن الحياة من الممات قريبُ

فمر بقوم الأحنف بن قيس[٥]، وكانوا قد انعزلوا عن الفريقين، فقال الأحنف: ما بال هذا، جمع بين الناس حتى إذا التقوا كرّ راجعاً إلى بيته؟ من رجل يكشف لنا خبره؟ فاتبعه عمرو بن جرموز وفضالة بن حابس في طائفة، وقيل إنهم أدركوه وتعاونوا عليه حتى قتلوه، وفي رواية أخرى يُقال أن عمرو بن جرموز أدركه فقال له: إن لي إليك حاجة، فقال الزبير ﷺ: أدن! فقال مولى الزبير واسمه عطية، إن معه سلاحاً! فقال الزبير ﷺ :

---

[١] – عبد الله بن خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة بن سبيع بن جعثمة بن سعد بن مليح بن عمرو بن ربيعة الخزاعي، والد طلحة الطلحات، كان كاتباً لعمر بن الخطاب على ديوان البصرة، وأمه جنية بنت أبي طلحة العبدري، قتل يوم الجمل مع عائشة، وشهد أخوه عثمان بن خلف وقعة الجمل مع علي.
ابن الأثير، أسد الغابة، ج٣، ص ١٢٠.

[٢] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٤٦ .
محمد بن أبي بكر الصديق، أمه أسماء بنت عميس الخثعمية، ولد في حجة الوداع بذي الحليفة، خرجت أمه حاجة فوضعته، تزوج علي رضي الله عنه بأمه بعد وفاة أبي بكر، شهد الجمل مع علي، وكان على الرجالة، وشهد صفين معه، ثم ولاه مصر فقتل بها، وكان ممن حضر عثمان رضي الله عنه ودخل ليقتله .
ابن الأثير، أسد الغابة، ج٤، ص ٣٢٦.

[٣] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٢٥٥ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٦، ص ١٩٧.

[٤] – أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحاق بن مهران المهراني الأصبهاني، معرفة الصحابة، تحقيق : محمد راضي بن حاج عثمان ، الطبعة الأولى ، (المدينة المنورة : مكتبة الدار ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م) ،ج١، ص ٣٥٠.

[٥] – الأحنف بن قيس، اسمه الضحاك، وقيل صخر بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة بن النزال بن مرة بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم،أدرك النبي ﷺ ولم يره، ودعا له النبي ﷺ، أمه امرأة من باهلة.وكان الأحنف أحد الدهاة العقلاء، وكان ممن اعتزل الحرب بين علي وعائشة- رضي الله عنهما- بالجمل، وشهد صفين مع علي، توفي بالكوفة سنة(٦٧هـ/٦٨٦م).
ابن الأثير، أسد الغابة، ج١، ص ص ٦٨-٦٩.

وإن، فتقدم عمرو إلى الزبير فجعل يحدثه وكان وقت الصلاة، فقال الزبير ﷺ: الصلاة، فتقدم الزبير ﷺ ليصلي بهما فطعنه عمرو بن جرموز فقتله، ويُقال: إن عمرو بن جرموز أدركه بوادي السباع[1] فقتله وهو نائم[2]، وقد رثته زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل[3]، فقالت[4]:

غدر ابن جرموز بفارس بهمة	يوم اللقاء كان غرّ معــــرد[5]
يا عمــرو لو نبهته لوجدته	لا طائشاً رعش الجنان ولا اليــد
ثكلتك أمك إن ظفرت بمثله	ممن بقـــي ممن يـــروح يغـــتدي
كم غمرة قد خاضها لم يثنـــه	عنها طرادك يا ابن فقع العـــردد
والله ربي إن قتلت لمسلمـــاً	حلت عليك عقوبة المتعــــمد

وعندما رجع ابن جرموز بالخبر إلى الناس قال الأحنف لابن جرموز: والله ما أدري أحسنت أم أسأت [6]، وكان عمرو بن جرموز بعد قتله للزبير ﷺ احتز رأسه وذهب برأسه وسيفه إلى علي ﷺ، فاستأذن، فقال علي ﷺ: لاتأذنوا له وبشروه بالنار، فقد سمع رسول الله ﷺ يقول: " بشر قاتل ابن صفية بالنار"[7]. وفي رواية أخرى لابن سعد[8] أن ابن جرموز عندما جاء يستأذن عليّ ﷺ فأعرض عنه، فقال: أما أصحاب

---

[1] - وادي السباع: بين البصرة ومكة بينه وبين البصرة خمسة أميال.
الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ص٣٩٦-٣٩٧.

[2] – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٦٨٢؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص٥٤؛ العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١،ص٥٤٦.

[3] – عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل القرشية العدوية، وهي ابنة عم عمر بن الخطاب، كانت من المهاجرات، وكانت امرأة عبد الله بن أبي بكر الصديق، وكانت حسناء جميلة، فأحبها حباً شديداً حتى غلبت عليه وشغلته عن مغازيه، فأمره أبوه بطلاقها فتبعتها نفسه، فرق لـه أبوه وأمره فارجعها، ثم شهد عبد الله الطائف مع النبي عليه السلام فرُمي بسهم فمات في المدينة، فتزوجها زيد بن الخطاب، وقُتل عنها يوم اليمامة شهيداً، فتزوجها عمر بن الخطاب سنة (١٢هـ/٦٣٣م)، وطعن بالمسجد وهي فيه، ثم تزوجها الزبير بن العوام، فقُتل عنها، ثم خطبها عليّ بن أبي طالب، فقالت : يا أمير المؤمنين، أنت بقية الناس وسيد المسلمين، وإني أنفس بك عن الموت، فلم يتزوجها.
ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص ص٣٠٦-٣٠٩ ؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٦، ص ص ١٨٣ - ١٨٥.

[4] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٥٥ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦،ص٢٠٠.

[5] – المعرد: الصلب الشجاع .
ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص٢٠٠.

[6] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٢٤٤.

[7] – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٦٨٢ ؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٥١ ؛ العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ١، ص ٥٤٦.

[8] – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٦٨٥.

البلاء – يعني أنه من أصحاب البلاد والجهاد فلم يعدوه؟- فقال علي ﷺ : بفيك التراب – وهودعاء على الآثم يقوله العرب : أي ملأ الله فمك تراباً – إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم:

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾[1]

ثم دخل ابن جرموز ومعه سيف الزبير ﷺ فقال عليّ ﷺ : إن هذا السيف طالما فرج الكرب عن وجه رسول الله ﷺ [2]، ويُقال :إن ابن جرموز لما سمع ذلك قتل نفسه . وفي رواية أخرى، قيل إنه عاش إلى أن تأمر مصعب بن الزبير على العراق فاختفى منه، فقيل لمصعب : إن عمرو بن جرموز هاهنا وهو مختف، فهل لك فيه؟ فقال: مروه فليظهر فهو آمن، والله ما كنت لأقيد[3] للزبير منه فهو أحقر من أجعله عدلاً للزبير[4].

ودُفن الزبير- رحمه الله- بوادي السباع وجلس عليّ ﷺ يبكي عليه هو وأصحابه[5]، وكان قتله يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ٣٦هـ/٦٥٦م [6]، وقد نيف على الستين بست أو سبع[7]، وفي رواية لعروة بن الزبير، قال: قُتل أبي يوم الجمل وقد زاد على الستين أربع سنين[8]، وقيل له من العمر خمس وسبعون سنة[9].

رحم الله أبا عبد الله ﷺ ، وهو الذي قال عنه علياً ﷺ: سمعت أذناي من فيّ رسول الله ﷺ وهو يقول:" طلحة والزبير جاراي في الجنة[10] "

---

(١) – سورة الحجر ، أية رقم ٤٧.

(٢) – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٢٤٤.

(٣) – القود: قتل القاتل بالقتيل.

ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٦، ص ٢٠٠.

(٤) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٥١ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٦، ص ٢٠٠.

(٥) – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٦٨٣.

(٦) – العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ١، ص ٥٤٦.

(٧) – ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٢، ص ١٠٠ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٦، ص ٢٠٠.

(٨) – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٦٨٤.

(٩) – مروج الذهب، المسعودي، ج ٢، ص ٢٨٤.

(١٠) – الأصبهاني، معرفة الصحابة، ج ١، ص ٣٥٤.

ج.حال أسرة الزبير ﷺ بعد مقتله:

بعد مقتل الزبير ﷺ كانت زوجته عاتكة ترثي زوجها ورفيق حياتها، شاكية باكية -كما مر-،وقد قُتل الزبير ﷺ وترك أربع نسوة فورثت كل امرأة منهن ربع الثمن ألف ألف درهم، وخلف عشرين ولداً عشرة ذكورٍ وعشر إناث[1].

وتذكر الروايات: أنه لما وقف الزبير ﷺ يوم الجمل دعا ابنه عبد الله ﷺ فقام إلى جنبه فقال : يا بني إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم وإني لا أراني إلا سأقتل اليوم مظلوماً، وان من أكبر همي لديني، أفترى يبقى من مالنا شيئ؟ ثم قال: يا بني بع مالنا واقضِ ديني ! فإن فضل من مالنا بعد قضاء الدين شيء، فاستعن عليه بمولاي، فسأله من مولاك؟ فقال: الله ﷻ، قال: فوالله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت يا مولى الزبير اقضِ دينه فيقضيه. ويقول عبد الله: فحسبت ما كان عليه من الدين، فوجدته ألفي ألف ومائتي ألف، وكان الزبير لم يدع ديناراً ولا درهما عند وفاته سوى أرضين، منها: الغابة وأحد عشر داراً بالمدينة، ودارين بالبصرة وداراً بالكوفة وداراً بمصر. ثم قام عبد الله بن الزبير ببيع الغابة وقضى على ما الزبير من دين، فقال له بنو الزبير: اقسم بيننا ميراثنا، فقال عبد الله : والله لا أقسم بينكم حتى أنادي بالموسم أربع سنين،ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فليقضه ؟ فجعل كل سنة ينادي في الموسم، فلما مضى أربع سنين قسم بينهم ودفع الثلث، وأصاب كل زوجة من زوجات الزبير ألف ألف ومائتي ألف، فجمع مال الزبير خمسين ألف ألف ومائتي ألف[2].

وقيل : باع الزبير ﷺ داراً له بستمائة ألف، فقيل له: يا أبا عبد الله غبنت، قال: كلا والله، لتعلمن أني لم أغبن ! هي في سبيل الله[3].

وبعد معركة الجمل نزل عبد الله بن الزبير ﷺ بدار رجل من الأزد يُدعى وزيراً، فقال له عبد الله : آت أم المؤمنين فأعلمها بمكاني، ولا يعلم محمد بن أبي بكر، فأتى

---

[1] – الأصبهاني، معرفة الصحابة، ج ١، ص ص ٣٥٨ – ٣٦٠.

[2] –البلاذري، أنساب الأشراف، ج٩، ص ص ٤٥٢–٤٥٣؛ محب الدين الطبري، الرياض النضرة في مناقب العشرة، ص ٢٤٦.

– كانت الديون تشغل بال الزبير ﷺ، ذلك أن الزبير كان محل ثقة الناس فكانوا يودعون عنده أماناتهم، فكان الزبير ﷺ يطلب من صاحب الأمانة أن يجعلها قرضاً فيقول المودع : لا، ولكن هو سلف، إني لأخشى عليه الضيعة، ومعنى ذلك أن الزبير يحول الأمانة إلى قرض مضمون في ذمته إذ الأمانة لا ضمان لها مادام الأمين يضعها في حرز مثلها.

رجال في القمة من أعلام المهاجرين الزبير بن العوام، مجلة المنهل،العدد ٤٦، (ربيع الأول، ١٤٠٥هـ = ١٧٨٤م)، ص ٣٤.

[3] – ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج١، ص١١٧.

عائشة-رضي الله عنها- فأخبرها، فقالت : عليّ بمحمد، فقال لها الرجل : إنه قد نهاني أن يعلم محمد.....، فلم تسمع قوله وأرسلت إليه وقالت: اذهب مع هذا الرجل حتى تأتيني بابن أختك، فانطلق معه، وخرج عبد الله ومحمد حتى أتيا إلى دار عائشة-رضي الله عنها- في دار عبد الله بن خلف الخزاعي[1].

وقد قالت عائشة لعليّ بن أبي طالب ﷺ بعد انتهاء المعركة :" إني أحب أن أقيم معك فأسير إلى قتال عدوك عند سيرك، فقال : بل ارجعي إلى البيت الذي تركك فيه رسول الله ﷺ، فسألته أن يؤمّن ابن أختها عبد الله فأمّنه"[2].

وبذلك حصلت عائشة-رضي الله عنها- على الأمان لابن أختها، وكانت أعطت لمن بشرها بسلامته عشرة آلاف درهم[3]، وقد ورد عن عروة أنه قال: "إن عبد الله بن الزبير أحب البشر إلى عائشة بعد النبي ﷺ وبعد أبي بكر وكان أبر الناس بها"[4].

وبعد معركة الجمل وما كان لها من نتائج أثرت في نفوس عدد من المسلمين، توجه عدد منهم إلى الحجاز مبتعدين عن السياسة، وكان ممن آثر هذا البعد عبد الله بن الزبير ﷺ[5]، فلما حدث اللقاء الثاني بين المسلمين في صفين[6]، اعتزل ابن الزبير حروب علي ومعاوية ﷺ[7].

---

[1] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٥٣٤ ؛ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص٢٥٩.
عبد الله بن خلف الخزاعي: أبو طلحة الطلحات، كان كاتباً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه على ديوان البصرة، ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٣، ص٨٩٥.

[2] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص ١٨٧ ؛ الناطور، عبد الله بن الزبير، ص ٢٧.

[3] – العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص، ٣١١.

[4] – محب الدين الطبري، الرياض النضرة في مناقب العشرة، ص ٢٤٩.

[5] – الناطور، عبد الله بن الزبير، ص ٢٨.

[6] – صفين: موضع بقرب الرقة على شاطىء الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس، وكانت وقعة صفين بين عليّ ﷺ ومعاوية سنة(٣٧هـ/٦٥٧م)، واختلف المؤرخون في عدة أصحاب كل واحد من الفريقين، وقُتل في الحرب بينهما سبعون ألفاً، من أصحاب عليّ خمسة وعشرون ألفاً، ومن أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفاً، وكانت مدة المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيام، وكانت الوقائع تسعين وقعة، ولم يظفر أحد منهما، وانتهت بخدعة من معاوية بتحكيم القرآن الكريم على أسنة الرماح.
الدينوري، الأخبار الطوال، ص ص ١٥٥ –١٩٠ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص ص ٢٩٢ – ٣٠٤ ؛ الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٤٧١؛ محمد رضا، الإمام علي بن أبي طالب، تحقيق : محمد أمين ضناوي، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م)، ص ص ١٥٣ – ١٨٩.

[7] – العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٢، ص ٣١١.
يعود ارتباط معاوية بدمشق إدارياً إلى أيام الخليفة أبي بكر الصديق، حيث وصلها الجيش الذي أرسله الصديق بقيادة يزيد بن أبي سفيان لحرب الروم، وبعد وفاة يزيد عين الخليفة عمر بن الخطاب معاوية والياً على بلاد الشام مكان أخيه، وأقره عثمان زمن خلافته، وبعد أن تولى علي الخلافة، أراد تنحية كل ولاة عثمان عن إماراتهم، فرفض معاوية التخلي عن ولايته واعتصم بدمشق، و لم يكن معاوية بن أبي سفيان

وبعد توقف القتال تم الاتفاق على التحكيم، وتم اختيار أبي موسى الأشعري ﷺ[1] ليمثل أنصار عليّ ﷺ، واختار معاوية ﷺ لتمثيله عمرو بن العاص ﷺ، وتم الاتفاق على أن مكان الاجتماع بعد ستة أشهر في دومة الجندل[2]، ثم إن بعض الصحابة ﷺ قد حضر بناءً على طلب معاوية ﷺ حيث كتب معاوية ﷺ إلى عبد الله بن عمر ﷺ[3] وإلى عبد الله بن الزبير ﷺ وإلى أبي الجهم بن حذيفة ﷺ[4] وإلى عبد الرحمن بن يغوث : " أما بعد فإن الحرب قد وضعت أوزارها، وصار هذان الرجلان إلى

= ومن حوله من أهل الشام منذ البداية مؤيدين لعلي في الخلافة وكان رأيهم أن يقتص من قتلة عثمان أولا ثم يكون اختيار الخليفة بعد ذلك، حيث تبدأ قصتهم حين خرج النعمان بن بشير ومعه قميص عثمان ملطخ بدمائه ومعه أصابع نائلة– زوج عثمان – التي أصيبت حين دافعت عن زوجها بيدها فقطعت مع بعض الكف، فأتى به على معاوية = بالشام، فوضعه معاوية على المنبر ليراه الناس وعلق الأصابع في كم القميص، وأخذ يحرض الناس إلى الأخذ بالثأر لدم عثمان رضي الله عنه ثم دخلت سنة (٣٦هـ/٦٥٦م) فولى علي رضي الله عنه على الأمصار نواباً فجعل على الشام سهل بن حنيف فسار حتى تبوك فتلقته خيل معاوية فقالوا: من أنت؟ فقال أمير، قالوا: على أي شيء؟ قال: على الشام، فقالوا : إن كان عثمان بعثك فحيّ هلا بك، وإن كان غيره فارجع، فرجع إلى عليّ،ثم بعث عليّ إلى معاوية كتباً كثيرة، فلم يرد على جوابها وتكرر ذلك مراراً إلى الشهر الثالث من مقتل عثمان، ثم بعث معاوية رسولاً من عنده إلى عليّ يقول له جئتك من عند قوم لا يريدون إلا الثأر وقتل قاتل عثمان، فقال علي: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، فعزم عليّ ﷺ على قتال أهل الشام .

ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦،ص ١٨٤ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٥١ ؛ ماجد لحام، عبد الله بن الزبير العائذ ببيت الله الحرام، الطبعة الأولى،(دمشق: دار القلم، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م)، ص ص ٦٨– ٦٩ ؛ فضيل أحمد فضيل بني حمد، بنو أمية ودورهم في الحياة العامة في ظل الحكم الأموي في المشرق الإسلامي، رسالة دكتوراه، (الأردن : الجامعة الأردنية، ١٩٩٦م)، ص ٧٨.

[1] – أبو موسى الأشعري، اسمه عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن عتر بن بكر بن عامر بن عتر بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر بن يشجب، صاحب رسول الله عليه السلام، وأمه ظبية بنت وهب، أسلمت وماتت بالمدينة، أسلم وهاجر إلى الحبشة، وكان عامل رسول الله على زبيد وعدن، استعمله عمر على البصرة، افتتح أصبهان سنة (٢٣هـ/٦٤٣م)، ثم يوم التحكيم اختارت اليمانية أبو موسى، مات بالكوفة وقيل بمكة سنة (٤٢هـ/٦٦٢م)، وهو ابن ثلاث وستين سنة.

ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ص٢٦٤– ٢٦٥.

[2] – دومة الجندل: وهي على سبع مراحل من دمشق بينها وبين مدينة الرسول عليه السلام، وسميت بذلك لأن حصنها مبني بالجندل، وهي قرب جبلي طيء.

الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص٥٥٤.

[3] – عبد الله بن عمر: هو عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم، هاجر مع أبيه إلى المدينة، رده رسول الله صلى الله عليه وسلم يومي بدر وأحد لصغره، وأجازه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة، بايع رسول الله بيعة الرضوان تحت الشجرة، كان من أهل الورع والعلم، وقيل أنه من أعلم الصحابة بمناسك الحج، مات سنة (٧٢هـ/٦٩١م) أو (٧٣هـ/٦٩٢م).

ابن سعد، الطبقات الكبرى،ج٤، ص ص١٧١–١٨٠ ؛ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٣، ص ص٩٥٠–٩٥٢؛ العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص ص٣٤٧–٣٥٠.

[4] – أبو جهم بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب القرشي العدوي، قيل اسمه عامر، وأمه يسيرة بنت عبد الله بن أذاة بن رياح بن قرط، أسلم عام الفتح، وصحب النبي ﷺ، وكان معظما في قريش مقدماً فيهم، شهد بنيان الكعبة مرتين مرة في الجاهلية ومرة حين بناها ابن الزبير، توفي أيام معاوية، وهو أحد الذين دفنوا عثمان رضي الله عنه، وهذا أبو جهم الذي أهدى للنبي ﷺ خميصة لها علم فشغلته في الصلاة فردها إليه.

ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٥، ص ص٥٧–٥٨.

دومة الجندل، فأقدموا عليها إن كنتم قد اعتزلتم الحرب فلم تدخلوا فيما دخل النـــاس، لتشهدوا ما يكون منهما والسلام[1]".

وعلى إثر نتائج التحكيم خرجت مجموعة من المسلمين على الخليفة علـــي ﷺ، فسمُّوا فيما بعد بالخوارج[2]، كفّروا كل من قَبِل التحكيم حتى الإمام نفـــسه. وهكـــذا تجمعت الأحداث على علي ﷺ، وبينما كان يستعد لخوض غمار الحرب ثانيـــة ضـــد معاوية ﷺ تمكن الخارجي عبد الرحمن بن ملجم[3] من ضربه، وهو في طريقـــه لـــصلاة الصبح بسيف مسموم أودى بحياته في السابع عشر من رمضان سنة ٤٠هـــ/٦٦٠م[4].

وبعد وفاته تمت البيعة لابنه الحسن ﷺ ، وعاش الحسن ﷺ الأحداث والمصاعب التي واجهت والده، فوجد نفسه غير قادرٍ على مواجهتها، وأنه لا قبل له بالحرب ؛ وآثر جمع شمل الأمة الإسلامية وذلك بالتخلي عن الخلافة لمعاوية ﷺ واصطلحا وتنازل الحسن ﷺ عن الخلافة [5]، ثم ارتحل الحسن ﷺ عن الكوفة إلى المدينة، فأقام بها[6].

---

[1] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص ص ٦٧-٦٨ ؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١٩٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص ص٢٢٠-٢٢١؛ أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، (القاهرة: دار المطبوعات العربية،١٣٥٦هـــ = ١٩٣٧م)،ج١، ص ٤٢٩ .الناطور، عبد الله بن الزبير، ص ص٢٨-٢٩.

[2] – الخوارج: جمع خارج وخارجي، أطلقت كلمة الخوارج على طائفة من أهل الآراء والأهواء لخروجها على الدين وللخـــوارج أسمـــاء كثيرة، منها : (الحرورية، والشراة، والمارقة، والمحكمة) ،ومن أسباب خروجهم:(النزاع حول الخلافة، قضية التحكيم، جور الحكام وظهور المنكرات بين الناس، والعصبية القبلية، والعامل الاقتصادي، والحماس الديني)، ومن أشهر حركات الخوارج: (حركات الخوارج على الإمام علي بعد النهروان، وحركات الخوارج الثورية ضد الحكم الأموي، وحركات الخوارج الثورية على الدولة العباسية)، ومن فرق الخـــوارج (المحكمة، والأزارقة، والنجدات، والأباضية)، ومن خصائصهم: (الشجاعة وسرعة الاندفاع، والمبالغة في العبادة والزهد، والفصاحة وقوة التأثير، الصدق في الحديث، الميل إلى الجدل والقوة فيه).

المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٣١٤ ؛ غالب بن علي عواجي، الخوارج تاريخهم وآرائهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها، الطبعـــة الأولى،(دمنهور: ١٤١٨هـــ = ١٩٩٧م)، ص ص ١٧ - ٢٤٩.

[3] – خرج عبد الرحمن بن ملجم المرادي إلى علي، فلما قدم الكوفة أتى قطام بنت عمه، وكان علي– رضي الله عنه– قد قتل أباها وأخاها يوم النهروان، وكانت أجمل أهل زمانها، فخطبها عبد الرحمن، فقالت : أتزوج حتى تسمي لي، قال: تسأليني شيئاً إلا أعطيته، فقالت : ثلاثة آلف وعبدٌ وقينة، وقتل علي، فقال : ما سألت هو لك مهر إلاّ قتل علي، فلا أراك تدركينه، فقالت: فالتمس غرّته، فإن أصبته شفيت نفسي ونفعك العيش معي، وإن هلكت فما عند الله خير لك من الدنيا، فقال: والله ما جاء بي إلى هذا المصر وقد كنت هاربا منه إلا ذلك، وقـــد أعطيتك ما سألت".

المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٢١.

[4] – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ص ٥٨٥- ٥٨٦ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ص ١٤٣ /١٤٧؛ ابن عبـــد ربه، العقد الفريد، ج ٤، ص ٣٣٥.

[5] – اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢١٥ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ١٥٩ ؛ ابن عبد ربه،العقد الفريد، ج ٤، ص ٣٣٧؛ ابـــن الأثـــير، الكامـــل في التـــاريخ، ج ٣، ص ٤٠٥. ابـــن كـــثير، البدايـــة والنهايـــة، ج ٨، ص ١٣ ؛ PMuhammad A.Shaban,Islamic History:Anew Interpretation, Cambridge , 1977, Vol .1 , pp77-78.

[6] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ١٦٣ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٤٧.

٤. الأسرة الزبيرية في خلافة معاوية بن أبي سفيان ﷺ وابنه يزيد بن معاوية:

١.الأسرة الزبيرية في خلافة معاوية بن أبي سفيان ﷺ:

تم جمع شمل المسلمين وأصبح معاوية ﷺ خليفة المسلمين، في ربيع الآخر أو جمادى الآخرة سنة ٤١هـ/٦٦١م ، وسمي هذا العام بـ (عام الجماعة)، لاجتماع الأمة على خليفة واحد [1].

ثم كان مقتل الحسن بن علي ﷺ على عهده، حيث توفي مسموماً، من زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس. ويقال دسَّ إليها يزيد بن معاوية أن تسمه فيتزوجها، ففعلت، فلما مات الحسن ﷺ بعثت إلى يزيد تسأله الوفاء بما وعدها، فقال: إنا لم نرضك للحسن، افنرضاك لأنفسنا؟ وكانت وفاته سنة ٤٩هـ/٦٦٩م [2].

ويمكن تقسيم موقف ابن الزبير ﷺ وأسرته من خلافة معاوية بن أبي سفيان ﷺ إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى : قبل أن يتولى معاوية ﷺ الخلافة :

لم يكن ابن الزبير ﷺ من المؤيدين لمعاوية ﷺ حتى قبل أن يصبح خليفة، فقد رشح ابن الزبير ﷺ عبد الله بن عمر ﷺ بقوله:" افطن فانتبه، اذهب إلى عمرو بن العاص ﷺ فارشه، فقال عبد الله بن عمر ﷺ: لا والله ما أرشو عليها أبداً ما عشت"[3]، فهو يرمي هنا إلى أن يُظهر عدم رضاه عن علي ومعاوية ﷺ، وأراد أن يكسب عبد الله بن عمر ﷺ إلى صفه.

المرحلة الثانية: بعد أن تولى معاوية ﷺ الحكم وتمت له البيعة:

كان هناك معارضون لمعاوية ﷺ، وكان أخطر المعارضين في الحجاز ؛ لوجود عدد كبير من الصحابة ﷺ وأبنائهم هناك، وفيهم من ينافسه على الخلافة، وعلى رأسهم الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ الذي رفض اتفاقية أخيه الحسن ﷺ مع معاوية ﷺ

---

(١) ـ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٤، ص ٣٣٨ ؛السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٥١.

(٢) ـ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٣٥؛السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ص ١٤٧-١٤٨ .

(٣) ـ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص ٦٩.

وتنازله عن الخلافة[1]، ثم عبد الله بن الزبير ﷺ الذي لم يكن من أنصار معاوية ﷺ ولا مقراً بخلافته، بل يجد نفسه أحق بها منه [2]، ويظهر ذلك عندما قال معاوية ﷺ لابنه يزيد :" ..وإني لأتخوف أن ينازعك هذا الأمر الذي استتب لك إلا أربعة نفر من قريش: الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر .."[3].

وكان معاوية ﷺ يحاول أن يوقع بين الحسين وعبد الله ﷺ ليشغلهما عنه، ومما يروى في ذلك أن الحسين ﷺ دخل مرة على معاوية ﷺ في قصره، وكان في حضرته عبد الله بن الزبير ﷺ ، فرحب معاوية بالحسين ﷺ وأجلسه معه على سريره ثم أشار إلى ابن الزبير ﷺ وقال له : " ترى هذا القاعد، فإنه ليدركه الحسد لبني عبد مناف، فقال الزبير لمعاوية ﷺ: قد عرفنا فضل الحسين وقرابته من رسول الله ﷺ، لكن إن شئت أعلمتك فضل الزبير على أبيك أبي سفيان فعلته"؟ [4].وبذلك اعترف عبد الله بفضل الحسين واعتز بنسبه على معاوية ﷺ.

ولم يكن معاوية ﷺ يخشى الحسين ﷺ منذ أن تنازل له الحسن ﷺ عن الخلافة، ولم ير الحسين ﷺ سوءاً من معاوية ﷺ طيلة حياته، بل كان معاوية ﷺ يجزل له العطاء، وأوصى ابنه يزيد به خيراً، فقد جاء في وصيته لابنه:" .. أما الحسين بن علي فإن أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه، فإن خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه فإن له رحماً، ماسة وحقاً عظيماً..[5]".

أما عبد الله بن الزبير ﷺ فعنده يكمن الخطر، وكان معاوية ﷺ يتخذ منه مواقف متفاوتة، فتارة يود أن يكسبه إلى جانبه بالحسنى، فكان يرحب به ويغدق عليه الأموال ويقول عندما يلقاه:" مرحباً بابن حواري رسول الله ﷺ وابن عمته "[6]، ثم يأمر له بمائة ألف[7].

---

[1] — عبد العزيز الغنيم، موقف الحسين بن علي من الخلافة وآثاره السياسية بين عامي الجماعة، رسالة دكتوراه،(القاهرة، جامعة الأزهر، د.ت)، ص ١٠٠.

[2] — لحام،عبد الله بن الزبير العائذ ببيت الله الحرام، ص ٧٥.

[3] — الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٣٢٢.

[4] — ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٤، ص ١٥ ؛ لحام، عبد الله بن الزبير العائذ ببيت الله الحرام، ص ص ٧٦-٧٧.

[5] — الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٣٢٢.

[6] — ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٤، ص ٣٤٧.

[7] — ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ١١٠.

وتذكر إحدى الروايات أنه:" لما قدم معاوية مكة تلقاه عبد الله بن الزبير ﷺ بالتنعيم، فضاحكه معاوية ﷺ وسأله عن الموالي، ولم يعرض بشيء من الأمر الذي بلغه من معارضة ابن الزبير ﷺ لبيعة ابنه "[1]. لقد أتخذ معاوية ﷺ سياسة الحلم والدهاء مع عبد الله بن الزبير ﷺ، وليس هذا بالبعيد على معاوية ﷺ أن يفعله وأكثر منه، فهو أحد دهاة العرب الذين يعرفون قدر الرجال، ولذلك كان ابن الزبير ﷺ هادئاً في أوائل عهده[2].

ثم تارة يتوعده ويتهدده فيُذكر:أن معاوية قال لابن الزبير ﷺ ذات مرة عندما لقيه بالمدينة : لا مرحباً ولا أهلاً ! خبّ ضبّ تلعة، يدخل رأسه ويضرب بذنبه ويوشك والله أن يؤخذ بذنبه ويُدق ظهره، فطلب من حرسه أن ينحوه عنه فضرب وجه راحلته"[3].

وأحياناً يلجأ معاوية ﷺ للحجة والبرهان عندما يجتمع بعبد الله ﷺ ليظهر أفضليته بالحكم، فقال في أحد المجالس:" تنازعني هذا الأمر كأنك أحق به مني ! فأجابه عبد الله: لم لا أكون أحق به منك يا معاوية، وقد اتبع أبي رسول الله ﷺ على الإيمان، واتبع الناس أباك على الكفر، فقال معاوية له: غلطت يا ابن الزبير، بعث الله ابن عمي نبياً فدعا أباك، فأجابه، فما أنت إلا تابع لي ضالا كنت أو مهدياً"[4].

وقد اشتد التفاخر بينهما يوماً فقال الزبير ﷺ :" أسألكم بالله : أتعلمون أن أبي حواري رسول الله ﷺ،وأن أباه أبا سفيان حارب رسول الله ﷺ ؟ وأن أمي أسماء بنت أبي بكر الصديق، وأمه هند آكلة الأكباد؟ وجدي الصديق، وجده المشدوخ ببدر رأس الكفر؟ وعمتي خديجة ذات الحسب، وعمته أم جميل حمالة الحطب؟ وجدتي صفية، وجدته حمامة؟ وزوج عمتي خير ولد آدم محمد ﷺ، وزوج عمته شر ولد بنو آدم أبو لهب سيصلى ناراً ذات لهب؟ وخالتي عائشة أم المؤمنين، وخالته أشقى الأشقين؟ وأنا عبد الله، وهو معاوية؟

---

(1) – الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج ١، ص٤٠٦.

(2) – مصطفى زكي محمد، ثورة عبد الله بن الزبير وموقف الأحزاب السياسية منها، رسالة ماجستير، (القاهرة : جامعة الأزهر، ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م)، ص ٢٩.

(3) – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٥٠٨.

(4) – ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٢، ص ١١٦.

فقال له معاوية ﷺ : ويحك يا ابن الزبير، كيف تصف نفسك بما وصفتها؟ والله مالك في القديم من رياسة، ولا في الحديث من سياسة، ولقد قدناك وسُدناك قديماً وحديثاً، لا تستطيع لذلك إنكارا، ولا عنه فراراً، وإن هؤلاء الحضور ليعلمون أن قريشاً قد اجتمعت يوم الفجار على رياسة حرب بن أمية وأن أباك وأسرتك تحت رايته راضون بإمارته غير منكرين لفضله ولا طامعين في عزله، إن أمر أطاعوا، وإن قال انصبوا، فلم تزل فينا القيادة وعزّ الولاية؛ حتى بعث الله عزوجل محمداً ﷺ، فانتخبه من خير خلقه، ومن أسرتي لا أسرتك، وبني أبي لا بني أبيك، فجحدته قريش أشد الجحود؛ وأنكرته أشد الإنكار وجاهدته أشد الجهاد، إلا من عصم الله قريش؛ فما ساد قريشاً وقادهم إلا أبو سفيان بن حرب، فكانت الفئتان تلتقيان ورئيس الهدى منا ورئيس الضلالة منا؛ فمهديُّكم تحت راية مهديِّنا، وضالكم تحت راية ضالِّنا ؛ فنحن الأرباب، وأنتم الأذناب؛ حتى خلص الله أبا سفيان بن حرب بفضله من عظيم شركه ؛ وعصمه بالإسلام من عبادة الأصنام؛ فكان في الجاهلية عظيماً شأنه، وفي الإسلام معروفاً مكانه؛ ولقد أُعطي يوم الفتح ما لم يُعط احد من آبائك؛ وإن منادي رسول الله ﷺ نادى: من دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن؛ وكانت داره حرماً، لا دارك ولا دار أبيك؛ وأما هند فكانت امرأة من قريش في الجاهلية عظيمة الخطر؛ وفي الإسلام كريمة الخبر، وأما جدُّك الصديق فبتصديق عبد مناف سُمي صديقاً لا بتصديق عبد العزى؛ وأما ما ذكرت من جدي المشدوخ ببدر، فلعمري لقد دعا إلى البراز هو وأخوه وابنه فلو برزت إليه أنت وأبوك ما بارزوكم ولا رأوكم لهم أكفاء، كما قد طلب ذلك غيركم فلم يقبلوهم، حتى برز إليهم أكفاؤهم من بني أبيهم، فقضى الله مناياهم بأيديهم فنحن قتلنا ونحن قُتلنا. وما أنت وذاك؟ وأما عمتك أم المؤمنين فبنا شُرفت وسُميت أم المؤمنين، وخالتك عائشة مثل ذلك، وأما صفية فهي أدنتك من الظل، ولولا هي لكنت ضاحياً؛ وأما ما ذكرت من عمك وخال أبيك سيد الشهداء، فكذلك كانوا رحمهم الله، وفخرهم وإرثهم لي دونك، ولا فخر لك فيهم ولا إرث بينك وبينهم؛ وأما قولك : أنا عبد الله وهو معاوية، فقد علمت قريش أيُّنا أجود في الإزم، وأحزم في القُدم،وأمنع للحرم؛ لا والله ما أراك منتهياً حتى تروم من بني عبد مناف ما رام أبوك؛ فقد طالبهم بالذُحول — الثأر — وقدّم إليهم الخيول، وخدعتم أم المؤمنين ولم تراقبوا رسول الله ﷺ إذ مددتم على

نسائكم السُّجوف، وأبرزتم زوجته للحتوف ومقارعة السيوف، فلما التقى الجمعان نكص أبوك هارباً، فلم ينجه ذلك أن طحنه أبو الحسين بكلكله طحن الحصيد بأيدي العبيد، وأما أنت فأفلت بعد أن خمشتك براثينه ونالتك مخاليبه، وآيم الله ليقوِّمنك بنو عبد مناف بثقافها، أو لتصيحن منها صياح أبيك بوادي السباع"[1].

ومع ذلك بايع ابن الزبير معاوية ﷺ بالخلافة مُكرهاً، و لم يطالب بالخلافة لأنه يرى الحسين ﷺ أحق بها، و لم يخرج على طاعة الخليفة لأن معاوية ﷺ بيده السلطة، ويملك جيشاً، وأجمعت الأمة على بيعته[2]، بل إنه ذهب مع الجيوش لمحاربة الأعداء، فاشترك مع الجيش الإسلامي الذي وجهه معاوية ﷺ لغزو القسطنطينية[3] تحت قيادة يزيد بن معاوية سنة ٥٠هـ/٦٧٠م[4].

المرحلة الثالثة: بعد تولية العهد ليزيد:

كتب معاوية ﷺ إلى مروان بن الحكم بالمدينة كتاباً يقول فيه :إنه عوَّل على أخذ البيعة لابنه، فقرأ الكتاب مروان على الناس في المسجد فهاج الناس وماجوا، فقال عبد الرحمن بن أبي بكر : كذبت والله يا مروان وكذب معاوية، ما الخيار أردتما لأمة محمد ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية، كلما مات هرقل قام هرقل، وقام الحسين بن علي ﷺ فأنكر ذلك، وفعل مثله عبد الله بن الزبير ﷺ[5].

وبعد أن بايع أهل الشام والعراق ليزيد، سار معاوية ﷺ إلى الحجاز في ألف فارس، فلما دخل المدينة لأخذ البيعة، قابله الحسين بن علي ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمر ﷺ، فأساء لقاءهم وقابلهم مقابلة جافة، وتوعدهم إن هم لم يبايعوا. وعلمت بذلك السيدة عائشة – رضي الله عنها –، فلما ذهب إليها معاوية ﷺ، تكلمت

---

[1] – ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص ص ١٦ – ١٨.

[2] – لحام، عبد الله بن الزبير العائذ بيت الله الحرام، ص ٧٨.

[3] – القسطنطينية: دار ملك الروم، بينها وبين بلاد المسلمين البحر المالح، عمرها ملك من ملوك الروم يُقال له قسطنطين فسميت باسمه لها خليج من البحر يطيف بها من وجهين مما يلي الشرق والشمال، وجانبها الغربي والجنوبي في البر، وذكر أن لها أبواب كثيرة نحو مائة باب .

الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٩٥.

[4] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٤٥٩.

[5] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٥٠٦.

معه في شأن الحسين بن علي ﷺ ومن معه من المعارضين، وذكرت له أنه أساء إليهم وتوعدهم، فقال معاوية ﷺ: هم أعز من ذلك، ولكني بايعت لابني يزيد وبايعه غيرهم، افترين أن انقض بيعة تمت، قالت فارفق بهم فإنهم يصيرون إلى ما تحب إن شاء الله، فوعدها بذلك[1].

ومما يدل على أن ابن الزبير ﷺ ممن أنكر البيعة ليزيد[2]، عندما سأل معاوية ابن الزبير ﷺ : ما ترى في بيعة يزيد؟

قال:" يا أمير المؤمنين إني أناديك ولا أناجيك، إن أخاك من صدقك، فانظر قبل أن تتقدم، وتَفَكّر قبل أن تندم، فإن النظر قبل التقدم، والتفكّر قبل الندم.

فضحك معاوية ﷺ وقال: ثعلب رواغ! تعلمت السجع عند الكبر، في دون ما سجعت به على ابن أخيك ما يكفيك"[3].

كما يُذكر: " أن معاوية أرسل إلى ابن الزبير والحسين وعبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر ﷺ ، فاجتمعوا وقالوا لابن الزبير ﷺ اكفنا كلامه، فقال : على أن لاتخالفوني، قالوا: لك ذلك، ثم أتوا معاوية ﷺ ، فرحب بهم وقال لهم: قد علمتم نظري لكم،..ويزيد أخوكم ..وإنما أردت أن أقدمه باسم الخلافة وتكونوا أنتم من تأمرون وتنهون: فسكتوا، وتكلم ابن الزبير ﷺ:

نخيرك بين إحدى ثلاث، أيها أخذت فهي لك رغبة وفيها خيار: إن شئت فاصنع فينا ما صنعه رسول الله ﷺ، قبضه و لم يستخلف؛ فدع هذا الأمر حتى يختار الناس لأنفسهم؛ وإن شئت فما صنع أبو بكر ، عهد إلى رجل من قاصية قريش وترك من ولده ومن رهطه الأدنين، من كان لها أهلا؛ وإن شئت فما صنع عمر ، صيرنا إلى ستة نفر من قريش يختارون رجلاً منهم، وترك ولده وأهل بيته، وفيهم من لو وليها لكان لها أهلا.

قال معاوية ﷺ: هل غير هذا؟

قال: لا.

ثم قال للآخرين: ما عندكم؟

---

[1] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٥٠٩.

[2] – ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٤، ص ٣٤٧ .

[3] – ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٤، ص ٣٤٤.

قالوا : نحن على ما قال ابن الزبير.

فقال معاوية ﷺ: إني أتقدم وقد أعذر من أنذر إني قائل مقالة، فأقسم بالله لئن رد عليّ رجل منكم كلمة في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمته حتى يضرب رأسه، فلا ينظر امرؤ منكم إلا إلى نفسه، ولا يُبقي إلا عليها.

وأمر أن يقوم على رأس كل رجل منهم رجلان بسيفهما، فإن تكلم بكلمة يرد بها عليه قوله قتلاه، وخرج وأخرجهم معه حتى رقي المنبر، وحف به أهل الشام واجتمع الناس،فقال بعد حمد الله والثناء عليه:

إنا وجدنا أحاديث الناس ذات عوار، قالوا: إن حسيناً وابن أبي بكر وابن عمر وابن الزبير لم يبايعوا ليزيد، وهؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم: لانُبرم أمراً دونهم، ولا نقضي أمراً إلا عن مشورتهم؛ وإني دعوتهم فوجدتهم سامعين مطيعين، فبايعوا وسلّموا وأطاعوا، فقال أهل الشام : وما يعظم من أمر هؤلاء؟ ائذن لنا فنضرب أعناقهم، لا نرضى حتى يبايعوا علانية: فقال معاوية: سبحان الله ما أسرع الناس إلى قريش بالشر، وأحلى دماءهم عندهم! أنصتوا، فلا أسمع هذه المقالة من أحد. ودعا الناس إلى البيعة فبايعوا، ثم قُربت رحاله فركب ومضى.

فقال الناس للحسين ﷺ وأصحابه: قلتم لا نبايع، فلما دُعيتم وأُرضيتم بايعتم!

قالوا لم نفعل.

قالوا بلى، قد فعلتم وبايعتم، أفلا أنكرتم؟

قالوا خفنا القتل، وكادكم بنا وكادنا بكم"[1].

ويُذكر: أن معاوية أرسل إلى ابن الزبير ﷺ ، فقال له: إنما أنت ثعلب روّاغ كلما خرج من جحر دخل في آخر، وإنك عمدت إلى هذين الرجلين – يقصد ابن أبي بكر وابن عمر – فنفخت في منخارهما وحملتهما على غير رأيهما، فقال ابن الزبير: إن كنت قد مللت الإمارة فاعتزلها، وهلم ابنك فلنبايعه، أرأيت إن بايعنا ابنك لأيكما نسمع ونطيع ؟ لا نجمع البيعة لكما أبدا "[2].

---

[1] – ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٤، ص ص ٣٤٧ -٣٤٩ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ص ٥١١–٥١٠.

[2] – الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج ١، ص ٤٠٦ ؛السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٥٢.

ويتضح موقف معاوية من الزبير ﷺ بوضوح في وصيته لابنه حينما قال:" وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد، ويراوغك مراوغة الثعلب، فإذا أمكنته فرصة وثب، فذاك ابن الزبير فإن هو فعلها بك فقدرت عليه فقطعه إرباً إرباً "(١).

وكانت لابن الزبير ﷺ مواقف جريئة مع الأمويين عامة ومعاوية ﷺ بصفة خاصة، فقد تنازع مروان بن الحكم وابن الزبير ﷺ، وكان هوى معاوية ﷺ مع مروان، فقال ابن الزبير ﷺ: " يا أمير المؤمنين إن لك حقا وطاعة، فأطع الله نطعك، فإنه لا طاعة لك علينا إلا في حق الله ﷻ، ولا تطرق إطراق الأفعوان في أصول السخبر"(٢).

وسأل ابن الزبير مرة معاوية ﷺ شيئاً، فمنعه، فقال: " والله ما أجهل أن ألزم هذه البنية، فلا أشتم لك عرضاً، ولا أقصب – أعيب – لك حسباً، ولكن أسدل عمامتي بين يدي ذراعاً، ومن خلفي ذراعاً في طريق أهل الشام، وأذكر سيرة أبي بكر وعمر، فيقول الناس : من هذا ؟ فيقولون : ابن حواري رسول الله ﷺ وابن بنت الصديق، فقال معاوية: حسبك بهذا شرفاً، ثم قال: هات حوائجك"(٣).

ويُذكر : أن معاوية ﷺ لما حج تلقته الناس وتخلف ابن الزبير ﷺ ثم جاءه وقد حلق رأسه، فقال : يا أمير المؤمنين ما أكبر حجرة رأسك!! فقال له: اتق أن لا يخرج عليك منها حية فتقتلك، فلما أفاض معاوية ﷺ طاف معه ابن الزبير ﷺ وهو آخذ بيده، ثم استدعاه إلى داره ومنازله بقيقعان، فذهب معه إليها، فلما خرجا قال: يا أمير المؤمنين إن الناس يقولون جاء معه أمير المؤمنين إلى دوره ومنازله ففعل معه ماذا ؟ لا والله لا أدعك حتى تعطيني مائة ألف، فأعطاه، فجاء مروان، فقال: والله يا أمير المؤمنين ما رأيت مثلك جاءك رجل قد سمى بيت مال الديوان وبيت الخلافة، وبيت كذا، وبيت كذا، فأعطيته مائة ألف، فقال له: ويلك كيف أصنع بابن الزبير(٤)؟

كما قيل: إن ابن الزبير ﷺ دخل على معاوية ﷺ فأمر ابناً له صغيراً فلطم ابن الزبير ﷺ لطمة دوخ منها رأسه، فلما أفاق ابن الزبير ﷺ، قال للصبي : ادن مني، فدنا منه، فقال له: الطم معاوية ، قال: لا أفعل، قال : ولم ؟ قال : لأنه أبي، فرفع ابن

---

(١) – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ص ٣٢٢-٣٢٣ ؛ ابن الأثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٩٣.

(٢) – ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص ١٨.

(٣) – ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢٦٩؛ لحام، عبد الله بن الزبير العائذ ببيت الله الحرام، ص ٧٩.

(٤) – ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢٦٩.

الزبير ﷺ يده فلطم الصبي لطمة جعل يدور منها كما تدور الدوامة، فقال له معاوية ﷺ: تفعل هذا بغلام لم تجر عليه الأحكام؟ قال : إنه والله قد عرف ما يضره مما ينفعه، فأحببت أن أحسن أدبه[1].

بل عندما يختلي ابن الزبير بمعاوية ﷺ كان معاوية ﷺ يفصح عما بداخله صراحة ومما يروى في ذلك: أن ابن الزبير لحق معاوية ﷺ وهو سائر إلى الشام فوجده وهو ينعس على راحلته، فقال له : أتنعس وأنا معك؟ أما تخاف مني أن أقتلك؟ فقال معاوية ﷺ: إنك لست من قتال الملوك، إنما يصيد كل طائر قدره، فقال ابن الزبير ﷺ: لقد سرت تحت لواء أبي إلى علي بن أبي طالب ، وهو من تعلمه، فقال : لا جرم قتلكم والله بشماله، فقال ابن الزبير ﷺ: أما إن ذلك كان في نصرة عثمان ، ثم لم يجز بها، فقال معاوية ﷺ: إنما كان لبغض علي لا لنصرة عثمان، فقال ابن الزبير ﷺ: إنا قد أعطيناك عهداً فنحن وافون لك به ما عشت[2]".

لقد استطاع معاوية ﷺ اتباع أساليب مرنة متباينة، كالملاينة والمصانعة أحياناً، والشدة والحزم حيناً آخر، والتهديد حيناً آخر ثالثاً، أن يحقق رغبته في البيعة لابنه يزيد، وفي إرساء دعائم مبدأ جديد في النظام السياسي الإسلامي وهو حصر الخلافة في أسرة بني أمية[3].

أما بقية الأسرة الزبيرية فيتضح موقفها من خلال القصة الآتية، فقد اجتمع ذات يوم في المسجد الحرام – أيام حكم معاوية ﷺ– عبد الله بن الزبير ﷺ ومصعب بن الزبير وعروة بن الزبير وعبدالملك بن مروان، فقالوا: تمنوا ؛ فتمنى عبد الله بن الزبير ﷺ الحرمين والخلافة، وتمنى مصعب إمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين،، وتمنى عبد الملك الأرض كلها وأن يخلف معاوية، أما عروة فقال: أتمنى أن يؤخذ عني العلم[4] .

---

[1] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢٧٠.

[2] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ص ٢٦٩ -٢٧٠.

[3] – عبد المحسن طه رمضان، مظاهر التغير في نظام الخلافة أيام معاوية بن أبي سفيان ونتائجه، مجلة كلية الآداب، (جامعة طنطا: يناير،١٩٩٦م)، العدد ١٠، ص ٨٥.

[4] – عبد الجليل شلبي، عروة بن الزبير رضي الله عنه،،مجلة لواء الإسلام، (رمضان : ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م)، ص ٣٨ ؛ عروة بن الزبير، المجلة العربية، العدد ٣٥، ص ٨٩.

▪ الأسرة الزبيرية في خلافة يزيد بن معاوية:

توفى معاوية بن أبي سفيان ﷺ في رجب سنة ٦٠هـ/٦٧٩م، وتولى الخلافة بعده ابنه يزيد في رجب من العام نفسه، وكان هم يزيد منذ أن آلت إليه الخلافة أن يأخذ البيعة ممن امتنعوا عنها من أبناء الصحابة ﷺ، مثل: الحسين بن علي وابن عمر، وابن الزبير ﷺ[1]، وأقر يزيد على الأمصار عمال أبيه ولم يعزل أحدا منهم[2]. وقد كتب يزيد إلى الوليد بن عتبة[3] عامله على المدينة كتاباً يأمره فيه أن يأخذ الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير ﷺ، أخذا لا هوادة فيه حتى يبايعوه، واضطرب الوليد وبعث إلى مروان بن الحكم، وقرأ عليه كتاب يزيد وأراد أن يشركه معه وألا يتحمل المسؤولية[4].

وقد صعق مروان لوفاة معاوية ﷺ، وترحم عليه، وقال للوليد: ابعث إليهم الساعة وادعهم للبيعة، فإن أبوا اضرب أعناقهم فإني أخاف إن علموا بموت معاوية أن يثب كل واحد منهم في ناحية ويدعو لنفسه ثم قال: لا أرى ابن عمر يحب الشقاق والقتال ولا يحب أن يلي على الناس إلا أن يدفع إليه هذا الأمر عفواً[5].

فأرسل الوليد إلى الحسين بن علي، وابن الزبير ﷺ وأراد أن يأخذ البيعة منهما عملاً بمشورة مروان، وعندما وصلهما رسول الوليد كانا بالمسجد، فقالا يغلب على الظن أن الطاغية قد هلك، فبعث إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يفشوا في الناس الخبر، وقال ابن الزبير: للحسين ﷺ إني أخاف عليك! فقال الحسين ﷺ: لا آتيه إلا وأنا على امتناع قادر، وجمع رجاله وكانوا ثلاثين رجلاً[6]، وأمرهم بحمل السلاح، وأجلسهم على الباب وأمرهم ألا يبرحوا مكانهم وقال لهم: إذا سمعتم صوتي قد علا أو دعوتكم فادخلوا علي بأجمعكم، وسار بهم ثم دخل على الوليد ومروان عنده، فجلس فأقرأه الوليد الكتاب ونعى

---

[1] – الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٢٦ ؛ تاريخ، اليعقوبي، ج٢، ص٢٤١ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ١٤.

[2] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١١٨.

[3] – الوليد بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب الأموي، ولي المدينة سنة (٥٧هـ)، في أيام معاوية، وعزله يزيد سنة (٦٠هـ/٦٧٩م)، واستقدمه إليه، فكان من رجال مشورته بدمشق، ثم أعاده سنة (٦١هـ) وثورة عبد الله بن الزبير في إبانها بمكة، ثم عزله الوليد مرة أخرى وولى عثمان ابن محمد بن أبي سفيان، وظل الوليد بالمدينة، وحج بالناس سنة (٦٢هـ/٦٨١م)، وتوفي بالطاعون.
الزركلي، الأعلام، ج٨، ص ١٢١.

[4] – الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٢٧ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٣٣٨.

[5] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ١٤.

[6] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ١٥.

إليه معاوية ودعاه إلى البيعة، فقال الحسين ﷺ: أما البيعة فإن مثلي لا يبايع سراً، فإذا دعوت الناس دعوتنا معهم، فكان أمراً واحداً، فرضي الوليد منه ذلك[١]، وقد أذن الوليد للحسين ﷺ بالانصراف فاعترض مروان ابن الحكم وقال: أحبسه حتى يبايع أو أضرب عنقه[٢]، لكن الوليد لم يأخذ برأيه وانصرف الحسين ﷺ[٣].

وأما ابن الزبير ﷺ فلم يذهب، وقال: لا تعجلوني فإني آتيكم وأبطأ في الذهاب إليهم[٤]، فهددوه وأفزعوه وحاصروا داره، فبعث عبد الله ﷺ إلى الوليد أخاه جعفراً، فقال للوليد: كف عن عبد الله فإنك قد أفزعته وهو يأتيك غداً، فصرف الوليد رسله عنه، وفك حصاره[٥]، وإزاء إلحاح الوليد وخوف ابن الزبير ﷺ من لقائه رأى ابن الزبير أن يرحل إلى مكة، حيث يجد الأمن والطمأنينة بجوار بيت الله الحرام[٦]، لذلك خرج في جنح الليل هو وأخوه جعفر ليس معهما ثالث، وتوجها نحو مكة، فوجه الوليد في طلبه الرجال، فلم يقدروا عليه فرجعوا، وتشاغلوا عن الحسين بطلب عبد الله ابن الزبير ﷺ حتى أمسوا[٧].

وبعد أن فر عبد الله بن الزبير ﷺ لم يبق أمام الوليد سوى الحسين ﷺ، فأخذ يرسل إليه الرسل يستدعيه للحضور فأرسل إليه عند المساء، فقال : أصبحوا ثم ترون ونرى، وخرج من ليلته هذه ومعه بنوه وبنو أخيه و معظم أهل بيته، وكان قد عزم ألا تشرق عليه شمس الصباح إلا وهو في طريق مكة، كما فعل ابن الزبير ﷺ، فلم يجد الوليد أمامه سوى عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس ﷺ، فاستدعاهما، فبايعا ليزيد كما بايعه الناس[٨]. قدم ابن الزبير ﷺ مكة قبل الحسين بن علي ﷺ بيوم، ودخل المسجد الحرام

---

[١] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٣٣٩ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ١٥.

[٢] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ١٥ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١١٨.

[٣] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ١٦ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١١٨.

[٤] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٣١٤.

[٥] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٣٤٠؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٣١٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ١٦.

[٦] – الأزرقي، أخبار مكة، ج ١، ص ٢٠١ ؛ عمر بن فهد محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى،الطبعة الأولى ،(القاهرة : مكتبة الخانجي ،١٤٠٤هـ = ١٩٨٣م)،ج ٢، ص ٤٣.

[٧] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٣٤١.

[٨] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ١٦.

حيث وجد الأمن والطمأنينة التي افتقدها في المدينة، وقال: إني عائـذ بالبيـت[1]، وأراد أن يظهر سلطانه على مكة فمنع الحارث بن خالد المخزومي[2] من الـصـلاة، وصـار يصلي بأصحابه وحدهم، وكان لا يفيض من الحج معهم، والتف الناس حوله[3].

ولما قدم الحسين بن علي ﷺ، ترك الناس عبد الله بن الزبير ﷺ، واحتفلوا به والتقـوا به[4]، وعندما علم يزيد بأن الوليد بن عتبة لم يكن حازماً في مسلكه مع الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير ﷺ، وأن تراخيه وعدم حيطته تسبب عنهما أن فرا من المدينة هروبـاً من البيعة، عزله عن المدينة، وولى مكانه عمرو بن سعيد بن العاص، نائب مكـة سـنة ٦٠هـ/٦٧٩م [5]، فقدم عمرو المدينة في رمضان سنة٦٠هـ/٦٧٩م، وهو يعلم مـا في مكة، لأنه كان والياً عليها من قبل، فأول ما قام به من الأعمال، أن ولى على شـرطته عمرو بن الزبير، بعد أن سأل من أعدى الناس لعبد الله بن الزبير ﷺ: قيل له: عمرو بن الزبير[6].

وأراد عمرو بن سعيد أن يحوز رضا الخليفة فرأى أن يرسل لابن الزبير ﷺ، أخاه عمرو بن الزبير على رأس جيش ليأتي بأخيه إلى يزيد، وقد وقف مروان بن الحكم مـن عمرو بن سعيد في هذا الأمر موقفاً مشرفاً، فقد جاء إلى عمرو فقال:" لا تغزُ مكة واتق الله، ولا تحل حرمة البيت، وخلوا ابن الزبير، فقد كبر هذا، له بضع وستون، وهو رجل لجوج، والله لئن لم تقتلوه ليموتن، فقال عمرو بن الزبير : والله لنقاتله في جوف الكعبـة على رغم أنف من رغم، فقال مروان: والله إن ذلك ليسؤني"[7].

---

[1] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٣٤٣ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ١٦.

[2] – الحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي، من قريش، شاعر غزل، من أهل مكة، نشأ في أواخر ايام عمر بن أبي ربيعة، مذهبه لا يتجاوز الغزل إلى المديح و الهجاء، كان يهوى عائشة بنت طلحة ويشبب به، وكان ذا خطر وقدر ومنظر في قريش، ولاه يزيد بن معاوية إمارة مكة، فظهرت دعوة عبد الله بن الزبير، فاستتر الحارث خوفاً، ثم رحل إلى دمشق وافداً على عبد الملك بن مروان، فلم ير عنده مـا يحب، فعاد إلى مكة، وتوفي بها.

الزركلي، الأعلام، ج ٢، ص ١٥٤.

[3] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص٣١٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٣٤٣.

[4] – الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٢٩ ؛ ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج ٢، ص ٤٤.

[5] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١١٩.

[6] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ص ٣٤٤ - ٣٤٥، ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج ٢، ص ٤٩.

[7] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٣٤٥.

سار عمرو بن الزبير في مقدمة ألفي رجل قاصداً أخاه عبد الله بن الزبير ﷺ غير عابئ بحرمة بيت الله الحرام، أو بعاطفة الأخوة، بل كان كل همه التنكيل بأخيه والتشفي منه، ويوضح ذلك ما جاء في كتاب عمرو إلى أخيه عبد الله :" بر يمين الخليفة واجعل في عنقك جامعة من فضة – هو ما يوضع في اليد أو العنق – لا ترى ولا يضرب الناس بعضهم بعضاً، واتق الله، فإنك في بلد حرام"[1].

فأرسل عبد الله ﷺ يقول لأخيه : موعدك المسجد، وبعث عبد الله بن الزبير ﷺ، عبد الله بن صفوان بن أمية[2] في سرية، فاقتتلوا مع عمرو بن أنيس الأسلمي، فهزموا أنيساً هزيمة قبيحة، وتفرق عن عمرو بن الزبير أصحابه، وهرب عمرو إلى دار ابن علقمة، ودخله، فأجاره أخوه عبيدة بن الزبير، فلامه أخوه عبد الله بن الزبير ﷺ، وقال: تجير من في عنقه حقوق الناس ؟ ثم ضربه بكل من ضربه بالمدينة إلا المنذر بن الزبير وابنه فالهما أبا أن يستقيدا من عمرو، وسجنه، وقيل أن عمرو بن الزبير مات تحت السياط[3].

ثم بعث أهل العراق إلى الحسين بن علي ﷺ الرسل والكتب يدعونه إليهم، فخرج من مكة إلى العراق في عشر ذي الحجة ومعه طائفة من أهل بيته، فكتب يزيد إلى واليه بالعراق عبيد الله بن زياد[4] بقتاله، فوجه إليه جيشاً قوامه أربعة آلاف، عليهم عمر بن سعد بن أبي وقاص[5]، فخذله أهل الكوفة، فلما رهقه السلاح عرض عليهم

---

(1) – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ١٩ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٢٠.

(2) – عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف الجُمحي، كان مع ابن الزبير لما حصره الحجاج، فبذلوا له الأمان حين تفرق الناس عن ابن الزبير،قُتل يوم قُتل عبد الله بن الزبير، منتصف جمادى الآخرة من سنة (٧٣هـ/٦٩٢م).
ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ١٧٥.

(3) – ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٢٠ ؛ ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج ٢، ص ٥٣.

(4) – عبيد الله بن زياد بن أبيه، وال، فاتح، من الشجعان، ولد بالبصرة، ولاه عمه معاوية خراسان (سنة ٥٣هـ)، ثم نقله إلى البصرة أميراً عليه(سنة ٥٥هـ) فقاتل الخوارج واشتد عليهم، ولما مات يزيد (سنة ٦٥هـ)، بايع أهل البصرة لعبيد الله، ثم مالبثوا أن وثبوا عليه، فتنقل مختبئاً، ولحق به إبراهيم الأشتر في جيش، فاقتتلا وتفرق أصحاب عبيد الله، فقتله الأشتر بالموصل.
الزركلي، الأعلام، ج ٤، ص ١٩٣.

(5) – عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري المدني، وأمه مارية بنت قيس بن معدي كرب بن أبي الكيم بن السمط بن امرئ القيس من كندة، أمير، من القادة الشجعان، سيره عبيد الله على أربعة آلاف مقاتل لقتال الديلم، ثم لما علم ابن زياد بمسير الحسين بن علي من مكة إلى الكوفة، كتب له أن يعود بمن معه، فولاه قتال الحسين، فاستعفاه، فهدده، فأطاع. وتوجه إلى لقاء الحسين، فكانت الفاجعة بمقتله، عاش عمر إلى أن خرج المختار الثقفي يتتبع قتلة الحسين، فبعث إليه من قتله بالكوفة.
ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ٢٠٢ ؛ الزركلي، الأعلام، ج ٥، ص ٤٧.

الاستسلام والرجوع إلى يزيد، فيضع يده في يده، فأبوا إلا قتله، فقتل وجيء برأسه حتى وضع بين يدي ابن زياد، وكان قتله بكربلاء[١] .

ولم يكن ابن الزبير ﷺ ليجرؤ على أن يجهر بالدعوة لنفسه بالخلافة والحسين علي ﷺ قيد الحياة، وبعد مقتل الحسين ﷺ أظهر ابن الزبير ﷺ دعوته على الملأ، وبين للناس حقه في الخلافة حيث قام في الناس خطيباً [٢]، بعد أن وصله الخبر بمقتل الحسين ﷺ، وبين للناس كيف غدر به أهل العراق، فثار أصحابه فقالوا له: أيها الرجل أظهر بيعتك، فإنه لم يبق أحد إذ هلك حسين ينازعك هذا الأمر[٣].

وعندما سمع الناس مقالته هبوا طالبين منه أن يبايع لنفسه، ولكنه رأى ألا يجيبهم إلى ذلك، فعندما قدم إليه أصحابه، وقالوا له: أظهر بيعتك، فقال لهم: لا تعجلوا، وكان ذلك في السنة ٦١هـ/ ٦٨٠م [٤]، وربما يريد أن يظهر لهم زهده في الخلافة.

أما يزيد بن معاوية فقد اشتط غضباً عندما بلغه موقف ابن الزبير ﷺ وتواردت الرسل على عبد الله بن الزبير ﷺ من قبل يزيد، حيث أرسل إليه رجلاً في عشرة نفر من حرسه، وقال له : انطلق فانظر ما عنده فإن كان في الطاعة فخذه بالبيعة،وإن أبى فضع

---

[١] – الدينوري، الأخبار الطوال، ص ص ٢٥١-٢٦٢ ؛ مروج الذهب، المسعودي، ج ٣، ص ٥٦ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ١٣٥؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٥٩ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ص ٤٦ -٩٠.

كربلاء : بالمد، تقع في طرف البرية عند الكوفة، أرضها رخوة لذلك سميت بهذا الاسم لأن اشتقاق الاسم من الكربلة وهي رخاوة القدمين. الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٥٠٥.

[٢] – قال ابن الزبير في خطبته بعد أن حمد الله وصلى على رسوله :" إن أهل العراق غدر فجر إلا قليلا وإن أهل الكوفة شرار أهل العراق، وإنهم دعوا حسيناً لينصروه ويولوه عليهم، فلما قدم إليهم ثاروا عليه، فقالوا له: إما أن تضع يدك في أيدينا فنبعث بك إلى ابن زياد بن سمية سالماً فيمضي فيك حكمه، وإما أن تحارب، فرأى والله أنه هو وأصحابه قليل في كثير، وإن كان الله عز وجل لم يطلع على الغيب أحداً أنه مقتول، ولكنه اختار الميتة الكريمة على الحياة الذميمة، فرحم الله حسيناً، وأخزى قاتل حسين، لعمري لقد كان من خلافهم إياه وعصيانه ما كان في مثله واعظ وناه عنه، ولكن إذا أراد الله أمراً لن يدفع، أفبعد الحسين نطمئن إلى هؤلاء القوم ونصدق قولهم ونقبل لهم عهداً، لا والله، لا نراهم لذلك أهلاً، أما والله لقد قتلوه طويلاً بالليل قيامه، كثيراً بالنهار صيامه، أحق بما هم فيه منهم، وأولى به في الدين والفضل، أما والله ما كان يبدل بالقرآن الغناء ولا بالبكاء من خشية الله الحداء، ولا بالصيام شرب الحرام، ولا بالمجالس في حلق الذكر الركض في طلاب الصيد – يعرض بيزيد – فسوف يلقون غيا ".

الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ص ٤٧٤- ٤٧٥ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ص ١٦٩- ١٧٠.

[٣] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ص ٤٧٤–٤٧٥ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ١٦٩.

[٤] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٤٧٥ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ١٦٩.

في عنقه جامعة من فضة[١]، وآتيني به فلما قدم الرسل عليه وأخبره بما أتاه بـــه لم يقبـــل وتمثل ابن الزبير ﷺ بهذا البيت:

ما إن ألين لغير الحق أسأله   حتى يلين لضرس الماضغ الحجر[٢]

ولما رأى ابن الزبير ﷺ إقبال الناس عليه أمر بطرد عمال يزيد من مكة والمدينـــة [٣]. وفي السنة ٦٢هـــ/٦٨١م، قدم وفد أهل المدينة على الخليفة يزيد بدمشق، وعلى رأســه عبد الله ابن حنظلة الغسيل[٤]، والمنذر بن الزبير، وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص بـــن المغيرة، وآخرون من أشراف أهل المدينة[٥]، فاغتنم يزيد هذه الفرصة، فقد أراد أن يتآلف أهل المدينة بالمال، فأكرمهم وأجزل لهم العطاء [٦]، إلا أن القوم بعد خروجهم من عنده، وبعد وصولهم المدينة أخذوا يهجون يزيد بأنه رجل ليس له ديـــن [٧]، فخلعـــه النـــاس، وبايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل على خلع يزيد وولوه عليهم[٨].

فعلم يزيد بما فعله أهل المدينة، وقد كان المنذر عند عبيد الله بن زياد بالبـــصرة، فأرسل يزيد إليه كتاباً يأمره فيه بحبس المنذر[٩]، إلا أن المنذر تمكن من الخروج إلى المدينة، وما أن وصل إليها أخذ في تحريض الناس ضد يزيد قائلاً: " إنه قد أجازني بمائة ألف، ولا يمنعني ما صنع إلى أن أخبركم خبره، وأصدقكم عنه، والله إنه ليشرب الخمر، وإنه ليسكر حتى يدع الصلاة "، وعابه بمثل ما عاب به أصحابه الذين كانوا معه وأشد[١٠] .

---

[١] - الدينوري، الأخبار الطوال، ص ص ٢٦٢- ٢٦٤ ؛ الأزرقي، أخبار مكة، ج ١، ص ٢٠١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٧٠.

[٢] - ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص، ١٧٠ ؛ ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج ٢، ص ٥٥.

[٣] - الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٦٤.

[٤] - عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر الراهب الأنصاري الأوسي، وأبوه حنظلة هو غسيل الملائكة، ولد على عهد رسول الله ﷺ، ولما توفي النبي ﷺ كان لعبد الله سبع سنين، وأمه جميلة بنت عبد الله بن أبيّ بن سلول، قتل يوم الحرة في ذي الحجة، سنة (٦٣هـــ/٦٨٢م)، قتله أهل الشام.
ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ص ١١٤ - ١١٥.

[٥] - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٤٨٠ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ١٧٣.

[٦] - ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ١٧٣.

[٧] - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٤٨٠ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ١٠٣ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٦١.

[٨] - الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٦٥ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٤٨٠ ؛ ابن كثير، البدايـــة والنهايـــة، ج٨، ص ١٧٢.

[٩] - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٤٨٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ١٠٣.

[١٠] - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٤٨١ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ١٧٣.

وعندما وصلت أقاويل وفد أهل المدينة ليزيد، وبلغته دعوتهم إلى نقض بيعته آثر مسالمتهم ورغب ألا يبادئهم الحرب، وبعث إليهم رجلاً أنصارياً هو النعمان بن بشير[1] ليحذرهم الفتنة ويدعوهم إلى الطاعة، إلا أن أهل المدينة لم يقبلوا نصيحته، بل ساروا في ثورتهم واضطرابهم[2]، وأخرجوا عثمان بن محمد عامل المدينة، وحصروا بني أمية، واشتدوا عليهم، وأضطروهم إلى اللجوء والتحصن في دار مروان بن الحكم [3]، فاجتمع الأمويون في دار مروان وأرسلوا ليزيد يستغيثون به، فلما وصله الخبر ثار غضبه،وتأكد أن سياسة اللين لم تعد تجدي نفعاً ورأى أن يأخذهم بالحزم والشدة، وقال متمثلاً:

قد بدلوا الحلم الذي من سجيتي فبدلت قومي غلظة بليان[4]

ثم جهز جيشاً لقتال أهل المدينة وابن الزبير ﷺ[5]، ووقع اختياره على مسلم بن عقبة المري[6] لقيادة هذا الجيش، وبدأ مسلم يعد جيشه فانتدب لذلك اثنتي عشر ألف رجل، وأوصى يزيد قائد الجيش إن حدث به حدث أن يستخلف الحصين بن نمير السكوني[7].

---

[1] – النعمان بن بشير بن ثعلبة بن سعد بن خلاّس بن زيد بن مالك الأغر بن ثعلبة ابن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأكبر الأنصاري الخزرجي، وأمه عمرة بنت رواحة، آخت عبد الله بن رواحة، وُلد قبل وفاة النبي عليه السلام بثماني سنين وسبعة أشهر، وقال الزبير: النعمان أكبر مني بستة أشهر، وهو أول مولود للأنصار بعد الهجرة، استعمله معاوية على حمص، ثم الكوفة، واستعمله عليها بعده ابنه يزيد، وكان هواه مع معاوية وميله إليه وإلى ابنه يزيد، فلما مات يزيد دعا الناس إلى بيعة عبد الله بن الزبير بالشام، فخالفه أهل حمص، فخرج منها فاتبعوه وقتلوه، وذلك بعد وقعة مرج راهط، سنة (٦٤هـ/٦٨٣م).

ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٤، ص ص ٥٥١-٥٥٢.

[2] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١١١ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ١٧٣.

[3] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ص ٤٨٢ -٤٨٣.

[4] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ١١١ .

[5] – السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٦١.

[6] – مسلم بن عقبة بن رباح المري، قائد من الدهاة القساة في العصر الأموي، أدرك النبي ﷺ، وشهد صفين مع معاوية، وكان فيها على الرجالة وقلعت بها عينه، سماه أهل الحجاز (مسرفاً)، مات في طريقه لمحاربة ابن الزبير بمكان يسمى المشلل، ثم نبش قبره وصلب في مكان دفنه.

الزركلي، الأعلام، ج ٧، ص ٢٢٢.

[7] – الأزرقي، أخبار مكة، ج ١، ص ٢٠٢ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٤٨٣ ؛مروج الذهب، المسعودي، ج ٣، ص٦٣ ؛ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ١٧٥ .

وسار مسلم بالجيش إلى المدينة، فلما بلغ أهل المدينة الخبر شددوا في حصار بـني أمية، ثم فكوا عنهم الحصار بعد أن عاهدوهم أن لا يدلوا لهم على عورة ولا يظـاهروا عليهم عدواً[1].

ثم أخذ مسلم يسأل عن كيفية الدخول إلى المدينة، فأشار إليه عبد الملـك بـن مروان بأن يدخل إليها من الحرة في الجهة الشمالية الشرقية من المدينة،فدخلها مسـلم، ودعا أهلها إلى البيعة والدخول في طاعة يزيد وكان ذلك يوم الأربعاء لليلتين بقيتا مـن ذي الحجة سنة ٦٣هـ/٦٨٢م، فلم يقبل أهل المدينة الطاعة بل اختـاروا الحـرب، ثم اقتتلوا اقتتالاً شديداً، فانهزم أهل المدينة، وقتل من الفريقين خلق من السادات والأعيان[2].

وحج ابن الزبير ﷺ بالناس في هذه السنة، وجاءه خبر الحرة، فحزن ابن الزبيرﷺ وأهل مكة حزناً شديداً، وتأهبوا لقتال أهل الشام[3].

ولما فرغ مسلـم من القضـاء على ثـورة أهل المدينـة، توجـه إلى مكـة يريـد القضـاء على ابن الزبيـر ﷺ ، بعـد أن استخلـف على المدينـة روح بن زنبـاع الجذامي[4]، ووصل الجيش الأموي إلى ثنية هرشا وقيل إلى المشلل[5] في أواخـر المحرم سنة ٦٤هـ/٦٨٣م ، وهناك اشتد المرض بمسلم فعهد بالقيادة إلى الحصين بن نمير بناءً على وصية يزيـد بن معاوية، وتقدم له بالوصايا[6].

ولما علم عبد الله بن الزبير ﷺ بقدوم الجيش الأموي لمحاربته تحـصن في مكـة وأحكم مراصدها، واتخذ أهبة الاستعداد للمقاومة[7]، وكان قد بايعه أهل مكـة علـى

---

(1) – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٤٨٥.

(2) – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص ص٤٨٥ – ٤٨٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص١٧٦؛ ابن الأثير، الكامـل في التـاريخ، ج٤، ص١١٧.

(3) – ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ١٧٧ ؛ ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج ٢، ص ٥٩.

(4) – روح بن زنباع بن روح بن سمة بن حداد بن حديدة بن أمية بن امرىء القيس بن حمانة بن وائل بن مالك بن زيد بن أفصى بن سـعد بن ديل بن إياس بن حرام بن جذام أبو زرعة الجذامي، روى روح عن عبادة بن الصامت الأحاديث، وروى عنه شرحبيل بـن مـسلم، وعبادة بن نُسى، وقال فيه عبد الملك: جمع روح طاعة أهل الشام، ودهاء أهل العراق، وفقه أهل الحجاز.
ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٢، ص ٨٦.

(5) – المُشلل: جبل يهبط منه إلى قُيد من ناحية البحر؛ وكان العرب قبل أن يسلموا يهبون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل.
الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٥٩.

(6) – الأزرقي – أخبار مكة، ج ١، ص ٢٠٢ ؛ تاريخ، اليعقوبي، ج٢، ص٢٥١ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ١٢٣؛ ابـن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ١٨٠.

(7) – الأزرقي – أخبار مكة، ج ١، ص ٢٠٢ ؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٦٧.

القتال، كما جاءته النجدات إلى مكة من كل مكان، فجاءه أهل المدينة ممن نجـــوا مـــن قبضة مسلم بن عقبة، كما جاءت الخوارج بقيادة نجدة بن عامر الحنفي[١]، كما ساعده المختار بن أبي عبيد الثقفي [٢].

ثم خرج ابن الزبير ﷺ ومن معه للقاء أهل الشام، ودار القتال بينـــهم، وخـــرج المنذر بن الزبير، فبارز رجلاً من أهل الشام، فضرب كل واحد منهما الآخر ضربة أدت إلى موت كل منهما، واستمر القتال بين الجيشين حتى أواخر المحرم وشهر صفر كله، حتى إذا مضت ثلاثة أيام من شهر ربيع الأول سنة ٦٤هـ/٦٨٣م ، رمى أهل الشام البيـــت بالمناجيق[٣] وحرقوه بالنار[٤].

فكانت مدة الحصار التي فرضها الحصين بن نمير أربعة وستين يومـــاً، إذ اســـتمر الجيش الأموي يحاصر ابن الزبير ﷺ في مكة حصاراً شديداً حتى مستهل ربيع الآخر[٥].

وأثناء الحصار توفي يزيد بن معاوية في الرابع عشر من شهر ربيـــع الأول ســـنة ٦٤هـــ/٦٨٣م ،وعلم عبد الله بن الزبير ﷺ بخبر موت يزيد بن معاوية قبل أن يعلم بـــه الجيش الأموي وقائده الحصين بن نمير[٦]، فانتهز ابن الزبير ﷺ تلك الفرصـــة ليـــضعف الروح المعنوية للجند الشامي، فناداهم قائلاً: " يا أهل الشام لماذا تقاتلون وقـــد هلـــك

---

(١) – نجدة بن عامر الحروري الحنفي، من بني حنيفة، من بكر بن وائل، رأس الفرقة النجدية التي تنسب إليه، من كبار أصحاب الثـــورات، انفرد عن سائر الخوارج بآراء، وله مقالات معروفة وأتباع انقرضوا، هزمه مصعب بن الزبير، وقيل قتله أصحاب ابن الزبير. الزركلي، الأعلام، ج ٨، ص ١٠.

(٢) – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ١٢٣.

(٣) – المناجيق: يرجع البعض المنجنيق إلى أصول بيزنطية، وآخرون إلى أصول فارسية، وهو نوع من آلات الحصار وتتألف أجهزته من حبل من مادة وترية ويمر هذا الحبل أفقيا بين جانبي ضلعي آلة تعمل على ذراع واحدة والتي كان يمدد بصورة مؤثرة بواسطة مقلاع وتـــسحب الذراع إلى الأسفل بواسطة ذراع التدوير، ويمسك بواسطة مسمار أو خطاف، ثم تحرر من قبل المسؤول بضربة خفيفة بالمطرقة، وان المصد للسلاح كانت تستلم على مصد خشبي محشي بالتبن يقع على زاوية حوالي (٧٥) من الخط الأفقي، وقد نقل العرب استعمال المنجنيق، ثم استخدموها في حروبه.

د. صلاح العبيدي، المنجنيق سلاح عربي في ضوء التنقيات الأثرية، مجلة كلية الآداب، (جامعة بغداد: ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م)، العدد ٢٥، ص ص ٥٩٥ – ٥٩٧.

(٤) – ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ١٢٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ١٨٠.

(٥) – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٤٩٨.

(٦) – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ص ١٢٥ – ١٢٦ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ١٨١ ؛ ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج ٢، ص ٦٣.

طاغيتكم ؟!"[١]، فجعلوا لا يصدقون حتى قدم عليهم ثابت بن المقفع النخعي، وهو من أهل الكوفة فصدقوا مقالة ابن الزبير رضي الله عنه[٢].

وكان هذا الخبر حافزاً للحصين أن يفكر في بيعة ابن الزبير رضي الله عنه ، فجرت بينه وبين عبد الله بن الزبير رضي الله عنه مراسلات، فأرسل إليه ابن الزبير رضي الله عنه، عبد الله ابن عروة، فلم ترق هذه الفكرة لأهل الشام، فقالوا للحصين: " إن صاحبك – مسلم بن عقبة – قد عهد إليك أن لا تمكن قرشياً من أذنك ولا تسمع منه شيئاً، إلا أن الحصين رفض نصيحتهم قائلاً: نسمع منه، وننظر ما يقول وما يعرض، فإن جاءنا بشيء مما نحب قبلناه"[٣].

وبعد موت يزيد طلب الحصين من ابن الزبير رضي الله عنه أن يفتح لهم الأبواب، ليطوفوا بالبيت، ويختلط الناس بعضهم ببعض، فقبل ابن الزبير رضي الله عنه ذلك، وأمر بأبواب المسجد ففتحت، فجعل الحصين وأصحابه يطوفون بالبيت [٤]. وفكر الحصين بن نمير في حقن الدماء، فبعث إلى ابن الزبير رضي الله عنه قائلاً: " موعد ما بيننا وبينك الليلة الأبطح[٥]، فالتقيا، فقال له الحصين: إن هذا الرجل قد هلك، فأنت أحق الناس بهذا الأمر، هلم نبايعك، ثم أخرج معي إلى الشام، فإن هذا الجند الذين معي هم وجوه أهل الشام وفرسانهم، فوالله لا يختلف عليك اثنان،ولكن عرض الحصين لم يلق قبولاً من ابن الزبير رضي الله عنه وكان رده على الحصين قاسياً، حيث رد عليه قائلاً: " أنا لا أهدر الدماء، والله لا أرضى أن اقتل بكل رجل منهم عشرة منكم" [٦]، ثم حاول الحصين التفاهم معه بطريقة سرية، فجعل يكلمه سراً وهو يجهر بالقول :" والله لا أفعل"[٧]، فغضب الحصين وقال: " من زعم يا ابن الزبير أنك داهية فهو أحمق، أكلمك سراً وتكلمني علانية، أدعوك إلى أن

---

[١] – السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٦٢.

[٢] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ١٨١.

[٣] – ابن بكار، جمهرة نسب قريش وأخبارها، ص ٢٩٤.

[٤] – الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٦٨.

[٥] – الأبطح: الأبطح والبطحاء الرمل المنبسط على وجه الأرض، والأبطح يُضاف إلى مكة وإلى منى، وربما كان إلى منى أقرب، وهو المحصب، وهو خيف بني كنانة.

الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص٩٥.

[٦] – الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٦٨ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٠٢ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ١٨١.

[٧] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ١٢٩ ؛ ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج ٢، ص ٦٤.

استخلفك، فترفع الحرب، وتزعم أنك تقاتلنا"[1]، يتضح هنا أنه من العوامل التي شجعت الأمويين ودفعتهم إلى حرب ابن الزبير معرفتهم الكاملة بشخصيته وتعنته واصراره على مواقفه بل وتسرعه ، وهكذا أضاع ابن الزبير ﷺ تلك الفرصة التي كانت ستمكنه من الحصول على الخلافة بعد بيعة جيش الشام له، وانقسام بني أمية على أنفسهم هناك، وربما كان عرض الحصين لابن الزبير ﷺ بمثابة مبادرة جدية من جانبه ومن معه، وربما قدر لها النجاح لو وافق عليها ابن الزبير ﷺ ، خاصة وأنهم ينظرون إليه أنه المؤهل الوحيد للخلافة[2].

وقد ندم ابن الزبير ﷺ ، وأرسل إلى الحصين يطلب منه أن يأخذ له البيعة بالخلافة في الشام ولكن دون أن يذهب هو إليها، فأجابه: " أن من يتبعها من أهل هذا البيت بالشام لكثير"[3].

وانتهت المفاوضات دون الوصول إلى نتيجة في هذا الأمر المهم.

---

[1] – الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٦٨؛ تاريخ، اليعقوبي، ج٣، ص٢٥٣.

[2] – خالد سليمان حمد بني عبد الرحمن، يزيد بن معاوية سيرته وخلافته، رسالة ماجستير، (الأردن : كلية الدراسات العليا، ١٩٩١م)، ص ٢٠٦.

[3] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٠٢ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ١٣٠.

الفصل الثالث

(خلافة عبد الله بن الزبير ﷺ في الحجاز)

من سنة٦٤هـ/٦٨٣م إلى سنة٧٣هـ /٦٩٢م

١. الأسباب التي دعت عبد الله بن الزبير ﷺ إلى إعلان نفسه خليفة، وموقف الحجاز من دعوته.

٢. إعلان عبد الله بن الزبير ﷺ خلافته في الحجاز، وأهم المناطق التي سيطر عليها.

٣. علاقة ابن الزبير ﷺ بالأمويين، وموقفه من الحركات المناوئة لهم.

(١) -: الأسباب التي دعت عبد الله بن الزبير ﷺ إلى إعلان نفسه خليفة.

أولاً:ماقام به معاوية بن أبي سفيان ﷺ وابنه يزيد:

أ.نقل مركز العالم الإسلامي إلى دمشق.

عندما تم نقل العاصمة من الكوفة إلى دمشق على يد معاوية بن أبي سفيان ﷺ سنة ٤١هـ/٦٦١م ، أثار ذلك غضب أهل الحجاز، لأنهم كانوا يرغبون في أن يكون الحجاز مركز العالم الإسلامي كما كان زمن الرسول ﷺ، فبعد أن كانت المدينة المنورة عاصمة الدولة، ومقر الخلفاء الراشدين ﷺ ، منها يخرج عمال الولايات الإسلامية، وإليها تأتي الوفود من الأمصار المختلفة للقاء الخلفاء وقضاء حوائجهم، أصبحت ولاية تتبع دمشق العاصمة الجديدة، كل ذلك أضعف من أهمية بلاد الحجاز سياسياً، لذلك انضم معظم أهل الحجاز إلى ابن الزبير ﷺ، لأن جهوده تركزت في إعادة السلطان السياسي لمدينتي النبي ﷺ مكة والمدينة إلى ما كان عليه في عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين ﷺ من بعده،كما أراد أن يعيد للبلاد مكانتها،ولا سيما وأنه اتخذ من مكة المكرمة مركزاً لحكمه[١].

ثم ما حدث سنة ٤٥هـ /٦٦٥م [٢]، حين أمر معاوية ﷺ بمنبر رسول الله ﷺ أن يحمل إلى الشام، فحرك به، فكسفت الشمس حتى رُئيت النجوم بادية يومئذ، فأعظم الناس ذلك، فقال : لم أرد حمله، وإنما خفت أن يكون قد أرِض[٣]،ثم كساه،

وذُكر أن معاوية ﷺ قال: أني رأيت أن منبر رسول الله ﷺ وعصاه لا يتركان بالمدينة، وهم قتلة أمير المؤمنين عثمان ﷺ وأعداؤه، فلما قدم طلب العصا وهي عند سعد القرظ، فجاءه أبو هريرة ﷺ [٤]

---

[١] - رودلف زلهايم، تعريب : حسام الصغير، فتنة عبد الله بن الزبير، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد التاسع والأربعون، (دمشق شعبان، سبتمبر، ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م)، ص ٨٣١ ؛ نورة عبد الملك إبراهيم آل الشيخ، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في المدينة المنورة في العصر الأموي، رسالة دكتوراه، جدة، (كلية التربية: ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٦م)، ص ٩.

[٢] - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٦٦٣.

[٣] - يقال : أرضت الخشبة، فهي مأروضة، إذا وقعت فيها الأرضة وأكلتها، والأرضة: دودة بيضاء شبه النملة تظهر في أيام الربيع. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٢٣٨.

[٤] - أبو هريرة الدوسي، صاحب رسول الله ﷺ، وأكثرهم حديثاً عنه، كان اسمه في الجاهلية عبد شمس، فسماه الرسول ﷺ عبد الرحمن، وقيل: رآه رسول الله ﷺ وفي كمه هرة، فقال: أبو هريرة، اسلم عام خيبر، وشهدها مع رسول الله ﷺ، ثم لزمه وواظب عليه رغبة في العلم، فدعا له رسول الله ﷺ، توفي سنة (٥٨هـ/٦٧٧م)، وهو ابن ثمان وسبعين سنة، بالعقيق وحمل إلى المدينة.

وجابر بن عبد الله ﷺ[1]، فقالا : يا أمير المؤمنين؛ نذكرك الله ﷻأن تفعل هذا، فإن هذا لا يصح، تخرج منبر رسول الله ﷺ من موضع وضعه، وتخرج عصاه إلى الشام؛ فانقل المسجد؛ فأقصر وزاد فيه ست درجات،واعتذر إلى الناس مما صنع[2]، وقد كان لهذا الأمر أثر في نفوس أهل الحجاز وبالذات أهل المدينة، إذ يرون بأنهم أحق الناس برسول الله ﷺ فهم مناصروه ومؤيدوه منذ بداية بعثته ﷺ حينما أشتد أذى قريش له، فكيف يرضون الآن بما يقوم به معاوية ﷺ من تجاوزات .

ثم إن أهل الحجاز لم يكونوا راضيين عن الحكم الأموي، إذ قام معاوية بن أبي سفيان ﷺ بتحويل الخلافة الإسلامية من نظام الشورى الذي كان سائداً زمن النبي ﷺ وخلفائه الراشدين ﷺ ، فقد كان يتم اختيار الأصلح، فأخذ البيعة لابنه يزيد سنة ٥٦هـ/٦٧٥م[3]، فحولها إلى نظام وراثي، كالنظام المتبع عند الأكاسرة والروم[4]، وبذلك حقق بيعته بأسلوب مختلف عن بيعة أبي بكر الصديق لعمر بن الخطاب ﷺ، إذ أنها لم تكن بيعة معتمدة على الشورى، مما جعل بعضهم يخرج عليه و لم يوافق على ذلك[5].

ب. سب معاوية ابن أبي سفيان ﷺ وولاته عليّ بن أبي طالب ﷺ على المنابر:

أثار حفيظة أهل الحجاز ما قام به معاوية ﷺ وبعض ولاته من سب آل بيت رسول الله ﷺ،وعلى رأسهم عليّ ﷺ، ففي سنة ٤٤هـ/٦٦٤م عمل معاوية ﷺ بالشام المقصورة في المسجد، وأخرج المنابر إلى المصلّى في العيدين، وخطب الخطبة قبل الصلاة،

= ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٤، ص ص ٣٨٩ - ٤٠٥ ؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٥، ص ص ٣١٨ - ٣٢١.

[1] – جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي، احد المكثرين عن النبي ﷺ، وروى عنه جماعة من الصحابة، شهد مع النبي ﷺ تسع عشرة غزوة، لم يشهد بدراً ولا احداً منعه أبوه،، كان آخر أصحاب الرسول ﷺ موتاً بالمدينة سنة (٧٤هـ/٦٩٣م)، ويُقال أنه عاش أربعاً وتسعين سنة.

العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ١، ص ٢١٣.

[2] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٤٦٤.

[3] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٥٠٣.

[4] – الناطور، عبد الله بن الزبير، ص ١٠٠ ؛ احمد إبراهيم الشريف، دور الحجاز في الحياة السياسية في القرنين الأول والثاني الهجري، (القاهرة : دار الفكر العربي، ١٩٦٨م)، ص ٤٠٥.

[5] – أحمد إبراهيم أحمد الحسكي، معاوية بن أبي سفيان وأثره في نظام الحكم في الإسلام، رسالة ماجستير، (القاهرة، جامعة الأزهر، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م)، ص ٢١٤.

وذلك أن الناس كانوا إذا صلوا، ينصرفون بعد الصلاة مباشرة لئلا يسمعوا لعن عليّ ﷺ أثناء الخطبة بعد الصلاة، فقدم معاوية ﷺ الخطبة قبل الصلاة[1].

ثم حدث أن أحضر زياد بن أبيه قوماً بلغه أنهم شيعة لعلي ﷺ ليدعوهم إلى لعن عليّ ﷺ والبراءة منه، أو يضرب أعناقهم، وكانوا سبعين رجلاً، وكان من بينهم عبد الرحمن بن السائب[2]، ويروي لنا عبد الرحمن :حضرت فصرت إلى الرحبة [3] ومعي جماعة من الأنصار، وجعل زياد يتكلم بالوعيد والتهديد،فرأيت شيئاً في منامي وأنا جالس في الجماعة، وقد خفقت، وهو أني رأيت شيئاً طويلاً قد أقبل، فقلت: ما هذا؟ فقال: أنا النقاد داق الرقبة، بُعثت إلى صاحب هذا القصر، أدق عنق هذا الجبار الذي يتكلم عن هذه الأعواد، فبينما زياد يتكلم إذ قُبض على إصبعه، ثم صاح: يدي! وسقط عن المنبر مغشياً عليه، وإذا به أصابه البلاء[4].

وقيل : إنه ارتقى الأمر بخواص معاوية في طاعته إلى أن جعلوا لعن عليّ ﷺ سنة، ينشأ عليها الصغير، ويهلك عليها الكبير، وأن معاوية قال لرجل من أهل الشام من زعمائهم وأهل الرأي والعقل منهم : من أبو تراب هذا الذي يلعنه الإمام على المنبر؟ قال: أراه لصاً من لصوص الفتن[5].

---

[1] – اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٢٣.

يقول ابن تيمية :" وأما ما ذكره (أحد الرافضة) من لعن علي ، فإن التلاعن وقع من الطائفتين ، كما وقعت المحاربة ، وكان هؤلاء يلعنون رؤوس هؤلاء في دعائهم ، وهؤلاء يلعنون رؤوس هؤلاء في دعائهم ، وقيل ان كل طائفة كانت تقنت على الأخرى ، والقتال باليد أعظم من التلاعن باللسان، وهذا كله سواء كان ذنباً أو اجتهاداً مخطئاً أو مصيباً ، فإن مغفرة الله ورحمته تتناول ذلك بالتوبة والحسنات الماحية للذنوب والمصائب المكفرة ، وغير ذلك ، ثم من العجب أن الرافضة تنكر سب علي وهم يسبون أبا بكر وعمر وعثمان ويكفرونهم ومن والاهم، ومعاوية وأصحابه فكانوا يكفرون علياً".

ابن تيمية ، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام بن عبد الله الحراني ، منهاج السنة النبوية ، تحقيق: محمد رشاد سالم ، الطبعة الثانية (القاهرة: مكتبة ابن تيمية ، ١٤٠٩هـ) ج٢، ص ٢٢٥.

[2] – عبد الرحمن بن السائب بن أبي السائب، أخو عبد الله بن السائب، قُتل يوم الجمل، واختلف في إسلام أبيه.

ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ٣٤٨.

[3] – يعني بصاحب الرحبة علي رضي الله عنه، حيث ذهب جماعة إلى أن علياً دفن بالقصر في الكوفة.

المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٢٩.

[4] – يذكر المسعودي أنه خرجت في كفه بثرة ثم حكها ثم سرت واسودّت فصارت أكلة سوداء فهلك بذلك.

المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ص ٢٨-٢٩.

[5] – اليعقوبي، تاريخ، ج٣، ص ص ٢٣٥-٢٣٦ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٣٣ .

ج. مقتل الحسن والحسين بن علي ﷺ.

كان لمقتل الحسن ﷺ في عهد معاوية ﷺ سنة ٤٩هـ/ ٦٦٩م[١]، الأثر الكبير في نفوس المسلمين ولا سيما أنه قتل مسموماً بأمر من معاوية ﷺ، فقد حرّض زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي-كما ذكرنا سابقاً - لقتل الحسن ﷺ قائلاً:" إنك إن احتلت في قتل الحسن وجهت إليك بمائة ألف درهم وزوجتك يزيد"، فلما مات وفّى لها معاوية بالمال، وأرسل إليها : إنا نحب حياة يزيد، ولولا ذلك لوفينا لك بتزويجه[٢].

وقد وقع هذا الحدث في نفوس المسلمين موقعاً فقد تم قتل من تبقي من آل هاشم وممن له قرابة برسول الله ﷺ.

ثم كان مقتل الحسين بن علي ﷺ وفاجعة كربلاء سنة ٦١هـ/٦٨٠م [٣]من أهم الأسباب التي ساعدت ابن الزبير ﷺ على النجاح في مطالبته بالخلافة، حيث لم يعد هناك من هو أحق بالخلافة غيره كما قال له أصحابه بعد مقتل الحسين ﷺ ، حينما قام يخطب في الناس واخذ يترحم على الحسين ﷺ و يقارن بينه وبين يزيد [٤].

د. وقعة الحرة وما نتج عنها:

لم يتوقع أهل المدينة أن يزيد بن معاوية يجرؤ على القتال في مدينة الرسول ﷺ فكان أثر الوقعة عليهم شديداً، ولاسيما وقد قُتل فيها كثير من الصحابة ﷺ وأبنائهم، ثم أنه أباح المدينة ثلاثة أيام، وكان ذلك سنة ٦٣هـ/٦٨٢م [٥]، يقتلون من

---

[١] - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٦٠.

[٢] - المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٦.

بحث ابن تيمية مسألة دس السم للحسن بن علي ، واتهام معاوية بذلك ، وأنه أمر الأشعث بن قيس بتنفيذ هذه الجريمة ، وكانت ابنته تحت الحسن ، يقول ابن تيمية :" وإذا قيل إن معاوية أمر أباها كان هذا ظناً محضاً، والنبي عليه السلام قال: إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث ، ثم إن الأشعث بن قيس مات سنة أربعين ، وقيل سنة احدى وأربعين ، ولهذا لم يذكر في الصلح الذي كان بين معاوية والحسن بن علي في العام الذي كان يسمى عام الجماعة ، وهو عام واحد وأربعين ، فلو كان الأشعث شاهداً لكان يكون له ذكر في ذلك ، وإذا كان قد مات قبل الحسن بنحو عشر سنين فكيف يكون هو الذي أمر ابنته".

ابن تيمية ، المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال ، تحقيق : محب الدين الخطيب ،الطبعة الثانية (الرياض : الرئاسة العامة لادارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، ١٤٠٩هـ) ، ص ٢٦٦

[٣] - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٤٦.

[٤] - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٤٧٥ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ١٦٩.

[٥] - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١١١.

وجدوا من الناس، ويأخذون الأموال، حتى أن سعدى بنت عوف المرية[1] أرسلت إلى مسلم بن عقبة قائد الجيش الأموي تقول له: أنا بنت عمك، فمر أصحابك أن لايتعرضوا لإبلنا بمكان كذا وكذا، فقال لأصحابه: لا تبدؤوا إلا بأخذ إبلها أولاً، كما جاءته امرأة، فقالت: أنا مولاتك وابني في الأسارى، فقال عجلوه لها، فضربت عنقه، وقال: أعطوها رأسه ،فممن قتل من آل أبي طالب اثنان: عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وجعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب ﷺ؛ ومن بني هاشم من غير آل أبي طالب: الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وحمزة بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، والعباس بن عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب، وبضع وتسعون رجلاً من سائر قريش، ومثلهم من الأنصار، وأربعة آلاف من سائر الناس ممن أدركه الإحصاء، دون من لم يعرف[2].

هـ. إحراق الكعبة في عهد يزيد:

بعد مانزل بأهل المدينة من القتل والنهب والرق والسبي في وقعة الحرة، خرج منها الجيش الأموي لقتال ابن الزبير ﷺ المتحصن بالكعبة، فنصب الحصين بن نمير ومن معه من أهل الشام المجانيق والعرادات على مكة والمسجد من الجبال والفجاج، فتواردت أحجار المجانيق والعرادات على البيت، ورمى مع الأحجار بالنار والنفط ومشاقات الكتان وغير ذلك من المحرقات، وانهدمت الكعبة، واحترقت البنية، ووقعت صاعقة فأحرقت من أصحاب المجانيق أحد عشر رجلاً، وقيل أكثر من ذلك[3] .

ويذكر البلاذري أنه:نصب ابن نمير المنجنيق على الكعبة، فارتفعت سحابة فاستدارت على أبي قبيس، ثم رعدت وأصعقت فأحرقت المنجنيق ومن تحتها فلم يعيدوا الرمي[4].

---

[1] – سعدى بنت عوف المرية زوج طلحة بن عبيد الله، وقيل سعدى بنت عوف بن خارجة بن سنان بن أبي حارثة، روت عن النبي ﷺ وعن زوجها وعمر، وروى عنها ابنها يحي، وابن ابنها طلحة بن يحي، وهي صحابية جليلة.
العسقلاني، الإصابة في تميز الصحابة، ج ٤، ص ص ٣٢٦–٣٢٧.

[2] – المسعودي، مروج الذهب، ج ٣٩، ص ص ٦٣– ٦٤.

[3] – المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٦٥.

[4] –أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٣٦٠، ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج ٢، ص ٦١.

كان حرق الكعبة يوم السبت لثلاثة خلــون مــن شـــهر ربيــع الأول سـنة ٦٤هـ/٦٨٣م[1].

و. موقف معاوية بن يزيد من الخلافة:

كان معاوية بن يزيد رجلاً صالحاً ناسكاً، وكان ولي عهد أبيه يزيد، إلا أن مدة حكمه لم تطل، قيل: إنه مكث في الملك أربعين يوماً فقط، وكان في مدة ولايته مريــضاً يخرج إلى الناس، ويروى أن معاوية بن يزيد هذا نادى في الناس الصلاة جامعة ذات يوم، فاجتمع الناس فقال لهم فيما قال:أيها الناس ! إني قد وليت أمركم وأنا ضعيف عنه، فإن أحببتم تركتها لرجل قوي كما تركها الصديق لعمر، وإن شئتم تركتها شورى في ســتة منكم كما تركها عمر بن الخطاب ، وليس فيكم من هو صالح لذلك، وقد تركت لكم أمركم فولوا عليكم من يصلح لكم، ثم نزل ودخل مترله فلم يخرج منه حــتى مــات، ويقال: إنه سقي ويقال: إنه طُعن[2].

كما يذكر اليعقوبي أن معاوية بن يزيد خطب في الناس قائلاً: " أيها الناس فإنــا بُلينا بكم وبُليتم بنا فما نجهل كراهتكم لنا وطعنكم علينا، ألا وأن جدَّي معاوية ابن أبي سفيان نازع الأمر من كان أولى به منه في القرابة برسول الله، وأحق في الإسلام، ســابق المسلمين، وأول المؤمنين، وابن عم رسول رب العالمين، وأبا بقية خاتم المرسلين، فركــب منكم ما تعلمون، وركبتم منه ما لا تنكرون، حتى أتته منيته، وصار رهناً بعمله، ثم قَلــد أبي وكان غير خليق للخير، فركب هواه، واستحسن خطأه، وعظم رجــاؤه، فأخلفــه الأمل، وقصر عنه الأجل، فقلّت منعته، وانقطعت مدته، وصار في حفرته رهناً بذنبــه، وأسيراً بجرمه، ثم بكى، وقال: إن أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وقبح منقلبــه، وقد قتل عترة الرسول، وأباح الحرمة، وحرق الكعبة، وما أنــا المتقلّــد أمــوركم، ولا المتحمل تبعاتكم، فشأنكم أمركم، فوالله لئن كانت الدنيا مغنماً لقد نلنا منها حظاً، وإن تكن شراً فحسب آل أبي سفيان ما أصابوا منها.

---

(١) ــ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٤٩٨.

(٢) ــ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٩١.

فقال له مروان بن الحكم: سنّها فينا عمرية! قال: ماكنت أتقلّدكم حياً وميتاً، ومتى صار يزيد بن معاوية مثل عمر، ومن لي برجل مثل رجال عمر"[1].

هكذا جاء بعد يزيد خليفة كارهاً للخلافة، وحزب أموي منقسم على نفسه، وولاة متطلعون للخلافة، ورعاة ساخطون على حكامهم، فمهدت الأمور بذلك لأن يعلن ابن الزبير ﷺ نفسه خليفة على المسلمين .

ثانياً: عدم تطلع الصحابة ﷺ وأبنائهم إلى الخلافة:

بعد مقتل الحسين بن علي ﷺ خلا الجو لابن الزبير ﷺ فلم ينازعه منازع من الصحابة ﷺ ولا أبناء الصحابة من أمثال عبد الله بن العباس[2]، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن الحنفية ﷺ[3].

فعبد الله بن عباس ﷺ عندما توفي يزيد بن معاوية واضطربت الأمور، ركن إلى الهدوء والعزلة، وارتحل إلى مكة[4] وقيل إنه: لما امتنع ابن عباس ﷺ من البيعة لابن الزبير ﷺ، بلغ يزيد ذلك، فسرّه ذلك، وكتب إلى ابن عباس ﷺ: أما بعد فقد بلغني أن الملحد ابن الزبير دعاك إلى بيعته، وعرض عليك الدخول في طاعته لتكون على الباطل ظهيراً وفي المأثم شريكاً، وأنك امتنعت عليه، واعتصمت ببيعتنا وفاء منك لنا، وطاعة لله فيما عرّفك من حقنا، فجزاك الله من ذي رحم بأحسن ما يجزى به الواصلين لأرحامهم،

---

[1] – تاريخ، ج ٢، ص ٢٥٤.

[2] – عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو العباس القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله ﷺ، وأمه لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن الهلالية، وهو ابن خالة خالد بن الوليد، وكان يسمى(البحر)، لسعة علمه، ويسمى حبر الأمة، ولد والنبي ﷺ وأهل بيته بالشعب من مكة، فأُتِيَ به النبي ﷺ فحنكه بريقه، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين، ورأى جبريل عند النبي ﷺ، كان إلى جانب الإمام علي فشهد معه الجمل وصفين والنهروان، حاول التوفيق بين عبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان الأموي، كُف بصره في آخر عمره، وكان له لما توفي النبي ﷺ ثلاث عشرة سنة، وتوفي سنة (٦٨هـ/٦٨٧م) بالطائف وهو ابن سبعين سنة، قيل أن ابن عباس كان أول من أفتى وقضى من الصحابة بعد الخلفاء الراشدين.

ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ص ١٨٦ – ١٩٠ ؛ السيد، معجم الأوائل، ص ١٠٨ .

[3] – محمد بن الحنفية : هو محمد بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي، أبو القاسم المعروف بابن الحنفية، أحد الأبطال الأشداء في صدر الإسلام، وهو أخو الحسن والحسين، غير أن أمهما فاطمة الزهراء، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية، يُنسب إليها تميزاً له عنهما، = وكان يقول الحسن والحسين أفضل مني، وأنا أعلم منهما، وكان واسع العلم ورعاً، أسود اللون، مولده ووفاته في المدينة، وقيل : خرج إلى الطائف هارباً من ابن الزبير، فمات هناك، كان يحمل راية علي رضي الله عنه يوم الجمل، وكان يحمل الراية يوم صفين .

ابن سعد،الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ص ١٠٥ – ١٠٩ ؛الزركلي، الأعلام، ج ٦، ص٢٧٠.

[4] – ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ١٨٩.

فإني ما أنس من الأشياء فلست بناس برّك، وحسن جزائك، وتعجيل صلتك بالذي أنت مني أهله في الشرف والطاعة والقرابة بالرسول، انظر - رحمك الله- فيمن قبلك من قومك، ومن يطرؤ عليك من الآفاق ممن يسحره الملحد بلسانه وزُخرف قوله، فأعلمهم حسن رأيك في طاعتي والتمسك ببيعتي، فإنهم لك أطوع، ومنك أسمع منهم للمحل الملحد، والسلام.فكتب إليه عبد الله بن العباس ﷺ : من عبد الله بن عباس إلى يزيد بن معاوية، أما بعد، فقد بلغني كتابك بذكر دعاء ابن الزبير إيايَّ إلى نفسه وامتناعي عليه في الذي دعاني إليه من بيعته، فإن يك ذلك كما بلغك، فلست حمدك أردت، ولا ودك، ولكن الله بالذي أنوي عليم، وزعمت أنك لست بناسٍ ودِّي، فلعمري ما تؤتينا مما في يديك من حقنا إلا القليل، وانك لتحبس عنا منع العريض الطويل، وسألتني أن أحث الناس عليك وأخذلهم عن ابن الزبير، فلا، ولا سروراً، ولا حبوراً، وأنت قتلت الحسين بن عليّ، ...نسيت قتلك حسيناً وفتيان بني عبد المطلب، غادرهم جنودك مصرّعين في صعيد، مرملين بالتراب، مسلوبين بالعراء، لا مكفنين، تسفي عليهم الرياح، حتى أتاح الله لهم أقواماً لم يشتركوا في دمائهم، فأجنوهم في أكفانهم، وربي والله ربهم عززت وجلست مجلسك الذي جلست، يا يزيد.وما أنسَ من الأشياء، فلست بِنَاسٍ اطرادك الحسين بن علي من حرم رسول الله إلى حرم الله، ودسك إليه الرجال تغتاله، فأشخصته من حرم الله إلى الكوفة، فخرج منها خائفاً يترقب، وقد كان أعَز أهل البطحاء بالبطحاء قديماً، وأعز أهلها بها حديثاً،ثم إنك الكاتب إلى ابن مرجانة أن يستقبل حسيناً بالرجال، وأمرته بمعاجلته، حتى يقتله ومن معه من بني عبد المطلب، ثم طلب الحسين بن علي إليه الموادعة، وسألهم الرجعة، فأغتنم قلة أنصاره، واستئصال أهل بيته، فعدوتم عليهم، فقتلوهم كأنما قتلوا أهل بيت في الترك والكفر.فأما ما ذكرت من وفائي، وما زعمت من حقي، فإن يك ذلك كذلك، فقد والله بايعت أباك، وإني لأعلم أن ابن عمي وجميع بني أبي أحق بهذا الأمر من أبيك، ولكنكم، معاشر قريش، كاثرتمونا، فأستأثرتم علينا سلطاننا، ودفعتمونا عن حقنا، فبعداً على من يجترىء على ظلمنا، واستغوى السفهاء علينا، وتولى

الأمر دوننا، فبعداً لهم كما بعدت ثمود، وقوم لوط، وأصحاب مدين، ومكذبوا المرسلين"[1].

وكان أن قال ابن عباس ﷺ:" إن هذا الأمر بدأ بنبوة ورحمة، وخلافة، وإنه اليوم مُلك عقيم، فمن سمع مقالتي فليهرب من بني أمية وآل الزبير، فإنهم يدعون إلى النار"[2].

وقيل: إنه جاء ابن الزبير ﷺ مال أول ما جاءه، فانطلق ابن عباس ﷺ إليه وهو في قُعيقعان، فقال: إنك دعوت الناس إلى ما قد علمت، وقد جاءك مال وبالناس حاجة، فقال ابن الزبير: وما أنت وهذا؟ إنك أعمى، أعمى الله قلبك، قال ابن عباس: بل أعمى الله قلبك، وقيل لابن عباس ﷺ : أتريد أن تقاتل ابن الزبير فتُحل حرم الله ؟ فقال: معاذ الله، إن الله كتب بني أمية وابن الزبير محلّين، واني والله لا أحلّه أبداً، ثم أخرجه ابن الزبير ﷺ من مكة إلى الطائف وبقي بها إلى أن مات[3].

وأما **عبد الله بن عمر** ﷺ، فقد فضل العافية والسلامة على القتال والهلاك، وسعى ليحمل ابن الزبير والحسين ﷺ على جمع الأمة بدلاً من تفرقها، وطلب اليهما مبايعة يزيد بن معاوية فأبيا ولذلك خاطبهما بقوله: " اتقيا الله ولا تفرقا جماعة المسلمين"[4]، وقوله:"لا أحب أن يقتتلوا ولا يختلفوا، و يتفانوا"[5]!!.

وأما **محمد بن الحنفية** ﷺ، فلم يكن يتطلع إلى الخلافة فقد رفض تولي زعامة الثائرين بالمدينة على يزيد، وتمسّك ببيعة يزيد بن معاوية، وحين اشتدت ثورة المدينة تركها مرتحلاً إلى مكة[6] قائلاً: ما أستحل القتال على ما تريدوني عليه تابعاً ولا متبوعاً[7]، ثم أخرجه منها ابن الزبير ﷺ إلى الطائف، فأغلظ له ابن عباس ﷺ وقال له:

---

[1] – اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ص ٢٤٧ –٢٥٠.

[2] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٥١.

[3] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٤، ص ٧٠.

[4] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٣٤٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١١٩.

[5] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٣٤٢.

[6] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٤٦٩ ؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ١٨٩ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٧٥.

[7] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٧٧.

أتخرج بني عبد المطلب عن حرم الله وهم أحق به منك ؟ فقال ابن الزبير ﷺ : وأنت أيضا فألحق به، فخرج إلى الطائف [1].

وكان قد اشترك هؤلاء الثلاثة : عبد الله بن عباس، ومحمد بن الحنفية، وعبد الله بن عمر ﷺ ، في معارضة معاوية ﷺ حين طلب البيعة ليزيد كما تلكأوا في البيعة بعد وفاة معاوية ﷺ ، ولكن الوليد بن عتبة نجح أخيراً في الحصول على بيعتهم -كما سبق ذكره- فلم يجرؤ واحدٌ منهم على إظهار البيعة لنفسه، إذ كانت في أعناقهم بيعة، ولكن ابن الزبير ﷺ كان أشد منهم في المعارضة ثم استطاع أن يفر من يد الوليد إلى مكة، فتخلص من إرغامه على البيعة ليزيد، فصارت له مطلق الحرية في المعارضة إذ ليس في عنقه بيعة ليزيد.

ثالثاً: ضعف السلطة الأموية في الحجاز:

ومن الأسباب التي ساعدت عبد الله بن الزبير ﷺ على نشر دعوته ضعف السلطة الأموية في الحجاز، فبينما كان يختار معاوية بن أبي سفيان ﷺ دهاة العرب ليعينهم ولاة على الأمصار خارج الجزيرة العربية، كان يعين على إقليم الحجاز من كانوا يقلون عن ولاة الأمصار الأخرى حزماً وعزماً، ومن الأمثلة على ذلك:

ـ **عمرو بن العاص** ﷺ وهو الذي تمكن من خداع أبو موسى الأشعري في التحكيم، فولاه معاوية ﷺ على مصر مدى حياته، وكان عمرو مشهوراً بسرعة البديهة والدهاء والحزم[2].

-**المغيرة بن شعبة** ﷺ [3] الذي يضرب به المثل في المعضلات، استعمله

---

[1] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٤، ص ٧٠.

[2] – ابن الأثير، أسد الغابة، ج (٣)، ص ص ٧٤١ -٧٤٥.

[3] – المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف، احد دهاة العرب شهد الحديبية واليمامة، وفتوح الشام، والقادسية ونهاوند وهمدان، وه عمر بن الخطاب على البصرة، ففتح عدة بلاد، وعزله، ثم ولاه الكوفة، أقره عثمان على الكوفة ثم عزله، اعتزل المغيرة الفتنة بين الإمام عليّ ومعاوية، وحضر مع الحكمين، ثم ولاه معاوية الكوفة، فلم يزل عليها حتى توفي سنة (٥٠هـ/٦٧٠م)، وقيل أن المغيرة هو أول من رشا في الإسلام، رشا يرفأ حاجب سيدنا عمر، فكان يقول : " ربما عرق الدرهم في يدي أرفعه ليرفأ ليسهل إذني على عمر"، وهو أول من جمع له العراقان : البصرة والكوفة، وهو أول من سُلم له بالإمارة في الإسلام، فقيل له: " السلام علي أيها الأمير"، وهوأول من وضع ديوان البصرة.

ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٤، ص ٣٤٥ ؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١٣، ص ص ٣٤٣ – ٣٥١ ؛ السيد، معجم الأوائل، ص ٥١.

معـاويةﷺ على الكوفة، وأقام بها أكثر من سبع سنين[١]، وهو صاحـب فكرة توليـة العهد ليزيد[٢].

- **زياد بن أبـيه** [٣]، الذي عرف بالذكاء وسعة الحيلة والحـزم وحـدة اللـسان، وكان عظيـم السياسة ضابطاً لما يتولاه،وعرف معـاوية صفاته، فأسـتلحقه بأبيـه [٤] وكان ذلك سنة ٤٤هـ/٦٦٤م [٥]، وقال: " وإني لم أتكثر بزياد من قلة، و لم أتعزز بـه من ذلة، ولكن عرفت حقاً له، فوضعته موضعه"[٦]، وكان معاوية ﷺ قد استعمله علـى البصرة ثم الكوفة، فيقُال إن زياد ساس البصرة سياسة عنف وقسوة، واشتد في العقوبـة، وخافه الناس خوفاً شديداً[٧].

وكان الأجدر بمعاوية ﷺ وهو يعلم أن المدينة مـوطن صـحابة الرسـول ﷺ وأنصاره، أن يقوي من شأن ولاته على المدينة حتى يستطيع أن يحقق السياسة التي تتفـق وصالح الدولة .

---

[١] - اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص ٢٢١ ؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٤، ص ص ٤٧٣ - ٤٧٤.

[٢] - قيل: أن المغيرة قدم على معاوية، وأستعفاه، وشكا إليه الضعف، فأعفاه، وأراد أن يولي سعيد بن العاص، فبلغ المغيرة ذلك، فقدم إلى يزيد، ودخل عليه فعرض له بالبيعة، فأدى ذلك يزيد إلى أبيه، فرد معاوية المغيرة إلى الكوفة، وأمره أن يعمل في بيعة يزيد. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٢٠ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ص ٣٠١ - ٣٠٢ .

[٣] - قيل في زياد بن أبيه أنه : أول أمير عربي جلس الناس بين يديه على الكراسي، وأول من سارت الرجال بين يديه تحمل الحراب والعُمُد كما كانت تفعل العجم، وأول من أتخذ العسعس والحرس في الإسلام، وأول من ابتدع ترك السلام على القادم بحضرة السلطان، وهو أول من ضرب الدنانير والدراهم في الاسلام، ونقش عليها اسم " الله"، ومحا عنها اسم الروم ونقوشهم.

[٤] - ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٢، ص ص ١١٩- ١٢٠ ؛ السيد، معجم الأوائل، ص ١٢٨.

إستلحاق زياد بأبيه: يذكر ابن الأثير : أن أبو سفيان بن حرب سار في الجاهلية إلى الطائف فنزل على خمار يقال له أبو مريم السَّلولي، فقال له أبو سفيان : قد اشتهيت النساء فالتمس لي بغياً، فأتاه بها، فوقع عليها، فعلقت بزياد، ثم وضعته في السنة الأولى من الهجرة، فلما كـبر =ونشأ استكتبه أبو موسى الأشعري لما ولي البصرة، ثم إن عمر بن الخطاب استكفى زياداً أمراً فقام فيه مقاماً مرضياً، فلما عاد إليه حضر، وعند عمر المهاجرون والأنصار، فخطب فيهم خطبة لم يسمعوا بمثلها، فقال عمرو ابن العاص : لله هذا الغلام لو كان أبوه من قريش لساق العرب بعصاه! فقال أبو سفيان، وهو حاضر : والله إني لأعرف أباه ومن وضعه في رحم أمه، ولما ولي علي الخلافة استعمل زياداً على فارس، فضبطها وحمى قلاعها، فساء ذلك معاوية، ورأى معاوية أن يستميل زياداً، ويستصفي مودته باستلحاقه، فاتفقا على ذلك، واحضر النـاس وحضر من يشهد لزياد ومنهم أبو مريم السلولي، فاستلحقه معاوية .

ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ص ٤٤٣-٤٤٤.

[٥] - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٤٤٠.

[٦] - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٢١٥.

[٧] - شكري يوسف حسين أحمد، سياسة زياد بن أبيه في العراق، رسالة ماجستير، (القاهرة: جامعة الأزهر، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٣م)، ص ٨٨.

ثم لم يكتف معاوية ﷺ بذلك، بل كان كثيراً ما يوقع العداء بين ولاة الحجاز، فكان حكيماً داهية،فقد ذكر المؤرخون أنه عزل عامله على المدينة سعيد بن العاص في السنة ٥٤هـ/٦٧٣م ، واستعمل بدله مروان بن الحكم، والسبب في ذلك أن معاويةﷺ كتب إلى سعيد بهدم دار مروان ومصادرة أمواله، فراجعه سعيد في ذلك، ولكنه أصر على ذلك، فعزل معاوية ﷺ سعيداً، وعين بدله مروان في نفس السنة، وأمره بهدم دارسعيد، ومصادرة أمواله، فلما هم مروان بتنفيذ أوامر الخليفة، أخبره سعيد بما كان من موقفه من معاوية ﷺ ، وكيف أدى ذلك إلى عزله، وأطلعه على كتاب معاوية إليه، فامتنع مروان عن هدم دار سعيد بن العاص، ثم كتب ابن العاص إلى معاوية ﷺ معاتباً " العجب مما صنع أمير المؤمنين بنا في قرابتنا أن يضغن بعضنا بعضاً على بعض، فأمير المؤمنين في حلمه وصبره على ما يكره من الاخبثين وعفوه، وإدخاله القطيعة بيننا والشحناء، وتوارث الأولاد ذلك، فوالله لو لم نكن بني أب واحد وإلا لما جمعنا الله عليه من نصرة الخليفة المظلوم وباجتماع كلمتنا لكان حقاً علينا أن ترعى ذلك، والذي أدركنا به خير"، ثم أحس معاوية ﷺ بخطأه، فأرسل يعتذر إليه مما فعل وتعهد بتغيير سياسته[1].

وفي نفس الوقت كان الأمويون يستعملون على الحجاز ولاة قليلي الخبرة في النواحي السياسية أمثال **عثمان بن محمد بن أبي سفيان**،فقد كان فتى حدث لم يمارس الأمور ولم يعارك ولم تحنكه السنون، فكان أن أرسل وفداً من أهل المدينة إلى يزيد لتمثيل أهل الحجاز عند الخليفة، فلما عاد الوفد أخذ يتحدث عن مساوىء يزيد بالرغم من أن يزيد أكرمهم [2]، كما ذكرنا سابقاً، وهكذا يتضح مقدار الفشل الذي تمتع به والي المدينة في اختيار من يمثلون الحجاز، فبدلاً من أن يعودوا يحملون الثناء والتقدير للخليفة، أخذوا يظهرون عيوبه، وخلع العائدون الخليفة وتبعهم الناس، وبايعوا عبد الله بن حنظلة[3]. ثم أن ما يدل على ضعف الولاة الأمويين في الحجاز أن الوالي على المدينة

---

[1] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٢٩٤ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية،ج ٨، ص ٥٤.

[2] – الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٦٥ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٤٨٠ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ١٧.

[3] – الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٦٥.

عمرو بن سعيد بن العاص، لم يجد من يرسله لقتال عبد الله بن الزبير ﷺ سوى أخيه عمرو بن الزبير، فبعثه في نفر قليل , وكانت الهزيمة مصيرهم[1].

ثم إن هؤلاء النفر لم يكونوا من الجند المدرب على القتال، بل كانوا من رجال الشرطة، الذين لا يصلحون إلا للقبض على الخارجين على القانون، دون الخارجين على الدولة.

والدليل على ضعف السلطة الأموية، اعتراف **عمرو بن سعيد ابن العاص**، عندما أتهمه يزيد بإهماله القبض على ابن الزبير ﷺ ، فقال: " يا أمير المؤمنين، الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، وإن جُلّ أهل مكة وأهل المدينة قد كانوا مالوا إليه وهووه وأعطوه الرضا، ودعا بعضهم بعضاً سراً وعلانية، ولم يكن معي جند أقوي بهم عليه لو ناهضته، وقد كان يحذرني ويتحرز مني، وكنت أرفق به وأُداريه لأستمكر منه فأثب عليه"[2].

رابعاً: سوء الحالة الاقتصادية في الحجاز:

يعدُّ إقليم الحجاز فقيراً من الناحية الاقتصادية حيث لا أنهار ولا مزروعات تستطيع أن تقدم لأهلها حاجتهم من الخيرات الزراعية[3]، وقد تأثرت مكانة هذا الأقليم بعد أن انتقلت حاضرة الخلافة من المدينة إلى دمشق، وقد عمل معاوية ﷺ على إضعافه من الناحيتين السياسية والاقتصادية، ولم يعد يبسط يده بالبذل والعطاء لأهله، وعمل على تغيير ماكان ينعم به هذا الإقليم من وافر القوة وواسع النفوذ مما اضطرهم إلى أن يبيعوا الكثير من ممتلكاتهم التي اشتراها منهم بأبخس الأثمان، هذا في الوقت الذي كان يجزل العطاء لأهل الشام، فقد قيل : إن معاوية ﷺ كان يأذن في اليوم والليلة خمس مرات للناس بالدخول عليه وطلب حوائجهم، وكان لايبخل عليهم؛ ويقول: أعطوهم، اقضوا حوائجهم، اخدموهم[4].

---

[1] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ص ٣٤٣ – ٣٤٧.

[2] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ص ٤٧٨ –٤٧٩ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٣٠.

[3] – الناطور، عبد الله بن الزبير، ص ١٠٠.

[4] – المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٣١.

كما أن يزيد بن معاوية طلب من أبيه أن يزيد أهل الشام عشرة دنانير كل رجل في عطائه وأن يجعل ذلك في شفاعته[١].

وما يدل على أن معاوية ﷺ ضيق على الناس في أرزاقهم، وحرم عطاءاتهم، أن اضطر كثير من أهل المدينة إلى بيع أملاكهم بأثمان زهيدة، وأنه كان لمعاوية ﷺ وكلاء يشترون ما باع أهل المدينة، حتى أصبح له ضياع كثيرة في المدينة، فقيل: إن معاوية ﷺ كان يجدّ بالمدينة وأعراضها مائة ألف وسق وخمسين ألف وسق، ويحصد مائة ألف وسق حنطة[٢].

وقيل: اشترى معاوية ﷺ من حويطب بن عبد العزى داره بخمسة وأربعين ألف دينار، فهنأه قوم فقال: وما خمسة وأربعون ألف دينار بالحجاز مع سبعة من العيال[٣]؟ ما يدل على صعوبة المعيشة بالحجاز.

كما قيل: إنه كان لعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ﷺ[٤] أرض إلى جانب أرض لمعاوية ﷺ، فعمد وكيل معاوية ﷺ بالمدينة إلى ضم هذه الأرض إلى أرض معاوية ﷺ، وقال: هذه لأمير المؤمنين[٥].

ولم يكن هذا الوضع يقتصر على المدينة فحسب بل في الحجاز بأسرها[٦]، وقد كان لمعاوية ﷺ موقف في مكة يدل على أن معاوية ﷺ كان يشتري أملاك أهل الحجاز بالقوة ومن غير حق، حيث يُروى: أنه في سنة أربع وأربعين من الهجرة حج معاوية،

---

[١] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٨٢.

[٢] – محمد محمد حسن شُراب، المدينة في العصر الأموي، الطبعة الأولى، (المدينة المنورة: مكتبة التراث، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م)، ص ١٦٥.

[٣] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص٦٧.

[٤] – عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب القرشي العدوي، وهو ابن اخى عمر بن الخطاب، أمه لبابة بنت أبي لبابة بن عبد المنذر، أتى به أبو لبابة جده إلى النبي ﷺ، فحنكه رسول الله ﷺ، ومسح رأسه، ودعا له بالبركة، ولما توفى الرسول ﷺ كان عمره ست سنين، وزوجه عمر بن الخطاب ابنته فاطمة، فولدت له عبد الله بن عبد الرحمن.
ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ص ٣٤٦ – ٣٤.

[٥] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ص ١٣٩ – ١٤٠.

[٦] – يذكر أن معاوية أشترى عدداً من الدور بمكة منها: دار المراجل وقد أبتاعها من آل المؤمل من بني عدي بن كعب، كما أشترى دار أوس، وكانت لناس من خزاعة أشتراها منهم وبناها، واشترى دار الشعب بالثنية من بني عدي بن كعب، وساوم معاوية خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي بأسفل مكة يُقال : إن هشام بن المغيرة دفن فيها، فرفض خالد بن العاص بيعها، وقال : " وهل يبيع الرجل موضع قبر أبيه؟.
إبراهيم عبد العزيز الجميح، النشاط التجاري والحرفي في مكة في العصر الأموي من خلال كتاب الفاكهي، الدارة، (مكة : العدد الثالث، السنة الحادية والثلاثون، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م)، ص ص ٨٩ – ٩٠.

واشترى دار الندوة من أبي الرهين العبدري بمائة ألف درهم، فجاءه شيبة بن عثمان، فقال له: إن لي فيها حقاً، وقد أخذتها بالشفعة، فقال له معاوية ﷺ: فأحضر المال، فقال: أروح به إليك العشية، وكان ذلك بعدما صدر الناس من الحج، وقد كان معاوية ﷺ تهيأ للخروج إلى الشام، فصلى معاوية ﷺ بالناس العصر، ثم دخل الطواف فطاف، ثم انصرف فدخل دار الندوة، فقام له شيبة حين أراد أن يدخل الدار، فقال: يا أمير المؤمنين قد أحضرت المال، فقال له معاوية ﷺ : فاثبت حتى يأتيك رأيي، فأُجيف الباب وأُرخي الستر، وركب معاوية ﷺ من الدار دوابه وخرج من الباب الآخر مسافراً، ومضى معاوية ﷺ إلى المدينة – وشيبة لا يشعر به – فلم يزل شيبة جالساً بالباب حتى جاء المؤذن فسلم وأذنه بصلاة المغرب، فخرج والي مكة عبد الله بن أسيد، فقام إليه شيبة، فقال: فأين أمير المؤمنين ؟ قال: راح إلى الشام، فقال شيبة: والله لاكلمته أبداً [1].

وما يدل على أن معاوية ﷺ ضيق على أهل الحجاز رزقهم، أنه حين حج معاويةﷺ فلما قرب من المدينة تلقّاه الناس، وتلقته الأنصار، فقال: ما منعكم من تلقّيّ من بُعد كما تلقاني الناس من بُعد ؟ فقال أحدهم: منعنا من ذلك قلة الظهر، وخفة ذات اليد، بإلحاح الزمان علينا وإيثارك بمعروفك غيرنا[2] .

وقال له عبد الله بن عباس ﷺ : هذا المال فليس لك منه إلا ما لرجل من المسلمين، ولنا في كتاب الله حقّان: حق الغنيمة وحقّ الفيء، .... ولولا حقُّنا في هذا المال ما أتاك منّا زائر يحمله خُفٌّ ولا حافر[3].

ويبدو أن معاوية ﷺ أسهم إسهاماً كبيراً في خسارة الحجاز، وذلك بتمركزه في دمشق، واعتقاده بأن دور الحجاز السياسي بدأ بالأفول، فبدأ يخرجه من حسابه، ووضح ذلك بقوله: كان أهل الحجاز أعلى الناس، في أيديهم الحق، فلما تركوه صار الحق في أيدي الشام[4].

---

[1] – الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص ٢٦٩ ؛ ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج ٢، ص ص ٣٤ – ٣٥.

[2] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ١٢٤.

[3] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ص ١٢٠-١٢١.

[4] – محمد زيود، دراسة تحليلية لموقف الحجاز من خلافة يزيد الأول، مجلة الدراسات التاريخية، العددان ، ٦٢. (دمشق:، أيلول، كانون أول، ١٩٩٧م)، ص ١١٣.

وفي الوقت الذي قلل معاوية ﷺ العطاء على عامة أهل المدينة، أو أنقصه عن كثير منهم نجده يكرم العطاء على أبناء الصحابة من آل الحسين وآل الزبير وأبناء عمر ﷺ، ليزداد منهم قرباً، وليكسبهم في صفه لأسباب سياسية[1].

ومن أمثلة ذلك:

دخل الحسن بن علي على معاوية ﷺ ، فقال له معاوية ﷺ : يا ابن أخي بلغني أن عليك ديناً، قال : علي دينٌ مائة ألف، فقال معاوية ﷺ: أمرنا لك بثلاثمائة ألف، مائة ألف لقضاء دينك، ومائة ألف تقسمها في أهل بيتك، ومائة ألف لخاصة بدنك[2]،كما أنه أمر لرجل من ولد عمر بن الخطاب ﷺ بمائة ألف درهم[3]، ثم إن معاوية بعث إلى عبد الله بن عمر ﷺ بمال فدعا بصحيفة دينه فقضى ما فيها، ثم دعا بصحيفة العيال فأعطاهم، ثم أمر بصدقة فتصدق بها، وقسم في أصحابه قطعة من المال[4]، كما أجاز ابن الزبير ﷺ بمائة ألف[5]، وكان ابن الزبير ﷺ يقول له: إنّ خيرك علينا لقليل[6].

أما يزيد فقد جرى على عكس سياسة أبيه، فغمر أهل الحجاز بعطاياه، وأكرم زعماءهم، وحينما أرسل يزيد إلى عبد الله ابن عباس ﷺ بعض المال مكافأة له على امتناعه عن البيعة لابن الزبير ﷺ ، كتب إليه يقول:" فلعمري ما تؤتينا مما في يدك من حقنا إلا القليل وانك لتحبس عنا منه العارض الطويل"[7] .

---

(1) – طلال صالح غرايبة، الحياة السياسية في بلاد الشام في خلافة معاوية بن أبي سفيان، رسالة ماجستير، (الأردن، الجامعة الأردنية، ١٩٧٩م)، ص٩٧.

(2) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ١١٠.

(3) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٢٨.

(4) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٤٥.

(5) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٤٥ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية،ج ٨، ص ١١٠.

(6) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٩٩.

(7) – اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٤٨.

حتى أنه دعا الضحاك بن قيس الفهري[1]،بعد وقعة الحرة فقال له: ترى ما لقي أهل المدينة؟ فما الذي يجبرهم ؟ فقال له الضحاك: الطعام والأعطية، فأمر بحمل الطعام إليهم وأفاض عليهم أعطيته[2].

كما أنه أكرم بيت آل الحسين بعد كربلاء، وردّ عليهم جميع ما فقد لهم وأضعافه، وردهم إلى المدينة[3]، وعلى الرغم من كل ذلك زاد هجاء الحجازيين له[4].

خامساً: التباين الواضح بين شخصية ابن الزبير ﷺ ويزيد بن معاوية:

اشتهر عبد الله بن الزبير ﷺ بالصلاح والتقوى، وامتاز بصفات كثيرة، فقد كان مجاهداً في إسلامه، قارئاً للقرآن، صواماً قواماً، أبوه الزبير، وأمه أسماء، وجده أبو بكرﷺ، وعمته خديجة بنت خويلد، وخالته عائشة- رضوان الله عليهن-[5]، فهو كريم الجدات والأمهات والخالات، بجانب أنه صحابي جليل[6]، ولا شك أن هذه الصفات قد أكسبته محبة المسلمين وظفر بتأييدهم لدعوته.

وكان كثيراً ما يقوم من الليل،حتى قيل: إنه قسم الدهر على ثلاث ليال: فليلة هو قائم حتى الصباح،وليلة هو راكع حتى الصباح،وليلة هو ساجد حتى الصباح[7]،وقد سمى نفسه (العائذبالله)[8] -كما سبق ذكره- وتميز بالزهد والبساطة والتقشف، كل هذه الصفات كان لها أثرها في نفوس المسلمين، وجعلت الناس يميلون إلى مساندته ومبايعته،

---

[1] – الضحاك بن قيس بن خالد الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن واثلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، القرشي الفهري، وأمه أميمة بنت ربيعة الكنانية، ولد قبل وفاة النبي ﷺ بسبع سنين، وكان على شرطة معاوية، ولما توفي صلى الضحاك عليه، وضبط البلد حتى قدم يزيد بن معاوية، وكان مع يزيد وابنه معاوية إلى أن ماتا، ثم بايع بدمشق لابن الزبير، ثم قاتل مروان بن الحكم في مرج راهط، فقتل الضحاك بالمرج، في منتصف ذي الحجة سنة (٦٤هـ/٦٨٣م).
ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ص ٤٣٣- ٤٣٤ ؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٢، ص ص ٤٣١-٤٣٢.

[2] – ابن كثير، البداية والنهاية،ج ٨، ص ١٨٧.

[3] – ابن كثير، البداية والنهاية،ج ٨، ص ١٨٦.

[4] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ص ٤٧٨ – ٤٨١.

[5] – ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ص١٣٨- ١٤١.

[6] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص٣٥١ ؛ الأصفهاني، حلية الأولياء، ج ١، ص ٤١١.

[7] – ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ١٤٠.

[8] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٣٢٣.

وأين هذا من يزيد بن معاوية الذي لم تتوفر في شخصيته تلك الصفات فكان الفرق واضحاً، منذ رجع وفد أهل المدينة من دمشق فبعد أن أكرمهم رجعوا يهجونه ووصفه بأسوأ الصفات وشتموه،ومن ثم خلعوه[1].

ولما أراد أبوه أخذ البيعة له، كتب كتاباً إلى زياد ليدعو أهل البصرة للمبايعة ليزيد، فرد عليه زياد: فما يقول الناس إذا دعوناهم إلى بيعة يزيد، وهو يلعب بالكلاب والقرود، ويلبس المصبّغ، ويُدمن الشراب، ويمشي على الدفوف، وبحضرتهم الحسين بن علي ﷺ ، وعبد الله بن عباس ﷺ، وعبد الله بن الزبير ﷺ ، وعبد الله بن عامر ولكن تأمره أن يتخلق بأخلاق هؤلاء حولاً وحولين، فعسينا أن نموه على الناس[2].

وكان يزيد قد اشتهر بإقباله على الشهوات، وترك بعض الصلوات في بعض الأوقات، وإماتتها في غالب الأوقات[3]، كما اشتهر بالمعازف، وشرب الخمر، والغناء، والصيد، واتخاذ الغلمان، والقيان، والكلاب، والنطاح بين الكباش والدباب والقرود، وما من يوم إلا ويصبح فيه مخموراً، وكان يشد القرد على فرس مسرجة بحبال ويسوق به، ويلبس القرد قلانس الذهب، وكذلك الغلمان، وكان يسابق بين الخيل، وكان إذا مات القرد حزن عليه[4].

هذه هي بعض العوامل التي استطاعت الباحثة أن تجملها في الأسباب التي دعت عبد الله بن الزبير ﷺ لإعلان نفسه خليفة، وجعلت الناس يلتفون حوله، ويؤيدونه من سائر أطراف العالم الإسلامي.

---

(1) – ابن كثير، البداية والنهاية،ج ٨، ص ١٧٣.

(2) – اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٢٠.

(3) – ابن كثير، البداية والنهاية،ج ٨، ص ١٨٥.

(4) – اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٢٠ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية،ج ٨، ص ١٩٨.

سُميت السنوات التي حكم فيها يزيد بن معاوية سني الشؤم لأنه : في السنة الأولى قُتل الحسين بن عليّ وأهل بيت رسول الله، وفي السنة الثانية اُستبيح حرم رسول الله وانتُهكت حرمة المدينة، وفي الثالثة سُفكت الدماء في حرم الله وحُرقت الكعبة .

اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٥٣.

موقف أهالي الحجاز من دعوة عبد الله بن الزبير ﷺ:

أولاً: الهاشميون وموقفهم من عبد الله بن الزبير ﷺ:

بعد مقتل الحسين ﷺ بقي من زعماء الهاشميين: عبد الله بن عباس ﷺ، ومحمد بن الحنفية ﷺ، وعبد الله بن جعفر ﷺ[1]، وكان لا يطمع واحد منهم في الخلافة، ولم يقوموا بأي عمل إيجابي في سبيلها، فمالوا إلى السكينة والهدوء -كما ذُكر سابقاً- بل كان من بينهم من كانت له صلات ودية مع بني أمية، مثل: **عبد الله بن جعفر** ﷺ، الذي أضعف له يزيد بن معاوية ما كان يصله من العطاء[2].

وذلك عملاً بوصية أبيه معاوية ﷺ حين قال له:" إن لي خليلاً من أهل المدينة فأكرمه، قال: ومن هو ؟ قال: عبد الله بن جعفر"[3].

وكان أن دخل عبد الله بن جعفر ﷺ على يزيد فقال: كم كان أبي يُعطيك في كلّ سنة؟ قال: ألف ألف، قال: فإني قد أضعفتها لك، فقال ابن جعفر ﷺ: فداك أبي وأمي، والله ما قلتها لأحد قبلك، قال: فقد أضعفتها لك، فقيل: أتعطيه أربعة آلاف ألف ؟! فقال يزيد: نعم إنّه يفرّق ماله، فإعطائي إيّاه إعطائي أهل المدينة، ولما خرج ابن جعفر من عند يزيد، رأى على باب يزيد بخاتي – نوق خراسانية – مبركات، قد قدم عليه هدية من خراسان، فرجع ابن جعفر إلى يزيد، فسأله منها ثلاث بخاتي ليركب عليها إلى الحج والعمرة، وإذا وفد إلى الشام على يزيد، فقال يزيد للحاجب: ما هذه البخاتي التي على الباب ؟ فقال له: يا أمير المؤمنين هذه أربعمائة بختية جاءتنا من خراسان تحمل أنواع الألطاف، فقال يزيد: اصرفها إلى ابن جعفر بما عليها، فكان عبد الله بن جعفر يقول: أتلومونني على حسن الرأي في هذا ؟ – يعني يزيد[4].

---

[1] – عبد الله بن جعفر – ذي الجناحين – بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، القرشي الهاشمي، أمه أسماء بنت عميس الخثعمية، وُلد بأرض الجبشة، عندما هاجر أبواه إلى هناك، وهو أول مولود وُلد في الإسلام بأرض الحبشة، روى عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة، توفي رسول الله ﷺ ولعبد الله عشر سنين، وأخباره في جوده وكرمه كثيرة لا تحصى، توفي سنة (٨٠هـ/٦٦٩م)، عام الجحاف – سمي (جحاف) لأنه جاء سيل عظيم ببطن مكة جحف الحاج وذهب بالإبل عليها أحمالها – بالمدينة، وكان عمره تسعين سنة، وقيل اثنان وتسعون سنة.

البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٣٠٠ ؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ص٩٤ -٩٦؛ محمد إبراهيم الجيوشي، أخبار ابن ذي الجناحين، (القاهرة: مكتبة الحسين الإسلامية، د.ت)، ص ص٣ – ٧.

[2] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ٣٠٢.

[3] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص١٨٤.

[4] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ص ٣٠١ – ٣٠٢.

أما **محمد بن الحنفية** ﷺ فقد قال في يزيد حين خلعه أهل المدينة :" ما رأيت منه ما تذكرون، وقد حضرته، وأقمت عنده فرأيته مواظباً على الصلاة متحرياً للخير، يسأل عن الفقه، ملازماً للسنة"[١]،كانت شهادة محمد بن الحنفية ﷺ ليزيد بن معاوية مثيرة لغضب ابن الزبير ﷺ، ثم زاد غضبه حين رفض محمد بن الحنفية ﷺ البيعة لابن الزبيرﷺ، ورأى شيعته، وأنصاره تأخير البيعة لابن الزبير ﷺ حتى تجتمع الأمة،وطلب منه شيعته أن يقتلوا ابن الزبير ﷺ ، إذا خرج من الحرم، فقال لهم : ما يسرني أني قتلت حبشياً مجدعاً، ثم أجمع سلطان العرب كله لابن الحنفية ، فأكثر ابن الزبير ﷺ من ذم محمد بن الحنفية ﷺ ،قائلاً: أما والله صاحبكم – يقصد ابن الحنفية – بمرضي الدين، ولا محمود الرأي، ولا راجح العقل، ولا لهذا الأمر بأهل[٢].ثم حاول يزيد أن يتنصل من تبعة الأحداث في كربلاء حتى يكسب تأييد أهل الحجاز، فألقى بكل المسئولية على عاتق عبيد الله بن زياد، وأعلن أن ما حدث في كربلاء كان بغير إرادته، وقام بلعن ابن زياد وشتمه، وقال: لو أنه قدر على الحسين قبل أن يُقتل لعفا عنه[٣].ورأى يزيد بن معاوية أن يبحث عن هاشمي يستميله إلى جانبه ليظهر عدم العداء بينه وبين الهاشميين، فأرسل إلى ابن الحنفيةﷺ كتاباً، يكيل له فيه المدح والثناء، ويدعوه لزيارته بدمشق، فشد الرحال إليها، فلما قدم عليه أمر، فأُنزل مترلاً، وأجرى عليه ما يصلحه ويسعه، ثم دعا به وأدنى مجلسه، وقرَّبه حتى صار معه، وأحاطه يزيد بكل مظاهر التكريم، وأغدق عليه العطايا، ثم أمر له بثلاثمائة ألف درهم، فسارع ابن الحنفية ﷺ إلى بيعته، وعاد إلى الحجاز متحدثاً بتقديره ليزيد[٤].

وبسبب ذلك ساءت العلاقات بينه وبين ابن الزبير ﷺ ، وارتحل ابن الحنفية ﷺ من المدينة إلى مكة، ولم يقف واحد من بني هاشم مع أهل المدينة عندما أعلنوا تحللهم من البيعة ليزيد [٥].

---

[١] – ابن كثير، البداية والنهاية،ج ٨، ص ١٨٧.

[٢] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٤٧٣.

[٣] – ابن كثير، البداية والنهاية،ج ٨، ص١٦٢.

[٤] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ص ٤٦٩–٤٧٠ ؛ الأصفهاني، حلية الأولياء، ج ٣، ص ٢٠٥.

[٥] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٤٦٩ ؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ١٨٩ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٧٥.

مكث ابن الحنفية ﷺ في مكة، ولما جاء الخبر بنعي يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ/٦٨٣م، وكان ابن الزبير ﷺ قد دعا لنفسه بعد موت الحسين ﷺ وبايعه الناس، رفض ابن الحنفية ﷺ أن يبايع، وقال: " إذا لم يبق غيري بايعتك"[١]، و"حتى يجتمع لك البد ويتسق لك الناس "[٢].

وروى البلاذري : أن ابن الزبير ﷺ أظهر سوء الرأي في بني هاشم، وترك ذكر رسول الله ﷺ من أجلهم، وقال ابن الزبير ﷺ : أن له أُهيل سوءٍ فإن ذُكر مدّوا أعناقهم لذكره،لذلك فارقته الشيعة وأكفرته[٣]،ويذكر اليعقوبي رواية مشابهة لما ذكر البلاذري حيث يقول: إن عبد الله بن الزبير قد عامل بني هاشم معاملة سيئة، وتحامل عليهم تحاملاً شديداً، وأظهر لهم العداوة والبغضاء، حتى بلغ ذلك منه أن ترك الصلاة على محمد ﷺ في خطبته، فقيل له: لما تركت الصلاة على النبي ﷺ، فقال: إن له أهل سوء يشرئبون لذكره ويرفعون رؤوسهم إذا سمعوا به"[٤].

إلا أنه لا يمكن تصديق ما يدعيه هذان المؤرخان من أن ابن الزبير ﷺ ترك الصلاة على رسول الله ﷺ، وهذا الأمر لا يمكن أن يحدث من ابن الزبير ﷺ، فإنه لو فعل هذا لانفض الناس من حوله، لأنه بتركه الصلاة على النبي ﷺ لا يُغضب بني هاشم وحدهم، بل يغضب المسلمين جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها، ويجعلهم ينفضون من حوله،ولا سيما وأن عهده لم يزل قريباً من عهد الرسول ﷺ فمن حوله كلهم من صحابة رسول الله ﷺ وأبنائهم، وقد ذكرنا سابقاً كيف كانت النتائج سلبية عندما أقدم معاوية ﷺ وولاته على سب علي ﷺ على المنابر، وعندما حاول أن ينقل منبر الرسول ﷺ، وكيف كان هذا من الأسباب وراء اجتماع الناس على ابن الزبير ﷺ وتأييدهم له.

ثم ارتكب ابن الزبير ﷺ عدداً من أعمال العنف ضد بني هاشم، فقد حبس ابن الزبير ﷺ ، ابن الحنفية ﷺ وأهل بيته ومن معه من أصحابه بزمزم، ومنع الناس منهم، ووكل بهم الحرس، ثم بعث ابن الزبير ﷺ ، عمرو بن عروة بن الزبير إليهم قائلاً: أُعطي الله عهداً لئن لم تبايعوني، لأضربن أعناقكم، أو لأحرقنكم بالنار، فقال ابن الحنفية لعمرو:

---

[١] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٤٧٢.
[٢] – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ١١٧.
[٣] – أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٣٣٣.
[٤] – تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٦١.

قل لعمك : لقد أصبحت جريئاً على الدماء منتهكاً للحرمة ملثلثاً[1] في الفتنة، ثم بعث إلى المختار بن أبي عبيد[2] كتاباً: ياغوثتنا بالله يا غوثتنا بالله، فخطب المختار في أصحابه : لست بأبي إسحاق إن لم أنصرهم نصراً مؤزراً، فأرسل لهم مائة وخمسين راكبا فساروا حتى وافوا مكة، وابن الحنفية ﷺ وأهل بيته، وأولئك القوم بزمزم، وقد أعد لهم ابن الزبير ﷺ الحطب ليحرقهم بالنار، فدخل القادمون على ابن الحنفية ﷺ وأصحابه المحبوسين، ثم شدوا على الحرس الموكلين بابن الحنفية ﷺ ، فطردوهم، وقالوا له: خلّ بيننا وبين ابن الزبير، فقال: لا أستحل القتال في حرم الله [3]، فخرج ومن معه إلى الشعب، ولم يزل بها حتى قُتل المختار، واشتد أمر ابن الزبير ﷺ ، فبعث إليه ابن الزبير: أن البلاد قد افتتحت، وان الأمور قد استوسقت، فاخرج إليَّ، فادخل فيما دخل فيه الناس والا فإني منابذك، فرد عليه ابن الحنفية ﷺ : بؤساً ما ألّحه في إسخاط الله وأغفله عن ذات الله، وجدَّ ابن الزبير ﷺ في قتال ابن الحنفية ﷺ ، حتى بلغ ذلك عبد الملك بن مروان، فعرض عليه أن يقدم إليه بالشام، ثم ندم عبد الملك على أنه أذن له الدخول، فخرج منها ابن الحنفية ﷺ ورجع إلى الشعب بمكة، فبعث ابن الزبير ﷺ إلى ابن الحنفية ﷺ : ارتحل عن هذا الشعب، فما أراك منتهياً عنه، أو يشعب الله لك ولأصحابك فيه أصنافاً من العذاب، ثم كفَّ عنه إذا حج الناس، ثم يوم النفر، أرسل إليه : تنح عن هذا المترل، وانفر مع الناس وإلاّ فإني مناجزك، فدعا عليه ابن الحنفية ﷺ وخرج من مكة إلى الطائف [4].

---

[1] – اللثلثة : الالحاح والإقامة .

البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٤٧٤.

[2] – المختار بن أبي عبيد بن عمرو بن عمير بن عوف بن عُقدة بن غيرة ابن عوف بن ثقيف الثقفي، كان أبوه من جلة الصحابة، وُلد عام الهجرة، وأخباره غير حسنة، وكان المختار قد خرج يطلب بثأر الحسين بن علي رضي الله عنهما، واجتمع عليه كثير من الشيعة بالكوفة، وأخته صفية بنت أبي عبيد هي زوجة ابن عمر، قتل المختار بالكوفة على يد مصعب بن الزبير، سنة (٦٧هـ/٦٨٦م)، وعمره سبع وستون سنة، وهو أول من ناصر أهل البيت وأخذ بثأرهم، وكانت حركته أول حركة عسكرية قوية اشترك فيها الموالي بعد أن وجدوا ضالتهم المنشودة للثأر من العرب.

ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٤، ص ص ٣٤٦-٣٤٧ ؛ السيد، معجم الأوائل، ص ٢٢٠.

[3] – ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج ٢، ص ص ٧٨ –٨٠.

[4] – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ص ١١٨–١٢٠؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ص ٤٧٤ – ٤٨٢.

وقد قال ابن الحنفية رضي الله عنه : " اللهم إنك تعلم أني أعلم مما علمتني، أن ابن الزبير لا يخرج منها الا قتيلاً، يُطاف برأسه في الأسواق[1].

وموقف ابن الحنفية من ابن الزبير رضي الله عنه كان سبباً لظهور فرقة من الشيعة الكيسانية[2]، وهم القائلون بإمامة محمد بن الحنفية رضي الله عنه .

أما موقف عبد الله بن عباس رضي الله عنه فكان موقفاً سلبياً من خلافة ابن الزبير رضي الله عنه ورفض مبايعته، وكان موقفه هذا هو الذي جعل يزيد بن معاوية يكتب إليه -كما ذكر سابقا- ويشكره عن امتناعه عن البيعة، إلا أن امتناع ابن عباس رضي الله عنه عن البيعة ليزيد لم يكن إخلاصا منه ليزيد، وإنما كان مقتنعاً بأحقية بني هاشم في الخلافة دون غيرهم حيث كتب إلى يزيد يعنفه على مقتل الحسين رضي الله عنه وفتيان بني عبد المطلب[3].

ولما جاء نعي معاوية رضي الله عنه ، قال ابن عباس رضي الله عنه: إن ابنه يزيد لمن صالحي أهله، فالزموا مجالسكم، وأعطوا طاعتكم وبيعتكم[4].

وبعد أن توفي يزيد بن معاوية واضطربت الأمور ركن ابن عباس رضي الله عنه إلى العزلة وطلب من الناس أن يهربوا من بني أمية وآل الزبير لأنهم يدعون إلى النار[5].

ويبدو أن سبب ركون ابن عباس رضي الله عنه إلى الهدوء والعزلة مع كونه ذا مركز وعلم حتى عُرف بالبحر لعلمه، هو أنه وجد أنه لا فائدة لبني هاشم فلم يبايع هذا ولا ذاك[6].

---

[1] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢٧١.

[2] – الشيعة الكيسانية: هم الذين وردوا إلى ابن الحنفية، وهم القائلون بإمامة ابن الحنفية، وقد تنازعت الكيسانية بعد قولهم بإمامته، فمنهم من قطع بموته، ومنهم من زعم أنه لم يمت وأنه حيّ في جبال رضوى فيقولون أنه دخل إلى شعب رضوى في جماعة من أصحابه، فلم يُعرف لهم خبر إلى هذا الغاية، وسموا بالكيسانية، لإضافتهم إلى المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكان اسمه كيسان.

المسعودي، مروج الذهب،ج ٣، ص ٧٠.

وأدخلت هذه الحركة عدداً من الأفكار الجديدة، ومن ذلك، القتل الطقوسي بوساطة الأسلحة الخشبية، ولقد اختفى الخشبية بعيد المختار، ثم عاودوا الظهور بعد قرابة ألف سنة في المغرب الأقصى.

البلاذري،أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٤٧٦.

وقد قيل فيه: الا قل للوصي فدتك نفسي أطلت بذلك الجبل المقاما

البلاذري،أنساب الأشراف،ج ٢، ص ٤٢٤.

[3] – البلاذري،أنساب الأشراف،ج ٥، ص ص ٣٢١-٣٢٢ ؛ اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ص ٢٧٤-٢٧٥ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ص ١٢٧-١٢٨.

[4] – البلاذري،أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٣٠٢.

[5] – البلاذري،أنساب الأشراف،ج ٦، ص ٣٥١.

[6] – اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٤٨.

وما يدل على أن ابن عباس ﷺ لم يكن مؤيداً لدعوة ابن الزبير ﷺ ما روي من أنه : جاء رجل إلى ابن عباس ، وقال له: إني بايعت ابن الزبير، فأعطاني وحملني على فرس، أفأقاتل معه ؟ قال له ابن عباس : لا تقاتل معه، ورد عليه ما أعطاك، واشتر بغلاً أو بغلين، وغلاماً، وأغزُ المشركين، فإن قُتلت على ذلك، كنت شهيداً إن شاء الله، فرد ذلك الرجل على ابن الزبير ما أخذه منه[١].

ثم إن ابن عباس ﷺ كان يصف ابن الزبير ﷺ بالبخل، وذلك : أنه دخل ابن عباس على ابن الزبير ، فقال له ابن الزبير: أنت الذي تؤنبني وتبخلني ؟ فقال ابن عباس : نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول:" ليس المسلم الذي يشبع ويجوع جاره"، فقال ابن الزبير: إني لأكتم بغضكم أهل البيت منذ أربعين سنة، وجرى بينهم خطب طويل [٢].

ثم عندما قتل ابن الزبير ﷺ سعد مولى عتبة بن أبي سفيان بالحرم، قال ابن عباس ﷺ :" لو لقيت قاتل أبي بالحرم ما قتلته"[٣].

وقد حاول عبد الله ابن الزبير ﷺ أن ينتقص من شأن ابن عباس ﷺ أمام الناس، ودار بينهما حوار:" قال ابن الزبير لعبد الله بن العباس : قاتلت أم المؤمنين وحواري رسول الله ﷺ، وأجزت التزوج بالمتعة، فقال ابن عباس: أما أم المؤمنين فأنت أخرجتها وأبوك، وبنا سميت أم المؤمنين، وكنالها خير بنين، فتجاوز الله عنهما، وقاتلت أنت وأبوك علياً، فإن كان علياً مؤمناً، فقد ضللتم بقتال المؤمنين، وإن كان علياً كافراً، فقد يؤثم بسخط من الله لفراركم عن الزحف"[٤].

ثم اشتد العداء بين ابن الزبير وابن عباس ﷺ ما اضطر ابن عباس إلى أن يخرج من مكة إلى الطائف، فتلقاه أهلها مرحبين، وقالوا: أنت والله أحب إلينا، وأكرم علينا ممن أخرجك، هذه منازلنا تجدها، فأنزل منها حيث أحببت[٥].

ثم لما نزل ابن عباس الطائف، حين نافره ابن الزبير ، كان صلحاء الطائف يجتمعون إليه، ويأتيه أبناء السبيل يسألونه ويستفتونه، فيتكلم كل يوم بكلام لا يدعه وفيه

---

[١] – البلاذري،أنساب الأشراف،ج ٦، ص ٣٥٢.

[٢] – المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص٧١ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢٧١.

[٣] – البلاذري،أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٣٣٥.

[٤] – البلاذري،أنساب الأشراف،ج ٤، ص ٥٥ ؛ المسعودي، مروج الذهب،ج ٣، ص ص ٧٢– ٧٣.

[٥] – البلاذري،أنساب الأشراف،ج ٣، ص ٤٨٢ ؛ صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج ٢، ص ١٢٦.

ذم لابن الزبير ، فبلغ ابن الزبير ، فكتب إليه: بلغني أنك تجلس العصرين فتفتي بالجهـــل، وتعيب أهل البر والفضل، وأظن حلمي عنك، واستدامتي إياك جرّأك عليّ، فاكفف عني، وارع على نفسك، فكتب إليه ابن عباس : فهمت كتابك، وإنما يفتي بالجهـــل مـــن لم يؤت من العلم شيئاً، وقد آتاني الله منه ما لم يؤته أباك،فلا أبقى الله عليك إن أبقيت، ولا أرعى عليك إن رعيت، فو الله لا انتهيت عن إرضاء الله باسخاطك[1].

وقيل : إن ابن الزبير أرسل إلى ابن عباس :" إني أقسم بالله لئن لم تنه عما بلغني عنك لتجدن جانبي خشناً، ولتجدني إلى ما يردعك عني عجلاً، فإني أشفى بك شـــقاؤك على الردى، فلا تلم إلا نفسك"[2].

ومكث ابن عباس ﷺ في الطائف حتى وفاته سنة ٨٦هـ/٧٠٥م ، وهـــو ابـــن إحدى وسبعين سنة[3]، وصلى عليه ابن الحنفية ﷺ ، وقال: " اليوم مات ربّانيّ العلم"[4].

أما عن موقف غير الهاشميين من دعوة ابن الزبير فيتمثل في موقف **عبـــد الله بـــن عمر بن الخطاب ﷺ**.

وكان عبد الله بن عمر ﷺ من الذين شغلتهم العبادة عن المـــشاركة في الأمـــور السياسية، ولم يكن له أطماع في الخلافة[5].

وقد فضل عدم الدخول في الفتنة، لذا نجده ينصح الحسين بن علي وعبد الله بـــن الزبير ﷺ بأن لايفرقا جماعة المسلمين بخروجهما على مبايعة يزيد، وكان يقول : لا أقاتل في الفتنة، وأصلي وراء من غلب ، ومن أقواله :" لو اجتمعت على أمة محمد إلا رجلين، مـــا قاتلتهما"[6].

ولم يبايع عبد الله بن عمر لابن الزبير ، ودعا الناس لاجتناب الفتنـــة، وحـــضهم على اعتزال المتنازعين، وما يؤكد ذلك: أنه جاء رجل إلى ابن عمر ﷺ ، فقال : هـــذه خيلنا؟ قال : أية خيل ؟ قال : خيل ابن الزبير، قال : ماهي لنا بخيل،ثم جاءه آخر، فقال

---

(1) – البلاذري،أنساب الأشراف،ج ٤، ص ص ٦٤– ٦٥.
(2) – صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج ٢، ص ١٢٧.
(3) – البلاذري،أنساب الأشراف،ج ٤، ص ٧٠.
(4) – البلاذري،أنساب الأشراف،ج ٤، ص ٧٢ .
(5) – ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج ١، ص ١٩٩.
(6) – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٤، ص ص١٨٠ – ١٨٢.

: بماذا تأمر يا أبا عبد الرحمن ؟ قال: بطاعة الله، والجماعة، وأنهاك عن الفرقة، قال: ثم بماذا ؟ قال : إن كانت لك ضيعة فالحق بضيعتك[١].

ومايذكره أيوب عن أبي العالية البراء قال: كنت أمشي خلف ابن عمر، وهو لا يشعر، وهو يقول: واضعين سيوفهم على عواتقهم، يقتل بعضهم بعضاً، يقولون : يا عبد الله بن عمر أعط بيدك[٢].

وقيل لابن عمر زمن ابن الزبير ﷺ : أتصلي مع هؤلاء ومع هؤلاء، وبعضهم يقتل بعضاً ؟ فقال: من قال : حي على الصلاة أجبته، ومن قال حي على الفلاح أجبته، ومن قال حي على قتل أخيك المسلم، وأخذ ماله، قلت لا[٣].

وعندما دعاه ابن الزبير لمبايعته بالخلافة بعد موت معاوية بن يزيد، رفض عبد الله بن عمر أن يبايع ابن الزبير قائلاً : " أنا لا أعطي صفقة يميني في فرقة، ولا أمنعها في جماعة وألفة[٤]".

حتى قيل له : ما يمنعك من أن تبايع ابن الزبير ؟، قال : إني والله ما وجدت بيعتهم إلا قَقَّة، أتدري ما قَقَّة ؟ أما رأيت الصبي يسلح، ثم يضع يده في سلحه، فتقول له أمه قَقَّة[٥]؟

ومما يروى : أن عبد الله بن عمر أتى عبد الله بن الزبير ﷺ ، فقال: يابن الزبير، إياك والإلحاد في حرم الله، فإني أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: " يحلها وتحل به رجل من قريش، لو وزنت ذنوبه بذنوب الثقلين وزنتها، فانظر أن تكونه[٦].

وعندما أراد ابن عمر أن يجمع الأمة بالشورى، كتب إلى ابن الزبير في ذلك، فرد عليه ابن الزبير :" إنك لست من هذا الأمر في شيء"[٧].

---

[١] – البلاذري،أنساب الأشراف،ج ٦، ص ٣٥٢.

[٢] – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٤، ص ١٨٣.

[٣] – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٤، ص ٢٠٦.

[٤] – البلاذري،أنساب الأشراف،ج ٥، ص ٣٧٣ ؛ عبد الله بن عبد الرحمن بن زيد الخرعان، أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية، رسالة دكتوراه، (الرياض : جامعة الامام محمد بن سعود، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م)، ص ٤٢٩.

[٥] – القققة: بفتح القافين مع تشديد الثانية، وقد تكسر الأولى مع تشديد الثانية وفتحها، وهي مشي الصبي وهو حدث، يعني بعبارته: أن هذه البيعة تولاها الأحداث ومن لا يُعتبر به.

ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٤، ص ص ٢٠٨– ٢٠٩.

[٦] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢٧١.

[٧] – البلاذري،أنساب الأشراف،ج ٦، ص ٣٥٠.

ويبدو أن السبب في عدم مبايعة ابن عمر لابن الزبير ﷺ بالخلافة، يرجـع إلى أن ابن عمركان يرى في دعوة ابن الزبير أنها دعوة دنيوية الطابع، والدليل على ذلك ما أثـر عنه من قول :كنت أتمنى ألا أموت حتى أعلم إلى ما يصير أمر ابن الزبير، فيرحم الله أبـا بكر طلب دراهم العراق، ورحم الله مروان، طلب دراهم الشام[1].

وقد كان لموقف ابن عمر الرافض لبيعة ابن الزبير أثره على الناس، خاصة وقـد شاركه آخرون في رأيه، منهم: سعيد بن المسيب [2]، الفقيه الحجازي المعـروف، فقـد رفض بيعة ابن الزبير، فقد كان أيام الحرة في المسجد لم يبايع ولم يبرح، وكـان يـصلي معهم الجمعة ويخرج إلى العيد، وكان الناس يقتتلون وينتهبون، وهو في المسجد لا يـبرح ليلاً إلى الليل، ثم استعمل ابن الزبير ، جابر بن الأسود بن عوف الزهري، على المدينـة، فدعا الناس إلى البيعة لابن الزبير ، فقال ابن المسيب : لا، حتى يجتمع الناس، فضربه جابر بن الأسود الزهري ستين سوطاً[3].

---

[1] - البلاذري،أنساب الأشراف،ج ٦، ص٣٥٠.

[2] - سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران المخزومي القرشي، سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة في المدينة، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، وكان يعيش من التجارة بالزيت، لا يأخذ عطاءً، وكان أحفظ الناس لأحكام عمر ابن الخطاب، وأقضيته، حتى سمي رواية عمر، ولُد لسنتين خلتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه،توفي بالمدينة، سنة (٩٤هـ/٧١٢م)، في خلافة الوليد بن عبد الملك، وهو ابن خمس وسبعين سنة.

ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ص ١٤٠ – ١٧١ .ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج ١، ص ص ٣١٧– ٣١٨ ؛ الزركلي، الأعلام، ج ٣، ص ١٠٢ ؛ناجي الطنطاوي، سعيد بن المسيب، مجلة الرسالة، العدد ١٥٥، (القاهرة : ربيع الثاني، يونية، ١٣٥٥هـ =١٩٣٦م)، ص ص ١٠١٢– ١٠١٣.

[3] – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ١٤٤ ؛ البلاذري،أنساب الأشراف،ج ١٠، ص ٢٣٣.

(٢)- إعلان ابن الزبير ﷺ خلافته في الحجاز وأهم المناطق التي سيطر عليها. :

أولاً:إعلان ابن الزبير ﷺ خلافته في الحجاز:

بدأ عبد الله بن الزبير ﷺ يأخذ البيعة من أهل الحجاز الذين كانوا يتطلعـون إلى التخلص من سيطرة الأمويين، بعد أن ركن كبار الصحابة إلى بيعة يزيد بـن معاويـة، حيث كان أهل الحجاز ينقمون على الأمويين للأسباب التي ذُكرت من قبل.

فنجح ابن الزبير ﷺ في استغلال كراهية الحجازيين للأمويين في الوقـت الـذي اكتسب فيه محبة المسلمين وودهم فالتفتوا حوله وتطلعوا إليه كمنقذ لهم، فعـلا شـأنه، وبايعه الحجازيون بالخلافة سنة ٦٤هـ/٦٨٣م ، بعد موت يزيد بن معاويـة[١]، علـى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين الصالحين ﷺ ، وكان من جملـة مـن بايعه؛ عبيد الله بن علي بن أبي طالب[٢]، ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف[٣]، وعبد الله بن جعفر، وتلقى ابن الزبير ﷺ هذه البيعة منهم [٤]، وكان القائم بأمره فيها ابن مطيـع العدوي[٥]، وتسمى ابن الزبير بـ "أمير المؤمنين"[٦].

وكان في تلك البيعة عودة بالخلافة إلى إقليم الحجاز وإرضاء لمشاعر أهل المدينـة كتب ابن الزبير إلى عامله عليها، بإبعاد الأمويين عنها، فارتحلوا إلى الشام[٧].

وكان من جملة من أخرجهم ابن الزبير ، مروان بن الحكم، حيث أتى مروان إلى ابنه عبد الملك[٨]، وهو عليل مُجدَّر، فقال له: يا بني إن ابن الزبير قد أخرجني، فقال لـه

---

[١] – اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٥٥ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٢٩.

[٢] – عبيد الله بن علي بن أبي طالب قتله المختار بن أبي عبيد بالمذار، أمه ليلى بنت مسعود بن خالد ابن ثابت بن ربعي بن سلمى بن جندل بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، لا عقب له.

ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٥٦٢.

[٣] – مصعب بن عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة، وأمه أم حريث من سبي بهراء من قُضاعة، لما ولي مروان بن الحكم المدينة في خلافة معاوية، استعمل مصعب على الشرطة، وولاه قضاء المدينة، ثم لحق بابن الزبير، توفي بمكة سنة (٦٤هـ/٦٨٣م)، وكان ثقة قليل الحديث .

ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ص ١٩١– ١٩٢، السيد، معجم الأوائل، ص ٢٨.

[٤] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٣٤١.

[٥] – المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٦٦.

[٦] – اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٥٥.

[٧] – الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٦٤ ؛ اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٥٥ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٩١.

[٨] – عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية، من أعاظم الخلفاء ودهاتهم، نشأ في المدينة، فقيهاً واسع العلم، استعمله معاوية على المدينة وهو ابن ست عشرة سنة، انتقلت إليه الخلافة بموت أبيه واجتمعت عليه كلمة

ابنه: فما يمنعك أن تخرجني معك، فخرج، وأخرج عبد الملك معه.وتعقب ابـــن الـــزبير الرأي، فعلم أنه أخطأ، فوجّه يردهم، ففاتوه[1].

فلم يكن إبعاد الأمويين في صالح ابن الزبير ، إذ أخرجهم عن دائـــرة مراقبتـــه، وجعلهم ينضمون إلى إخوانهم في الشام ويشاركوهم بفاعلية في القضاء على ابن الزبير ، تحت لواء مروان بن الحكم، وولى ابن الزبير أخاه عبيد الله بن الزبير على المدينة[2].

ثانياً: أهم المناطق التي سيطر عليها ابن الزبير ﷺ:

١.اليمـــــــــــن:

بايع فيها لابن الزبير بحير بن ريسان، وكان قبله عامـــــلاً ليزيـــد بـــــــــن معاوية [3].

٢.خراســـــــــان:

دعا له فيها، عبد الله بن خازم السلمي، وولى عليه المهلب بن أبي صفرة[4].

٣. العـــــــــــراق:

كانت الكوفة عاصمة الإقليم الشمالي للعراق، وكانت البصرة عاصمة الإقلـــيم الجنوبي، وقد لعبت الأحداث التي جرت في المصرين بعد تنازل معاوية الثاني عن الخلافة، دوراً مهماً في انتشار الفوضى في العراق، ووجد أهل العراق أنفسهم أمـــام خليفـــتين،

=المسلمين بعد مقتل عبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير، نُقلت في أيامه الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية، وضبطت الحـــروف بالنقط والحركات، توفي في دمشق سنة (٨٦هـــ/٧٠٥م).

البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٠٧ ؛ الزركلي، الأعلام، ج ٤، ص ١٦٥.

[1] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٢٥٩؛ اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٥٥.

[2] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٤٥ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٩١.

[3] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٤٢ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٩٢.

[4] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٤٢ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٩٢.

المهلب بن أبي صفرة العتكي، إسمه ظالم بن سراق بن صبح بن كندي بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأسد بن عمران بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، أدرك عمر رضي الله عنه، ولم يرو عنه شيئاً، ولي خراسان، ومات بمرو سنة ثلاث وثمانين في خلافة عبد الملك بن مروان، واستخلف على خراسان يزيد بن المهلـــب بـــن أبي صفرة، فأقره الحجاج بن يوسف ، ومات بمرو سنة (٨٣هـــ/٧٠٢م)، في خلافة عبد الملك بن مروان.

ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ص ١١٤ – ١٤٨.

أحدهما عبد الله بن الزبير ﷺ ، وقد نودي بخلافته في الحجاز، وثانيهما، مروان بن الحكم، الذي التف الأمويين حوله جنوبي بلاد الشام[1]، وكان عليهم أن يختاروا الدخول في طاعة واحد منها، ولِما عانوه من بطش زياد بن أبيه وطغيان ابنه عبيد الله، فضلوا المبايعة لابن الزبير ﷺ .

أ- البصـــــرة:

كانت البصرة عند وفاة يزيد بن معاوية تحت إمارة أمير العراق عبيد الله بن زياد[2]، الذي ضعُف سلطانه عندهم بعد وفاة معاوية بن يزيد، وكان يأمر بالأمر فلا يُقضى، ويرى الرأي فيُرد عليه، ويأمر بحبس المُخطِيء فيُحال بين أعوانه وبنيه[3].

وأراد عبيد الله أن يستند في حكمه إلى حب أهل العراق وتأييدهم له، فبادر فجمع الناس في مسجد البصرة، ودعاهم إلى أن يختاروا رجلاً يتولى أمرهم، ويقود جماعتهم، وأظهر المجتمعون الرغبة في أن تظل إمارته عليهم[4]، غير أنهم بعد أن خرجوا من مكان الاجتماع أخذوا يمسحون أكفهم من بيعتهم بالإمارة لابن زياد، معلنين بذلك رفضهم لإمارته، قائلين:" أيظن ابن مرجانة – يقصدون عبيد الله بن زياد – أننا ننقاد له في الجماعة والفرقة"[5].

ولما ظهر لعبيد الله بن زياد رفض أهل البصرة لبيعته وكرههم له، رأى أن ينجو بحياته، فخرج هارباً إلى الشام[6].

واغتنم دعاة ابن الزبير هذه الفرصة لبث دعوة ابن الزبير هناك، فقال أحدهم : " أيها الناس هلمّوا إليّ أدعوكم إلى العائذ بالحرم – يعني عبد الله بن الزبير – فتجمع إليه الناس فجعلوا يصفقون على يديه يبايعونه[7].

---

(1) – ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٩٢.
(2) – المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٧٤.
(3) – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٣٢.
(4) – المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٧٥.
(5) – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٠٥ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٣٢.
(6) – الدينوري، الأخبار الطوال، ص ص ٢٧٠ – ٢٨٣؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٤٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص١٣٧
(7) – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٠٧.

ولاقت هذه الدعوة قبولاً في البصرة، فكتب أهلها إلى ابن الزبير يعلمونه أنه إمام لهم، ويسألونه أن يوجه إليهم رجلاً من قبله يتولى الأمر، فبعث إليهم انس بن مالك[١] فولاه الصلاة عليهم[٢].

ووافق ابن الزبير ﷺ على اختيار أهل البصرة للمهلب بن أبي صفرة، لمحاربة الخوارج، الذين عاثوا في الأرض فساداً، وتحازب أهل البصرة في العصبية بين مضر وربيعة والأزد[٣]، ولم يستقر الأمر لابن الزبير هناك حتى أرسل أخاه مصعباً بن الزبير أميراً على العراق سنة ٦٨هـ/٦٨٧م[٤].

ب - الكوفة:

أما الكوفة فقد رفض أهلها دعوة ابن زياد إليهم لينضموا إلى أهل البصرة في مبايعته أميراً على المدينتين[٥]، وعزلوا نائبه على الكوفة عمرو بن حريث[٦]، وقالوا: " الحمد لله الذي أطلق إيماننا لا حاجة لنا في بني أمية ولا في إمارة ابن مرجانة، وإنما البيعة لأهل الحجر – يعني أهل الحجاز – وخلعوا ولاية بني أمية وإمارة ابن زياد، وأرادوا أن يُنَصِبوا لهم أميراً إلى أن ينظروا في أمرهم[٧].

اختار بعض الناس عمر بن سعد بن أبي وقاص[٨]، ليتولى أمرهم ولم يلق هذا الاختيار قبولاً لاشتراكه في مأساة كربلاء، فقد كان على رأس الجيش الأموي الذي

---

(١) – أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي النجاري الخزرجي الأنصاري، صاحب رسول الله ﷺ وخادمه، روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثاً، مولده بالمدينة، اسلم صغيراً وخدم النبي ﷺ إلى أن قبض، ثم رحل إلى دمشق ومنها إلى البصرة وهو آخر من توفي فيها من الصحابة سنة (٩٣هـ/٧١١م).
ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ١٩ ؛ الزركلي، الأعلام، ج ٢، ص ص ٢٤– ٢٥.

(٢) – ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٩٢.

(٣) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٤٢.

(٤) – الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٨٧.

(٥) – الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٨١.

(٦) – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٢٣ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٤٣.
عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبد الله بن عمر المخزومي القرشي، الكوفي إقامة ووفاة، والٍ، من الصحابة، ولي إمرة الكوفة لزياد ابن أبيه، ثم لابنه عبيد الله بن زياد، ومات بها، سنة (٨٥هـ/٧٠٤م)، توفي النبي ﷺ وهو ابن اثني عشرة سنة، وهو أول قرشي جمع مالاً بالكوفة.
ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٢٤؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١٠، ص ٢١٦ ؛ السيد، معجم الأوائل، ص ٥٤.

(٧) – المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٧٥ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٣٢.

(٨) – عمر بن سعد بن أبي وقاص بن أهيب بن عبد مناف الزهري المدني، أمير، من القادة الشجعان، سيَّره عبيد الله بن زياد على اربعة آلاف لقتال الديلم، وكتب له عهده على الري، ثم لما علم ابن زياد بمسير الحسين بن علي من مكة متجهاً إلى الكوفة، كتب له أن يعود بمن معه، فعاد، فولاه

سفك دم الحسين ﷺ وأعوانه هناك[1]، ورأى الشيعة أن يختاروا بدلا منه عامر بن مسعود القرشي[2]، أميراً عليهم، وأعلنوا انضمامهم إلى ابن الزبير ﷺ وكتبوا بأنهم قد اختاروه خليفة عليهم[3]، وأسندوا أمرهم مؤقتاً إلى عامر بن مسعود، وأقر ابن الزبير ﷺ هذا الاختيار[4].

وهكذا استوثق لابن الزبير المصران جميعاً البصرة والكوفة[5].

٤. مصر:

لم تظهر دعوة ابن الزبير بمصر إلا عقب وفاة الخليفة يزيد بن معاوية، وذلك أثناء ولاية سعيد بن يزيد بن علقمة عليها، وقام بالدعوة لابن الزبير فيها الخوارج الذين كانوا يحسبون ابن الزبير على مذهبهم، وساعدهم في دعوتهم هذه ما لاقوه من ترحيب ابن الزبيرهم، واعتماده عليهم في نشر دعوته، فقد أوفدوا إليه وفداً ليرسل إليهم أميراً من قبله يؤازرونه، وكذلك خرج من مصر إلى ابن الزبير أناس من غير الخوارج، منهم: أبو عبيدة وعياض ابنا عقبة بن نافع بن عبد قيس الفهري، وأبو بكر بن القاسم بن قيس العذري، وحبان ابن الأعين الحضرمي، وحجوة بن الأسود الصدفي، وأرسل عبد الله بن الزبير ﷺ والياً من قبله على مصر وهو عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم الفهري[6]، فقدم مصر في جمع كثير من الخوارج الذين كانوا بمصر، وذهبوا إلى ابن الزبير في مكة، ولما

=قتال الحسين، وتوجه إلى لقانة بعد تهديد، وعاش عمر إلى أن خرج المختار الثقفي يتتبع قتلة الحسين، فبعث إليه من قتله بالكوفة، سنة (٦٦هـ/٦٨٥م).

ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ٢٠٢ ؛ الزركلي، الأعلام، ج ٥، ص ٤٧.

[1] – المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٧٥ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٤٣.

[2] – عامر بن مسعود بن أمية بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جمح القرشي الجُمحي، وروى عن النبي ﷺ، ولي الكوفة بعد موت يزيد بن معاوية باتفاق من أهلها، ولما ولي ابن الزبير أقره على الكوفة، كان يُلقب دُحروجة العُجل، لقصره، وعزله ابن الزبير بعد ثلاثة أشهر، واستعمل بعده عبد الله بن يزيد الخطمي.

ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ٣٩،٤٠.

[3] – الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٨٧.

[4] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٢٣ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص١٤٣.

[5] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص١٩٢.

[6] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج٦، ص٢٥٩ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٤٥ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص١٩٢.

هو عبد الرحمن بن عتبة بن أبي إياس بن الحارث بن عبد أسد بن جحدم بن عمرو بن عابس بن ظَرِب بن الحارث بن فهر.

البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٢٨٥.

دخل ابن جحدم مصر في شعبان من سنة ٦٤هـ/٦٨٣م ، وثب الخوارج على واليها سعيد بن يزيد، فاعتزل الولاية بعد أن حكم مصر سنتين إلا شهراً، وبذلك بدأت ولاية بن جحدم على مصر من قبل عبد الله بن الزبير [١].

ويروى: أنه خرج مروان من الشام إلى مصر في جمادى سنة ٦٥هـ/٦٨٤م ،فوجه له ابن جحدم ثلاثة آلاف فارس عليه السائب بن هشام بن ربيعة العامري، وكان قد أشار روح بن زنباع على مروان لما مرّ بفلسطين أن يأخذ ابنين لابن جحدم كرهينة، فلما لقي السائب مروان بجمعة دون الفسطاط، أمر أن يوقف الغلامان بين الخيلين، وأرسل له : يقول لك أمير المؤمنين : قد ترى هذين الغلامين، والذي نفسي بيده لتصرفن خيلك إلى الفسطاط أو لأضربن أعناقهما، ولأرمين إليك برؤوسهما، فانصرف السائب راجعاً إلى الفسطاط، ثم وجه مروان، عمرو بن سعيد الأشدق إلى ابن جحدم في أربعة آلاف، فأخرج إليه ابن جحدم خيلاً، فاقتتلوا، فهُزم المصريون، وصالح ابن جحدم مروان على أن يخلي مصر ويلحق بمأمنه، فلحق بابن الزبير ﷺ[٢]، ودخل مروان مدينة الفسطاط في سنة ٦٥هـ/٦٨٤م ، وقضى بذلك على حكم ابن الزبير في مصر بعد تسعة أشهر من البيعة له فيها، وخضعت مصر مرة أخرى للحكم الأموي [٣]، واستعمل مروان عليها ابنه عبد العزيز[٤] .

٥.الشام:

كانت الشام معقل الأمويين وحاضرة ملكهم، ومقر خلافتهم منذ عهد معاوية بن أبي سفيان ﷺ ، وكان نفوذ الأمويين فيها أقوى من الأمصار الأخرى، ولذا لم تظهر

---

[١] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ص ٢٨٥– ٢٨٦.

[٢] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ص ٢٨٥– ٢٨٦.

[٣] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٥٤ ؛ عبد الشافي محمد عبد اللطيف، العالم الإسلامي في العصر الأموي، الطبعة الثالثة، (القاهرة : دار اتحاد، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م)، ص ص ١٤٤– ١٤٥.

[٤] – اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٥٧.

عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، وأمه ليلى بنت زبان بن الأصبغ بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب من كلب، ولاه ابوه مصر، ثم أقره عليها أخوه عبد الملك، توفي بمصر سنة (٨٥هـ/٧٠٤م)، يروى بأن عبد العزيز بن مروان هو أول من نقل ديوان مصر من القبطية إلى العربيةخلال إمارته على مصر.

ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ٢٨٦، السيد، معجم الأوائل، ص ١٢٦.

الدعوة الزبيرية في الشام إلا بعد موت معاوية بن يزيد، وكان شمال الشام يشمل حمص[١] وقنسرين[٢] ودمشق، وأما جنوبه، فكان يشمل الأردن وفلسطين، وكان أهل الشام يقولون: ابن الزبير أولى أهل زمانه بالأمر، لأنه ابن حواري رسول الله ﷺ، والطالب بدم الخليفة المظلوم عثمان، ورجل شجاعة وسِنٍّ وفضل[٣] .

أ - حمص:

بايع النعمان بن بشير لابن الزبير ﷺ[٤]، وكان هذا الوالي مقتنعاً تمام الاقتناع بأحقية ابن الزبير بالخلافة، وإن لم يجهر بذلك، فقد حدث في عهد يزيد بن معاوية أن أرسله يزيد إلى ابن الزبير ليفاوضه في البيعة له-كما ذُكر سابقاً-، وقد جرى حوار بين الرجلين، فقال ابن الزبير ﷺ: أنشِدُك الله أنا أفضل عندك أم يزيد ؟ فقال : بل أنت، قال له ابن الزبير: فوالدي خير أم والده ؟ قال : بل والدك، قال ابن الزبير : فأمي خير أم أمه ؟ قال : بل أمك، قال ابن الزبير: فخالتي خير أم خالته ؟ قال : بل خالتك، قال ابن الزبير: فعمتي خير أم عمته ؟ قال : بل عمتك، أبوك الزبير وأمك أسماء ابنة أبي بكر وخالتك عائشة، وعمتك خديجة بنت خويلد، فقال ابن الزبير : أفتشير عليّ بمبايعة يزيد ؟ قال النعمان : أما إذا استشرتني فلا أرى لك بذلك، ولست بعائد إليك بعد هذا أبداً[٥].

---

[١] – حمص: بلد مشهور قديم كبير مسوّر، وفي طرفه القبلي قلعة حصينة على تل عالٍ كبيرة، وهي بين دمشق وحلب في نصف الطريق، بناه رجل يُقال له حمص بن المهر بن جان بن مكنف.

الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٤٧.

[٢] – قنسرين:طول قنسرين ثلاث وثلاثون درجة، وعرضها أربع وثلاثون درجة وثلث، وفي جبلها مشهد يُقال إنه قبر النبي صالح عليه السلام، وكان فتح قنسرين على يد أبي عبيدة بن الجراح في سنة(١٧هـ/٦٣٨م)، سميت قنسرين لأن ميسرة بن مسروق العبسي مرّ عليها فلما نظراليها قال : ما هذه؟ فسميت له بالرومية، فقال: والله لكأنها قِنُّ نسر، فسميت قنسرين.

الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٥٧.

[٣] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٢٥٩.

[٤] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٢٨٥ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٩٢.

[٥] – الدينوري، الأخبار الطوال، ص ص ٢٦٣-٢٦٤.

ب – قنسرين:

ثار في قنسرين زفر بن الحارث الكلابي على الأمويين، وبايع لعبد الله بن الزبير رضي الله عنه[1].

ج – دمشق:

قام الضحاك بن قيس[2] بالدعوة لابن الزبير رضي الله عنه بدمشق، ولكنه بدأها سراً، لوجود بني أمية، وهم أصحاب النفوذ والسلطان فيها، ولهم أتباع كثيرون، وكان اختلاف بني أمية وتفرق كلمتهم ثغرة أراد ابن الزبير أن ينفذ منها للوصول إلى السيطرة على بلاد الشام وضمها تحت لوائه، وكان ابن الزبير يعلم بما بين قيس وكلب من التعصب، وأراد أن يستغل تلك العصبية لمصلحته، فرأى أن يوقع بينهم حتى يُضعف أمرهم، وكان ابن الزبير رضي الله عنه يعلم أن معاوية رضي الله عنه ويزيد قربوا إليهما كلباً، وخصوهم بالمناصب والصلات ما أثار أحقاد قيس، فعمد ابن الزبير إلى الضحاك بن قيس الفهري وهو من قيس أن يأخذ له البيعة له من أهل دمشق، وبعث إليه بعهدة وكتابٍ إلى من قِبَله يدعوهم إلى طاعته،وقد وجدت هذه الدعوة استجابة عند الضحاك بن قيس فقد اتفق هو وابن الزبير على عدائهما للأمويين من جهة، ومن جهة أخرى كان الضحاك يطمع في أن يكون له نفوذ وسلطان في بعض جهات الشام[3].

وقد نجح الضحاك في الدعوة لابن الزبير ، واستطاع أن ينشر الدعوة لابن الزبير في نواحي متعددة من بلاد الشام، ماعدا بلاد الأردن التي بقيت على ولائها للأمويين، وكان فيها حسان بن مالك [4]، الذي كان على ولائه للأمويين، وقد أدرك حسان نوايا

---

[1] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص١٤٥ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٩٢.

[2] – الضحاك بن قيس بن خالد الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن وائلة ابن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر القرشي الفهري، وهو أخت فاطمة بنت قيس، وكان أصغر منها سناً، قيل إنه وُلد قبل وفاة النبي ﷺ بسبع سنين ونحوها، كان على شرطة معاوية، ثم صار عاملاً على الكوفة بعد زياد بن عبيد الله، فكان مع يزيد وابنه معاوية حتى ماتا، بايع لابن الزبير، فأقتل مع مروان، وقتل يوم مرج راهط، سنة (٦٤هـ/٦٨٣م).

ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ص ٤٣٣–٤٣٤.ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٢، ص ص ٧٤٤ –٧٤٦.

[3] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٢٥٨ ؛ محمود محمد قالح الرويضي، حركة عبد الله بن الزبير، رسالة ماجستير، (الأردن : الجامعة الأردنية، ١٩٩٠م)، ص ١٤٨.

[4] – حسان بن مالك بن بحدل بن أنيف، أمير بادية الشام، كان من القادة في جيش معاوية يوم صفين، ثم آزر مروان في حربه مع الضحاك بن قيس، سلم الناس على حسان بالخلافة أربعين ليلة، ثم سلم الأمر إلى مروان، وكان له قصر بدمشق، يعرف بقصر البحادلة، ثم صار يُعرف بقصر ابن أبي الحديد.

الضحاك، فكتب إليه كتاباً عظم فيه حق بني أمية، وذكره بالطاعة والجماعة وحسن بلاء الأمويين عنده وصنيعهم إليه ثم دعاه إلى التمسك بطاعتهم، وذكر حسان في كتابه ابن الزبير ﷺ وشتمه ووصفه بأنه منافق قد خلع خليفتين ثم أضاف طالباً من الضحاك بن قيس أن يقرأ كتابه الذي أرسله إليه على الناس[1].

أرسل حسان بن مالك رجلاً من بني كلب وحمّله كتاباً إلى الضحاك بن قيس وفي نفس الوقت أعطاه نسخة أخرى من الكتاب وأمره أن يسلم الكتاب للضحاك، فإذا رفض قراءته على الناس فليقرأ هو النسخة التي معه، وكتب حسان بن مالك إلى بني أمية يطلب منهم أن يحضروا ذلك، فلما كان يوم الجمعة صعد الضحاك المنبر، وحدث ما توقع حسان فلم يقرأ الضحاك كتابه على الناس، فلما رأى رسول حسان ذلك، أخرج النسخة التي كانت معه وقرأها على الناس، فلما سمعها الناس الذين كانوا في المسجد، انقسموا وعلا ضجيجهم، فقام بعضهم إلى بعض في المسجد فاقتتلوا، قيس تدعو لابن الزبير ونصرة الضحاك، وكلب تدعو لبني أمية ويتعصبون ليزيد بن معاوية، وكان ناس من الأجناد يهوون هوى بني أمية وناس يهوون هوى ابن الزبير[2].

وقد شجع هذا الانقسام الضحاك بن قيس، فاشتد في معاملة المعارضين له، وأمر بحبس الذين أيدوا مقالة حسان بن مالك، ولكن هذا الأمر لم يتم إذ حالت بنو كلب دون تنفيذه، بل اعتدوا على رجل من حزب الضحاك، لأنه أثنى على ابن الزبير ﷺ علانية، وقد عرف هذا اليوم عند أهل الشام بيوم جيرون، لأن اجتماع الناس ووقوفهم بعد صلاة الجمعة كان بباب جيرون فسمى هذا اليوم باسمه[3].

وبعد هذا الحادث بأيام بعث الضحاك إلى بني أمية، واعتذر إليهم على تصرفاته، وقال : إنه يريد أن يقوم بعمل يكرهونه وطلب منهم أن يكاتبوا حسان بن مالك، وأن يطلبوا إليه أن يسير من الأردن إلى الجابية[4]، ليلتقوا هناك حتى يعملوا بالاتفاق معه على

= الزركلي، الأعلام، ج ٢، ص ١٧٧.

(١) – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٤٦ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٩٢ ؛ محمد أرشيد العقيلي، مروان بن الحكم ينقذ الحكم الأموي، مجلة الدراسات التاريخية، العددان ٤٥، ٤٦، (دمشق : آذار، حزيران،١٩٩٣م)، ص ١٧.

(٢) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٢٦٤. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٤٦ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٩٣.

(٣) – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ص ١٤٦ – ١٤٧.

(٤) - الجابية: قرية من أعمال دمشق ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصُّفر في شمالي حوران، وبالقرب منها تلٌ يسمى تلّ الجابية، وفي هذا المكان خطب عمر ﷺ خطبته المشهورة.

مبايعة رجل منهم، ورضيت بنو أمية باقتراحات الضحاك، وظنوا أن الأمر سينتهي إلى اتفاق بينهم وبينه، فكتب الأمويون إلى حسان بن مالك يخبرونه، ثم خرج الأمويون ومعهم بعض الناس إلى الجابية[1].

إلا أن الضحاك بن قيس مالبث أن غير رأيه إثر مجيء رجل من القبائل القيسية اسمه ثور بن معن السلمي إليه، ونقل إلى الضحاك غضب القبائل القيسية إذا ما أظهر ليناً تجاه بني أمية إذ أنهم حلفاء القبائل اليمانية أعداء القبائل القيسية، وكان مما قال: " إنك دعوتنا إلى بيعة ابن الزبير، فأجبناك، وأنت الآن ذاهب إلى هذا الأعرابي ليستخلف ابن أخته، خالد بن يزيد بن معاوية، فقال الضحاك: وما الرأي؟ قال: الرأي أن تظهر ما كُنّا نكتم، وأن تدعو إلى طاعة ابن الزبير وتقاتل عليها من أباها[2].

فأخذ الضحاك بما اقترح عليه ثور السلمي، ومال بمن معه من الناس حين سار يريد الجابية للقاء حسان بن مالك، ثم أقبل يسير حتى نزل مرج راهط، وأظهر البيعة لابن الزبير، وخلع بني أمية، وبايعه على ذلك معظم أهل دمشق، وأقام بمن معه من الجيش من قيس من لف لفيفها، وبعث أمراء الأجناد وبايع الناس لابن الزبير ﷺ، وكتب لابن الزبير يعلمه بذلك، فذكره ابن الزبير لأهل مكة وشكره على صنيعه، وكتب إليه بنيابة الشام[3].

ح – فلسطين:

بايع ناتل بن قيس بن زيد الجُذامي لابن الزبير ﷺ وأخرج منها واليها الأموي روح بن زنباع الجزامي[4]، الذي استخلفه حسان بن مالك عامل يزيد على فلسطين[5].

=الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٠٦.

(١) – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٤٧.

(٢) – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص١٤٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٩٣.

(٣) – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٤٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٩٣.

(٤) – اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٥٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٩٢.
روح بن زنباع بن روح بن سلامة الجذامي، أبو زرعة، أمير فلسطين، وسيد اليمانية في الشام وقائدها وخطيبها وشجاعها، كان عبد الملك بن مروان يقول: جمع روح طاعة أهل الشام ودهاء أهل العراق، وفقه أهل الحجاز، توفي سنة (٨٤هـ/٧٠٣م).
الزركلي، الأعلام، ج ٣، ص ٣٤.

(٥) – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٤٥.

ويُقال: كان ناتل بن قيس عند ابن الزبير بمكة، فقال له : ألا تكفيني قومك، فخرج ناتل حتى أتى فلسطين، وكان واليها ووالي الأردن من قِبَل يزيد بن معاوية، حسان بن مالك بن بحدل، فبقيتا في يده، وفيهما عماله، فأرسل إليه ناتل : إما تخرج من بلاد قومي، وإما أن أدخل عليك، فأقاتلك، فعرف ابن بحدل أنه لا قوة له وبقومه من جُذام، فخرج ابن بحدل إلى الأردن، وبُويع لابن الزبير بفلسطين [1].

خ – الأردن:

دعا حسان بن مالك أهل الأردن إلى طاعة بني أمية،وكان قد أتى إليها بعد خروجه من فلسطين، ونزل بطبرية [2]، فقال : لأهلها : ما شهادتكم على ابن الزبير وقتلى الحرة ؟ قالوا : نشهد أنه منافق وأن قتلى الحرة في النار، قال : فما شهادتكم على يزيد، وقتلاكم بالحرة ؟ قالوا : نشهد أنه على الحق، وأن قتلانا في الجنة، قال : فأنا أشهد لئن كان يزيد وشيعته على حق، أنهم اليوم على حق، ولئن كان ابن الزبير وشيعته على باطل، أنهم اليوم عليه، فقالوا له : صدقت، نحن نبايعك على أن نقاتل من خالفك ,وأطاع ابن الزبير، على أن تجنبنا هذين الغلامين – يعنون ابني يزيد خالداً، وعبد الله – فإنا نكره أن يأتينا الناس بشيخ ونأتيهم بصبي،فأخذ حسان يدعو أهل الأردن إلى طاعة بني أمية ونبذ دعوة ابن الزبير[3] .

وهكذا بايعت الأمصار الإسلامية جميعها، عدا إقليم الأردن[4]، عبد الله بن الزبير ﷺ أميراً للمؤمنين، وهي بذلك قد بايعت بيعة عامة تمت برضا المسلمين، وإجماع معظمهم، وأرسل ابن الزبير ولاته إلى تلك الأمصار، وأبدى الناس رضاهم عن هؤلاء الولاة[5].

---

[1] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ص ٢٥٨– ٢٥٩.

[2] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٢٥٩.

طبرية: هي بليدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية، وهي في طرف جبل وجبل الطور مطّل عليها، وهي من أعمال الأردن في طرف الغور، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام، وكذلك بينها وبين القدس، وبينها وبين عكا يومان.

الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٠.

[3] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٤٦.

[4] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٤٢.

[5] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٣٠.

(٣)- علاقة ابن الزبير ﷺ بالأمويين وموقفه من الحركات المناوئة لهم:

بعد مقتل الحسين بن علي ﷺ في كربلاء، أظهر ابن الزبير ﷺ دعوته على الملأ، وبدأ يخطب في الناس مهاجماً يزيد بن معاوية في أخلاقه وإقباله على الشهوات، وأخذ يبكي حسيناً ويستبكي الناس عليه[١]، من هنا بدأ الصراع بينه وبين الأمويين، فما كان من يزيد عندما سمع عن التفاف الناس حول ابن الزبير أن أقسم ليحضرنه موثقاً في سلسلة، فبعث إليه جماعة من أعوانه بجامعة من فضة ليأتوه به فيها، فمر بها البريد على مروان بن الحكم بالمدينة، وأخبره خبر ما قدم له وبالسلسلة التي معه، فقال مروان:

خُذها فليست للعزيز بخُطّةٍ ... وفيها مقالٌ لامرىءٍ مُتضعفِ

وعندما أخبر عامل البريد ابن الزبير بقصة السلسلة، وبالبيت الذي قاله مروان، فقال ابن الزبير ﷺ : لا والله لا أكون أنا ذلك المُتضعف، فطلب منه ابن الزبير أن يبلغ مروان أبياته، فقال:

إنّي لَمِن نَبعةٍ صُمٍّ مكاسِرُها ... إذا تَناوَحتِ القَصباءُ والعُشَرُ

فلا ألينُ لغير الحقِّ أسألُهُ ... حتى يلين لِضِرس الماضِغ الحَجَرُ[٢]

وكان عامل مكة في ذلك الوقت عمرو بن سعيد بن العاص، الذي عرف بالشدة والحزم مع ابن الزبير ، وقد أرسل عمرو ابن الزبير لمهاجمة أخيه في الكعبة ليحقق قسم الخليفة، ثم عزله لعدم قدرته على تحقيق رغبته، وولى الوليد بن عتبة المري، ثم إن ابن الزبير عمد إلى المكر مع يزيد، فكتب إليه كتاباً يذم فيه الوليد وأنه رجل أخرق لا يتجه لأمر رشد، ووقع يزيد في خدعة ابن الزبير ﷺ ، فعزل الوليد سنة ٦٢هـ/٦٨١م ، وعين بدلاً منه عثمان بن محمد بن أبي سفيان وكان فتى حدثاً لم يجرب الأمور بعد.

ويبدو أن يزيد أراد أن يغير سياسة العنف والشدة التي اتبعها عمرو بن سعيد والوليد بن عتبة تجاه ابن الزبير ﷺ ، بعد أن رأى إخفاق هذه السياسة، وأراد أن يجرب سياسة تقوم على اللين والتسامح، فاتجه الأمير الجديد " عثمان بن محمد "إلى هذا المنهج من الحكم، وأرسل وفداً من أهل المدينة إلى يزيد بدمشق، ظناً منه أن يزيد بإكرامه لهم يقنعهم بأحقيته في الخلافة دون ابن الزبير ، فيعودون لساناً ناطقاً معبراً عن رغبات يزيد،

---

[١] - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٤٧٥.

[٢] - البلاذري،أنساب الأشراف،ج ٥، ص ٣٢٠ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ص ٤٧٥- ٤٧٦.

وعندما قدم الوفد على يزيد أكرمهم وأحسن إليهم وأعظم جوائزهم، ولكن هذا الوفد لم يعد من عند يزيد شاكراً وإنما عاد غاضباً يرميه بمعاقرة الشراب ومجالسة المجان ويدعو إلى خلعه.

وانتهى أمر المدينة بخلع يزيد بن معاوية، ومبايعة عبد الله بن حنظلة الغسيل أميراً عليهم، وطرد عثمان بن محمد، وحصار بني أمية في دار مروان بن الحكم، ثم طلب الأمويون العون من دمشق، وبعثوا بكتاب إلى يزيد نصه:
بسم الله الرحمن الرحيم:" أما بعد، فإنه قد حُصرنا في دار مروان بن الحكم ومنعنا العذب، ورُمينا بالجبوب – الأرض الغليظة –، فيا غوثاه يا غوثاه"[1].

ولما قرأ يزيد كتاب الأمويين، غضب لذلك أشد الغضب، وأدرك أن سياسة اللين والتسامح، لم تعد تجدي نفعاً،ولم يكن غضب يزيد منصباً على أهل المدينة وابن الزبير فقط، بل غضب على بني أمية لأنهم لم يدافعوا عن كرامتهم، فيقول لرسولهم: " أما يكون من بني أمية ومواليهم ألف رجل بالمدينة، قال: بلى والله وأكثر، قال: فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعة من نهار، قال: يا أمير المؤمنين، أجمع الناس كلهم عليهم فلم يكن لهم بجمع الناس طاقة.

في هذا سخرية من بني أمية الموجودين بالحجاز، والذين آثروا أن يوضعوا تحت حصار أهل المدينة على أن يقاتلوا،وبالرغم من ذلك، فقد آثر يزيد أن يجند بني عمومته المحاصرين،وأن يُخضع المتمردين، فأجمع رأيه على بعث الجيش إلى الحجاز[2]،وقد سبق الحديث عن هذا الموضوع.

ثم إن أهل الشام كانوا يعيرون ابن الزبير ﷺ ويقولون له : يابن ذات النطاقين، فقالت له أسماء -رضي الله عنها-: يا بني إنهم يعيرونك بالنطاقين، وإنما كان لي نطاق واحد، شققته نصفين، فجعلت في سفرة رسول الله ﷺ أحدهما، وأوكيت قربته بآخر، لما

---

[1] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٤٨٢.

[2] – من خطب يزيد بن معاوية إلى أهل المدينة: أما بعد، فإني قد حملتكم على رأسي، ثم على عيني، ثم على فمي، ثم على صدري، والله لئن وضعتكم تحت قدمي لاطأنكم وطأة أقلُّ منها عددكم، وأتركم أحاديث تُنسخ مع أحاديث عادٍ وثمود.
الزبيربن بكار، الأخبار الموفقيات، تحقيق: سامي مكي العاني، الطبعة الثالثة، (بيروت: عالم الكتب، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م)، ص ١٧٢.

خرج هو وأبو بكر يريدان الهجرة، فكان ابن الزبير ﷺ بعد ذلك إذا عيروه بالنطاقين، يقول: إنها والله تلك شكاة ظاهر عنك عارها [١]، وكان يرد عليهم بقوله:

وعَيَّرها الواشون أني أحبها   وتلك شكاةٌ ظاهر عنك عارها[٢]

ثم كانوا يعيبونه قائلين: يابن الحواري، فقال لهم مولى له: هل تعيبون من حواريَّ رسول الله ﷺ شيئاً ؟ قالوا: يابن ذات النطاقين، فقال قد قال لها رسول الله ﷺ لك نطاقان في الجنة، فقالوا : يابن الزبير يا مشؤوم، فسكت، فقال له ابن الزبير ﷺ ، أجبهم، فقال : كيف أجيبهم وقد صدقوا[٣].

ثم ذكرنا كيف أن ابن الزبير ﷺ أصبح له نفوذ وصوت مسموع في مدينة دمشق عاصمة الأمويين نفسها بواسطة داعيته الضحاك بن قيس [٤].

وانتشرت دعوة ابن الزبير ﷺ في جميع أنحاء الشام ما عدا إقليم الأردن، ومالت إليه أكثر النواحي،وأصبحت أغلب أقاليم العالم الإسلامي ترفع راية ابن الزبير ﷺ وتدين له بالطاعة [٥]، وعظُم أمره إلى حد جعل مروان بن الحكم يفكر في أن يقصد عبد الله بن الزبير ويبايع له معترفاً له بأحقيته في الخلافة، وعندما علم عبيد الله بن زياد ما يريده مروان، قال له: " أنشدك الله أن لا تفعل ليس هذا برأي، أنت كبير قريش وسيدها تصنع ما تصنعه" فقال مروان : " ما فات شيء بعد"، فقام معه بنو أمية ومواليهم وتجمع إليه أهل اليمن فسار وهو يقول : ما فات شيء بعد[٦].

كما قال له أهل الأردن :"أنت شيخ كبير، وابن يزيد غلام، وابن الزبير كهل، وإنما يُقرع الحديد بعضه ببعض، فلا تباره بهذا الغلام، وارم بنحرك في نحره، ونحن نبايعك"[٧].

---

[١] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢٧٥.

[٢] – البلاذري،أنساب الأشراف،ج ٥، ص ٣٦٧.

[٣] – البلاذري،أنساب الأشراف،ج ٦، ص ص ٣٤٩–٣٥٠.

[٤] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٣٣ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٤٥ .

[٥] – اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٥٥.

[٦] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٢٦٠ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص٥٣٠ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٤٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٩٢.

[٧] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص٥٣٤ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٩٤.

مؤتمر الجابية:

رأى الأمويون أن يعقدوا مؤتمراً في الجابية يتداولون ويتشاورون فيمن يولونه عليهم، ثم يبايعه جميع أفراد البيت الأموي[1]، حتى لا يمكنوا أحداً من المعارضة فيما بعد، ولكن كانت هناك عقبة أما تحقيق رغبتهم، وهي دعوة الضحاك بن قيس لابن الزبير ، ولكنهم عندما عجزوا عن إخضاعه بالقوة، رأوا أن يستعملوا معه الدهاء والحيلة، فأرسلوا إليه عبيد الله بن زياد، فخدعه وزين له أن يدعو لنفسه بدلاً من دعوة ابن الزبير ، فعمل بنصيحته، ودعا إلى نفسه ثلاثة أيام، فنقِم الناس عليه ذلك، وقالوا: دَعَوْتنا إلى بيعة رجل فبايعناه ثم خلعته لا لسبب ولا عذر، ثم دعوتنا إلى نفسك، فترجع إلى البيعة لابن الزبير، فسقط بذلك عند الناس، وذلك الذي أراد ابن زياد، وكان اجتماع عبيد الله بن زياد به بعد اجتماعه بمروان، وتحسينه له أن يدعو إلى نفسه[2].

وقد أخطأ الضحاك في تصرفه هذا، حيث قضى على مكانته السياسية في قلوب أتباعه، وانفض الناس من حوله بعد أن أظهر نكثه لبيعة ابن الزبير ﷺ ، ثم أن الضحاك خاف أن يشك بنو أمية في نواياه فأرسل يعتذر عما بدر منه في حقهم، ثم ركب وسار في طريقه إلى الجابية[3].

ويصف اليعقوبي ما دار في مؤتمر الجابية وما تلاه من أحداث، فيقول : " وقدم مروان وقد مات معاوية بن يزيد وأمر الشام مضطرب، فدعا إلى نفسه واجتمع الناس بالجابية من أرض دمشق، فتناظروا في ابن الزبير، وفيما تقدم لبني أمية عندهم، وتناظروا في خالد بن يزيد بن معاوية[4]، وفي عمرو بن سعيد بن العاص بعده، فكان روح بن زنباع الجزامي يميل مع مروان [5]، فقام خطيباً : وذم عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، ثم أثنى على مروان بقوله: " .... أما مروان بن الحكم، فوالله ما كان في الإسم صدعٌ قط، إلا كان مروان ممّن يَشعَب ذلك الصدع، وهو الذي قاتل عن أمير المؤمنين

---

[1] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٤٧ .

[2] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص٢٨١ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٩٤ .

[3] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص١٩٣ .

[4] – خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي، أبو هاشم حكيم قريش وعالمها في عصره، اشتغل بالكيمياء والطب والنجوم، فأتقنها وألف فيها رسائل، اختلفوا في سنة وفاته، قيل سنة (٩٠هـ/٧٠٨م).
الزركلي، الأعلام، ج ٢، ص ٣٠٠.

[5] – تاريخ، ج ٢، ص ٢٥٦.

عثمان بن عفان يوم الدار، والذي قاتل عليّ بن أبي طالب يوم الجمل، وإنّا نرى للناس أن يبايعوا الكبير – يقصد مروان – ويستشيروا الصغير – يقصد خالد بن يزيد – "، فأجمع الناس على بيعة مروان، ثم لخالد بن يزيد من بعده، ثم لعمرو بن سعيد من بعد خالد،وكان استخلاف مروان في الثالث من ذي الحجة سنة ٦٤هـ/٦٨٣م[١].

وكان على مروان أن يعيد الشام إلى حوزته أولا، وأن يعمل على استعادة غيره من شتى أرجاء الدولة الإسلامية بعد ذلك، وقد بدأ بالضحاك بن قيس، الذي أعلن خروجه على الدولة الأموية وقيامه إلى جانب عبد الله بن الزبير ، فجمع الضحاك أتباعه وجنده وعسكر عند مرج راهط[٢]، وخرج إليه مروان بن الحكم، فعسكر بجيشه عند بلدة الجابية، ثم سار إلى مرج راهط، وكانت بين الفريقين مواقع شديدة، ودامت عشرين ليلة، وكانت الغلبة فيها لمروان، وقُتِل الضحاك، وقُتِل أتباعه أبناء قبيلة قيس مقتلة عظيمة،وقُتِل مع الضحاك من أشراف الناس من أهل دمشق ثمانون رجلاً. وكانت الواقعة في المحرم من سنة ٦٥هـ/٦٨٤م[٣].

وكان السبب في انتصار جيش مروان على الرغم من قلة عدد جنوده حيث بلغ جيش الضحاك ثلاثين ألفاً، وجيش مروان لا يزيد عن ثلاثة عشر ألفاً هو أن يزيد بن أبي النمس الغساني كان مختبئاً في دمشق، وقد ثار بها بعد خروج الضحاك إلى مرج راهط، واستولى على الخزائن والأموال، وأخرج عامل الضحاك منها، وأمد الأمويين بالمال والسلاح[٤] .

وقد ترتب على انتصار جيش مروان على الضحاك، كما يقول المسعودي : " رد ملك بني أمية" فبعدها قدم مروان دمشق وأعلن بيعته سنة ٦٥هـ/٦٨٤م[٥].

---

[١] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٢٦٠ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص٥٣٦ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٤٨ .

[٢] – مرج راهط: المَرج هي الأرض الواسعة فيها نبتٌ كثير تمرج فيها الدواب أي تذهب وتجيء، وهي في مواضع كثيرة كل مرج منها يُضاف إلى شيء، ومرج راهط بنواحي دمشق، وهو أشهر المروج في الشعر .
الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ١١٨.

[٣] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٢٦٣ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص٥٣٧ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٩٥.

[٤] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص٥٣٧ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٥٠ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٩٤، ١٩٥.

[٥] – مروج الذهب، ج ٣، ص ٧٧ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٩٥.

ثم توجه إلى فتح ما تبقى من مدن الشام، ففي حمص، فلما بلغ النعمان بن بشير خبر انتصار مروان، خرج هارباً ليلاً مع امرأته نائلة بنت عمارة الكلبية، ومعه ثَقَله وولده، وأصبح أهل حمص فطلبوه، فتبعه رجل من الكلاعيين، يُقال له عمرو بن الخَلِي فقتله، ورد أهله ورأس النعمان معه، وجاءت كلب من أهل حمص فأخذوا نائلة وولدها معها[1].

وفي قنسرين، لما علم زفر بن الحارث بانتصار مروان خرج هارباً إلى قرقيسيا[2]، وكان عليها عيّاض الحرشي، فدخلها وغلب عليها، وتحصّن بها، فاجتمعت إليه قيس[3].

وفي فلسطين، كذلك خرج ناتل بن قيس الخزاعي هارباً ــ فلحق بابن الزبير ﷺ بمكة، واستعمل مروان بعده على فلسطين روح بن زنباع [4].

وفي الأردن، لما صار مروان إلى الصَّنَبرة[5] من أرض الأردن، منصرفاً من مصر، بلغه أن حسّان بن بحدل قد بايع عمرو بن سعيد، فأحضره، فقال له: قد بلغني أنك بايعت عمرو بن سعيد، فأنكر ذلك، فقال له : بايع لعبد الملك، فبايع لعبد الملك، ثم بعده لعبد العزيز بن مروان[6].

هكذا بسط مروان بن الحكم نفوذه على الشام وفلسطين واستوثق له الأمر، واستعمل عليها عماله[7].

ثم بدأ الصراع بينه وبين ابن الزبير ﷺ في ثلاثة ميادين:

مصر - الجزيرة والعراق - المدينة

---

[1] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص٢٨٣ ؛ اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٥٦ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص٥٣٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٥١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٩٧.

[2] – قرقيسيا: بلد على نهر الخابور قرب رحبة مالك بن طوق على ستة فراسخ، وعندها مصبّ الخابور في الفرات. الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٧٣.

[3] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص٢٨٣؛ اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٥٦ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص٥٣٩ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٥١ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٩٧.

[4] – اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٥٦ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص٥٤٠ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٥١.

[5] – الصنبرة: موضع بالأردن مقابل لعقبة أفيق، بينه وبين طبرية ثلاثة أميال، كان معاوية يشتو بها . الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٤٨٢.

[6] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٢٨٧؛ اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٥٧ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص٧٨ .

[7] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٤٠ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٥١.

■ مصـــــــــــر:

بعد أن استقر أمر الشام وفلسطين لمروان بن الحكم، أردا أن يسطر على سـائر الأمصار الإسلامية، فبدأ بمصر، وكان أمير مصر عبد الرحمن بن جحدم من قِبَـل ابـن الزبير، ولما علم ابن جحدم بقدوم مروان، أخذ يستعد لحربه، فحفر خندقاً يمكنه مـن الدفاع عن مدينة الفسطاط، واشتبك الجيشان اشـتباكا دام يومـاً أو يـومين، وهُـزِم المصريون [1]، وصالح ابن جحدم مروان ولحق بابن الزبير كما ذُكر سابقاً، ودخـل مروان مدينة الفسطاط في غرة جمادى الأولى سنة ٦٥هـ/٦٨٤م [2]، بـايع المـصريون مروان خليفة عليهم عدا ثمانين رجلاً تمسكوا بطاعة ابن الزبير فقتلهم، ثم عين ابنـه عبد العزيز والياً عليها وجمع له الصلاة والخراج معاً [3]، بعد أن أوصاه وصـايا كـثيرة تتضمن الرفق بأهل مصر [4]، ثم خرج من مصر وعاد إلى دمشق، وقبل أن يصل إليها علم أن عبد الله بن الزبير أرسل أخاه مصعباً إلى فلسطين، فبعث إليه مروان عمرو بن سـعيد بن العاص، الذي تمكن من التغلب على قوات ابن الزبير ، وعاد عمرو بعـد ذلـك إلى دمشق [5]، حيث ملأ نصره هذا نفسه بالأماني وأخذ يتحدث للناس بأن الخلافة ستكون له بعد مروان [6].

وهكذا خرجت مصر من قبضة عبد اللـــــــه بن الزبير .

---

[1] – المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٧٨ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢٠٥.

[2] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٥٤.

[3] – اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٥٧.

[4] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٢٨٦.

[5] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٢٨٦ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٤٠ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٥٤.

[6] – يروى أنه في سنة خمس وستين من الهجرة أمر مروان بن الحكم بالبيعة لابنيه عبد الملك وعبد العزيز، والسبب وراء ذلك أن عمرو بن سعيد بن العاص لما هزم مصعب بن الزبير حين وجهه أخوه عبد الله بن الزبير إلى فلسطين، رجع إلى مروان وهو بدمشق قد غلب على الشام ومصر، فبلغ مروان أن عمراً يقول : ان الأمر لي بعد مروان، فدعا مروان حسان بن بحدل فأخبره أنه يريد أن يبايع لابنيه عبد الملك وعبد العزيز، وأخبره بما بلغه عن عمرو، فقال حسان : أنا أكفيك عمراً، فلما اجتمع الناس عند مروان عشية، قام حسان، وقال : أنه بلغنا أن رجالاً يتمنون أماني، فقوموا فبايعوا لعبد الملك وعبد العزيز من بعده، فبايعوا عن آخرهم.
ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ص ١٨٩-١٩٠.

■ الجزيرة والعراق:

وجَّه مروان بن الحكم عبيد الله بن زياد إلى الجزيرة[١] على رأس جيش ليحارب زفر بن الحارث الذي كان عاملاً لابن الزبير على قنسرين، وكان زفر هذا قد هرب من مروان إلى قرقيسيا خوفاً من الأمويين، فطلب مروان من ابن زياد أن يقتل زفر ثم يتوجه إلى العراق ليستولي عليه ويحرم ابن الزبير منه[٢] .

وشجعه على حربه بأن وعده إمارة العراق قائلاً: إن غلبت على العراق فأنت أميرها[٣].

وبينما كان عبيد الله بن زياد يسير في طريقه، ألتقى بجيش التوابين[٤] في عين الوردة [٥]، ودارت بين الجيشين معركة عنيفة أنتهت بانتصار ابن زياد وهزيمة التوابين وقتل زعيمهم سليمان بن صرد[٦].

وكان في استطاعة ابن زياد بعد هذا النصر أن يتابع الزحف حتى يستولي على العراق الذي أمره مروان بن الحكم الاستيلاء عليه، ووعده بحكمه لولا انشغاله

---

[١] – الجزيرة: هي التي بين دجلة والفرات، مجاورة للشام، تشتمل على ديار مضر وديار بكر، سميت الجزيرة لأنها بين دجلة والفرات، وهما يقبلان من بلاد الروم وينحطان متسامتين حتى يلتقيا قرب البصرة ثم يصبان في البحر، وبها مدن جليلة وحصون وقلاع كثيرة، ومن أمهات مدنها : حران والرها والرقة ورأس عين ونصيبين وسنجار والخابور وماردين والموصل.

الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٥٦ .

[٢] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٦١١ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢٠٥ .

[٣] – اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٥٧.

[٤] – التوابين: جماعة كانوا يطالبون بقتل عبيد الله بن زياد، وأن يخرج من في العراق من أصحاب ابن الزبير، ويردوا الأمر لأهل البيت، وكان عددهم نحو خمسة آلاف، وعرفوا بالتوابين لقعودهم عن نصرة الحسين بن علي حين دعاهم، وقيامهم بطلب ثأره بعد مقتله .

ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢٠٤ ؛ الزركلي، الأعلام، ج ٣، ص ١٢٧ .

[٥] – عين الوردة: هي مدينة مشهورة بالجزيرة .

الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٠٣.

[٦] – اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٥٧.

سليمان بن صرعد بن الجون بن أبي الجون عبد العزى بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس بن حرام بن حبيشة بن سلول بن كعب من خزاعة، أبو مطرف، صحابي، من الزعماء القادة، شهد الجمل وصفين مع عليّ ﷺ، وسكن الكوفة، ثم كان ممن كاتب الحسين وتخلف عنه، ثم خرج مُطالباً بدمه، فترأس التوابين، توفي سنة (٦٥هـ/٦٨٤م)، في معركة عين الوردة على يد ابن زياد، وكان عمره يوم قُتل ثلاثاً وتسعين سنة.

ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٢٦ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢٠٤ ؛ الزركلي، الأعلام، ج ٣، ص ١٢٧.

بمحاربة زفر بن الحارث وأتباعه من بني قيس في قرقيسيا، واضطراره إلى إرجاء تحقيق هذا الهدف طوال عام كامل جاءت فيه الأنباء بوفاة مروان[1] ومبايعة ولده عبد الملك من بعده[2].

وقد أرسل عبد الملك بن مروان إلى ابن زياد بقوة على ما ولّاه به مروان قبـــل وفاته، وطلب منه السير إلى العراق[3].

■ المدينـــــــــة :

وجه مروان بن الحكم سنة ٦٥هـ/٦٨٤م جيشاً بلغ ستة آلاف وأربـع مائـة بقيادة حُبيش ابن دلجة إلى المدينة[4]، وكان جابر بن الأسود بن عوف والياً عليها من قبل عبد الله بن الزبير ، وحينما علم هذا الوالي بقدوم الجيش الأموي أصابه الرعـب ولاذ بالفرار[5]، وقبل أن يصل الجيش الأموي إلى المدينة أرسل ابـن الـزبير ﷺ إلى الحارث بن أبي ربيعة[6] الوالي على البصرة بأن يرسل مدداً إلى المدينة، فـسارع إلى إرسال جيش بقيادة الحنتف بن السجف التميمي في تسعمائة رجل إلى أهل الحجـاز

---

[1] – لما حضرت معاوية بن يزيد الوفاة، أبي أن يستخلف أحداً، وكان حسان بن مالك بن بحدل يريد أن يجعل الأمر من بعد معاوية لأخيه خالد بن يزيد، وكان صغيراً، وحسان خال أبيه يزد بن معاوية، فبايع لمروان، وهو يريد أن يجعل الأمر بعده لخالد بن يزيد، فلما بايع لمروان وبايعه أهل الشام، قيل لمروان: تزوج أمّ خالد ابنة أبي هشام بن عتبة حتى يصّغر شأن خالد ولا يطلب الخلافة، فتروجها، ودخل خالد ذات يوم إلى مروان وعنده جماعة كثيرة، فعاب مروان في خالد ليسقطه من أعين أهل الشام، فأخبر خالد أمه، ثم نام مروان عندها، فغطته بوسادة حتى قتلته سنة (٦٥هـ/٦٨٤م)، وهو ابن ثلاث وستين سنة، وكانت مدة خلافته تسعة أشهر .

الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٦١١ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٧٨ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ص ١٩١–١٩٢ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢٠٥.

[2] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢٠٥.

[3] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢١٥.

[4] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٢٨٩ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٦١١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص٢٠٥.

حُبيش بن دَلجة القيني، من قادة الجيوش في العصر الأموي، شامي من أهل الأردن، شهد صفين مع معاوية، وآخر ما وليه قيادة جيش الشام لفتح المدينة، قتله يزيد بن سنان بسهم في الربذة سنة (٦٥هـ/٦٨٤م).

الزركلي، الأعلام، ج ٢، ص ١٦٧ .

[5] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٦١٢ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص٢٠٦.

[6] – الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر المخزومي، وال، من التابعين، من أهل مكة، وهو أخو عمـر بـن أبي ربيعة، الشاعر، كان خطيباً من وجوه قريش ورجالهم، ولي البصرة في أيام ابن الزبير سنة واحدة، وكان أهلها يلقبونه بالقُباع، وهو الواسع الرأس القصير، وكان إسم أبيه في الجاهلية بحيراً، فسماه رسول الله ﷺ عبد الله، وكان جده أبو ربيعة يلقب بذي الرمحين.

ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ٢٩ ؛ الزركلي، الأعلام، ج ٢، ص ١٥٦.

في مقاومة جيش حبيش بن دلجة[1]، فاضطر الجيش الأموي إلى تغيير خطته العسكرية فانثنى لمحاربة القادمين من البصرة، وأرسل عبد الله بن الزبير ﷺ العباس بن سهل بن سعد الساعدي[2] إلى المدينة أميراً، وأمره أن يسير في طلب الجيش الأموي [3]، وفي الربذة[4] التقى الجيشان جيش ابن الزبير بقيادة العباس بن سهل وجيش الأمويين، وغدو إلى القتال، فرمى يزيد بن سياه حبيشاً بسهم فقتله، وقُتل بعض أصحابه، وتحصن من أهل الشام خمسمائة رجل على عمود الربذة – هو الجبل الذي بها – وأحاط بهم عباس بن سهل، فقال : انزلوا على حكمي، فنزلوا على حكمه فضرب أعناقهم، وعاد الفلُّ المنهزم إلى الشام [5].

وهكذا لم يتحقق النصر للجيش الأموي وفشل في تحقيق ما يصبو إليه من غزو المدينة.

أما عن موقف أهل المدينة فقد عمهم الفرح والسرور بهذا الانتصار العظيم، إذ أنهم قالوا لقائد ابن الزبير : شفيت النفوس وثأرت لنا بقتلى أهل الحرة"[6].

وقيل : إنه لما دخل يزيد بن سياه الأسواري قاتل حُبيش بن دلجة إلى المدينة مع عباس بن سهل، كان عليه ثياب بياض وهو راكب برذوناً أشهب – بياض يصدعه بياض – فما لبث أن اسودت ثيابه ودابته مما يتمسح الناس به، ومن كثرة ما صبّوا عليه من الطيب والمسك[7].

---

[1] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٢٨٩ ؛ اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٥٦ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٦١٢ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص٢٠٦.

[2] – العباس بن سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة، وأمه عائشة بنت خزيمة بن وحوح بن الأجثم من بني سليم بن منصور، وُلد في عهد عمر، وعندما قتل عثمان رحمه الله كان العباس ابن خمس عشرة سنة، ثم بعدها صار منقطعاً إلى عبد الله بن الزبير وخرج معه، وكان ثقة وليس بكثير حديث، توفي بالمدينة في خلافة الوليد بن عبد الملك.
ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥، ص٣٢٥.

[3] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٦١٢.

[4] – الربذة: من قرى المدينة على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز، وفي هذا الموضع قبر أبي ذر الغفاري .
الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٧.

[5] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٦١٢ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص٢٠٩.

[6] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٢٩٤.

[7] – ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢٠٩.

موقف ابن الزبير من الحركات المناوئة للأمويين:

أولاً: الشيعة في العراق:

الشيعة : لغةً هم الصحب والأتباع، وتُطلق على أتباع عليّ ﷺ، ومذهبهم جميعاً متفقين عليه أن علياً ﷺ هو الذي عينه النبي ﷺ عليهم بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم[1]. ونشأت هذه الفكرة عقب وفاة النبي ﷺ. وكان لمقتل الحسين بن علي ﷺ أثر كبير في نفوس شيعة العراق وتفاقم سخطهم وحنقهم على بني أمية وولاتهم، وخاصة ابن زياد، إلا أنهم ركنوا إلى الهدوء تجنباً لشر ابن زياد، فأراد الله أن يجعل أجل يزيد قصيراً وخلفه ابنه معاوية بن يزيد، فكانت خلافته خيراً لحزب الشيعة بالعراق وخف ضغط الأمويين على الشيعة، وانشرحت صدورهم حينما وقف معاوية بن يزيد يعترف على المنبر بحق عليّ وأولاده بالخلافة دون أبيه وجده[2].

كانت خلافة معاوية بن يزيد انتصاراً لشيعة العراق على بني أمية، ولكن الأمر لم يدم لهم طويلاً حيث مات معاوية وخلفه مروان بن الحكم، فأشتد شعور العداء، وبدأت الشيعة توحد صفوفها للعودة إلى الثورة ضد الدولة الأموية، وانقسمت إلى أحزاب منها:

أ. حركة التوابين:

التوابون: هم الذين ندموا على خذلانهم الحسين بن علي ﷺ ومقاتلتهم له ونصرتهم لقتلته بعد إرسالهم إليه واستدعائهم له بالقدوم عليهم وبذلهم له النصر وتابوا من ذلك، وسموا بـ(التوابين)، وكانت قيادتهم إلى سليمان بن صرد الخزاعي[3]، فاجتمعوا في داره، واستعرضوا موقفهم مع الحسين ﷺ[4]، وقد أسفر الاجتماع عن قرارين : بذل البيعة لسليمان بن صرد، وثانيهما التجهز والاستعداد حتى يحين وقت الخروج [5].

---

[1] – ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون، تحقيق : درويش الجويدي، الطبعة الثانية، (بيروت : المكتبة العصرية، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م)، ص ١٨٣.

[2] – اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٤٥.

[3] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٦٤ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٨٢ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ص ١٥٨– ١٥٩.

[4] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٥٢.

[5] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٦٤ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٥٣.

وقد بدأت هذه الثورة منذ مصرع الحسين بن علي ﷺ بكربلاء سنة ٦١هـ/٦٨٠م ، ولكنها لم تظهر بصورتها الكاملة إلا سنة ٦٤هـ/٦٨٣م ، عندما علم زعماؤها بوفاة يزيد بن معاوية[١].

وعلى الرغم من أن ثورتهم بدأت منذ مقتل الحسين ﷺ إلا أنهم رأوا كتمان مبادئهم هذه الفترة التي بلغت ثلاث سنين وشهرين وأربعة أيام [٢]، ويبدو أن السبب وراء ذلك، يرجع إلى القسوة التي كان يبديها الخليفة وعماله في مقاومة الشيعة من غير اكتراث بأصحابها، فقد قُتل الحسين بن علي ﷺ على ماله من القرابة لرسول الله ﷺ ، وغُزيت المدينة ومكة على مالها من الكرامة والقداسة .

استمر التوابون في الفترة مابين سنتي ٦١-٦٤هـ/٦٨٠-٦٨٣م في الاستعداد للقتال وجمع الأسلحة، واستمالة الناس، فكثُر إقبال الناس عليهم، يقول الطبري :" كان أول ما ابتدعوا به من أمرهم سنة ٦١هـ/٦٨٠م، وهي السنة التي قُتل فيها الحسين ﷺ، فلم يزل القوم في جمع آلة الحرب والاستعداد للقتال، ودعاء الناس في السر من الشيعة وغيرها إلى الطلب بدم الحسين ﷺ، فكان يجيبهم القوم بعد القوم والنفر بعد النفر"[٣].

ولقد كتب سليمان بن صرد إلى شيعة المدائن[٤] وشيعة البصرة فأجابوه[٥]،وبعد وفاة يزيد كان عامل الكوفة هو عبيد الله بن زياد، وقد دعا إلى نفسه في البصرة والكوفة، إلا أن الناس لم تستجب له[٦]، فأهل الكوفة حصبوا الوالي الذي كان عليهم عمرو بن حريث، وطردوه من قصر الإمارة، واختاروا عامر بن مسعود [٧]، ومن ثم فقد أتيحت الفرصة لابن الزبير ﷺ أن يبث دعوته في العراق، حيث بايعه معظم أهل الكوفة،

---

(١) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٦٦.

(٢) – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٥٨.

(٣) – تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص٥٥٨.

(٤) – المدائن : كانت سبع مدن من بناء الأكاسرة على طرف دجلة، بناها كسرى الخير أنو شروان، اختار الموقع للطافة هوائه وطيب تربته وعذوبة مائه، سمته العرب مدائن لأنها كانت سبع مدن بين كل مدينة وأخرى مسافة، : (اسفابور، به اردشير، هنبو سابور، دوز بندان، به از انديو خسرو، نونياباذ، كردافاذ).

زكريا بن محمد بن محمود القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد، د. ط، (بيروت : دار صادر، د.ت)، ص ٤٥٣.

(٥) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٦٦ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٦١.

(٦) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٦٧ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٠٥.

(٧) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٦٧ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٢٤ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٦٣.

فأرسل عبد الله بن يزيد الأنصاري[١] أميراً على الكوفة على حربها وثغرها، وإبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله القرشي[٢] والياً على الخراج، وكان قدومهما لثمان بقين من شهر رمضان سنة ٦٤هـ/٦٨٣م [٣].

كان على الرجلين مسئولية استقرار الأمور في العراق، وإخماد ثورة التوابين التي ضمت معظم أهل العراق، وقد كانت أهداف ابن الزبير والتوابين متشابهة فهم يعملون سوياً على القضاء على الحكم الأموي، وان اختلفت الوسيلة التي يتبعها كل فريق[٤].

وقد كان عبد الله بن يزيد أمير الكوفة من قبل الزبير بعيد النظر، إذ رأى أن يستفيد من التوابين، حيث كان سليمان بن صرد وأصحابه يريدون أن يثوروا في الكوفة، وخرج ابن يزيد إلى المسجد، ورأى أن يوجههم إلى عدوهم الحقيقي بعيداً عن الكوفة، فقال : والله ما قتلت الحسين، ولا أنا من قاتله، ولقد أصبت بمقتله رحمة الله عليه، فإن هؤلاء القوم آمنون، فليخرجوا ولينتشروا ظاهرين ليسيروا إلى من قاتل الحسين، فقد أقبل إليهم، وأنا لهم على قاتله ظهير، هذا ابن زياد قاتل الحسين وقاتل خياركم قد توجه إليكم، فقتاله والاستعداد له أولى وأرشد من أن تجعلوا بأسكم بينكم "[٥].

من الواضح أن عبد الله بن يزيد كان يعلم غرض ابن زياد، وأنه قادم لقتاله هو لكي يرد العراق لسيطرة الدولة الأموية، وبالتالي هو لا يضمن نتيجة قتاله معه، لذلك

---

[١] – عبد الله بن يزيد بن حصن بن عمرو بن الحارث بن خطمة بن جُشم بن مالك ابن الأوس الأنصاري الأوسي ثم الخُطمي، وهو كوفي، وله بها دار، شهد الحديبية وهو ابن سبع عشر سنة، واستعمله ابن الزبير على الكوفة، شهد مع علي بن أبي طالب الجمل وصفين والنهروان .

ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ٣١٢.

[٢] – كان جد إبراهيم، طلحة بن عبيد الله ابن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم من مرة، مع الزبير بن العوام ضد عليّ بن أبي طالب يوم الجمل، وقد قتل يومها، وكان لطلحة من الولد محمد وهو السجاد، وابنه ابراهيم قد خرج معه برّاً بأبيه، وطاعة له يوم الجمل، وتعرض له شريح بن أوفى العبسي، وطلب منه أن يبارزه، فأخذ ابراهيم يذكره بقرابة رسول الله ﷺ، الا أن شُريحاً تقدم إليه فقتله.

ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ١١٤.

[٣] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٦٧ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٦٣.

[٤] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٦١.

[٥] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ص ٣٦٧– ٣٦٨ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٦٢ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ص ١٧٥– ١٧٨.

رأى أن في التوابين قوة يستخدمها في صد ابن زياد أولاً، وفي إبعاد خطر التوابين عن الكوفة ثانياً[1].

عزم ابن صرد على الخروج للأخذ بثأر الحسين ﷺ ، وفي الموعد الذي حدده وهو أول ربيع الثاني سنة ٦٥هـ/٦٨٤م[2]، تجمع الشيعة وعسكروا بالنّخيلة[3]، ولما تهيأوا للسير أخذ سليمان يستعرض جيشه، ولكنه وجده قليل فبعث يدعو الناس للخروج معه، فلم يستجب له سوى أربعة آلاف، في الوقت الذي كان ديوانه يسجل منهم ستة عشرة ألفاً، وحينئذٍ تساءل عن العشرة آلاف الباقية أين هي ؟ وأمر بعض فرسانه فطافوا بالكوفة وهم ينادون يالثارات الحسين، فانضم إليهم ألف أخرى، فصاروا خمسة آلاف[4].

وأقام سليمان ابن صرد في النخيلة ثلاثة أيام يدعو المتخلفين، فقيل له : "رحمك الله إنه لا ينفعك المُكره ولا يقاتل معك إلا من أخرجته النية والحسبة ومن فر من ذنبه إلى ربه، فنادى سليمان في الناس : إنّا لا نطلب الدنيا وليس لها خرجنا"[5].

ثم دارت محاورة بين سليمان وجنوده حول الغرض الذي يبدأون، وكان جنده يميلون إلى أن يثبوا على قتلة الحسين ﷺ من أهل الكوفة أولاً، فإذا فرغوا من ذلك توجهوا إلى ابن زياد، وكان ابن صرد يرى عكس ذلك، وهو قتل ابن زياد أولاً[6] .

سار التوابون حتى بلغوا قبر الحسين بن علي ﷺ، وهناك استرحموا عليه وبكوا بكاءً مريراً، وتابوا عن خذلانه، أقاموا عند قبر الحسين ﷺ يوم وليلة، ثم ودعوه واتجهوا إلى غايتهم قاصدين الموصل[7] والجزيرة ومنها إلى قرقيسيا، وكان بها زفر بن الحارث

---

[1] – عبد الأمير عبد دكسن، من حركات المعارضة الدينية السياسية في العصر الأموي، المجلة التاريخية، العدد الثاني، (بغداد : الجمعية العراقية للتاريخ والآثار، ١٩٧٢م)، ص ١٤٣ .

[2] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٦٨ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٥٦.

[3] – النخيلة: موضع بالقرب من الكوفة على سمت الشام، وهو الموضع الذي خرج إليه عليّ رضي الله عنه، لما بلغه ما فعل بالأنبار من قتل عامله عليها وخطب خطبة مشهورة ذمّ فيها أهل الكوفة.

الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ص ٣٢١– ٣٢٢.

[4] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٦٨ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٧٥.

[5] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٦٩ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٧٦ .

[6] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٦٩ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٨٦.

[7] – الموصل : المدينة المشهورة باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد إلى اذربيجان، وسميت الموصل، لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق، وقيل وصلت بين دجلة والفرات.

الكلابي عامل ابن الزبير ، فقدم لهم المال والمؤن[١]، وعرض عليهم البقاء في قرقيسيا وتوحيد جهودهم ليسهل لهم القضاء على ابن زياد، ولكن ابن صرد أصر على المسير لقتال ابن زياد[٢].

ولما يئس زفر من بقاء سليمان وأصحابه معه، أشار عليهم بخطة تحقق لهم النصر، فقال لهم بادروهم إلى عين الوردة، فاجعلوا المدينة في ظهوركم ويكون الرستاق والماء والمادة في أيديكم وما بيننا وبينكم، فأنتم آمنون"[٣].

وفي طريق ابن زياد إلى قرقيسيا علم بوفاة مروان بن الحكم، وتولية ولده عبد الملك، الذي أرسل إليه بقوة على ما ولاه عليه أبوه مروان، فسار ابن زياد حتى لقي التوابين عند عين الوردة، فطلب منهم أن يبايعوا لعبد الملك، فرد عليه ابن صرد، طالباً تسليم جنده ونفسه كما دعا جنده إلى خلع عبد الملك، ومساعدة التوابين في إخراج عمال ابن الزبير من العراق، ورد الأمر إلى أهل البيت[٤].

غير أن كل فريق أبى إلا أن يقاتل في سبيل الأغراض التي خرجوا من أجلها، وتشابك التوابون وجند ابن زياد، ودارت معركة حامية قاسية ثلاثة أيام، استطاع التوابون أن يحققوا في أول المعركة نصراً كبيراً، ولكن أهل الشام تكاثروا عليهم، واستمر القتل في الجانبين، واستمرت المعركة عدة أيام استشهد فيها سليمان بن صرد وأكثر التوابين، وفي اليوم الأخير استطاع أحد قوادهم وهو رفاعة بن شداد البجلي أن ينسحب تحت ستار الظلام بمن بقي عائداً إلى الكوفة[٥].

وهكذا انتهت ثورة التوابين بهزيمتهم في عين الوردة سنة ٦٤هـ/٦٨٥م وقتل سليمان بن صرد ومعظم أصحابه.

=الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٥٨.

[١] – المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٨٢ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٧٩ .

[٢] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص٣٧٠ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٨٥.

[٣] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٧٠.

[٤] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٧١.

[٥] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٧٣ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ص ٨٢– ٨٣ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ص ١٨٢–١٨٣ .

موقف ابن الزبير ﷺ من التوابين:

أراد ابن الزبير ﷺ أن يستفيد من حركة التوابين، فأقنع زعماءهم في الانضمام إليه، فأبوا أن يجيبوه، ثم أن ولاة ابن الزبير قدموا المساعدات المالية للتوابين وناشدوهم البقاء حتى يجيشا لهم جيشاً، إلا أن التوابين لم يستمعوا لهم وأزمعوا على الخروج، لأن دعوتهم لا تتجاوز الثأر للحسين ﷺ[1].

وعندما شعر عامل ابن الزبير على الكوفة بالخطر الذي يكمن لهؤلاء الناس كتب اليهم يقول لهم: " إنه قد بلغني أنكم تريدون المسير بالعدد اليسير إلى الجمع الكثير، يا قومنا لا تطمعوا عدوكم في أهل بلادكم، فإنكم خيار كلكم، ومتى ما يصيبكم عدوكم يعلموا أنكم أعلام مصركم فيطمعهم ذلك فيمن وراءكم، يا قومنا " إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم، ولن تفلحوا إذا أبداً ، ياقومنا : إن أيدينا وأيديكم اليوم واحدة، وإن عدونا وعدوكم واحد، ومتى تجتمع كلمتنا نظهر على عدونا، ومتى نختلف تهن شوكتنا على من خالفنا، يا قومنا :لاتخالفوا أمري، وأقبلوا حين يُقرأ عليكم كتابي، أقبل الله بكم إلى طاعته، وأدبر بكم عن معصيته"[2].

ولكن التوابين لم ينضموا إلى الزبيريين و لم يفيدوهم الإفادة التامة، ولكنهم شاغلوا الأمويين منذ مصرع الحسين، استراح خلالها ابن الزبير ﷺ ، و لم يتأخر ابن الزبير عن بذل الأموال لهم، فقال لهم سليمان :إنّا ليس للدنيا خرجنا"[3].

وكان التوابون يعتقدون أن القتال مع ابن الزبير ﷺ ضلال في ضلال، فقال سليمان بن صرد في ذلك : ولا أرى الجهاد مع ابن الزبير إلا ضلالاً، وإن نحن ظهرنا رددنا هذا الأمر إلى أهله، وإن أصبنا على نياتنا تائبين من ذنوبنا إن لنا شكلاً ولابن الزبير شكلاً[4].

---

[1] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٧٠ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٨٠ .

[2] –الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ص ٥٩١– ٥٩٢ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ص ١٧٧– ١٧٨.

[3] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٦٩ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٨٠.

[4] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٩٢.

وخلاصة القول إن ابن الزبير ﷺ لم يستفد من التوابين، ومما لوحظ ضعف التوابين في جيشهم وعدهم والدليل على ذلك اعتراف ابن صرد بذلك حين خرج يستعرض رجاله، وقد صرح التوابون بأنهم فقراء وأنه ليس عندهم مال يهبونه للناس، وأنه لا غاية لهم سوى التوبة بثأرهم للحسين ﷺ ، فقد قال سليمان: أيها الناس : إنا والله ما نطلب من الغنيمة إلا رضوان الله، وما معنا من ذهب ولا فضة ولا خز ولا حرير،فمن لم يرض بهذا فلا يصحبنا "[1]، بالإضافة إلى أنه لم يكن هناك تكافؤ بين الفريقين، فبينما كان أنصارابن زياد يزيدون عن ثلاثين ألفاً، كان ابن صرد في خمسة آلاف[2]، وكانت من الأخطاء التي وقع فيها التوابون أنهم لم يقضوا على بعض أشراف الكوفة الذين أنضموا إلى جيش ابن زياد في كربلاء، وقد تردد ابن صرد في قتالهم ؛لأن منهم من كان من بني عمومتهم، وأقرب أقربائهم، إذ قال :" والله لو قاتلتم غداً أهل مصركم ماعدم رجل أن يرى رجلاً قد قتل أخاه وأباه وحميته أو رجلاً لم يرد قتله"[3].

كما أن التوابين قد ارتكبوا خطأ كبيراً حين فكروا في منازلة الأمويين الأقوياء قيل له قتل أهل الكوفة الذين كان لهم الدور الكبير في مقتل الحسين، وقد رأى أحدهم ذلك فقال لابن صرد: " إنما خرجنا نطلب بدم الحسين وقتلة الحسين كلهم بالكوفة منهم عمر ابن سعد بن أبي وقاص ورؤوس الأرباع وأشراف القبائل، فأنى نذهب ها هنا وندع القتلة الحقيقيين للحسين"[4].

والغريب أنهم تركوا أهل الكوفة وذهبوا لقتال أهل الشام، ويبدو أنهم عدّوا الدولة نفسها هي المسئولة فيجب محاربتها ما دام فيها عبيد الله بن زياد.

وهناك ملاحظات على سياسة ابن الزبير ﷺ خلال الفترة التي خرج فيها التوابون، فقد لوحظ أن ابن الزبير ﷺ أساء اختيار ولاته على الكوفة، فاختار إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله القرشي الذي كان أبوه وجده ممن نكثا بيعة علي وحارباه في معركة الجمل، مع علمه أن أهل العراق معظمهم من شيعة علي بن أبي طالب ﷺ وأنهم لا يدينون بالولاء إلا له ولأولاده من بعده، ثم إن عبد الله بن يزيد كان أنصارياً، وكان

---

[1] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٦٩.

[2] – المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٨٢.

[3] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٦٩.

[4] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٨٦.

هواه إلى جانب التوابين، لذلك نجده يقف عندما علم بم يفكرون وخطب فيهم أنه معهم، وطلب من الثائرين أن ينتشروا ظاهرين، وليسيروا إلى من قاتل الحسين ﷺ وأهل الشام الذين اقتربوا من بلادهم[١]، ما أثار غضب إبراهيم بن طلحة فقام خطيباً : " لا يغرنكم من السيف والغشم مقالة هذا المداهن المواد ع – يقصد ابن يزيد – "[٢]، وما أن أتم إبراهيم كلامه، حتى وثب إليه أحد التوابين وقال :" أنت تهددنا بسيفك، أنت والله أذل من ذلك، إنا لا نلومك على بغضنا وقد قتلنا أباك وجدك "[٣]، ثم قام آخر وقال :" فوالله ما أنت علينا بأمير ولا لك علينا سلطان وإنما أنت والي الخراج، فاقبل على خراجك"[٤]، ويبدو أن ابن يزيد كان ضعيفاً في موقفه فقد سمح لإبراهيم أن يتكلم ويفرض رأياً، فكان من الأحرى به أن يبين لأهل العراق أن رأي إبراهيم لا يعبر عن رأي ابن الزبير، إلا أنه خاف من غضب إبراهيم فذهب إليه يعتذر منه فقبل عذره [٥]، وكانت عدم مطالبة ابن الزبير ﷺ بثأر الحسين ﷺ من الأخطاء التي وقع فيها، في الوقت الذي كان فيه في أشد الحاجة إلى المال والرجال المتوفرين في العراق، فلو تظاهر بطلب ثأر الحسين ﷺ لوجد الإقبال الشديد منهم، ولقوي نفوذه وساد العالم الإسلامي، ثم إن عامل ابن الزبير ابن يزيد كانت سياسته سلبية تجاه التوابين، فقد اقتصر جهده على النصح والتحذير دون أن يقدم لهم أي مساعدة من المال والرجال.

ب .حركة المختار وموقف ابن الزبير ﷺ منهم:

يُنسب حزب المختار إلى زعيمه المختار بن أبي عبيد ابن مسعود الثقفي[٦]، وقد ظهر المختار على مسرح السياسة سنة ستين من الهجرة، حينما نزل مسلم بن عقيل ابن عم الحسين بن علي ورسوله في داره بالكوفة، وبايعه وساعده ليجمع له الشيعة [٧]، وذلك قبيل التجاء مسلم بن عقيل إلى دار هانئ بن عروة المرادي[٨]، ولما قُتل مسلم بن

---

[١] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٧٦ .

[٢] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٦٢.

[٣] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٦٢ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٦٤ .

[٤] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٦٣.

[٥] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ص ١٦٤–١٦٥ .

[٦] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ص ٥٦٩ – ٥٧١.

[٧] – البلاذري، تاريخ الأنساب، ج ٦، ص ٣٧٦ ؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٣١.

[٨] – اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٤٣ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص ٥٣.

عقيل رسول الحسين قبض ابن زياد على المختار وضربه ثم ألقاه في السجن، وبقي المختار بالسجن حتى قُتل الحسين بن علي ﷺ[1]، وكتب المختار إلى عبد الله بن عمر ﷺ حيث كانت أخته صفية زوجة لابن عمر، يعرض عليه حاله، واستجاب صهره وكتب إلى يزيد يشفع فيه، فقبل شفاعته، وأرسل إلى ابن زياد يأمره بإطلاق سراحه، ثم غادر المختار الكوفة سنة إحدى وستين من الهجرة عقب إطلاق سراحه، لأن ابن زياد قد توعد بضرب عنقه إذا لم يغادر في خلال ثلاثة أيام[2].

وخرج المختار إلى الحجاز سنة ٦١هـ/٦٨٠م ، وفي نفسه من الحقد والضغينة على ابن زياد، حتى أقسم أنه سوف يقطع أنامل ابن زياد وأعضاءه، فقال : قتلني الله ان لم أقطع أنامله وأعضاءه إرباً إرباً[3].

وفي طريقه إلى الحجاز التقى بأحد القادمين منها، فسأله عن أحوالها، فأجابه بأن ابن الزبير يبايع لنفسه سراً، فقال المختار: أما أنه لرجل العرب اليوم، إما أنه يعمل بنصحي ويسمع قولي أكْفه أمر الناس إلا يفعل فوالله ما أنا بدون أحد من العرب، إن الفتنة قد برقت ورعدت، وكأن قد انبعثت فوطئت في خطامها، فإذا رأيت ذلك وسمعت به بمكان قد ظهرت فيه فقال : إن المختار في عصابة من المسلمين، يطلب بدم المظلوم الشهيد المقتول، فوربك لأقتلن بقتله عدة القتلى التي قتلت على دم يحي بن زكريا عليه السلام[4].

ويُفهم من مقالة المختار أنه يوضح الطريق الذي يسير عليه والغاية التي سيحارب من أجلها، وهي قتل قَتَلة الحسين بن عليّ ﷺ والأخذ بثأره.

قدم المختار على عبد الله بن الزبير ﷺ في مكة فرحب به وأوسع له وغمره بإحسانه وعطفه، ولكن ابن الزبير لم يصرح له بنواياه ؛لأنه لم يكن يثق به وعرض عليه المختار البيعة، فقال: ما تنتظر ابسط يدك أبايعك، وأعطنا ما يرضينا وثب على الحجاز فإن أهل الحجاز كلهم معك[5].

---

[1] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٧٧.
[2] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٧٧ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ص ٥٦٩ – ٥٧١.
[3] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٧٧؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ص ٥٧١– ٥٧٢.
[4] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٧٢.
[5] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٧٣.

وعرض المختار على ابن الزبير أن يقلده أمره ويستكفيه إياه، فلم يفعل، فقام عنه ولحق بالطائف، فتصرف في أموره، وغاب عن ابن الزبير سنة، وجعل يقول : أنا مبير الجبارين [1]، ثم إن أحدهم سأل المختار: أمثلك يغيب عن مثل ما قد اجتمع عليه أهل الشرف وبيوتات العرب وقريش والأنصار وثقيف، لم يبق بيت ولا قبيلة إلا وقد جاء زعيمهم فبايع ابن الزبير ، فرد عليه المختار : أتيته العام الماضي، فأشرت عليه برأي فطوى أمره دوني، وإني لما رأيته استغنى عني أحببت أن أريه أني مستغنٍ عنه، إنه والله لهو أحوج إليَّ منّي إليه[2].

وكان ابن الزبير ﷺ قد بدأ يأخذ البيعة من الناس، وكان في حاجة إلى تأييد المختار فعلاً حيث قد حان الوقت ليطلب عونه فقد اشتد العداء بينه وبين الأمويين، حيث قدم الجيش الأموي إلى المدينة وأنزل سخطه على أهلها، ثم بدأ هذا الجيش زحفه على مكة.

لذا نرى ابن الزبير ﷺ يكرم وفادة المختار بعد عودته من الطائف ورضي به، فأجاب المختار لطلب ابن الزبير بالبيعة له مقابل شروط :

- يبايع المختار ابن الزبير على أن لا يقضي الأمور دونه.
- يكون المختار الوزير الأول في دولته فلا يأذن لأحد قبله، وإذا ظهر ابن الزبير يستعين بالمختار على أفضل عمله[3].

وتمت البيعة، وأخلص المختار لابن الزبير وبرَّ بوعده وأخذ يدافع عن البيت الحرام أمام جيوش الأمويين، وقد أُبلي بلاءً حسناً ضد أعداء ابن الزبير ، وكان أشد الناس على أهل الشام، وقد بقي بالحجاز حتى توفي يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ/٦٨٣م، وانقضى الحصار ورجع أهل الشام إلى الشام، واضطربت الأمور، وأخذ ابن الزبير ﷺ في طلب البيعة لنفسه من الأمصار، وأرسل إليها العمال ولكنه لم يستعمل المختار على مصر من الأمصار، فتألم المختار؛ لأنه لم يحقق له ما كان يهدف إليه، وبعد هلاك يزيد بخمسة

---

[1] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٧٨.

[2] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٧٨ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٧٤.

[3] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٧٨ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٧٧.

أشهر دون أن يستعمله ابن الزبير[١]، أخذ يستطلع أخبـار الكوفة، ويتزود بالمعلومـات الكثيرة عنها، فكان يستفسر من القادمين منها، فأخبروه بأنهم يتبعون ابن الزبير ولكن بها رجالاً يكتمون أمرهم، وينتظرون من يقودهم، ويطلبون بثأر الحسين بن علي ، فقال المختار : أنا أبو إسحاق، أنا والله لهم، أنا أجمعهم على مَرّ الحق وأنفي بهم ركبان الباطل، وأقتل بهم كل جبار عنيد[٢].

خاف المختار أن يمنعه ابن الزبير من الخروج إلى العراق فعرض عليه أن يذهب إلى العراق ليجمع له الجند ليتغلب بهم على أهل الشام، فسمح له ابن الزبير بالخروج[٣].

وصل المختار إلى العراق، فوجد فيها ثورة التوابين، فحاول أن تكون له القيـادة، وأخذ يجمع حوله الشيعة ويخذلهم عن ابن صرد، ويؤكد لهم أنه ليس هو الرجل الـذي يستطيع أن يحسن قيادتهم ويصل إلى أهدافهم، ولكن أغلب الشيعة اختاروا سليمان بـن صرد لقيادتهم، فبدأ يكيد للتوابين، وجعل يدس الدسائس بين أعضاء هذا الحزب حـتى انضمت إليه فرقة تؤيده وتعظمه وتبث دعوته[٤]، وأخذ يمر بنفسه على القبائل ويبشرها بقرب أخذ ثأر الحسين [٥]، فقال للتوابين : أن سليمان ليس له علـم بـالحرب ولا تجربة بالأمور وإنما يريد أن يخرجكم فيقتلكم ويقتل نفسه، وأنا أعلم حقاً كيـف أدبـر الأمور، وأعين وليكم وأقتل عدوكم وأشفي صدوركم، فاسمعوا قولي وأطيعوا أمري[٦].

وعندما علم عاملا ابن الزبير على الكوفة عبد الله ابن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة بأمر المختار، قبضا عليه وسجناه [٧]، لجأ المختار مرة أخرى إلى ابن عمر، فـشفع فيه عند عاملي ابن الزبير ، فأطلقا سراحه [٨]، ثم خرج من سجنه ليجد الآف الشيعة في انتظاره، فقد قُتل ابن صرد في عين الوردة -كما سبق ذكره- وعادت فلـول التـوابين

---

[١] - البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٧٩ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٧٧.

[٢] - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٧٨.

[٣] - المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٦٧.

[٤] - البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٨٠ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٨٠.

[٥] - البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٧٩ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٧٩.

[٦] - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٨٠.

[٧] - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٨١.

[٨] - البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٨١ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ٨.

تبحث عن قائد جديد، ووجدت هذا القائد في شخص المختار[1]، وكان قد كتب إلى رفاعة بن شداد الذي تمكن من الهرب بعد معركة عين الوردة مع من بقي من الشيعة :" أن سليمان بن صرد -رحمة الله عليه- قضى ما عليه وتوفاه الله، فجعل روحه مع أرواح الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، ولم يكن بصاحبكم الذي تنتظرون، ولكني الأمير والمأمور، وقاتل الجبارين، فأعدوا واستعدوا فإني أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، والطلب بدماء أهل البيت والدفع عن الضعفة وجهاد المسلمين[2].

وانضم إليه عدد كبير من الشيعة، ومازال أصحابه يكثرون حوله، وأمره يقوى ويشتد، فعزل ابن الزبير أميري الكوفة ابن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة، وولى مكانهما عبد الله بن مطيع، سنة ٦٥هـ/٦٨٤م على الصلاة والخراج[3]، وكان أول عمل قام به أن أرسل إلى المختار أن يأتي إليه، إلا أن المختار لم يحضر؛ لأنه أيقن أن النية موجهة نحو سجنه، فادّعى أنه عليل، وأرسل باعتذاره إلى ابن مطيع[4].

رأى المختار أن تستند دعوته إلى أحد العلويين ما يجعل الشيعة ترتبط به ارتباطا وثيقاً، فسعى لنيل تأييد علي بن الحسين [5]، فكتب إليه يعرض عليه أخذ البيعة له ونشر دعوته، وأرسل له مالاً كثيراً [6]،ولكن علياً بن الحسين آثر السلامة،ورفض ما عرض عليه وسبه على رؤوس الملأ في مسجد رسول الله ﷺ، وأظهر كذبه،وبيّن أنه يحاول استمالة الناس على حساب آل أبي طالب[7].

---

(1) – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ٩.

(2) – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٠٦.

(3) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٨٢.

(4) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص٣٨٤ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ص ٨ – ١١.

(5) – علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم – زين العابدين – وأمه أم ولد اسمها غزالة، كان علي بن حسين مع أبيه في كربلاء وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وكان مريضاً نائماً على فراشه، أنكر على المغالين في الشيعة ومن أقواله فيهم : " أحبونا حب الاسلام، فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عاراً"، مات بالمدينة ودُفن بالبقيع، سنة (٩٤هـ/٧١٢م) . ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ص ٢٥٤ – ٢٦٧.

(6) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٤٥٤.

(7) – المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٦٧.

علم المختار بموقف علي بن الحسين، فتحول إلى محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب ﷺ[١]، وأعلن للشيعة والتوابين أن ابن الحنفية ﷺ قد أرسله وزيراً وأميراً لطلب دماء أهل بيته والدفع عن الضعفاء[٢].

بدأ المختار يدعو أهل العراق باسم محمد بن الحنفية ﷺ، لكونه وزيره في العراق[٣]، ولكن الشيعة شكّت في أمره، وقالوا: إن المختار يريد أن يخرج بنا، وقد بايعنا ولاندري أرسله إلينا ابن الحنفية أم لا، فانهضوا بنا إلى ابن الحنفية فلنخبره بما قدم علينا به وبما دعانا إليه،فإن رخص لنا في اتباعه اتبعناه، وإن نهانا عنه اجتنبناه، فوالله ما ينبغي أن يكون شيء من أمر الدنيا آثر عندنا من سلامة ديننا، فأرسلوا وفداً[٤]منهم إلى ابن الحنفية وعلى رأسهم عبد الرحمن بن شريح[٥] ليعلموا منه حقيقة أمر المختار، فلما قابل الوفد ابن الحنفية، سألوه عن المختار، فكان كلامه مبهماً وإجابته غامضة، فاكتفى بالإشارة عن العبارة وبالتلميح عن التصريح، فقالوا إن لنا إليك حاجة، قال : فسرٌ هي أم علانية ؟ قالوا : لا بل سر، قال : فرويداً إذاً، فمكث قليلاً، ثم تنحى جانباً فدعاهم فقاموا إليه، فتكلم ابن شريح، وقال : قدم علينا المختار بن أبي عبيد الثقفي يزعم لنا أنه قد جاءنا من تلقائكم، وقد دعانا إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ والطلب بدماء أهل البيت والدفع عن الضعفاء، فبايعنا على ذلك، ثم إنا رأينا أن نأتيك فنذكر لك ما دعانا إليه، فإن أمرتنا باتباعه اتبعناه، وإن نهيتنا عنه اجتنبناه، فرد عليه ابن الحنفية بقوله: ما ذكرتم من دعاء من دعاكم إلى الطلب بدمائنا فوالله لوددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم[٦].

---

[١] – المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٦٧.

[٢] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٤٥٤.

[٣] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٨٠.

[٤] – هم : سعيد بن منقذ الثوري وسعر بن سعر الحنفي والأسود ابن جواد الكندي وقدامة بن مالك الجشمي وكان رئيسهم عبد الرحمن بن شريح .

الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ص ١٢-١٣.

[٥] – عبد الرحمن بن شريح، كان منكر الحديث، مات سنة (١٦٧هـ/٧٨٣م)، في خلافة المهدي.

ابن سعد،الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٥٣٦.

[٦] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٨٤ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ص ٦ – ١٤.

فهموا من إجابته لهم أنه لا يرى مانعاً من قيام المختار بطلب الثأر من قتلة الحسين وقتل من شارك في دمه.

ورجع الوفد إلى الكوفة، وعندما علم المختار بما قاله ابن الحنفية ﷺ سُر كثيراً واتخذ من إجابة ابن الحنفية سنداً قوياً لنجاح دعوته، فقام خطيباً، فقال : يا معشر الشيعة إن نفراً منكم أحبُّوا أن يعلموا مصداق ما جئت به فرحلوا إلى إمام الهدى، والنجيب المرتضى، فسألوه عما قدمت به عليكم، فنبأهم أني وزيره وأمينه، وأمركم باتباعي وطاعتي فيما دعوتكم إليه من قتال المحلين والطلب بدماء أهل بيت نبيكم المصطفى[١] .

فانضم إليه الشيعة ووقفوا في صفه، وأخذ منهم البيعة على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وقتال المحلين والطلب بدماء أهل البيت، فأحبوه فقد وافق أهواءهم، وجد في إعداد الجند والسلاح للقيام بالثورة في الكوفة، وكان أهم ما قوى به مركزه أنه نجح في ضم أحد الزعماء إلى صفه وهو إبراهيم بن الأشتر[٢]، فهو قائد عظيم وبطل مغوار في ميادين الحرب، ولكن إبراهيم بن الأشتر لم يبايعه إلا بعد أن سلم إليه المختار كتاباً على لسان محمد بن الحنفية ﷺ يدعوه فيه إلى إجابة المختار ويعده إذا نصر الدعوة، " بأن تكون له أعنة الخيل وكل جيش غاز وكل مصر ومنبر وثغر ظهر عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلاد الشام"[٣].

اجتمع الشيعة وتأهبوا للخروج في الرابع عشر من ربيع الأول سنة ٦٦هـ/٦٨٥م[٤]، فعلم عامل ابن الزبير عبد الله بن مطيع بما اتفق عليه المختار وشيعته، فأراد أن يقاومهم فبث جنوده في نواحي المدينة ليلاً ليمنعوا اتصال أعوان المختار به، وبينما إبراهيم بن الأشتر ذاهب ليلاً إلى منزل المختار إذ قابله رئيس الشرطة إياس بن مضارب، فطلب منه الرجوع وعدم الذهاب إلى المختار، فلم يقبل وضربه بسيفه فقتله

---

[١] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٨٥ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ص ٦ –١٤.

[٢] – إبراهيم بن مالك الأشتر بن الحارث النخعي، قائد شجاع، من أصحاب مصعب بن الزبير، شهد معه الوقائع وولي له الولايات وقاد جيوشه في مواطن الشدة، وكان مصعب يعتمد عليه ويثق به، وآخر ما وجهه فيه حرب عبد الملك بن مروان بمسكن فقتل ابن الأشتر، ودفن بقرب سامراء، سنة ٧١هـ/٦٩٠م .

الزركلي، الأعلام، ج ١، ص ٥٨.

[٣] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٨٦ ؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٨٨ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ص٦– ١٧.

[٤] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٨٦ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ١٨.

وحمل رأسه إلى المختار [١]، وأشار عليه بالتعجيل، فأمر رجاله الذين كانوا في داره أن يخرجوا وينادوا يالثارات الحسين، ويضرموا النار حتى يعلم رفاقهم أن الثورة قد آن أوانها[٢].

وصل الخبر إلى عبد الله بن مطيع عامل ابن الزبير ، فجمع الجنود وخرج لمحاربة المختار ومن معه، واشتبك الفريقان في الحرب، وأبلى المختار بلاءً حسناً وقائده ابن الأشتر، وكانت الهزيمة في أصحاب ابن مطيع [٣]، فتحصن في القصر، وحاصره جيش المختار، فرأى رجاله أنهم قد أُحيط بهم وأنه لا طاقة لهم بالمختار وجنده، فأشاروا على ابن مطيع بطلب الأمان له ولهم، ولما رأى ابن مطيع ضعفه عن القوم سأل الأمان على نفسه ومن معه، فأجابه المختار لذلك وأمنه [٤]، وخرج ابن مطيع وفتح القوم أبواب القصر، وقسم المختار ما في بيت المال على أصحابه، وأمر بإعطاء ابن مطيع من بيت المال مائة ألف درهم وخلى سبيله[٥]، فأخذها منه وأقام في البصرة ولم يرجع إلى خليفته[٦].

وهكذا تم النصر للمختار على عامل ابن الزبير عبد الله بن مطيع، وتم له الأمر بالكوفة التي كانت تابعة لابن الزبير ﷺ وبها أمير من قبله .

موقف ابن الزبير ﷺ من المختار:

بعد أن استولى المختار على الكوفة وأخرج عامل ابن الزبير عبد الله بن مطيع، أرسل إلى ابن الزبير ﷺ قائلا: إن ابن مطيع خالفك وكاتب عبد الملك بن مروان، وأنت أحب إلينا من عبد الملك[٧].

---

[١] – الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٩٠.

[٢] – الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٩٠ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ١٩؛ Abd al-Ameer , Abd Dixon, The Umayyad Caliphate , 65 – 86\684 – 705 (Apolitical Study) , London , Luzac And Company , 1917 ,pp 43-44.

[٣] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٩١ ؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٩١.

[٤] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٩٣ ؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٩٢ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ٣١.

[٥] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٩٥ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ٢٣.

[٦] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ٧١.

[٧] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٤٤٧.

وأخذ المختار يخادع ابن الزبير ﷺ وأراد أن يمكر به، فأرسل له يقول : " قد عرفت مناصحتي إياك وجهدي على أهل عداوتك، وما كنت أعطيتنا إذا أنا فعلت ذلك، فلما وفيت لك لم تفِ بما عاهدتني عليه، فإن ترد مراجعتي ومناصحتي فعلت والسلام[1].

والواضح أن المختار يقصد بذلك أن يكف ابن الزبير ﷺ عنه حتى يتم له الأمر حيث أصبح مهدداً من جهتين الأمويين من جهة وابن الزبير من جهة أخرى، وكان من الصعب أن يتفاوض مع الأمويين بسبب كره الشيعة الشديد لهم، وبسبب ما ارتكبه ولاتهم من المظالم في العراق .

إلا أن ابن الزبير ﷺ لم تخف عليه خديعة المختار فأراد أن يتعرف على حقيقة المختار، فأرسل إليه عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، فولاه الكوفة، وجهزه بالمال ما بين ثلاثين ألفاً إلى أربعين ألفاً، ولما علم المختار بتولية عمر بن عبد الرحمن بن الحارث والياً على الكوفة، دعا المختار زائدة بن قدامة[2] وأعطاه سبعين ألف درهم وقال له هذا ضعف ما أنفق عمر بن الحارث في طريقه إلينا وجهزه بخمسمائة فارس وأمره أن يسير إليه، وأن يعرض عليه المال أولا ويأمره بالعودة فإن رجع كان حسناً وإلا الحرب بينكما، فأخذ زائدة المال وسار حتى لقي عمر بن عبد الرحمن فأعطاه المال وأمره بالانصراف، فقال له : إن أمير المؤمنين قد ولاني الكوفة ولابد من إتيانها فدعا زائدة الخيل، وكان قد أمكنها فلما رآها قد أقبلت أخذ المال وسار نحو البصرة، فاجتمع هو وابن مطيع في إمارة الحارث بن أبي ربيعة[3].

واستمر المختار في خداع ابن الزبير ﷺ فتظاهر بالمضي في سياسة المهادنة، فبعث إليه يقول: إني اتخذت الكوفة داراً، فإن سوغتني ذلك وأمرت بألف ألف درهم سرت إلى الشام وكفيتك أمرهم، فقال ابن الزبير ﷺ : إلى متى أماكر؟ كذاب ثقيف يماكرني[4]، فلم يعد ابن الزبير يثق بالمختار.

---

[1] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ٧١.

[2] – زائدة بن قدامة الثقفي، يكنى أبا الصلت، توفي بأرض الروم عام غزا الحسن بن قحطبة الصائفة، سنة (١٦١هـ/٧٧٧م)، كان ثقة مأموناً صاحب سنة وجماعة.

ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٣٩٩.

[3] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ص ٧١– ٧٢.

[4] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٤٤٧.

وبات المختار يترقب الفرص ليعيد على ابن الزبير طلب الهدنة، وحانت له الفرصة حين بعث عبد الملك بن مروان جيشاً أموياً بقيادة عبد الملك بن الحرث إلى وادي القرى [1]، وكتب المختار إلى ابن الزبير يعرض إليه المساعدة، وقال له : قد بلغني أن ابن مروان قد بعث إليك جيشاً فإن أحببت مددتك بمدد، فكتب إليه ابن الزبير: إن كنت على طاعتي فبايع لي الناس قبلك وعجل انفاذ الجيش ومرهم ليسيروا إلى من بوادي القرى من جند ابن مروان فليقاتلوهم والسلام[2].

وكان جواب المختار على ذلك بأن دعا شرحبيل بن روس الهمذاني فسيره في ثلاثة آلاف منهم سبعمائة من العرب والباقون من الموالي، وأمره بالسير حتى يدخل المدينة المنورة، فإذا دخلها أرسل إليه الأمير، ثم يأمر ابن روس بمحاصرة ابن الزبير ، لو لم يكن ابن الزبير مطمئناً إلى إخلاص المختار وخشي من خطره، فأرسل عباس بن سهل بن سعد في ألفين وأمره أن يستنفر العرب ليعلم حقيقة أمرهم، أهم على طاعته أم خارجون عليه، وقال له : إن رأيت القوم على طاعتي وإلا فكايدهم حتى تملكهم، فتقابل عباس بن سهل مع ابن ورس مبعوث المختار، فتناقشا، وتحاورا حتى ظهر لابن سهل أنهم على غير طاعة ابن الزبير واستعمل معهم الحيلة والدهاء، إذ أرسل لهم ما يقتاتون به لشدة جوعهم، فانشغلوا بالأكل، ونزلوا على الماء وتركوا تعبئة القتال، وأمن بعضهم بعضاً، وغافلهم ابن سهل وأوقع فيهم القتل و لم تمض مدة قصيرة حتى قُتل ابن ورس ومعه سبعون من أهل النجدة والقوة، ورفع ابن سهل راية الأمان، فدخل تحتها أصحاب ابن روس[3].

رأى ابن الزبير ﷺ إن المختار لا يقل خطورة من الدولة الأموية، لذلك قرر أن يقف من المختار موقفاً حاسماً وأن يتخذ من مدينة البصرة بالعراق نقطة وثوب على المختار، إذ أصبحت البصرة ملجأ العرب أشراف الكوفة الذين فروا من المختار، وكانوا يترقبون الفرص للانتقام من المختار، ثم رأى ابن الزبير ﷺ أن يرسل إلى البصرة نائباً عنه من يتصف بالقوة والحزم ويكون موضع ثقة، فعزل الحارث بن أبي ربيعة، وعيّن أخاه

---

[1] – وادي القرى: واد بين المدينة والشام، من أعمال المدينة كثير القرى، فتحها النبي ﷺ سنة (٧هـ/٦٢٨م) عنوة ثم صولحوا على الجزية.

الحموي ـ معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٩٧.

[2] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ص ٧٢– ٧٣.

[3] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ص٧٣– ٧٤.

مصعب، فوصلها سنة ٦٧هـ/٦٨٦م[١]، فخطب فيهم، بسم الله الرحمن الرحيم " طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون " إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم بذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين، فأشار بيده نحو الشام، ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين، وأشار بيه نحو الحجاز، ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون، وأشار نحو الكوفة، وقال : يأهل البصرة بلغني أنكم تلقبون أمراءكم وقد لقبت نفسي الجزّار"[٢].

وكان مصعب ابن الزبير حريصاً على أن يعيد الكوفة إلى حوزة أخيه، فبعث إلى المهلب بن أبي صفرة، الذي كان والياً على بلاد فارس من قبل ابن الزبير ، وكان المهلب حينئذ يقاتل الخوارج، فبعث إليه مصعب يطلب منه مهادنة الخوارج، حتى يستعين بمن معه من جند في قتال المختار، وأرسل في نفس الوقت عبد الرحمن بن مخنف إلى الكوفة وأمره أن يخرج إلى أهلها وأن يثبط الناس عن المختار ويدعوهم إلى بيعة ابن الزبير [٣].

علم المختار باستعداد مصعب والمهلب لقتاله، فأرسل قائده أحمر بن شميط، فالتقى بجند مصعب واشتبك الفريقان في معركة عنيفة، وكانت الهزيمة فيها لجند المختار وقتل قائده أحمر بن شميط [٤]، وعندما علم المختار بمقتل قائده، خرج بنفسه للقاء جيش مصعب وصمم على الثبات حتى الموت، فتقاتلوا عند حروراء[٥] قتالاً انتهى بهزيمة المختار وفراره إلى قصر الإمارة بالكوفة حيث تحصن فيه [٦]، وأخذ يناوش أعداءه،وقد اشتد كره أهل الكوفة له، فكانت لا تخرج فرقة من رجاله من القصر لقتال الزبيريين إلا رموهم بالحجارة وصبوا عليهم الماء القذر، وضيق عليهم مصعب الخناق، ومنعهم الطعام والماء فكان لا يأتيهم منه إلا القليل، واستحكمت الضائقة في صفوف المختار، حتى لقد كانت

---

(١) – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ٧٦؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٨٦.

(٢) – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ٩٣.

(٣) – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ص ٩٤ –٩٥.

(٤) – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ٩٥.

(٥) – حروراء : قرية بظاهر الكوفة، على ميلين منها، نزل به الخوارج الذين خالفوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فنسبوا إليها. الحموي ــ معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٨٣.

(٦) – الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٣٠٨ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ص ٩٨ –١٠١ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٨٦.

نساء الجند تأتي أزواجها ببعض القوت، فاضطر مصعب لوضع الحرس لمنع النساء من القدوم نحو القصر [1].

وأخيراً خرج المختار من قصره في تسعة عشر رجلاً، وأخذ يقاتل قتال الأبطال وظل يضارب بسيفه، وقد أبدى شجاعة نادرة حتى سقط قتيلاً في شوارع الكوفة سنة ٦٧هـ/٦٨٦م [2]، فأخذ مصعب رأسه ورؤوس أصحابه وأرسلهم إلى أخيه بمكة[3].

وبذلك انتهى أمر المختار وزالت ثورة الشيعة التي لم تعمر بالكوفة أكثر من عام ونصف، ولكن بعد أن حققت غايتها وهي الانتقام من قتلة الحسين بن علي ﷺ ، بقتل ابن زياد الذي قتل في الخازر[4]، وبعث برأسه إلى ابن الزبير ، ثم بعثه ابن الزبير إلى ابن الحنفية [5]، ولقد أدى المختار مهمته وصدق إذ قال : حين قدم إلى العراق أنه " إذا أدرك بثأر النبيين وشفى صدور المؤمنين لم يحفل بالموت إذا أتى، فهو بعد أن شفى صدور الشيعة وغيرهم، لم يحفل حقاً بالموت ومات بطلاً شجاعاً، وكان مصرعه في الرابع عشر من رمضان سنة ٦٧هـ/٦٨٦م، وهو ابن سبع وستين سنة[6].

---

(1) – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ١٠٥.

(2) – المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٨٦.

(3) – الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٣٠٨ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ١٠٧؛ Dixon, The Umayyad, pp 73 -74

(4) – الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٩٥ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٨٥.

الخازر: نهر بين إربل والموصل، ثم بين الزاب الأعلى والموصل وعليه كورة يقال لها نخلا .

الحموي ــ معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٨٦.

(5) – البلاذري، أنساب الأشراف ، ج ٦، ص ٤٤٩.

(6) – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ١١٦.

ثانياً : الخوارج وموقف ابن الزبير منهم:

الخوارج: جمع خارجة وهم الذين نزعوا أيديهم عن طاعة ذي السلطان من أئمة المسلمين، بدعوى ضلالته، وعدم انتصاره للحق، ولهم في ذلك مـــذاهب وآراء فاســـدة تبعوها[1].

وفي الاصطلاح:

كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه يسمى (خارجياً)، سواء كـــان الخروج على الأئمة الراشدين ﷺ أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان[2] .

وكان بداية ظهورهم في زمن علي بن أبي طالب ﷺ -كما ذكر سابقاً- إذ كان قبوله التحكيم في صفين سبباً في ظهورهم، فظهر جماعة من جند علي ﷺ ينكـــرون أن يحكم أحد في كتاب الله، ورأوا أن قبول التحكيم يعدُّ منه كفراً وضلالاً، لأن التحكـــيم يتضمن شك كل من الطرفين المتحاربين في أيهما المحق، ولا محل لهذا الشك، فقد حاربوا وهم مقتنعون بأن الحق في جانبهم، ولذا رأوا من الواجب متابعة القتال حـــتى يتحقـــق النصر لأحد الفريقين على الأخر[3].

وقد حاربهم علي ﷺ في النهروان، وأنزل بهم هزيمة منكرة[4]، ثم انتهى أمره ﷺ على يد أحد الخوارج وهو عبد الرحمن بن ملجم سنة ٤٠هـــ/٦٦٠م[5].

---

(1) – ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ٥١٨.

(2) –عواجي، الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها، ص ٢١ ؛ أحمد رمضان أحمد، الخلافة والحضارة الإسلامية،د.ط، (جدة : دار البيان العربي)، ص ١١٩.

(3) – علي حسن الخربوطلي، تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي الـــسياسي، اجتماعي،اقـــصادي، د.ط ، (القـــاهرة: دار المعـــارف، ١٩٥٩م)، ص ص ٥٢-٥٣ ؛ أمين، فجر الإسلام، ص ٢٥٦ ؛ محمود اسماعيل عبد الرزاق، الخوارج وقضية التحكيم، المجلـــة التاريخيـــة المصرية، المجلد العشرون، (القاهرة : الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ١٩٧٣م)، ص ٥٨.

(4) – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٣٤٦.

يذكر الخربوطلي: أن الخوارج وقفوا في بداية الأمر من عليّ ﷺ موقفاً سلبياً، فبدأوا يضايقونه عـــى أن يحمله هذا الضيق على تغير رأيـــه فيعود إلى قتال معاوية، فكانوا ينادون ويصيحون في وجهه أينما رأوه صيحتهم الخالدة " لا حكم الا لله "، وكان عليّ لا يقف ليخطب على منبر الكوفة الا وصاحوا فيه بهذا النداء، فكان يقول لهم : " كلمة حق أريد بها باطل، علينا ثلاث : لا نمنعكم مـــساجد الله أن تذكروا فيهـــا اسم الله، ولا نبدءكم بقتال، ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم معنا"، إلا أن مضايقاتهم لم تثمر مع علي كرم الله وجهه فرأوا التحـــول إلى سياسة أخرى وهي الحرب.

تاريخ العراق، ص ٥٥.

(5) – ابن عبد ربه، العقد الفريـــد، ج ٤، ص ١٣٣٥ Elie Adib Salem , Political Thery And Institutions of the Khawarij , The Johns Hopkins press, Baltimore, 1956, pp.15 -20.

ثم كان عهد معاوية ﷺ فخرج عليه الخوارج مرة أخرى، لأنه أخذ الخلافة قهراً، فحرض معاوية أهل الكوفة عليهم، فاضطرهم إلى الخروج منها[1] .

ثم في عهد يزيد بن معاوية، كان أول خروجهم في أربعين رجلاً، وفيهم من عظمائهم : نافع بن الأزرق[2]، وعطية بن الأسود، وعبد الله بن حبار، وعبد الله بن إباض، وحنظلة بن بهيمس، وعبد الله بن ماحوز[3] .

وسأشير هنا إلى طائفة من الخوارج وهم الأزارقة؛ لأنه كان بين ابن الزبير ﷺ وبينهم معركة وهم الخوارج الأزارقة، أتباع نافع بن الأزرق[4]، أكثر طوائف الخوارج عدداً ظهروا في العراق، ثم ارتحلوا عنها إلى الأهواز[5]،واتخذوها دار هجرة، وقد التقى أربعون رجلاً منهم بألفي رجل من جنود عبيد الله بن زياد في موقعة آسك[6] بالأهواز، فانتصرت الفئة القليلة على الكثيرة، وقيل في ذلك:

أألفا مؤمن منكم زعمتم ويقتلهم بآسك أربعونا ؟

---

(1) – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ص ٤٠٩ – ٤١٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ص ١٨ – ١٩.
مما يذكر: أن معاوية كان أبغض إلى الخوارج من عليّ ﷺ، لما كانوا يعتقدونه فيه من العبث بأموال المسلمين، ولاتخاذه القصور والحرس والحجاب، وما إلى ذلك من مظاهر الملك التي اتخذها عن البلاط البيزنطي .
محمد الطيب النجار، الدولة الأموية في الشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء، الطبعة الثالثة، (القاهرة : دار الإعتصام، ١٣٩٧م)، ص ٥٩.

(2) – نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي البكري الوائلي الحروري، كان أمير قومه وفقيههم، من أهل البصرة، قتله المهلب بن أبي صفرة يوم دولاب على مقربة من الأهواز، سنة (٦٥هـ/٦٨٤م).
الزركلي، الأعلام، ج ٧، ص ص ٣٥١ – ٣٥٢ ؛ عبد الرحمن الفريح، العرب في خراسان وبلاد ما وراء النهر في العصر الأموي، مجلة الدرعية،السنة الثانية، العدد الخامس، (الرياض : محرم، ١٤٢٠هـ = مايو ١٩٩٩م)، ص ١٧٣.
قام مذهب الأزارقة على تكفير عثمان وعلي رضي الله عنهما، وتكفير سائر المسلمين ممن ليسوا على مذهبهم، وتكفير القعدة عن القتال مع قدرتهم عليه ولو كانوا على مذهبهم، وإباحة قتل أطفال ونساء مخالفيهم، كذلك يرون أن التقية غير جائزة في قول ولا عمل، وكذا تكفير مرتكب الكبيرة.
محمد أمين صالح، العرب والإسلام من البعثة النبوية حتى نهاية الخلافة الأموية،د.ط ، (القاهرة : مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٤م)، ص ٣٥٣.

(3) – الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٦٩ .

(4) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ١٤٣؛ Salim , Political Theory . p.21.

(5) – الأهواز: الأهواز اسم لكورة خوزستان بأسرها، أما البلد الذي كان يغلب عليه هذا الاسم عند العامة فإنما هو سوق الأهواز .
الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣٣٨.

(6) – الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٦٩ .
آسك : بلد من نواحي الأهواز، قرب أرجان، بين أرجان ورامهرمز، بينها وبين أرجان يومان، وبينها وبين الدورق يومان، وهي بلدة ذات نخيل ومياه .
الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٧٢.

كذبتم ليس ذاك كما زعمتم ولكن الخوارج مؤمنونـــا
هم الفئة القليلة لـــو علمتـــم على الفئة الكثيرة ينصرونا[1]

وكثر عددهم، وعندما سمعوا بدعوة ابن الزبير ﷺ في الحجاز، أرادوا أن يلوذوا به ويتحالفوا معه للتخلص من عدوهم المشترك يزيد بن معاوية الذي كان يوجـــه الجيـــوش لحربهم [2]، فدعاهم زعيمهم،نافع بن الأزرق إلى اللحاق بابن الزبير بمكة، وقال لهـــم: " إن الله قد أنزل عليكم الكتاب وفرض عليكم فيه الجهاد واحتج عليكم بالبيان، وقد جرد أهل الظلم فيكم السيوف وأولو العدى والغشم،وهذا من قد ثار بمكة،فأخرجوا بنا نأت البيـت ونلق هذا الرجل،فإن يكن على رأينا جاهدنا معه العدو،إن يكن على غيرنا دافعنا عن البيت ما استطعنا،ونظرنا بعد ذلك في أمورنا"[3].

فسار الخوارج حتى لحقوا بابن الزبير بمكة للدفاع عنها حين حاصرها الحصين بـن نمير قائد جيش يزيد ابن معاوية، وقبل ابن الزبير مساعدتهم له ووقوفهم بجانبه كما ذُكـر سابقاً، فقاتلوا معه أهل الشام حتى مات يزيد بن معاوية وأنصرف أهل الشام [4].

فرأى الخوارج أن الوقت قد حان لمعرفة أراء ابن الزبير ، وأن يصارحهم بها ليروا إلى أي حد تتفق مع مبادئهم، وقال بعضهم لبعض: " إن الذي صنعتم أمس لغير رأي تقاتلون مع رجل لا تدرون لعله ليس على مثل رأيكم، وقد كان يقاتلكم هـــو وأبـــوه وينـادي يالثارات عثمان، فأتوه، وأسألوه عن عثمان، فإن برىء منه كان ولـــيكم، وإن أبى كـــان عدوكم"[5].

ثم دار بينهم حوار وجدل حيث أتوا ابن الزبير ، وأخذوا يسألونه عن رأيه، فقالوا له:" أيها الرجل إنا قد قاتلنا معك و لم نفتشك عن رأيك، حتى نعلم أمنـــا أنـــت أم مـــن عدونا،فأخبرنا ما مقالتك في عثمان؟ فلم يجبهم ابن الزبير ﷺ لوجود عـــدد قليـــل مـــن أصحابه حوله،فأرجأ الجواب إلى الليل، حتى يكون في مأمن منهم ويحتـــاط لنفـــسه مـــن غدرهم،فلما انصرف الخوارج من عنده، أرسل إلى أصحابه وطلـــب منـــهم أن يلبـــسوا

---

(1) – الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٦٩ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ٤٠١.

(2) – عواجي، الخوارج، ص ١٩٩؛ Vadja,G,Azarika, Encyclopedia of Islam, 2nded.vol.1.p.811.

(3) – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٤١٦؛ عواجي، الخوارج، ص ١٩٩.

(4) – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٢٤.

(5) – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٦٥ ؛ ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج ٢، ص ٦٦؛ الخربوطلي، تاريخ العراق، ص ١٩٦.

السلاح، وأن يحضروا بأجمعهم في العشية، وجاءت الخوارج فوجدوا ابن الزبير حوله أصحابه بسلاحهم، وقامت جماعة منهم عظيمة على رأسه في أيديهم الأعمدة، حينئذ علم الخوارج أن ابن الزبير على غير رأيهم، وأنه لم يجبهم على سؤالهم، فتقدم نافع بن الأزرق إلى أصحابه، وقال لهم : خشي الرجل غائلتكم، وقد أزمع بخلافكم واستعد لكم[1].

وقام زعيم من الخوارج فقال : أما بعد فإن الله بعث محمداً ﷺ، يدعو إلى عبادة الله فدعا إلى ذلك، فأجابه المسلمون، فعمل فيهم بكتاب الله وأمره حتى قبضه الله إليه، واستخلف الناس أبا بكر، واستخلف أبو بكر عمر، فكلاهما عمل بالكتاب وسنة رسول الله، فالحمد لله رب العالمين، ثم إن الناس استخلفوا عثمان بن عفان، فحمى احماء وآثر القربى وأوى طريد الرسول ﷺ، وضرب السابقين بالفضل، وسيرهم وحرمهم، ثم أخذ فيء الله الذي أفاء الله عليه فقسمه بين فساق قريش ومجان العرب، فسارت إليه طائفة من المسلمين أخذ الله ميثاقهم على طاعته، لا يبالون في الله لومة لائم، فقتلوه فنحن لهم أولياء، ومن ابن عفان وأوليائه براء فما تقول أنت يا ابن الزبير[2] ؟

فقال ابن الزبير ﷺ بعد أن حمد الله وأثنى عليه : " أما بعد فقد فهمت الذي ذكرت به النبي ﷺ فهم كما قلت ﷺ وفوق ما وصفته، وفهمت ما ذكرت به أبا بكر وعمر وقد وُفِقت وأصَبت وفهمت الذي ذكرت به عثمان، وإني لا أعلم مكان أحد من خلق الله اليوم أعلم بابن عفان وأمره منِّي، كنت معه حيث نَقِمَ الناس عليه، واستعتبوه، فلم يدع شيئاً إلا اعتبهم، ثم رجعوا إليه بكتاب له يزعمون أنه كتبه، يأمر فيه بقتلهم، فقال لهم : ما كتبته فإن شئتم فهاتوا بينتكم، فإن لم تكن، حلفت لكم، فوالله ما جاؤه ببينة، و استخلفوه ووثبوا عليه فقتلوه، وقد سمعت ما عينه به فليس كذلك، بل هو لكل خير أهل، وأنا أشهدتكم ومن حضر أني ولي لابن عفان في الدنيا والآخرة، وولي أوليائه، وعدو أعدائه، قالوا : " نبرىء الله منك يا عدو الله، قال : فبرىء الله منكم يا أعداء الله[3].

---

[1] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٦٥ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٦٦ ؛ ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج ٢، ص ٦٦.

[2] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٦٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٦٦.

[3] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٦٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٦٧ ؛ ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج ٢، ص ٦٧.

فلما سمعوا منه ذلك تركوه ورحلوا إلى العراق، حيث أصبحوا شوكة في جنب الدعوة الزبيرية التي بدأت تنتشر في هذا الأقليم [١]، فذهب فريق منهم إلى البصرة وعلى رأسهم نافع بن الأزرق وعبد الله بن الصفار السعدي، وعبد الله بن إياض، وحنظلة بن بيهس، وبنو الماحوز السليطي، وكلهم من بني تميم، وفريق آخر ذهب إلى اليمامة [٢]، وعلى رأسهم أبو طالوت من بني بكر بن وائل وأبو فديك عبد الله بن ثور بن قيس بن ثعلبة وعطية بن الأسود البشكري فوثبوا باليمامة على أبي طالوت، ثم أجمعوا بعد ذلك على نجدة ابن عامر وتركوا أبا طالوت[٣] لأن نجدة أظهر سخاء وكرما لم يعهد في أبو طالوت، حيث كان يقسم بينهم الغنائم ويسعى في خيرهم، فأحبه أهل اليمامة وبايعوه وتركوا أبا طالوت[٤].

وفيما يخص الفريق الأول الذين رحلوا مع نافع إلى البصرة اجتمع نافع بأصحابه وأخذوا يتذاكرون الجهاد ثم خرجوا سنة ٦٤هـ/٦٨٣م ، بعد موت يزيد وكسروا باب السجن، وأخرجوا من فيه من الخوارج الذين حبسهم عبيد الله بن زياد، وأصبحوا قوة تثير الرعب والفزع وصادف ذهابهم البصرة خروج أهلها على ابن زياد وضعف سلطانه، ما شجع كثيرين من أهل البصرة على الانضمام إلى الخوارج[٥]، وعندما حاول ابن زياد أن يأخذ البيعة لنفسه بالإمارة من أهل البصرة فإن الخوارج أفسدوا عليه البيعة [٦]، فلاذ بالفرار ناجياً بحياته[٧]، وقوي مركز نافع واجتمع حوله الكثير من الخوارج،

---

[١] – الخربوطلي، تاريخ العراق، ص ١٩٦.

[٢] – اليمامة : كان اسمها قديماً جوّا فسميت اليمامة باليمامة بنت سهم بن طسم،، وبين اليمامة والبحرين عشرة أيام، وهي معدودة من نجد، وقاعدتها حجر، وكانت من أحسن بلاد الله أرضاً، وأكثرها شجراً وخيراً ونخلاً.
الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٥٠٦.

[٣] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٦٧.

[٤] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٦٦.

[٥] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٦٧ ؛ قحطان عبد الستار الحديثي، حركات الخوارج في خراسان في القرنين الثاني والثالث الهجري، مجلة كلية الآداب، العدد ٦ السنة الخامسة، (البصرة : ١٣٩٢م)، ص ١٣٩.

[٦] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ١٤٤.

[٧] – الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٧١.

وصاروا أكثر من عشرين ألفاً وبدأوا بالسيطرة على الأهواز وفارس[1] وكرمان[2]، وبدأوا يشنون هجمات خاطفة على البصرة، بعد أن دانت لابن الزبير ، ما أثار الرعب عند البصريين، فاجتمعت كلمتهم على مسلم بن عبيس بن كريز بن ربيعة لقيادتهم في قتال الخوارج الأزارقة [3]، فحشد ابن عبيس جيشاً كبيراً بلغ حوالي عشر ألفاً وخرج للقاء ابن الأزرق، فأقتتلوا عند دولاب[4]، ثم دارت معركة شديدة قُتل فيها كل من نافع بن الأزرق، ومسلم بن عبيس[5]، إلا أن المعركة لم تنته، واستمر الطرفان في تعبئة أنفسهم، وعينوا قادة آخرين عليهم، ثم دارت معركة أخرى وقُتل قائد الفريقين عبد الله بن الماحوز و الحجاج بن باب الحميري[6]،ثم تولى البصريون ربيعة الأجذم، وتولى قيادة الأزارقة عبيد الله بن الماحوز[7]، واستمر القتال وانتصر الأزارقة فيها، وعاد البصريون إلى البصرة[8].

أراد ابن الزبير ﷺ أن يدخل الطمأنينة في قلوب أهل البصرة فعزل عامله عليها عبد الله بن الحارث، وعين بدلاً منه الحارث ابن أبي ربيعة، والياً على البصرة، وأمره بصد الخوارج عنها[9].

وبدأ الخوارج يقتربون من البصرة، فقدِم أهل البصرة على الأحنف بن قيس يستنجدون به ويطلبون مساعدته فلبى نداءهم[10]، فطلب من ابن ربيعة أن يكتب إلى ابن

---

[1] – فارس : ولاية واسعة وإقليم فسيح، أول حدودها من جهة العراق أرجان، ومن جهة كرمان السيرجان، ومن جهة ساحل بحر الهند سيراف، ومن جهة السند مكران.
الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٥٦.

[2] كرمان : ولاية مشهورة، وناحية كبيرة معمورة، ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان، فشرقيها مكران ومفازة مابين مكران والبحر من وراء البلوص، وغربيها أرض فارس، وشماليها مفازة خراسان، وجنوبيها بحر فارس.
الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص٥١٥.

[3] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ١٤٨.

[4] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٩٤.
دولاب : قرية تقع شرقي بغداد بينها وبين الأهواز أربعة فراسخ .
الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ص ٥٥١/ ٥٥٢.

[5] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٩٤.

[6] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ١٤٩ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٩٥.

[7] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٦١٤.

[8] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٩٥ ؛ إبراهيم بيضون، ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، (لبنان : دار النهضة العربية، ١٩٧٩م)، ص ٢٣٤.

[9] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٩٥.

[10] – اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٦٤ .

الزبير أن يبعث إلى المهلب بن أبي صفرة واليه بخراسان للقدوم إلى البصرة للدفاع عنها، لما يعرفونه عنه من إقدام وخبرة بالحرب، وأجاب ابن الزبير رغبتهم وكتب إلى المهلب كتاباً يأمره بتحقيق مطالب أهل البصرة [1]،فقبل المهلب مطالبهم بشروط:

- أن كل ما يغلب عليه من البلاد فهو له .
- أن يأخذ من بيت المال ما يكفي لتجهيز الجند الذين يختارهم للقتال معه.
- أن يختار من وجوه الناس والفرسان وذوي الشرف من يحب.

فأجابه أهل البصرة إلى هذه الشروط[2]،ويظهر من موافقتهم وتعاونهم معه على مقدار الخطر الذي كانوا معرضين له ومقدار الخوف الذي استولى على أنفسهم[3]، وخرج المهلب في عشرين ألفاً، بعد أن اختار من اشتهر بالشجاعة والنجدة وكانوا من أشراف أهل البصرة، وحارب الخوارج، وكان قتالاً شديداً حتى أنهزموا وفروا ووصلوا إلى مكان في الأهواز يعرف بسلى وسلبرى [4]، ثم نزل المهلب قريباً منهم واشتبك الفريقان في حرب شديدة وهزمهم في موقعة سلى وسلبرى سنة ٦٦هـ/٦٨٥م، وقُتل قائد الخوارج عبد الله بن الماحوز، وابتعدوا عن فارس إلى جهة كرمان وأصبهان[5] سنة ٦٦هـ/٦٨٥م[6].

وبعد هذا النصر الذي أحرزه المهلب أرسل إلى الحارث بن أبي ربيعة يخبره فيه بالنصر والظفر، فأرسل الحارث إلى الخليفة ابن الزبير يخبره بالنصر[7].

واستمر المهلب في مطاردة الخوارج حتى ولي مصعب ابن الزبير أميراً على البصرة سنة ٦٧هـ/٦٨٦م، من قبل أخيه عبد الله بن الزبير ، وظل المهلب يحاربهم مدة ولاية

---

(١) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ١٥٨ ؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٧١ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٩٦.

(٢) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ١٥٨ ؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٧١ ؛ اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٦٥ .

(٣) – ثابت اسماعيل الراوي، العراق في العصر الأموي من الناحية السياسية والادارية والإجتماعية، الطبعة الثانية، (بغداد : مكتبة الأندلس، ١٩٧٠م)، ص ٢٣٣.

(٤) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ١٦٠ ؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٧٣ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٩٨.

سلى وسلبرى : جبل بمناذر من أعمال الأهواز .

الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٦٢.

(٥) – أصبهان : مدينة عظيمة، مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، وأصبهان اسم للإقليم بأسره، وكانت مدينة أصبهان بالموضع المعروف بجيّ ويعرف بشهرستان، ولم يكن لفارس أقوى من كورتين كسكر وأصبهان، وكانت مساحتها ثمانين فرسخاً .

الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ص ٢٤٥– ٢٤٦.

(٦) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ١٦٠ ؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٧٥ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٤٨٣ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ص ١٨٩– ١٩٩.

(٧) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ١٦١ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٢٠٠.

مصعب ولما عزل مصعب سنة ٦٧هـ/٦٨٦م، وتولي حمزة بن عبد الله بن الزبير، ظل المهلب أيضاً يحارب الخوارج[١].

ثم لما تولى مصعب بن الزبير للمرة الثانية سنة ٦٨هـ/٦٨٧م على العراق، عزل المهلب عن حرب الخوارج، وولاه الجزيرة حتى يكون بينه وبين عبد الملك بن مروان، وولى مصعب عمر بن عبيد الله بن معمر على قتال الخوارج الذي سار إليهم، وعندما علم الخوارج بقدومه، قال قطري بن الفجاءة المازني : قد جاءكم شجاع وبطل وجاء يقاتل لدينه وملكه بطبيعة لم أر مثلها لأحد، ما حضر حرباً إلا كان أول فارس يقتل قرنه[٢].

أمَّر الخوارج عليهم الزبير بن الماحوز ابن زعيمهم المقتول، فاشتد عليهم ابن معمر، وأوقع بهم هزيمة منكرة في اصطخر[٣]، وقتل منهم كثيرين، واستشهد ابنه عبد الله في قتال الخوارج، فسارعوا إلى سابور[٤]، فتبعهم عمر فهربوا إلى أصبهان، وكان الخوارج يحتالون بأمور تخفى على ابن معمر و لم يكن يقظاً مثل المهلب، فرأى مصعب أن عمر لا يقوى على قتال الخوارج، فخرج بنفسه للقائهم، واستعد لحربهم، وعسكر الناس معه، ولما علم الخوارج بخروج مصعب توجهوا إلى المدائن يعيثون في الأرض فساداً يقتلون الرجال والنساء ويشقون أجواف الحوامل[٥].

وانتشرت الخوارج في المدائن والكرخ[٦] وأقبلوا إلى ساباط[٧]، ووضعوا السيف في الناس يقتلون، فرأى الحارث بن أبي ربيعة عامل مصعب بن الزبير أن يحد من فظائعهم، فأرسل إليهم قائده إبراهيم ابن الأشتر، فهزم الخوارج وقتل زعيمهم الزبير بن

---

[١] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ص ٢٨١–٢٨٢.

[٢] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٢٨٢ ؛ اسحق محمد رباح مصطفى، أسرة آل المهلب إلى نهاية القرن الأول الهجري، رسالة ماجستير، (القاهرة : جامعة الأزهر، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م)، ص ٣٥.

[٣] – اصطخر : بلدة بفارس، من أعيان حصون فارس ومدنها وكورها، وبين اصطخر وشيراز اثنا عشر فرسخاً.
الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ص ٢٤٩–٢٥٠.

[٤] – سابور: من سابور إلى شيراز خمسة وعشرون فرسخاً، وهي كورة مشهورة بأرض فارس، ومدينتها النوبندجان، وقيل شهرستان .
الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ص ١٨٨– ١٨٩.

[٥] –البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ١٦٨ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٢٨٣.

[٦] الكرخ : بالفتح ثم السكون، وخاء معجمة، وهي كلمة معجمة وليست عربية، وإنما هي نبطية، موضع بالعراق.
الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٥٠٧.

[٧] – ساباط : بالمدائن موضع معروف، وسمي بساباط بن باطا، كان ينزله فسمي به.
الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٨٧.

الماحوز، فخلفه قطري بن الفجاءة سنة ٧١هـ/ ٦٩٠م[١]، الذي رأى أن يرتحل غرباً إلى الأهواز حتى يستطيع أن يجمع شمله، وقد أمَّرهم الخوارج عليهم، إلا أن الحارث بن أبي ربيعة شعر بقوة الخوارج، ورأى أنه لايقوى عليهم في المستقبل، فبعث إلى مصعب بن الزبير يخبره أنه لا يقوى على قتال الخوارج سوى المهلب بن أبي صفرة، الذي خَبِرهُم وعرف أساليبهم في القتال، فأمر مصعب المهلب بالمسير لقتال الخوارج فالتقى بهم عند سولاف [٢]، إذ حاربهم ثمانية شهور نجح في نهايتها من هزيمتهم، ولم يزل المهلب يسير في طلبهم من بلد إلى بلد يقاتلهم إلى أن قُتل عبد الله بن الزبير ﷺ[٣].

هذا فيما يخص الخوارج الذين خرجوا إلى البصرة، أما الفريق الثاني الذين ذهبوا إلى اليمامة وكان قائدهم أبو طالوت وأبو فديك وعطية بن الأسود الحنفي، كان نجدة بن عامر مع فريق البصرة بقيادة نافع بن الأزرق، إلا أن نافعا لما أعلن عقيدته لم يوافقه عليها نجدة وتركه، وذهب إلى اليمامة وأظهر سخاءً وكرماً لم يعهد في أبو طالوت -كما سبق ذكره - فقد كان يقسم بينهم الغنائم ويسعى في خيرهم، فأحبه أهل اليمامة وبايعوه وخلعوا أبا طالوت سنة ٦٦هـ/٦٨٥م [٤]، ولكنه لم يتخذ لقب أمير المؤمنين، وكان نجدة يومئذ ابن ثلاثين سنة، وكان اشترط على من بايعوه أنهم إذا وجدوا لهم خيراً منه فليبايعوه ويبايع معهم[٥].

وكثر أتباع نجدة حتى بلغ عددهم ثلاثة آلاف، فساروا إلى البحرين سنة ٦٧هـ/٦٨٦م[٦]، وكان فيها الأزد وعبد القيس، فاختار الأزد نجدة وانضموا إليه، أما بقية أهل البحرين ومعهم عبد القيس فناصبوه العداء، واشتبك معهم في حرب، فكانت

---

[١] - البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ١٧٢ ؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٧٥.

[٢] - سولاف : قرية في غربي دجيل من أرض خوزستان قرب مناذر الكبرى .
الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٢٤.

[٣] - البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ١٧٢ ؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٧٥، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ص ٢٨٥- ٢٨٦.

[٤] - البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ١٧٣ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٢٠١.

[٥] - البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ١٧٤.

[٦] - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٢٠٢.

الهزيمة على عبد القيس ومن معها، وقتل منهم كثيراً وسبى نجدة من قدر عليه من أهل القطيف، واستولى على البحرين وأقام بها [1].

وعندما كان مصعب والياً على البصرة من قبل أخيه عبد الله بن الزبير ، ورأى ما يفعله نجدة في اليمامة والبحرين، وخاصة وأن نجدة أخذ عيراً كانت آتية من البحرين لابن الزبير، فوجه إليه مصعب جيشاً عدته أربعة عشر ألفاً، بقيادة عبد الله بن عمر الليثي سنة ٦٩هـ/٦٨٨م، فالتقى جيش مصعب بنجدة من جهة القطيف، ولم يكن عبد الله من دهاة العرب، فغشيهم نجدة فأوقع فيهم القتل والجرح، حتى لم يبق عليهم، وغنم ما في عسكرهم، وانهزم عبد الله بن عمر الليثي، فكثر أتباع نجدة بعد انتصاره على جيش مصعب [2].

وحج نجدة بن عامر بأصحابه سنة ٦٨هـ/٦٨٧م، وقيل سنة ٦٩هـ/٦٨٨م، وكان له لواء للحج، وظن الناس أنه سيبايع لابن الزبير ، لكنه لم يبايع، وصالح ابن الزبير على أن يصلي كل واحد بأصحابه، ويكف بعضهم عن بعض [3].

ثم خرج نجدة إلى الطائف [4]، فأتاه عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي فبايعه عن قومه، فلما قدم الحجاج بن يوسف الثقفي [5] الطائف بجيشه لمحاربة ابن الزبير كان نجدة قد مد سيطرته على الطائف وتبالة [5] والسراة وما يلي نجران، ورجع نجدة إلى البحرين، وقد بلغت به الجرأة أن قطع الميرة عن مكة، مما كان سبباً في مجاعتها، فكتب إليه ابن عباس :" إن ثمامة بت أثال لما أسلم قطع الميرة عن أهل مكة وهم مشركون، فكتب إليه رسول الله

---

[1] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٢٠٢.

[2] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ١٧٨ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ص ٢٠١– ٢٠٢.

[3] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ١٨١.

[4] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ١٨١.

[5] - الحجاج بن يوسف: الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، قائد، داهية، سفاك، خطيب، ولد في الطائف سنة (٤٠هـ= ٦٦٠م) ونشأ فيها وانتقل إلى الشام، قلده عبد الملك أمر عسكره، وأمره بقتال ابن الزبير فزحف إلى الحجاز وقتل ابن الزبير، فولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف، ثم أضاف إليها العراق، وثبتت له الإمارة عشرين سنة، وبنى مدينة واسط، ومات بها سنة (٩٥هـ = ٧١٤م).
الزركلي، الأعلام، ج ٢، ص ١٦٨.

[5] – تبالة : بلدة مشهورة من أرض تهامة في طريق اليمن، وبينها وبين مكة اثنان وخمسون فرسخاً، نحو مسيرة ثمانية أيام، وبينها وبين الطائف ستة أيام، وبينها وبين بيشة يوم واحد.
الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١١.

ﷺ : أن أهل مكة أهل الله فلا تمنعهم الميرة فجعلها لهم، وإنك قطعت الميرة عنا ونحن مسلمون، فجعلها نجدة لهم[1].

إلا انه لم يدم لنجدة الأمر، فقد انشق عليه أتباعه لأمور نقموها منها:

- أن عبد الملك بن مروان دعاه إلى طاعته على أن يوليه اليمامة وما حولها، وأن يهدر له ما أصاب من أموال ودماء، فشكّ الخوارج في أمر نجدة، وقالوا : لو لم يعلم عبد الملك منه ما دهانا في الدين لما كاتبه، وفارقوه برئاسة عطية بن الأسود الحنفي إلى عمان ومنها إلى كرمان[2].

- أن نجدة بن عامر أرسل سريتين في البر والبحر، فأعطى سرية البحر أكثر من سرية البر، ففرق في العطاء بينهم، فانحازوا إلى زعيم غيره اسمه أبو فديك عبد الله بن ثور الخارجي، وتربصوا لنجدة وقتلوه سنة ٧٢هـ/٦٩١م، وهو يهم بالسير إلى عبد الملك بن مروان[3].

وكان قتل نجدة سبباً في تفرق كلمة الخوارج النجدية، فثار مسلم بن جبير من الخوارج على أبي فديك لقتله نجدة، ولكن أبا فديك قتله، وبقي أبو فديك رئيساً للخوارج حتى انتهى أمرهم في عهد عبد الملك بن مروان[4].

هكذا كان موقف الخوارج من عبد الله بن الزبير فبعد أن كانوا معه وناصروه ضد الدولة الأموية، ثاروا عليه وانقلبوا ضده بعد معرفة رأيه في سيدنا عثمان بن عفان ﷺ، فتفرقوا في البلاد يعيثون فيها فساداً وتخريباً، وقد أجهد الخوارج ابن الزبير في ملاحقتهم وقتالهم ما كان سبباً من الأسباب في ضعف ابن الزبير ﷺ فيما بعد، وبالتالي سقوطه وعدم استمرار خلافته، وترى الباحثة ابن الزبير ﷺ كان على صواب في مصارحته للخوارج بآرائه، لأنه لو لم يصارحهم، واستمرت الخوارج معه لانتشرت معتقداتهم الفاسدة بين صفوف جند ابن الزبير ﷺ وربما ثار عليه جنده فيما بعد .

---

[1] - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٢٠٤ ؛ ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج ٢، ص ٨٥.

[2] - البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ١٨٤، عواجي، الخوارج، ص ٢٠٤.

[3] - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٢٠٥ ؛ عواجي، الخوارج، ص ٢٠٤.

[4] - البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ٤٦٣.

الفصل الرابع

(نهاية خلافة عبد الله بن الزبير ﷺ)

١. تولي عبد الملك بن مروان الخلافة والحرب بينه وبين عبد الله بن الزبير ﷺ.

٢. أسباب هزيمة ابن الزبير ﷺ.

٣. الأعمال الإصلاحية والإدارية التي قام بها عبد الله بن الزبير ﷺ فترة خلافته.

١. تولي عبد الملك بن مروان الخلافة والحرب بينه وبين عبد الله بن الزبير ﷺ:

لم يف مروان بن الحكم بما تم الاتفاق عليه في مؤتمر الجابية بأن تكون الخلافة من بعده لعمرو بن سعيد ثم لخالد بن يزيد، وجعل ولاية العهد من بعده لولديه على التعاقب عبد الملك ثم عبد العزيز[١].

فتولى عبد الملك بن مروان الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٦٥هـ/٦٨٤م[٢]، ولم تكن الظروف التي تولى فيها الخلافة أكثر أمناً من الظروف التي لابست بيعة أبيه، فلقد ترك له والده تركة مثقلة بالمتاعب والمصاعب وخلف له دولة تموج بالفتن، فابن الزبير ﷺ أعلن نفسه خليفة في الحجاز، والمختار بن أبي عبيد الثقفي يقود جيشاً يبطش بـه، والشيعة ثائرون والخوارج متمردون، وكان على عبد الملك بن مروان أن يقضي على هذا التمرد وأن يرد البلاد كلها إلى الطاعة، وهذا يحتاج إلى شجاعة ورأي، وعبد الملك امتاز برجاحة العقل والقدرة على تصريف الأمور، وكان جباراً على معانديه، قوي الهيبة، فاستطاع أن يدبر الأمور ويوجهها لصالحه حتى استقامت له[٣]، يقول المسعودي :" إن عبد الملك بن مروان سار في جيوش أهل الشام فنزل بطنان ينتظر ما يكون من أمر ابن زياد، فأتاه خبر مقتله ومقتل من كان معه وهزيمة الجيوش بالليل، وأتاه في تلك الليلة مقتل حبيش بن دلجة، وكان قائد الجيش بالمدينة لحرب ابن الزبير ، ثم جاؤه خبر دخول نائل بن قيس فلسطين من قبل ابن الزبير وسير مصعب بن الزبير من المدينة إلى فلسطين، ثم جاءه مسير ملك الروم لاوي بن فلنط ونزوله المصيصة يريد الشام ثم جاءه خبر دمشق وأن عبيدها وأوباشها ودعارها قد خرجوا على أهلها ونزلوا الجبل، ثم أتاه أن من في السجن بدمشق فتحوا السجن وخرجوا منه مكابرة، وأن خيل الأعراب أغارت على حمص وبعلبك والبقاع [٤]، وغير ذلك مما نمى إليه من المفظعات في تلك الليلة، فلم ير عبد الملك في ليلة قبلها أشد ضحكاً ولا أحسن وجهاً ولا أبسط لساناً ولا أثبت جناناً

---

[١] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٦١٠؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٧٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص١٩١.

[٢] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٦١٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص١٩١.

[٣] – الزركلي، الأعلام، ج٤،ص١٦٥.

[٤] – البقاع: موضع يقال له بقاع كلب، قريب من دمشق، وهو أرض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق، فيها قرى كثيرة ومياه غزيرة. الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ص ٥٥٦–٥٥٧.

منه تلك الليلة تجلداً، وترك إظهار الفشل وبعث بأموال وهدايا إلى ملك الروم فشغله وهادنه[1]،وسار إلى فلسطين وبها نائل بن قيس على جيش ابن الزبير فالتقوا بأجنادين[2] فقتل نائل بن قيس وعامة أصحابه وأنهزم الباقون، ونمى خبر قتله وهزيمة الجيش إلى مصعب بن الزبير وهو في الطريق فولى راجعاً إلى المدينة"[3].

ومن أهم العقبات التي واجهت عبد الملك بن مروان وهو يستعد لحرب ابن الزبير ، ثورة عمرو بن سعيد بن العاص الذي كان مُبايعاً بالخلافة بعد مروان، وقد كان لمبايعة مروان بن الحكم لولديه من بعده بالحكم الأثر السيء في نفس عمرو بن سعيد، إذ ولد الحقد والمرارة في قلبه فامتنع عن البيعة لعبد الملك، وصار أهل الشام فرقتين ؛ فرقة مع عبد الملك، وفرقة مع عمرو بن سعيد، إذ كان له أتباع كثيرون يفضلونه للخلافة، وأخذ النزاع يشتد بينهما، فرأى عقلاء بني أمية أن يقضوا على هذا النزاع، واتفقوا على إشراك عمرو بن سعيد في إدارة شؤون الدولة، على أن تكون الخلافة له بعد عبد الملك بن مروان[4].

وانتهز عمرو بن سعيد فرصة خروج عبد الملك بن مروان لقتال مصعب بن الزبير بالعراق سنة ٦٩هـ/٦٨٨م ، وأعلن الثورة في دمشق انتقاماً من آل مروان، وأخرج عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي منها[5]، وكان خليفة عبد الملك عليها، ودعا الناس إلى بيعته، ولكن عبد الملك عاد مسرعاً إلى دمشق واستطاع استدراج عمرو بن سعيد بحجة أنه لا يجب أن يفسد أمر أهل بيته وابن الزبير موجود، فقبض عليه وقاله له : " والله لو أعلم أنك تبقى عليّ إذا أبقيت عليك لأطلقتك، ولكن ما اجتمع رجلٌ في بلدة

---

[1] – اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص ٢٦٩.

[2] – أجنادين: موضع معروف بالشام من نواحي فلسطين، من الرملة من كورة بيت جبرين.

الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ١٢٩.

[3] – مروج الذهب، ج ٣، ص ص ٨٥–٨٦. مع ملاحظة أن هذه الرواية أنفرد بها المسعودي وحده دون غيره من المؤرخين.

[4] – الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٨٩.

[5] – اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٧٠ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص١٤٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٩٧.
عبد الرحمن بن أم الحكم، أمه أم الحكم التي ينسب اليها بنت أبي سفيان بن حرب، أخت معاوية، وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن الحارث بن مالك بن حطيط بن جشم بن قسي وهو من ثقيف، استعمله خاله معاوية على الكوفة سنة ٥٧هـ ،فأساء السير فيها، ثم عزله معاوية واستعمل النعمان بن بشر،توفي أيام عبد الملك بن مروان.
ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ص٣٣٣–٣٣٤.

قط على ما نحن عليه إلا أخرج أحدهما صاحبه"[1]، ثم غدر به عبد الملك وقتله سنة ٦٩هـ/٦٨٨م [2].

كان عبد الملك بن مروان على علم بحقيقة الأحوال بالعراق وما بها من ثورات تتعارض كل منها مع الأخرى، فترك زعماءها يتطاحنون حتى يضعف أمرهم، وقد كفاه ابن زياد شر التوابين، وكفاه المهلب بن أبي صفرة قائد ابن الزبير أمر الخوارج، وكفاه مصعب بن الزبير خطر المختار، وبقي مصعب وحده على مسرح السياسة بالعراق، فكان على عبد الملك بن مروان أن يعمل على التخلص منه[3].

وبعد أن أطمأن عبد الملك بن مروان إلى سلامة الجبهة الداخلية في دمشق وأمن حدوده الشمالية بالهدنة مع إمبراطور الروم، حزم أمره على التخلص من أعوان ابن الزبير في العراق.

علم ابن الزبير ﷺ أن عبد الملك بن مروان بعد أن تخلص من منافسه سعيد سيعمل على انتزاع العراق من قبضته، فلم يمد يد المساعدة لأخيه مصعب في العراق، وإنما أقدم على عزل أخيه مصعب سنة ٦٧هـ/٦٨٦م ، وتولية ابنه حمزة [4]، الذي لم يكن على شاكلة عمه في الكفاءة والقدرة [5]، وأساء حمزة بن الزبير إلى أنصاره في العراق، وقد حدث أن احتمل حمزة مالاً كثيراً من أموال أهل البصرة، وخرج منها إلى المدينة، وأخذ يبعثر الأموال التي كانت لديه، ما أوغر صدور زعماء أهل البصرة عليه، فطلبوا من ابن الزبير عزل ولده حمزة، وأجابهم إلى ذلك، وأعاد أخاه مصعباً أميراً على العراق بعد أن حكم حمزة قرابة سنة، مال خلالها بعض زعماء العراق إلى بني أمية[6].

بدأ الصراع بين عبد الملك بن مروان ومصعب ابن الزبير، وأخذ كل منهما يستعد لمعركة فاصلة، ورأى عبد الملك أن يعجل بالزحف إلى العراق قبل أن يقتحم

---

[1] – اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص ص ٢٧٠-٢٧١.

[2] – الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٨٩ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٨٩/٩٠ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ص٢٩٩ - ٣٠١.

[3] – الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٣١٠.

[4] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ص٢٧٨ - ٢٧٩.

[5] – اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٦٤.

[6] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص ص١١٧-١١٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٨١.

مصعب الشام فعقد مجلساً في سنة ٧١هـ/٦٩٠م ، من بني أمية وقادتهم، وأشار بعضهم إليه بالبقاء بالشام وترك العراق لابن الزبير ، وأشار الآخرون بعكس ذلك، فصمم عبد الملك بن مروان على الخروج إلى العراق وأن يقود الجيش بنفسه قائلاً: " إنه لايقوم بهذا الأمر إلا قرشي له رأي، ولعلي أبعث من له شجاعة ولا رأي له وإني بصير بالحرب شجاع بالسيف إن احتجت إليه ومصعب شجاع وأبوه أشجع قريش ولكنه لا علم له بالحرب، ومعه من يخالفه ومعي من ينصح لي[1]، وأجمع رأيه على السير[2].

سار عبد الملك بن مروان بالجيش إلى مسكن[3] وجعل على مقدمة جيشه الحجاج بن يوسف وقيل على ساقته، ولما بلغ مصعباً مسيره وهو بالبصرة، أرسل إلى المهلب بن أبي صفرة وهو يقاتل الخوارج بالأهواز يستشيره، فقال المهلب لمصعب: " اعلم أن أهل العراق قد كاتبوا عبد الملك وكاتبهم فلم تبعدني عنك فقال مصعب: إن أهل البصرة قد أبو أن يسيروا حتى أجعلك على قتال الخوارج وهم قد بلغوا سوق الأهواز وأنا أكره إذا سار عبد الملك إلا أن أسير إليه فاكفني أنت هذا الثغر[5]، فعاد المهلب لمحاربة الخوارج وأرسل مصعباً إلى إبراهيم بن الأشتر، وأطلع إبراهيم مصعباً على ما دار من مكاتبات بين أهل العراق وعبد الملك بن مروان وجاء بالكتاب الذي بعثه إليه عبد الملك مختوماً فقرأه مصعب بن الزبير، فإذا هو يدعوه إلى نفسه ويمنيه بولاية العراق فنصح إبراهيم مصعباً قائلاً له: " إنه والله ما كان من أحد بأيأس منه مني ولقد كتب إلى أصحابه كلهم بمثل الذي كتب إلي وطلب إبراهيم من مصعب أن يقتل هؤلاء الذين كاتبوا عبد الملك أو ينفيهم إلى المدائن[6] أو يحبسهم، فرأى مصعب أن هذا يثير عليه

---

[1] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٢٣.

[2] – الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٣١١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص١٥٧.

[3] – مسكن : موضع قريب من أوانا على نهر دجيل عند دير الجاثليق .

الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ١٤٩.

[5] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ص٣٢٣-٣٢٤.

[6] – المدائن : بين أرض الفرات ودجلة، وكان فتحها على يد سعد بن أبي وقاص في صفر سنة ١٦هـ في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

= الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ص ٨٨-٨٩.

عشائرهم، وقال حينئذ: " رحم الله أبا بحر الأحنف بن قيس أن كان ليحذرني غدر أهل العراق [1].

سار مصعب بجيشه حتى أصبح قريباً من معسكر عبد الملك بن مروان بمسكن، ولما تدانى العسكران بدير الجاثليق[2] من مسكن أرسل عبد الملك إلى مصعب رجلاً من كلب، وقال له:" اقرىء ابن أختك السلام وقل له: يدع دعاءه إلى أخيه وادع دعائي إلى نفسي ويجعل الأمر شورى، فقال مصعب: " قل له السيف بيننا، ثم بدأ لقتال والتقى الجيشان[3]، وتقدم إبراهيم الذي كان على مقدمة جيش مصعب بن الزبير فحمل على محمد بن مروان الذي كان على مقدمة جيش عبد الملك، فأزاله عن موقعه، فوجه عبد الملك، عبد الله بن يزيد بن معاوية فقرب من محمد بن مروان، والتقى الفريقان، فقتل مسلم بن عمرو الباهلي، وقتل يحي بن مبشر، وأمد مصعب إبراهيم بعتاب بن ورقاء فساء ذلك إبراهيم، وقال: قد قلت له لا تمدني بعتاب وضربائه، وإنا لله وإنا إليه راجعون، فانهزم عتاب بالناس وكان قد كاتبه عبد الملك بن مروان وبايعه[4]، واستمر ابن الأشتر يقاتل حتى قتله عبيد بن ميسرة مولى بني عذرة، وحمل رأسه إلى عبد الملك، وتقدم أهل الشام فقاتلهم مصعب، وقال: مصعب لقطن بن عبد الملك الحارثي قدم خيلك، فقال: أكره أن تقتل مذحجا في غير شيء، فقال لمحمد بن عبد الرحمن بن أبجر بن أسيد قدم رايتك فلم يتقدم، فقال لمحمد بن عبد الرحمن بن سعد بن قيس مثل ذلك ما أرى أحداً فعل ذلك فافعله، فقال مصعب: يا إبراهيم ولا إبراهيم لي اليوم[5].

ودارت بينهما معركة حامية، وفي أثناء هذه المعركة دارت الدائرة على مصعب نفسه وأدرك أن هزيمته بدت وشيكة بعد أن خذله العراقيون، وتخلى عنه من كان معه من

---

[1] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٩٤؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص١٥٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٢٥؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص ٩١.

[2] – الدينوري، الأخبار الطوال، ص٣١٢ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٩٢.

دير الجاثليق: دير قديم البناء قرب بغداد في غربي دجلة، وهو في رأس الحد بين السواد وأرض تكريت. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٥٧١.

[3] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص١٥٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٢٦.

[4] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٢٦؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص ٩٢.

[5] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص١٥٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٢٦.

مصر واليمن [1]، ولكنه صمد إلى النهاية ضارباً أروع الأمثال للشجاعة، وصمد بجـوار ابنه عيسى، فكان خير مثال لوفاء الابن لأبيه، ويروي الطبري أخبارها، فيقول: " فقـال مصعب لابنه عيسى يابني اركب أنت ومن معك إلى عمك بمكة، فأخبره ما صنع أهـل العراق، ودعني فإني مقتول، فقال ابنه: والله لاخبر قريش عنده أبـداً، ولكـن إذا أردت ذلك فالحق بالبصرة فهم على الجماعة أو الحق بأمير المؤمنين، قال مصعب: والله تتحدث قريش أني فررت بما صنعت ربيعة من خذلانها حتى أدخل الحرم منهزماً، ولكن أقاتل فإن قتلت فلعمري ما السيف بعار وما الفرار لي بعادة، ولا خلق، ولكن إن أردت أن ترجع فارجع فقاتل، فرجع فقاتل حتى قُتل[2].

لقد بذل عبد الملك الأمان لمصعب، وقال له: " إنه يعز علي أن تقتـل فاقبـل أماني، ولك حكمك في المال والعمل، فأبى وجعل يحارب، فقال عبد الملك: هـذا والله كما قال عنترة بن شداد[3]:

ومُدجِجٍ كَرِهَ الكُمةُ نِزالَهُ   لا مُمعنٍ هرباً ولا مُستلئمِ

وظل يُقاتل حتى أثخن وكثرت الجراحات فيه وتفرق عنه الناس، وخذلوه، ونظر إليه زائدة بن قدامة فشد عليه فطعنه، وقال : يالثارات المختار، ثم نزل إليه عبد الله بـن ظبيان، فضرب مصعباً، وأخذ رأسه، وأتى بها إلى عبد الملك[4].وكان مقتله في جمـادى الآخرة سنة ٧١هـ/ ٦٩٠م[5]، وقيل سنة ٧٢هـ/٦٩١م [6]، على نهر دجيل عند دير الجاثليق، ووضعت رأس مصعب بين يدي عبد الملك، فأنشد عبد الملك يقول[7]:

نُعاطي الملُوك الحقَّ فاقسطوا لنا   وليسَ علينا قتلهم بِمُحرَّمِ

---

[1] – المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٩٢.

[2] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ٨٥ ؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص٣١٣ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص١٥٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٢٧.

[3] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ٩٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٢٧.

[4] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ٩٣ ؛ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٢٨.

[5] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص١٥٨ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٢٨.

[6] – الدينوري، الأخبار الطوال، ص٣١٣.

[7] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص١٥٨.

وقال عبد الملك : جعلت لمصعب الأمان، وولاية العراق، وعلم أني سأفي له للمودة التي كانت بيننا، فحمى آنفاً وقاتل حتى قُتل، متى تغدو قريش مثل مصعب؟ وددت لو أنه قبل الصلح، وأني قاسمته مالي[1].

وبمقتل مصعب بن الزبير توالت الانتصارات على عبد الملك بن مروان، فتوجه إلى الكوفة، وأقام بالنخيلة أربعين يوماً يدعو الناس إلى بيعته فبايعوه[2]، وصعد منبر الكوفة، وخطب الناس، فوعد المحسن وتوعد المسيء[3]، وقال: إن عبد الله بن الزبير لو كان خليفة كما يزعم لخرج، فنأى بنفسه ولم يتحصن في الحرم، ثم قال: إني قد استعملت عليكم بشر بن مروان، وأمرته بالإحسان إلى أهل الطاعة والشدة على أهل المعصية، فاسمعوا وأطيعوا[4]، وولى على البصرة خالد بن عبد الله بن أسد[5].

وهكذا تم لعبد الملك بن مروان النصر، واستولى على الكوفة والبصرة، وأخرج العراق نهائياً من قبضة ابن الزبير ، وخضع مرة أخرى للأمويين.

وبعد أن استقرت الأمور في العراق لعبد الملك بن مروان بمقتل مصعب بن الزبير اتجهت جهوده إلى الحجاز فور فراغه من تولي مقاليد الأمر في العراق، وكان انتصار عبد الملك على مصعب بن الزبير إيذاناً بغروب شمس دعوة عبد الله بن الزبير ﷺ بالحجاز، وذلك بعد أن سيطر عبد الملك على معظم الأمصار الإسلامية فدانت له بالطاعة، واعترفت بخلافته، أما الحجاز فقد كان لا يزال تحت سيطرة عبد الله بن الزبير ﷺ يرفع راية دعوته، ولما بلغ عبد الله بن الزبير خبر مقتل أخيه مصعب الذي كان ساعده الأيمن وواحداً من أبرز قواده، قام في الناس فخطب خطبة تعد من أبلغ وأروع ما يُقال في مثل هذا الموقف، عبّر فيها عن جلده وصبره عند الشدائد وتسليمه لقضاء الله واستهانته بأمر الدنيا فقال:" الحمد لله الذي له الخلق والأمر يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، ألا وانه لم يذل

---

[1] – الدينوري، الأخبار الطوال، ص٣١٣.

[2] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ١٠١ ؛ ابن الأثير،الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٢٩ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص ٩٤.

[3] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص١٠٩ ؛ ابن الأثير،الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٢٩.

[4] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص١٠١ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص١٦٤؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص ٩٤.

[5] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص١٠١ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص ٩٤.

الله من كان الحق معه، وإن كان فرداً وحده، ولن يفلح من كان وليه الشيطان وحزبه، ولو كان معه الأنام طرا، ألا وإنه أتانا من العراق خبراً أحزننا وأفرحنا، أتانا قتل مصعب فأحزننا، فأما الذي أفرحنا فعلمنا أن قتله له شهادة، وأما الذي أحزننا فإن الحميم لفراقه لوعة يجدها حميمه عند المصيبة ثم يرعوي من بعدها، وذو الرأي جميل الصبر كريم العزاء ولئن أصبت بمصعب فلقد أصبت بالزبير قبله وما أنا من عثمان بخلو مصيبة، وما مصعب إلا عبداً من عبيد الله، وعون من أعواني، ألا وإن أهل العراق أهل الغدر والنفاق أسلموه وباعوه بأقل الثمن، فإن يقتل فإنا والله ما نموت على مضاجعنا كما يموت بنو أبي العاص والله ما قتل منهم وجل في زحف في الجاهلية ولا في الإسلام، وما نموت إلا بأطراف الرماح أو تحت ظل السيوف"[1].

كان هذا هو شعور عبد الله بن الزبير ﷺ وهو الشعور الجدير بمثله، ولكن في الحقيقة كان الموقف في غاية الخطورة بالنسبة له فإن استيلاء عبد الملك على العراق كان معناه أن نفوذه بالحجاز قد أصبح وشيك الأنهيار، فإن العراق إذا انضم إلى الشام ومصر فقد أصبح في يد عبد الملك معظم أقاليم الدولة ومعظم القوة ولن يستطيع الحجاز أن يقف أمامها طويلاً.

شرع عبد الملك بن مروان في إرسال الجيوش إلى الحجاز للقضاء على الدعوة الزبيرية وإخضاع أهل الحجاز، وبدأ بعدة محاولات لم يكن نصيبها من النجاح كبير، ومن هذه المحاولات، أن عبد الملك بن مروان أرسل عروة بن أنيف على رأس جيش يتكون من ستة آلاف من أهل الشام وأمره ألا يترل على أحد وأن لا يدخل المدينة[2]، وكان على المدينة الحارث بن حاطب بن معمر الجُمحي[3] عامل ابن الزبير فولى هارباً وأخذ ابن أنيف يدخل مسجد المدينة فيصلي الجمعة بالناس ثم يعود إلى معسكره، فأقام وأصحابه شهراً، لا يبعث إليهم ابن الزبير ﷺ أحداً ولم يلقوا كيداً، وفعل ذلك ابن انيف

---

[1] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ص ١٠٢–١٠٣؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٦٩، ص ١٦٦ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ص ٩٥–٩٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٣٣٥.

[2] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ١١٣ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٣٤٨.

[3] – الحارث بن حاطب بن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي، وأمه: فاطمة بنت المحلل، ولد بأرض الحبشة، وهو أخو محمد بن الحاطب، استعمل عبد الله بن الزبير الحارث على مكة سنة ٦٦هـ، وقيل أنه يلي الساعي أيام مروان، لما كان أميراً على المدينة لمعاوية .
ابن الأثير، أسد الغابة، ج١، ص ٢٨٥.

خوفاً على نفسه من المبيت بالمدينة، ثم أمره عبد الملك بالعودة إلى الشام[1]، فانتهز ابن الزبير ﷺ هذه الفرصة وأرسل عاملاً آخر من قبله، وهو سليمان بن خالد الرزقي الأنصاري، وأرسل عبد الملك بن مروان جيشاً بقيادة عبد الواحد ابن الحارث بن الحكم، في أربعة آلاف إلى المدينة[2] الذي استطاع أن يقتل سليمان بن خالد عامل ابن الزبير، فعين ابن الزبير عاملاً جديداً هو جابر بن الأسود بن عوف[3]، وكان قوي الشكيمة، شجاعاً باسلاً، فأرسل جيشاً عدده ستمائة وأربعون فارساً بقيادة أبي بكر بن أبي قيس لملاقاة جيش الشام الذي نزل فدك ونجح أبو بكر في إلحاق الهزيمة بالجيش الأموي، وأسر عدداً كبيراً منهم، ثم قتل هؤلاء الأسرى[4]، ما أثار غضب عبد الملك، فأرسل جيشاً جديداً بقيادة طارق بن عمرو، وأمره أن يترل بين أيلة[5] ووادي القرى فيمنع عمال ابن الزبير من الانتشار ويحفظ بينه وبين الشام ويسد خللا إن ظهر له[6].

وقد استطاع طارق أن يحل النصر محل الهزيمة وانتصر على جيش ابن الزبير، وكان عامل ابن الزبير على المدينة طلحة بن عبيد الله بن عوف سنة ٧٠هـ/٦٨٩م ولم يزل بها حتى أخرجه منها طارق بن عمرو[7].

وهكذا أصبحت المدينة يتداولها قواد ابن الزبير ﷺ تارة وقواد الشام تارة أخرى، وحينما علم عبد الملك بن مروان أن هذه المحاولات لم تنجح في القضاء على ابن الزبير أرسل الحجاج بن يوسف الثقفي قائده للقضاء على عبد الله بن الزبير ﷺ[8].

وعن السبب في اختيار عبد الملك للحجاج ليتولى قيادة الجيش المتجهة إلى الحجاز، يقول الطبري :" أن هذا القائد قد أخبره بأنه رأى في منامه أنه سلخ ابن الزبير

---

(1) – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٣٤٨.

(2) – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص١٣٥.

(3) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص ١١٤.

(4) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٣، ص ص ١١٣-١١٤ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ص ٣٤٨ -٣٤٩.

(5) – أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل : هي آخر الحجاز وأول الشام .
الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٣٤٧.

(6) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ١١٤ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٣٤٩.

(7) – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٣٤٩.

(8) – الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٣١٤ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٩٦ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٣٤٩.

ورغب إليه في أن يوجهه لحربه وقتاله"[١].

ويبدو أن هناك أسباباً أخرى دفعت عبد الملك لاختيار الحجاج بن يوسف منها:

١- أن عبد الملك كان على يقين بالنصر واثقاً من مهارة قائده وإخلاصه له لمـــا رآه في الحجاج خلال حمله العراق من حزم وقوة وشكيمة .

٢- أن عبد الملك لا يريد حرب الحجاز بنفسه ؛ لأن فيهم أهله وعـــشيرته والحجـــاز يختلف عن العراق فهو موئل الحاقدين على الحكم الأموي، وهم قد عارضوا بشدة فكرة توارث الخلافة والملك وحصرها في بني أمية وكانوا من الذين تألموا لنقل الأمويين حاضرة الخلافة من الحجاز إلى الشام و لم تنس المدينة قتلاها يوم الحرة، كما أن أهل مكة لم ينسوا حصار الحصين بن نمير لهم في عهد يزيد بن معاوية وضربه الكعبة بالمنجنيق .

٣- إن عبد الملك أراد ألا يتحمل هذه المسؤولية الخطيرة من غزو مكة ومحاصـــرة ابـــن الزبير رضي الله عنه، الأمر الذي يؤدي إلى سخط المسلمين .

لكل هذه الأسباب رأى عبد الملك بن مروان أن يمكث بحاضرة خلافته ويرســـل الحجاج إلى الحجاز.

وقد خرج الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٧٢هـ/٦٩١م، في ألفين من جنـــود الأمويين قاصداً مكة موطن ابن الزبير متجنباً المرور بالمدينة المنورة، خوفاً من شعور أهلها العدائي تجاه الأمويين، ورأى الحجاج أن يدخر كل جهوده لإخضاع ابن الـــزبير كمـــا أدرك أنه وإن استطاع التغلب على أهل المدينة وانتصر عليهم فإنه لابد وأن يترك جـــزءا من جيشه كحامية وهو في مسيس الحاجة إلى كل جندي من جنوده أو خاف أن يغدروا بمؤخرة جيشه فسلك الحجاج طريق العراق ونزل الطائف دون مقاومة[٢]؛ لأن أهل مكة تربطهم بالطائف مجموعة من الروابط إذ كانت لهم فيها الحدائق الغناء التي يعتمدون على فاكهتها والمزارع الكثيرة التي تغذيهم بغلاتها والقصور الصيفية التي يهرعون إليها هرباً من قيظ مكة اللاذع، فرأى الحجاج أن يترل الجيش بأرض تطيب لهم الإقامة فيها فإذا مـــا أنقطعت هذه الصلات عن أهل مكة نقموا على ابن الزبير وربما أدى ذلك إلى الخـــروج

---

[١] - اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٦٦ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ص ١٧٣-١٧٤ ؛ ابن عبد ربه، العقـــد الفريـــد، ج٤،ص٣٨٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٣٤٩.

[٢] - البلاذري، أنساب الأشراف،ج ٧، ص ص ١١٥-١١٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٣٤٩.

عليه. كذلك كانت الطائف مقر محمد بن الحنفية وغيره من كبار الصحابة ﷺ وأبناء عمومة الرسول ﷺ، بعد أن أخرجهم عبد الله بن الزبير ﷺ من مكة فلجاؤا إلى الطائف[1].

بدأ الحجاج يرسل بعوثه من الطائف، إذ جعلها مركزاً لقيادته إلى عرفة[2] بجوار مكة كي لا يقاتل في الكعبة. وبدأت المناوشات بين الطرفين وكان الحجاج يريد أن يتعرف على قوة ابن الزبير ، فكان يبعث البعوث إلى عرفة في الخيل، ويبعث ابن الزبير بعثاً فيقتتلون هناك وتهزم خيل ابن الزبير وترجع خيل الحجاج بالظفر[3]

لم يفكر ابن الزبير ﷺ في أن يرسل إلى الطائف بعض طلائع جيشه، ولعل السبب في ذلك أن الطائف واقعة على رأس جبل غزوان، فهي بذلك مدينة حصينة لا يقتحمها مهاجم إلا بصعوبة، ولما طالت المناوشات بين الفريقين وكانت كفة جيش الشام هي الراجحة فقد تبين للحجاج ضعف عبد الله بن الزبير ، فكتب إلى عبد الملك يعلمه بذلك ويخبره عن تفرق أصحاب ابن الزبير عنه وفرار الكثير من جيشه ويطلب منه الإذن بالقتال، وبحصار الكعبة، ويطلب منه الإمداد ضماناً لانتصاره في الجولة القادمة[4].

فكتب إليه يقول:" إنك يا أمير المؤمنين متى تدع ابن الزبير وتكف عنه ولا تأمر بزحمه ومصادمته يكثر عدده وعُدده وسلاحه، فأذن لي في قتاله ومناجزته، فكتب إليه، افعل ما ترى"[5].ولقد ساءت ظروف ابن الزبير فقد كلت شوكته وحلت جماعته وتفرق عنه عامة أصحابه[6].

فلما وصل كتاب الحجاج إلى عبد الملك كبر وكبر معه من كان في داره[7].

---

(1) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣،ص٣٨٤؛الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ١٧٦.

(2) – عرفة : حدها من الجبل المشرف على بطن عُرنة إلى جبال عرفة إلى قصر آل مالك ووادي عرفة، فيها مزارع وخضر وبها دور حسنة لأهل مكة ينزلونها يوم عرفة.

الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ص ١١٧-١١٨.

(3) – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٣٤٩.

(4) – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٣٥٠.

(5) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ١١٦.

(6) – ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢٧٢.

(7) – ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص ٣٩١؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص ٩٦.

وأذن الحجاج بمحاصرة ابن الزبير ﷺ وأرسل إلى طارق بن عمرو أن يلحق بالحجاج وكان طارق بن عمرو عاملاً لعبد الملك على المدينة بعد أن كانت في يد ابن الزبير ﷺ ، وذلك أن عبد الملك أوفد طارق بن عمرو لمحاربة عمال ابن الزبير في المنطقة الواقعة بين أيلة ووادي القرى، فلما انتصر عليهم وأخرج عامل المدينة جابر بن الأسود بن عوف، وكان والياً لابن الزبير دخلها طارق بينما كان الحجاج مقيماً بالطائف(١).

أمره الحجاج أن يلحق بمن معه من الجنود فسار طارق في خمسة آلاف من أصحابه(٢) ونزل بجبل قيقعان ونزل الجيش الأموي عند بئر ميمون(٣) بالقرب من منى(٤)، ولما كان هذا المكان لا يصلح لترول الجيش دون أن يحقق الغرض الذي قصد إليه الحجاج وهو تهديد عبد الله بن الزبير العائذ بالحرم ، فقد استعمل الحجاج، جبل أبي قبيس فنصب عليه المنجنيق(٥)، وأقام عليه بعضاً من جيشه، في الوقت الذي كان المسلمون يستعدون فيه لأداء فريضة الحج لذلك العام.

أما ابن الزبير ﷺ فقد تحصن بالبيت الحرام و لم يتمكن من أداء فريضة الحج نظراً للحصار المضروب حواليه(٦). حتى إذا اقتربت فرائض الحج من الانتهاء بدأ الحجاج يقذف الكعبة بالأحجار(٧)، ولما كان ذلك تعطيلاً لركن من أركان الحج فقد تدخل في الأمر عبد الله بن عمر ﷺ ، فكتب إلى الحجاج، يقول له: " اتق الله فإنك في شهر حرام وبلد حرام وقد قدمت وفود الله من جميع أقطار الأرض ليؤدي فريضة الحج وأن المنجنيق قد منعهم عن الطواف"(٨).

---

(١) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ١١٨.

(٢) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ١١٨.

(٣) – بئر ميمون:بمكة، منسوبة إلى ميمون بن خالد بن عامر بن الحضرمي، حفرها بأعلى مكة في الجاهلية، وكان ميمون حليفاً لحرب بن أمية بن عبد شمس.

الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص٣٥٩.

(٤) – منى:بليدة على فرسخ من مكة، طولها ميلان، تعمر أيام الموسم، وتخلو بقية السنة إلا ممن يحفظها.

الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص٢٢٩.

(٥) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ١١٦ ؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٣١٤ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٣٥٠.

(٦) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ١١٨ ؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٤، ص٣٨٦.

(٧) – اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٦٦.

(٨) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ١١٩ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٣٥٠.

رأى الحجاج صواب رأي ابن عمر ﷺ فاستجاب له، وأوقف الرمي حتى فرغ الناس من موسم الحج، وبعد انتهاء موسم الحج نادى منادي الحج في الناس أن ينصرفوا إلى بلادهم التماساً للسلامة والنجاة[1]، وأخذ الحجاج بن يوسف في تنفيذ تهديده لأهل مكة وضرب الكعبة بالمنجنيق[2]، وكان ذلك في فصل الشتاء، فأخذت السماء تبرق وترعد ونزلت صاعقة على جيش الحجاج، وقتلت نفراً من الجند ممن كانوا يقومون بالرمي[3]، فظن جند الشام أن هذه الصاعقة سخطاً من الله عليهم ؛ لانتهاكهم حرمة بيته الحرام، وفي الشهر الحرام، فأصابتهم الرهبة والخوف وأمسكوا عن قذف الأحجار بالمنجنيق[4].

خاف الحجاج من تخاذل جنده فأقبل عليهم يحمسهم على مواصلة الرمي ويشجعهم على القتال قائلاً:" يا أهل الشام لا تنكروا هذا فإني ابن تهامة هذه صواعق تهامة، هذا الفتح قد حضر فابشروا إن القوم يصيبهم مثل ما أصابكم فصعقت من الغد، فأصيب من أصحاب ابن الزبير عدة، فقال الحجاج : ألا ترون أنهم يصابون وأنتم على الطاعة وهم على خلاف الطاعة"[5].

أخذ جيش الشام يشتد في القتال وكانت لكلمات الحجاج أثرٌ في رفع معنويات الجند وأخذت الأحجار تتكاثر على الكعبة، حيث اعتصم ابن الزبير ﷺ وأصحابه وفي وسط هذه الظروف، جاء قوم إلى ابن الزبير ﷺ يريدون القتال بجانبه إعظاماً للبيت وحرمته وقدم عليه قوم من الأعراب وقالوا:" قدمنا لنقاتل معك فأعنا على قتال أعدائك فإذا مع كل امرىء منهم سيف كأنه شفرة قد خرج من غمده، فقال يا معشر الأعراب لا قربكم الله فوالله إن سلاحكم لرث، وإن حديثكم لغث وإنكم لعيال في الجدب وأعداء في الخصب، فخرجوا من عنده وتركوه"[6].

---

[1] - البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ١١٩ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٣٥٠.

[2] - البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ١١٩ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٣٥١.

[3] - اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٦٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢٦٣.

[4] - البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ص١٢١-١٢٢؛ الخربوطلي، الكعبة على مر العصور،د.ط ، ص ص ١٠٠-١٠١.

[5] - البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ١٢٢ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٣٥١.

[6] - البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ١١٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٣٥١.

استمر نطاق الحصار على ابن الزبير ﷺ والتراشق بين الطرفين لا ينقطع، وقد كانت وطأة الحصار شديدة على أهل مكة [1]، حيث حدثت مجاعة شديدة حتى بيع مد الذرة بعشرين درهماً [2]، وكان من أثر ذلك أن خرج الكثير من أهل مكة إلى الحجاج بعد أن بعث إليهم الأمان الذي أعطاه عبد الملك لهم ولابن الزبيرحتى قيل إنه خرج إليه عشرة آلاف ومنهم أبناء عبد الله بن الزبير حمزة وخبيب[3]، فأخذا منه لأنفسهما أمانا شعر ابن الزبير بحرج موقفه وعندما طلب من ولده الزبير أن يخرج إلى الحجاج يطلب الأمان أسوة بإخوته حمزة وخبيب، ولكن الزبير أبى إلا أن يقف بجانب أبيه إلى النهاية، وقد شاركه في مصيره المحتوم [4]، فلقي حتفه معه، ويصف لنا الطبري تلك الحالة فيقول : "فلم تزل الحرب بين ابن الزبير والحجاج حتى كان قبيل مقتله وقد تفرق عنه أصحابه وخرج عامة أهل مكة إلى الحجاج في الأمان .... وقد تفرق عنه أصحابه وخذله من معه خذلاناً شديداً "[5].

جمع ابن الزبير ﷺ أصحابه للتشاور فيما بينهم، وقال: "ما ترون ؟ فقال رجل من بني مخزوم من آل ربيعة : والله قد قاتلنا معك حتى لا نجد مقاتلاً، والله لئن صبرنا معك ما نريد على أن نموت معك، إنما هي إحدى خصلتين: إما أن تأذن لنا فنأخذ الأمان لأنفسنا، وإما أن تأذن لنا فنخرج، فقال ابن الزبير : لقد كنت عاهدت الله أن لا يبايعني أحد فأقيله بيعته إلا ابن صفوان، فقال له ابن صفوان : أما أنا فإني أقاتل معك حتى أموت بموتك، وأنها لتأخذني الحفيظة أن أسلمك في مثل هذه الحالة،وقال له رجل آخر: اكتب إلى عبد الملك بن مروان، فقال : كيف أكتب من عبد الله أمير المؤمنين إلى عبد الملك بن مروان ؟ فوالله لا يقبل هذا أبداً ؛ أم أكتب لعبد الملك بن مروان أمير المؤمنين من عبد الله بن الزبير ؟ فوالله لأن تقع الخضراء على الغبراء أحبُّ إليَّ من ذلك ! فقال عروة بن الزبير وهو جالس معه على السرير: يا أمير المؤمنين قد جعل الله لك

---

[1] – الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٣١٥؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ص١٢٠-١٢١.

[2] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ١٢١ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٣٥٢.

[3] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ص ١٨٧-١٨٨ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٣٥٢ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢٦٣.

[4] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٣٥٢.

[5] – تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ١٨٨.

أسوة، قال : من هو؟ قال: الحسن بن عليّ، خلع نفسه وبايع معاوية، فرفع ابـن الـزبير رجله فضرب بها عروة حتى ألقاه عن السرير، وقال: ياعروة، قلبي ؟إذا مثل قلبك، والله لو قبلت ما يقولون ما عشت إلا قليلاً وقد أخذت الدَّنيَّة، وإن ضربة بسيف في عزٍّ خيرٌ من لطمة في ذل"[1]، وهذا الحوار يدلنا على مدى اليأس الذي تسرب إلى قلوب أصحابه.

ولقد طال أمد الحصار إلى ما يقرب من سبعة أشهر وعلى الرغم من ذلك فقد صمد ابن الزبير ﷺ ومن معه من أصحابه أمام جند الشام[2].

ورأى عروة بن الزبير أن أخاه عبد الله لابد وأنه ملاق حتفه فخرج إلى الحجاج طالباً منه الأمان ورجع إلى أخيه فقال له: " هذا خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وعمرو بن عثمان بن عفان يعطيانك أمان عبد الله على ما أحدثت أنت ومن معك وأن تنزل أي البلاد شئت ولك عهد الله وميثاقه"[3].

أصبح ابن الزبير ﷺ حائراً بين استمالة وخذلان الأكثرية من أنصاره وإزاء هذه الحيرة ورفضه الاقتراحات التي عرضت عليه وإصراره على ذلك، فإن ذلك يعني الموت وقد شعر بقرب منيته فدخل على أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ﷺ ليودعها بعد أن خذله الناس وتخلوا عن نصرته، فقال يا أماه : خذلني الناس حتى ولدي وأهلي فلم يبق معي إلا اليسير ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا فما رأيك، فقالت: انت والله يا بني أعلم بنفسك : إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامض له، فقد قتل عليه أصحابك، ولا تمكن من رقبتك يمثل بها غلمان بني أمية، وإن كنت أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك، وإن قتلت كنت على حق، فلما وهن أصحابك ضعفت فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين وكم خلدوك في الدنيا القتل أحسن، فدنا ابن الزبير فقبل رأسها وقال : هذا والله رابي والذي قمت به داعياً إلى يومي هذا ما ركنت إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها وما دعاني للخروج إلا الغضب لله أن تستحل حرمه، ولكني أحببت أن أعلم رأيك فزدتيني

---

[1] – ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص٣٧٨.

[2] – الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٣١٥ .

[3] – المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص٩٧.

بصيرة مع بصيرتي فانظري يا أماه فإني مقتول من يومي هذا فلا يشتد حزنك وسلمي الأمر لله، فإن ابنك لم يتعمد إتيان منكر ولا عملاً بفاحشة، ولم يجر في حكم الله ولم يغدر في أمان ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد ولم يبلغني ظلم من عمالي فرضيت به بل أنكرته ولم يكن شيء آثر عندي من رضا ربي، اللهم إني لا أقول هذا تزكية مني لنفسي أنت أعلم بي ولكن أقول تعزية لأمي لتسلو عني فقالت أمه: إني لا أرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسناً إن تقدمتني وإن تقدمتك ففي نفسي، اخرج حتى أنظر إلى ما يصير إليه أمرك، قال: جزاك الله يا أماه خيراً فلا تدعي الدعاء لي قبل وبعد، فقالت: لا أدعه أبداً فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق، ثم قالت: اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل وذلك النحيب والظمأ في هواجر المدينة ومكة وبره بأبيه وبي اللهم قد سلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت فأثبني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين"[1].

هذه الكلمات التي قالتها أسماء-رضي الله عنها- لولدها جددت الحماسة في نفسه ومنحته الطمأنينة وشجعته على المضي في القتال، فخرج إلى أصحابه وحمل حملة شديدة على أعدائه فقتل منهم خلقاً[2].

ولكن سرعان ما اجتمع عليه جند الشام وتكاثروا عليه ألوفاً[3]، واستعدوا للمرحلة الأخيرة، وعندما رأى الحجاج أن الناس لا يقدمون على ابن الزبير غضب وترجل وأقبل يسوقهم أمامه، وجعل أهل كل بلدة في ناحية معينة كي يصدق الجند في حربهم ولا يفرون أمام حملات ابن الزبير ، وقسم أهل الشام على أبواب المسجد، فكان لأهل حمص حصار الباب الذي يواجه باب الكعبة ولأهل دمشق باب بني شيبة ولأهل الأردن باب الصفا ولأهل فلسطين باب بني جمح ولأهل قنسرين باب بني سهم، وعلى كل باب قائد معه أهل تلك البلاد وكان الحجاج وطارق بن عمرو في ناحية الأبطح[4].

---

[1] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص ص ١٢٣-١٢٤؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص ص ١٨٨-١٨٩؛ اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص ٢٦٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ص ٣٥٢-٣٢٣؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣،ص ص٩٦-٩٧.

[2] – ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص ٣٨٨.

[3] – المسعودي، مروج الذهب، ج٣،ص٩٨.

[4] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤،ص ٣٥٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨،ص٢٦٤.

ثم بدأ جيش الشام المحاصر لابن الزبير في مهاجمته داخل الحرم ولكن ابن الزبير كان يحمل في هذه الناحية مرة وفي تلك الناحية فكأنه أسد في أجمه، وظل يلاحق القوم وهم على الباب حتى يخرجهم، حتى ظن أهل الشام أنه لا يقتل[1].

وقاتل أشد قتال وضرب رجلاً من أهل الشام، فقال : خذها وأنا ابن الحواري، فقتله، وضرب آخر وكان حبشياً فقطع يده، وجعل يقاتل يومئذ قتالاً لم يُر مثله[2].

وهكذا ضرب لنا ابن الزبير ﷺ أروع الأمثلة في الشجاعة والبطولة والاستبسال في القتال، ولكن جند الشام تكاثروا عليه، وغلبت الكثرة الشجاعة وأخذ يشجع رجاله القليلين الذين صمدوا في الدفاع عنه قائلاً: يا آل الزبير لو طلبتم بي نفساً عن أنفسكم كنا أهل البيت من العرب اصطلحنا في الله فلا يرعبكم رفع السيوف، فإن ألم الدواء للجراح أشد من ألم وقعها صونوا سيوفكم كما تصونوا وجوهكم، غضوا أبصاركم من البارقة وليشتغل كل امرىء قرنه ولا تسألوا عني فمن كان سائلاً عني فإني في الرعيل الأول احملوا على بركة الله[3].

ثم حمل على جماعة من رجال الجيش الأموي حتى أخرجهم من المسجد وتابعهم حتى بلغ بهم الحجون فرماه رجل بآجره فأصابت وجهه فأرعش لها ودمى وجهه فلما وجد الدم يسيل على وجهه ولحيته قال[4] :

فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

فانقض عليه رجال الجيش الأموي فقتلوه ﷺ وقطعوا رأسه وقد سقط صريعاً في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة سنة ٧٣هـ/٦٩٢م[5]، وقيل حصر ابن الزبير في غرة ذي القعدة سنة ٧٢هـ/٦٩١م وكان الحصار ستة أشهر وسبع عشرة ليلة وقتل وهو ابن ثلاث وسبعين سنة[6].

---

[1] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص١٩٠.

[2] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص١٢٤.

[3] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤،ص ص ٣٥٥–٣٥٦.

[4] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص١٩٢.

[5] – الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٣١٥ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤،ص٣٥٦ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣،ص٩٨.

[6] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص١٢٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٧٢.

ولما قتل ابن الزبير ﷺ كبر أهل الشام فرحاً بقتله، وبعث الحجاج برأس ابن الزبير وعبد الله بن صفوان وإمارة بن حزم إلى المدينة فنصبت بها ثم أرسلت إلى عبد الملك[1]،أما جثته فقد صلبت بالحجون[2].

وذهبت أسماء بنت أبي بكر الصديق- رضي الله عنهما - إلى الحجاج وطلبت منه أن يسمح لها بدفن جثة ولدها ولكنه رفض طلبها[3]، فقالت له أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يخرج من ثقيف كذاب ومبير، فأما الكذاب فهو المختار، وأما المبير فما أظنك إلا هو، ثم بعث إليه عبد الملك بن مروان ينهاه عن ذلك وأمره بالسماح لأمه بدفنه فدفنته[4]، فغسلته بعد شهر، وقد تقطعت أوصاله وذُهب برأسه وكفنته وصلت عليه[5].

وبعد أن انتهت حياة ابن الزبير ﷺ نقض الحجاج بناء الكعبة الذي كان قد بناه ابن الزبير ﷺ وأعاد البناء كما كان من قبل[6]، وأخذ البيعة من أهل مكة لعبد الملك بن مروان ثم رحل الحجاج إلى المدينة، إذ أسند عبد الملك إليه حكمها بالإضافة إلى مكة، فأقام في المدينة أربعة أشهر وبنى بها مسجداً في بني سلمة فهو ينتسب إليه، واستمر الحجاج والياً على الحجاز واليمن واليمامة ثلاثة أعوام حتى مات بشر بن مروان عامل عبد الملك على البصرة فعينه بدله فسار إلى العراق[7]. وهكذا انتهت فترة من التاريخ استمرت ثماني سنوات وتسعة أشهر منذ مات معاوية الثاني بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان إلى أن قتل ابن الزبير ﷺ في جمادى الآخرة سنة ٧٣هـ/٦٩٢م ، وكان عمره ثلاث وسبعون سنة[8] .

---

(١) -الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٣١٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص١٩٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤،ص٣٥٧.

(٢) - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤،ص٣٥٧.

(٣) -ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤،ص٣٥٧؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣،ص٩٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٧٢.

(٤) - البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧،ص١٢٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤،ص٣٥٧؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣،ص٩٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٧٢.

(٥) - ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص ٣٩١.

(٦) - البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ١٣٥.

(٧) - البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ١٣٥ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ص ٣٥٨/٣٥٩ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص ٩٨.

(٨) - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤،ص٣٥٩.

ثانياً: أسباب هزيمة ابن الزبير ﷺ:

١- وفرة موارد عبد الملك بن مروان وقلة موارد عبد الله بن الزبير ﷺ:

كان عبد الله بن الزبير ﷺ يواجه ظروفاً عصيبة، فقد اتخذ الحجاز مقراً لخلافته، وكان الحجاز أقل الأمصار الإسلامية صلاحية لأن يكون قاعدة للدولة في ذلك الوقت لقلة الموارد الاقتصادية والبشرية[١] فقد كانت الموارد المالية تأتيه من الأقاليم الخارجية وخاصة العراق، إلا أنه وبخضوع العراق لعبد الملك بن مروان لم تعد تصل عبد الله بن الزبير ﷺ من العراق المادة والرجال والذخيرة، فارتفعت الأسعار بينما كان جند عبد الملك يعيش في رغد من العيش، فكانت تأتيه العير من دمشق تحمل السويق والدقيق والكعك بكثرة[٢].

فلما حاصر الحجاج بن يوسف الثقفي الحجاز قلت الأقوات وغلت الأسعار وأصاب الناس مجاعة شديدة حتى ذبح فرسه وقسم لحمها في أصحابه وبيعت الدجاجة بعشرة دراهم ومد الذرة بعشرين درهماً[٣]، وكادت المجاعة تأكل أهل مكة فأخذوا يفرون إلى معسكر عبد الملك فغمروهم بعطاياهم وكانت المئونة فيه موفورة تحمل إليه من الشام والعراق، ولقد بلغ من وفرة الأقوات في معسكر جند الشام أن بعض رجاله كان يبيع الفائض عن حاجته، وهذا يدلنا على أن أهل مكة كانوا يعيشون في ضنك اقتصادي بخلاف جند الشام الذين كانوا يعيشون في رغد من العيش، فقد روى محمد بن عمر عن سعيد بن مسلم عن أبيه : أنه ابتاع من بعضهم كعكاً بدرهم فكفاه هو ومن معه إلى أن بلغوا الجحفة وكانوا ثلاثة نفر[٤].

٢- قلة دهاء ابن الزبير ﷺ وعدم خبرته بفنون السياسة:

كان عبد الله بن الزبير ﷺ رجلاً يتمتع بصفات تبعث على الاحترام وكان من فرسان قريش وأبطالها، وعلى الرغم من الصفات الحميدة التي يتصف بها ابن الزبير ﷺ

---

[١] – الناطور، عبد الله بن الزبير، ص ١٨٠.

[٢] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧،ص١١٨؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص١٧٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٥٢.

[٣] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧،ص١٢١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٥٢.

[٤] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص١٧٥.

فإنه كان لا يحسن انتهاز الفرص، وترتب على هذا أن أعداءه قد زادوا و لم يتمكن من كسب أي حزب من الأحزاب السياسية إليه.

أما عن خبرته بفنون السياسة فقد كان حظه منها قليلاً ما سهل أمر القضاء عليه، فقد كانت أمامه فرصة ولكنه ضيعها، وذلك عندما عرض عليه الحصين بن نمير قائد الجيش الأموي بعد وفاة يزيد بن معاوية أن يخرج إلى الشام حيث يبايعه الناس هناك بالخلافة ولكنه رفض[1].

وبهذا ضاعت على ابن الزبير ﷺ تلك الفرصة الذهبية، وكان عليه أن يغتنمها حيث كان أهل الشام مختلفين، كما انقسم بنو أمية بعد وفاة معاوية بن يزيد كما أن القبائل القيسية بزعامة الضحاك بن قيس الفهري، قد استجابت لدعوة ابن الزبير ﷺ، وحملت السلاح لنصرته في وجه بني أمية، ولكن ابن الزبير ﷺ رضي بالبقاء في الحجاز، و لم يشارك رجاله خارج مكة في موقعة واحدة، فكانت الصلة بينه وبين الناس بعيدة، كما وأنه وبتحصن ابن الزبير ﷺ في الحرم، وترك أنصاره وحدهم بعيدين عنه دون أن يضرب لهم القدوة في نفسه فقدت الرابطة التي تستلزم الولاء بين الجمهور وزعيمه، أو بين الجيش وقائده وهي رابطة الحب وشعور الإعجاب تلك التي تنشأ عن الاتصال الشخصي، وتأثير القائد أو الزعيم في أتباعه.

ويصف عبد الملك بن مروان عبد الله بن الزبير ﷺ فيقول: إن عبد الله بن الزبير لو كان خليفة كما يزعم لخرج وآسى أنصاره بنفسه و لم يتحصن بالحرم[2].

وهكذا أراد ابن الزبير ﷺ أن يتحصن في الحرم وترك أنصاره وحدهم بعيدين عنه دون أن يضرب لهم القدوة بنفسه.

كما أنه اختار عمالاً غير أكفاء في إدارة البلاد، وأوضح مثل على ذلك العراق الذي اختار لها عبد الله بن يزيد الأنصاري وكان رجلاً ساذجاً متواكلاً لا يعرف الحزم والدهاء، واختار إبراهيم بن محمد بن طلحة، وكان يكره الشيعة، كما أن الشيعة تبغضه، ما جعلهم يقبلون على المختار من كل صوب[3]، والدليل على عدم كفاءة عمال ابن

---

[1] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٣٦٧؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٦٨؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص ٥٠٢ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨،ص١٨١.

[2] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص١٦٤.

[3] – الخربوطلي، تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، ص ١٦٣.

الزبير ما يرويه ابن الأثير: " فلما خرج سليمان بن صرد نحو الجزيرة، قال عمر بن سعيد، شبث بن ربعي، زيد بن الحرث بن رويم، لعبد الله بن يزيد الحطمي وإبراهيم بن محمد بن طلحة : أن المختار أشد عليكم من سليمان بن صرد، إنما خرج يقاتل عدوكم، وأن المختار يريد أن يثب عليكم في مصركم، فأوثقوه واسجنوه حتى يستقيم أمر الناس، فأتوه وأخذوه بغتة، فقال إبراهيم بن محمد بن طلحة لعبد الله بن يزيد : شده كفافاً ومشه حافياً، فقال عبد الله : ما كنت لأفعل هذا برجل لم يظهر علينا غدره، إنما أخذناه على الظن"[1].

ويظهر لنا عدم كفاءة إبراهيم بن محمد بن طلحة عندما أطلق سراح المختار وأخرجه من السجن بشفاعة عبد الله بن عمر، فقد أعطوه الفرصة لمناهضتهم، واكتفوا بأن جعلوه يقسم لهم بأغلظ الأيمان حتى إذا ترك سجنه تناساها فهو يقول:" قاتلهم الله ما أحمقهم حين يريدون أني أفي لهم، وأما حلفي بالله فإنني حلفت على يمين، فرأيت خيراً منها أن أنفر عن يميني، وخروجي عليهم خير من كفي عنهم، وأما هدى البدن وعتق المماليك فهو أهون عليّ من بصقة فوددت أن تم لي أمري و أملك بعده مملوكاً أبداً"[2].

على أن ابن الزبير ﷺ ما لبث أن عزل عامليه بعد أن وصله خبر ضعفهما وأسند ولاية الكوفة إلى عبد الله بن مطيع، وهو رجل اعرابي غير خبير بالسياسة وأساليب الحكم وسار في أهل الكوفة سيرة أثارت كراهيتهم له[3]، ولابن الزبير، فجعل يطلب الشيعة ويخيفهم[4]، ونسى أنه في الكوفة معقل الشيعة، ولما وقف ابن الزبير ﷺ على ضعف عامله بعث أخاه مصعب بن الزبير والياً على البصرة والكوفة [5]، وقد وفق في هذا الاختيار إلا أنه جاء متأخراً[6].

[1] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ص ١٧٢-١٧٣.

[2] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ص ٢١١-٢١٢.

[3] – الخربوطلي، تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، ص١٤٤.

[4] – اليعقوبي، تاريخ، ج٢،ص٢٥٨.

[5] – اليعقوبي، تاريخ، ج٢،ص٢٦٣.

[6] – الخربوطلي، تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، ص١٤٤.

٣- حصار الجيش الأموي لابن الزبير ﷺ :

لقد استمر الحصار مضروباً على ابن الزبير ﷺ وكانت وطأته شديدة على أهل مكة كما ذكرنا سابقاً من عوامل اقتصادية متردية، وكان وقوعه في زمن الحج وقدوم الجيش الأموي ونزوله بالطائف، فكان يجدر بابن الزبير ﷺ أن يغتنم الفرصة ويجمع حوله الناس ويثير حماسهم للدفاع عن بيت الله الحرام خصوصاً وأن اقتصاديات مكة محدودة ولاتكفي المؤن فيها لحصار طويل، فغلت الأسعار ما أدى إلى انفضاض أصحاب ابن الزبير عنه ومسارعتهم إلى طلب الأمان من الحجاج، وكنا ننتظر من أهل الحجاز أن يتخذوا خطوة حاسمة فيتصدوا للجيش الأموي قبل أن يغزوهم في عقر دارهم أو ينضموا إلى ابن الزبير، ثم يذهبون إلى المدينة التي تتمتع باستراتيجة أفضل من مكة، ولكن ابن الزبير مكث في مكة حتى فرض عليه الحصار فقلت المؤن، وكان وجود الحجاج سبباً في استهلاك المؤن ونفاذها، وأصبح من الصعب أن يتحمل السكان هذه الحالة الصعبة فخرج عدد كبير منهم وانضم إلى الجيش الأموي، ومنهم بنو سهم الذين مالوا برايتهم إلى الحجاج فدخلوا في أمانه[1].

٤- عدم إنفاق ابن الزبير ﷺ على أصحابه في وقت الشدة:

أظهر ابن الزبير ﷺ الزهد في الدنيا والعبادة مع الحرص على الخلافة وقال : " إنما بطني شبر، فما عسى أن تسع ذلك من الدنيا، وأنا العائذ بالبيت والمستجير بالرب ... مع شحه بالدنيا على سائر الناس"[2].

ويروي ابن الأثير أن من الأسباب التي أدت إلى نفور الناس من عبد الله بن الزبير ﷺ وكانت سبباً في هزيمته بخله بالأموال حتى لأتباعه ومناصريه[3]، يقول " فغلت الأسعار عند ابن الزبير وأصاب الناس مجاعة شديدة، وأن بيوت ابن الزبير لمملوءة قمحاً وشعيراً وذرة وتمراً، وكان أهل الشام ينتظرون فناء ما عنده، وكان يحفظ ذلك وينفق منه

---

(1) - البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص١٢٠؛ شفيق جبري، لغة العامة، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق،الجزء الرابع، المجلد ٤٩ (شعبان ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م)، ص ٨٥٥.

(2) - المسعودي، مروج الذهب، ج٣،ص ٦٨.

(3) - الخربوطلي، تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، ص ١٥٥.

إلا ما يمسك الرمق، ويقول: أنفس أصحابي قوية ما لم يفن فلما كانت قبيل مقتله تفرق الناس عنه وخرجوا إلى الحجاج بالأمان وخرج من عنده نحو عشرة آلاف"[1]، كما أنه لم يستند في دعوته على دعاة ينهضون بدعوته في أرجاء العالم الإسلامي كما فعلت الأحزاب الأخرى، ما كان له الأثر في هزيمة ابن الزبير [2].

وفي الحقيقة إن لابن الزبير ﷺ العذر، لأنه كان في مأزق حرج وبلاء عظيم، فهو محاصر بمكة لا يصله من الخارج الميرة والرجال والذخيرة،و قد ارتفعت الأسعار فأصاب الناس مجاعة شديدة حتى ذبح فرسه وقسّم لحمها في أصحابه، وبيعت الدجاجة بعشرة دراهم ومد الذرة بعشرين درهماً[3]، وموارد الحجاز محدودة و لم تساعده على ما يبتغيه والعراق خاضعة لعبد الملك بن مروان، فكان ذلك سبباً في حرمانه من المال والرجال وهو محارب في حاجة إلى الكثير من هذه الأموال ليضمن استمرار دعوته وليكفل لها أكبر حظ ممكن من النجاح.

كما أنه كان يريد بذلك العودة إلى سيرة الخلفاء الراشدين ﷺ ، وقد أحب أن يعيد الزمن إلى ماكان في عهدهم، وقد فاته أن الزمن تغير، وأنه في زمن يكسب الدينار لصاحبه التأييد والنصر، لهذا نرى أن الناس نفروا منه، وأصبح لديهم استعداد للانضمام لكل قادم إلى بلادهم[4].

---

[1] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٣٥٢.

[2] – أحمد الشايب ، تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني، د. ط، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٥م)، ص ص ١٧٦-١٧٧.

[3] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص ص ١٢٠-١٢١.

[4] – الناطور، عبد الله بن الزبير، ص ١٧٩.

(٣) – الأعمال الإصلاحية والإدارية التي قام بها ابن الزبير ﷺ فترة خلافته:

أولاً : الأعمال الإصلاحية:

ذكرنا في الفصل الثالث حصار أهل الشام مكة وضرب البيت بالمنجنيق ثم حرقه بالنار،وذلك في عهد يزيد بن معاوية، فقد قيل : جلب الحصين بن نمير لأصحابه عشرة الآف حجر يرمون بها الكعبة، وكانت الحجارة تصيب الكعبة حتى تخرقت كسوتها عليها فصارت كأنها جيوب النساء، وصارت ترتج من أعلاها إلى أسفلها [١]،ويذكر الأزرقي : أن أول حجر من المنجنيق وقع في الكعبة، سمع لها الناس أنيناً كأنين المريض، وضعف بناء الكعبة، حتى أن الطير ليقع عليه فتتناثر حجارته[٢]، فكان على ابن الزبير ﷺ إعادة بناء الكعبة، وقد أشار عليه جابر بن عبد الله بهدمها، ثم إعادة بنائها، فأقام أياماً يشاور وينظر ثم أجمع على هدمها [٣]، ويُذكر أن الناس امتنعت عن هدم البيت، فعلا عبد الله بن الزبير على البيت فهدم، فلما رأى الناس أنه لم يصبه شيء اجترأوا فصعدوا يهدمونها[٤]، فلما ألصقها بالأرض، خرج ابن عباس ﷺ من مكة إعظاماً للمقام بها، وقد هدمت الكعبة، وقال ابن عباس لابن الزبير ﷺ: اضرب حوالي الكعبة الخشب،لا تبق الناس بغير قبلة[٥]، وكان هدمها يوم السبت النصف من جمادى الآخرة سنة ٦٤هـ/٦٨٣م [٦].

وقيل : لما هدم ابن الزبير ﷺ الكعبة وسواها بالأرض، كشف عن أساس إبراهيم عليه السلام فوجدوه داخلاً في الحجر نحواً من ستة أذرع وشبر، كأنها أعناق الإبل أخذ بعضها بعضاً، كتشبيك الأصابع بعضها ببعض، يحرك الحجر من القواعد فتحرك الأركان كلها، فدعا ابن الزبير خمسين رجلاً من وجوه الناس وأشرافهم وأشهدهم على ذلك الأساس، وأدخل رجل من القوم كان ايداً، وهو عبد الله بن مطيع العدوي، عتلة كانت في يده في ركن من أركان البيت، فتزعزعت الأركان جميعاً، ويُقال أن مكة كلها رجفت

---

[١] – ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج ٢، ص ٦١.

[٢] – أخبار مكة، ج١، ص ١٩٩.

[٣] – الأزرقي، أخبار مكة، ج ١، ص ٢٠٥.

[٤] – الأزرقي، أخبار مكة، ج ١، ص ٢٠٥.

[٥] – اليعقوبي، تاريخ، ص ٢٦٠.

[٦] – الأزرقي، أخبار مكة، ج ١، ص ٢٠٦.

رجفة شديدة حين زعزع الأساس، وخاف الناس خوفاً شديداً، وقال لهم ابن الزبير : اشهدوا، ثم وضع البناء على ذلك الأساس[1].

وروى ابن الزبير ﷺ عن خالته عائشة ﷺ زوج النبي ﷺ أنها قالت : قال لي رسول الله ﷺ : يا عائشة إن بدا لقومك أن يهدموا الكعبة ثم يبنوها، فلا يرفعوها عن الأرض، وليصيروا لها بابين ، فلما بلغ ابن الزبير ﷺ بالهدم إلى القواعد أدخل الحجر في البناء حتى رفعها،فبناها سبعة وعشرين ذراعاً في السماء، وعرض جدارها ذراعان، وجعل فيها ثلاث دعائم، وكانت قريش في الجاهلية، جعلت فيها ست دعائم، وأرسل ابن الزبيرﷺ إلى صنعاء فأتى من رخام بها يقال له البلق، فجعله في الروازن التي في سقفها للضوء[2]، وجعل لها بابين باباً شرقياً وباباً غربياً[3]، باباً يدخل منه، وباباً يخرج منه،وصيّر على كل باب مصراعين، وكان على بابها الأول مصراع واحد [4]، وجعل طول البابين إحدى عشرة ذراعاً، وجعل ميزابها يسكب في الحجر، وجعل لها درجة في بطنها في الركن الشامي من خشب معرجة يصعد فيها إلى ظهرها [5]، و لم يرفع الباب عن الأرض بل جعلها مستوية مع وجه الأرض [6].

وكان ابن الزبير ﷺ قد جعل الحجر الأسود في ديباجة وأدخله في تابوت، واقفل عليه ووضعه عنده في دار الندوة، وعمد إلى ما كان في الكعبة من حلية فوضعها في خزانة الكعبة، في دار شيبة بن عثمان[7]، فلما بلغ البناء إلى موضع الحجر، أمر فحفر له في الحجارة على قدره، ثم أمر ابنه عباداً أن يأتي، وهو في صلاة الظهر، فيضعه في موضعه، والناس في الصلاة لا يعلمون، فإذا فرغ من وضعه كبّر، فجاء عبّاد بن عبد الله بن الزبير بالحجر، وأبوه يصلي بالناس الظهر في يوم شديد الحر، فشقّ الصفوف حتى صار

---

(1) – الأزرقي، أخبار مكة، ج ١، ص ص ٢٠٦– ٢٠٧.

(2) – الأزرقي، أخبار مكة، ج ١، ص ٢٠٩.

(3) – اليعقوبي، تاريخ، ص ٢٦٠؛ الخربوطلي، مكة على مر العصور، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٧م)، ص ٩٨.

(4) – المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٧٤.

(5) – الأزرقي، أخبار مكة، ج ١، ص ص ٢٠٩–٢١٠.

(6) – يذكر الأزرقي أن رسول الله ﷺ قال لعائشة :" هل تدرين لما قومك رفعوا باب الكعبة ؟ قالت : لا، قال : تعززاً أن لا يدخلها الا من أرادوا، فكان الرجل إذا كرهوا أن يدخلها، يدعونه أن يرتقي حتى إذا كاد أن يدخل، دفعوه فسقط ". اليعقوبي، تاريخ، ص ٢٠٦.

(7) – الأزرقي، أخبار مكة، ج ١، ص٢٠٧.

إلى موضع الحجر ثم وضعه، وطول ابن الزبير ﷺ الصلاة حتى وقف عليه، فلما رأت قريش ذلك غضبت، وقالت : والله ما هكذا فعل رسول الله ﷺ ، ولقد حكمته قريش، فجعل لكل قبيلة نصيباً، وكان الركن لما أصابه الحريق تصدّع بثلاث قطع، فشده ابن الزبير ﷺ بالفضة ولما فرغ من البناء خلّق داخل الكعبة وخارجها، فكان أول من خلقها وكساها القباطي[١]، وقيل أن ابن الزبير ﷺ جعل في المسجد عمداً من الرخام[٢]، ثم أن ابن الزبير ﷺ وسع المسجد الحرام توسعة كبيرة، واشترى دوراً من الناس وسع بأرضها المسجد الحرام توسعة شمالاً وشرقاً وجنوباً وغرباً[٣]، وقيل أنه أشترى نصف دار الأزرق جد الأزرقي ببضعة عشرة آلاف دينار ليوسع به الجانب الشرقي[٤].

ثانياً : الأعمال الإدارية:

امتدت خلافة ابن الزبير ﷺ نحو تسع سنوات وذلك خلال الفترة من السابع من رجب سنة ٦٤هـ/٦٨٣م إلى ١٧ من جمادى الآخرة سنة ٧٣هـ /٦٩٢م ، وتمكن فيها من أخذ البيعة في كثير من الأمصار – الحجاز، واليمن، والشام، ومصر، وفلسطين، وخراسان ــ وغيرها، كما تقدم ذكره، وكان يقوم بإرسال الولاة والقضاة إلى جميع الأقاليم التي سيطر عليها، وكان يحاسبهم حساباً شديداً.

ولم تختلف النظم الإدارية التي اتبعها ابن الزبير ﷺ كثيراً عن النظم التي سادت في عهد الخلفاء الراشدين ﷺ ، فقد كان العراق يقسم إلى ولايتين مركزهما البصرة والكوفة، وفي عهد معاوية ﷺ جمع الولايتين لزياد بن أبيه سنة ٥٠هـ/٦٧٠م[٥]، وظل كذلك حتى سنة ٥٣هـ / ٦٧٣م[٦]، ثم جمعها لابنه عبيد الله بن زياد بعد وفاة زياد[٧]، إلا انه في عهد ابن الزبير ﷺ ، استقلت ولاية البصرة عن الكوفة وذلك بعد أن هرب ابن

---

(١) – الأزرقي، أخبار مكة، ج ١، ص ٢٠٨.

(٢) – الفاسي ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج١، ص ٤١١ .

(٣) – الفاكهي، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، ج ١، ص ١٦١ ؛ الأزرقي، أخبار مكة، ج ٢، ص ص ٧٠– ٧١.

(٤) – الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البيت الحرام، ج١، ص ٤٠٩.

(٥) – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٢٣٤.

(٦) – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٢٩١.

(٧) – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٠١.

زياد إلى الشام، فقد اختار كل مصر والياً يدير مصرهم، وكتبوا بذلك لابن الزبير رضي الله عنه[1]، واستمر الوضع كذلك حتى جمع ابن الزبير رضي الله عنه المصرين لأخيه مصعب سنة٦٦هـ /٦٨٥م[2]، وبقيتا كذلك حتى مقتل مصعب سنة٧١هـ / ٦٩١م[3]، ولعل ابن الزبير رضي الله عنه كان هدفه من ذلك سياسياً ولم يكن هدفه اقتصادياً أو إدارياً وليتمكن من إحكام السيطرة على قوى المعارضة في العراق — الخوارج،و الشيعة، والتوابين.

ثم أن ولاته تمتعوا بصلاحيات كبيرة، وبخاصة مصعب، فقد كان يستخلف من ينوب عنه في أحد المصرين إذا غادر إلى المصر الآخر أو إلى مكان آخر، فقد استخلف مصعب، عمر بن عبيد الله بن عبيد الله بن معمر التميمي على البصرة بعد مقتل المختار بن أبي عبيد الثقفي، ليدبر أمرها أثناء غيابه[4]، كما استخلف عليها سنان بن سلمة عندما خرج لمقابلة عبد الملك بن مروان[5]، كما استخلف على الشرطة عبّاد بن الحصين[6]، أما الكوفة فكان يستخلف مصعب عليها الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة[7].

وعلى نحو ما سار عليه الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم في تعيين الأمراء، وإتباع الدواوين في الأمصار لعاصمة الخلافة، كذلك فعل ابن الزبير رضي الله عنه[8]، فقد عين عبد الله بن يزيد الأنصاري على الصلاة والحرب في الكوفة، وعين على خراجها إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله[9]، وعلى قضائها هشام بن هبيرة[10]، واستعمل على الموصل محمد بن الأشعث بن قيس[11].

---

(1) – ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٩٢.

(2) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٤٣٣؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٨٧.

(3) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص٨ ؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ١٦٢.

(4) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٤٤٢؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٣١٠.

(5) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ٢٣ .

(6) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ٢٣ .

(7) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٤٣٤ .

(8) – الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١٢٩.

(9) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٤٤ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٤٤.

(10) – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٧٤.

(11) – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٤٤.

إلا أن الوضع السياسي في العراق، وازدياد حركات المعارضة، دفعت ابن الزبير ﷺ إلى الاعتماد على ولاة أقوياء يخول إليهم إدارة الأمصار، وأصبح كل والٍ مسؤولاً عن تطبيق النظام في ولايته، كما فعل مصعب عندما عزل المهلب بن أبي صفرة عن عمله في البصرة[1].

ثم فصل ابن الزبير ﷺ ولاة الأقاليم الشرقية عن العراق، لعل السبب في ذلك يعود إلى بُعد هذه الأقاليم عن البصرة والكوفة، وصعوبة إرسال الإمدادات بشكل منتظم إليها، ولإزدياد خطر الخوارج، فولى عليها ولاة مستقلين، فقد ولى المهلب بن أبي صفرة على خراسان [2]، في الوقت الذي كان فيه الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة والياً على البصرة، وعبد الله بن مطيع والياً على الكوفة [3].

ولم تسر إدارة هذه الأقاليم جميعها على نهج واحد، وإنما كان يعتمد على قوة الوالي وضعفه، ولهذا نجد أن البصرة والكوفة قد تقلب عليها ولاة كثيرون أثناء خلافة ابن الزبير ﷺ وكان تغيير الولاة مألوفاً منذ عهد معاوية ﷺ الذي أوصى ابنه يزيد أن يغير ولاة العراق كلما طلب أهله ذلك [4]، كما أن تغيير ولاة المدينة أيام ابن الزبير ﷺ كان أمراً ملحوظاً، فقد ولى ابن الزبير ﷺ المدينة جابر بن الأسود ثم عبيدة بن الزبير، وبعد عبيدة ابن أبي ثور، ثم عزله، وولى الحارث بن حاطب الجمحي، ثم عزله، وولى جابر بن الأسود، ويُقال جعفر بن الزبير، ثم وهب بن معتب مولى الزبير، ثم رجلاً يكنى (أبا قيس)[5].

وكان تغيير الولاة يتم بمبادرة من الخليفة وذلك عندما يثبت ضعفهم الإداري حيث يطلب أهل المصر عزلهم وتولية غيرهم، كما حدث مع عمرو بن حريث، حينما طرده أهل الكوفة وعزلوه عنهم، واجتمعوا على عامر بن مسعود سنة٦٤هـ/٦٨٣م

---

[1] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ١١ .

[2] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٤٢؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ١٣٩ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٩٢.

[3] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٢١٠.

[4] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٣٩٩.

[5] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٣٤٢ .

[1]، أو نتيجة الثورة عليهم وإخراجهم من المصر، كما حدث مع عبد الله بن مطيع الذي أخرجه المختار من الكوفة[2].

أما بالنسبة لولاية الحجاز وخاصة مكة والمدينة ، ففي أواخر عهد معاوية ﷺ وفي عهد ابنه يزيد كانت تجمع لوالٍ واحد[3]، ومثال ذلك أنه في سنة ٦٠هـ/٦٧٩م كان عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق العامل ليزيد بن معاوية على مكة والمدينة [4]، ولكنها في عهد ابن الزبير ﷺ عادت إلى ما كانت عليه في العهد الراشدي ﷺ، فقد أقام ابن الزبير ﷺ في مكة، وبعث إلى المدينة من يتولاها نيابة عنه[5].

هذا ولا تتوافر معلومات مفصلة عن الوظائف الإدارية في عهد ابن الزبير ﷺ، والمعلومات التي وصلتنا في بعض المصادر تقتصر على ذكر أسماء بعض الموظفين، ولا تعطي فكرة دقيقة عن كيفية اختيار الموظفين أو عن أوضاعهم، و عدد الموظفين التابعين لهذه الوظيفة أو تلك، ولكننا نستنتج من المعلومات القليلة التي وصلتنا أن ابن الزبير ﷺ كان كغيره من الخلفاء يمارس صلاحياته فيعين ويعزل، والذي يظهر أنه كان وعادلاً في اختيار العمال والموظفين، وكان حريصاً على أن يكونوا من أصحاب الكفاءات، ولكن على الرغم من حرصه أخفق في اختيار بعضهم ما كان يضطره إلى إعادة النظر في تولية هؤلاء، وبخاصة عندما ترفع إليه الاعتراضات الموجهة إليه ضدهم، ويظهر ذلك جلياً في شكوى أهل البصرة عن سياسة حمزة بن الزبير، فقيل في سبب عزله : أن حمزة كان جواداً مخلطاً يجود أحياناً حتى لايدع شيئاً يملكه ويمنع أحياناً ما لا يمنع مثله، وظهر منه ضعف وخفة بالبصرة، فكتب أهل البصرة لما رأوا منه اختلاطاً وحمقاً، إلى عبد الله بن الزبير ﷺ أبيه فعزله ورد مصعباً [6].

وكان ابن الزبير ﷺ يفرض على ولاته تنفيذ أوامره بما يتناسب مع الشريعة الإسلامية، وإذا فعل أحد خلاف ذلك كان يعاقبه دون تأخير ويحاسبه ونادراً ما كان

---

[1] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٢٣.

[2] – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ٨ .

[3] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٣٩٩.

[4] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٤٣ .

[5] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٣١.

[6] –؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٢٧٩.

يعفو عنهم، وما يدل على ذلك ما فعله مع ابنه حمزة فقد حكم عليه بالسجن عندما هرب بأموال البصرة، فقيل قيده وسجنه في سجن عارم بمكة[1]، كما أنه عزل أكثر من وال لسوء استخدامهم السلطات التي فوضت إليهم، فقد عزل ابن الزبير ﷺ جابر بن الأسود عن المدينة ؛ لأنه ضرب سعيد بن المسيب ستين سوطاً لامتناعه عن البيعة[2].

كما وأن ابن الزبير ﷺ اعتمد في تعيين المناصب الإدارية المهمة على الصحابة والتابعين، فقد استعمل عامر بن مسعود بن أمية على الكوفة، وهو من ثقات الطبقة الأولى من التابعين[3]، ووكل أنس بن مالك ﷺ خادم رسول الله ﷺ أن يقوم بأمر الناس في البصرة لمدة أربعين يوماً [4]، كما ولى ابن الزبير ﷺ الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة البصرة، وهو من وجوه قريش ورجالها [5]،وولى الحارث بن حاطب بن الحارث القرشي المدينة وهو من ثقات الطبقة الأولى من التابعين[6]، كما ولى البصرة عبد الله بن الحارث بن نوفل، وهو من أهل الثقة كثير الحديث [7]، واستعان بعبد الله بن خازم على خراسان، وهو ذو صحبة ورواية[8].

ومن الصحابة والتابعين الذين استعان بهم ابن الزبير في القضاء عبد الله بن مسعود الهذلي وهو ثقة كثير الحديث [9]، وشريح بن الحارث الكندي الذي استقضاه عمر بن الخطاب على الكوفة [10]، واستقضاه مصعب بن الزبير أيضاً عليها، إلا أنه اعتزل القضاء لمدة ثلاث سنوات أيام ابن الزبير؛لأنه كان يعدُّها فتنة [11]، كما ولى مصعب بن الزبير

---

(1) – ابن بكار، جمهرة نسب قريش وأخبارها، ج ١، ص ٤٠.

(2) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١٠، ص ٢٣٣ ؛ إبراهيم عبد العزيز الجميح، قضاة المدينة ومكة في العصر الأموي، (جدة : مركز النشر العلمي، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م)، ص ١٩.

(3) – ابن الأثير، أسد الغابة ، ج ٣، ص ٣٩.

(4) – ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٩٢.

(5) – الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١، ص ١٩٦.

(6) – العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ١٠٩.

(7) – ابن الأثير، أسد الغابة ، ج ٣، ص ١٠٣.

(8) – ابن الأثير، أسد الغابة ، ج ٣، ص ص ١١٦– ١١٧.

(9) – ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ص ٢٨٠–٢٨١.

(10) – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٦ ص ١٥٢.

(11) – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٦ ص ١٥٦.

سعيد بن نمران الناعطي من همدان قضاء الكوفة، وكان من أصـــحاب علـــي بـــن أبي طالب رضي الله عنه[1] .

وأظهر ابن الزبير رضي الله عنه اهتماماً خاصاً بتولية أبنائه وإخوته مناصب مهمة، فقد عين أخاه جعفراً والياً على المدينة[2]، كما ولاها أخاه عبيدة سنة ٦٤هـــ / ٦٨٣م [3]، ثم استعمل عليها أخاه مصعبا حتى سنة٦٦هـــ / ٦٨٥م [4]، ثم جمـــع لمـــصعب البـــصرة والكوفة سنة٦٦هـــ / ٦٨٥م [5]، وبعد عزله عنهما ولى عليهما ابنه حمزة [6]، ثم أعـــاد مصعباً إلى العراق[7]، فاستمر والياً على البصرة والكوفة حتى قُتل سنة٧١هـــ/ ٦٩٠م [8]، وولى أخاه خالداً على اليمن [9]، وكان يستخلف ابنه عباداً على مكة عنـــد غيابـــه عنها.

والواضح أن استعمال ابن الزبير رضي الله عنه لهذه النخبة من الصحابة والتابعين والزبيريين لم يكن لكسب ودهم فقط، وإنما لأنه كان يؤمن بقدرتهم على القيام بما أوكل إليهم من مهام، ولو كانت القرابة هي الدافع الوحيد لتولية الزبيريين لما سارع ابن الـــزبير رضي الله عنه إلى عزل ابنه حمزة عن البصرة عندما اشتكاه أهلها، ولما عزل أخاه عبيدة عندما أساء السيرة في المدينة[10].وما يدل على أن ابن الزبير رضي الله عنه كان يتحرى في ولاته الأمانة والكفاءة أنـــه ولى كثيرين من غير أقاربه، فقد ولى المهلب بن أبي صفرة على فارس والموصل والجزيـــرة وأرمينية[11].

---

(1) – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٦ ص ٩٤.

(2) – ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥ ص ٢٢٠.

(3) – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٧٤.

(4) – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٢٠٦.

(5) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ٤٣٣ ؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٨٧.

(6) – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ص ٢٧٨– ٢٧٩.

(7) – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٢٨١.

(8) – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٣٢٣.

(9) – محب الدين الطبري، الرياض النضرة، ج ٤، ص ٢٥٢.

(10) – سبب عزل عبد الله بن الزبير عبيدة عن المدينة : أن عبيدة خطب الناس فقال لهم : قد ترون ما صنع الله بقوم في ناقة قيمتها خمسة دراهم، فسُمي مقوم الناقة، فبلغ ذلك أخاه عبد الله، فعزله واستعمل مصعباً.
ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٢٠٧.

(11) – البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٧، ص ٨.

وكان من سياسة ابن الزبير ﷺ في اختيار ولاته أن يشارك أهــل الأمــصار في اختيار العمال عليهم،وكذلك حرص ولاته على هذا الأمر، فقد وافق ابن الزبير ﷺ على اختيار أهل البصرة عبد الله بن الحارث بن نوفل الذي تم اختياره في اجتمــاع عقدتــه القبائل المضرية واليمانية بالبصرة [1]، وما فعله الولاة في هذا الأمر، استشارة مصعب أهل البصرة فيمن يولونه للدفاع عنها ضد خطر الخوارج، فأشاروا عليــه بالمهلــب بــن أبي صفرة[2].

ويتضح لنا من كل ما سبق أن جميع ولاة ابن الزبير ﷺ كانوا من العرب، كمــا أنهم كانوا من قبائل متفرقة.

هذا ما وصلنا من أخبار ابن الزبير ﷺ مع ولاته وكيفية إدارته للأمــصار الــتي دخلت تحت سيطرته، وعلى الرغم من أنها شحيحة بعض الشيء إلا أننا تمكنا من خلالها معرفة سياسة ابن الزبير ﷺ في تسيير أمور الحكم في تلك المناطق.

ومن الاصلاحات التي قام بها ابن الزبير الاجراءات الوقائية لحماية وزن العملــة ومحاربته الغش في وزن الدرهم من ذلك أنه عاقب رجلاً بقطع يده لأنه كــان يقــرض الدراهم[3].

وعين سعيد بن ميناء مراقباً للسوق - وهو من الثقاة الذين رووا عن عبدالله بــن الزبير-[4].

وكان يختار الولاة ذوي الخبرة في المكيال والميزان ومنهم والي البصرة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المعروف بالقباع وهو المكيال الكبير الضخم ، لقب به الحارث بــن عبد الله ، وهو وال على البصرة ، وذلك عندما عير مكاييلهم ، فنظر الى مكيال صغير في مرآة العين أحاط به دقيق كثير ، فرآه واسعاً ، فقال لهم : ان مكيالكم هذا القباع ملقب به واشتهر ، وكانت لزبير محاولة لاصلاح النقد ظهرت سنة ٦٤هــــ/٦٨٤م ، حيــث ظهرت دراهم مزيفة[5] ، فشاع الغش واشتكى الناس للوالي عبد الله بن الحارث — وهو

(1) – ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ١٠٣.
(2) – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص١٩٥.
(3) – الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ١٤٩.
(4) – الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ١٤٩.
(5) – البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٥٤٦.

والي الزبير على العراق – فأمر عبد الله أخاه مصعب بضرب الدراهم والدنانير سنة ٧٠هـ/٦٩٠م في العراق[1] ، وجعل لأهل العطاء كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل ، كما زاد اعيات الناس مئة مئة [2].

(1) ـ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص ٤٥٣.
(2) ـ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ص ٨٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص ٤٥٣.

الخـــــــــاتمة

أوضحت الباحثة أن الأسرة الزبيرية أسرة كبيرة العدد تمتد جذورها منـــذ العـــصر الجاهلي وحتى عهد الدولة الأموية، ولها الكثير من المـــشاركات الفعالـــة في مجريـــات الأحداث التاريخية منذ ذلك العصر ؛ إذ كانت تهيمن على ولاية بيت الله الحرام في العصر الجاهلي دون بقية قبائل العرب، إذ تمكن الجد الخامس للزبير بن العوام ﵁ وهو قصي بن كلاب من جمع قبائل قريش في مكة وتنظيم أمورهم، وقام بتخطيط مكـــة وتقـــسيمها بينهم، وتولى شرف مكة كله من حجابة وسقاية ورفادة وغيرها من المكارم، وامتد هذا الدور لبني أسد من بعده حتى جاء الإسلام،ثم كان دور الأسرة في العهد النبوي فقد ظهر دورهم بشكل قوي حيث رابطة القرابة للزبير بن العوام ﵁ بالرسول ﷺ ، مما جعـــل الزبير ﵁ يكرس نفسه لخدمة الدعوة والرسول ﷺ ، وظهر دوره بشكل بـــارز حيـــث كانت له مواقف جليلة وخالدة تتجلى في معارك الجهاد من أجل إعلاء رايـــة الإســـلام بقيادة الرسول ﷺ في معركة بدر، ومعركة أحد، وغزوة الأحزاب، وغزوة خيبر، وأخيراً في فتح مكة، وظهرت شجاعته وحبه وولاءه للرسول ﷺ، وحـــسن رأيـــه، وحكمتـــه وتصرفه، واعتماد الرسول ﷺ عليه، ولم يكن دوره عسكرياً فقط، بل اعتمد ﷺ علـــى الزبير في مهمات أخرى فكان من كتبته، ومن مبعوثيه ومرافقيه، ثم كان دور الأسرة في عهد الخلفاء الراشدين ﵃ ، إذ برز دور الأسرة بشكل قوي في خلافة أبي بكر الـــصديق ﵁ ، فقد كانت علاقتهما قوية حتى قبل إسلامهما حيث أسلم الزبير ﵁ على يـــد أبي بكر ﵁ ، ثم توثقت العلاقة بينهما وذلك بالمصاهرة، إذ تزوج الزبير ﵁ من أسماء ابنـــة أبي بكر الصديق ﵁ ، وقد شارك الزبير ﵁ في حروب الردة ومن ثم في معارك الجهـــاد خارج الجزيرة العربية في عهد الصديق ﵁ ، ثم كان الزبير ﵁ محل ثقة وتقدير من عمر ﵁ ، إذ كان يعد ابن الخطاب الزبير ﵁ أحد الصحابة الذين تركهم النبي ﷺ وهو راضٍ عنهم، وقد ظهر ذلك في أكثر من موقف، ثم كان الزبير ﵁ أحد المقـــربين إلى الخليفـــة عثمان بن عفان ﵁ ، إذ بدأت علاقتهما ببعضهما قبل الإســـلام، وتوطـــدت بعـــده، وظهرت بشكل أقوى منذ إسلامهما معاً على يد أبي بكر الـــصديق ﵁ ، ثم توطـــدت العلاقة بشكل أوسع أيام المحن في مكة وتنكيل قريش بالمسلمين، ثم امتدت العلاقة بـــين

الخليفة عثمان ﷺ والأسرة الزبيرية، وظهر ذلك جلياً في إعجاب عثمان ﷺ بعبد الله بن الزبير ﷺ عند اشتراكه في فتح شمال أفريقيا، ثم أوكل إليه مهمة نسخ ما جمع من القرآن الكريم في الرقاع زمن أبي بكر الصديق ﷺ ،ثم كان دوره في الدفاع عن الخليفة أثناء حصار الثوار لداره، واتضح خلال الدراسة مدى ارتباط الزبير بن العوام وأبنائه بعثمان ﷺ ، سواء في مساندته أثناء خلافته ومروراً بفترة محنته، إذ قاموا بالدفاع عنه بقوة، وحتى بعد وفاته إذ لم يتركه الزبير ﷺ إلا بعد أن صلى عليه في الوقت الذي تخلى عنه الكثير من أصحابه، ثم كانت الأسرة معارضة لخلافة علي ﷺ، واشتركت مع السيدة عائشة- رضي الله عنها- في معركة الجمل التي انتهت بانتصار علي بن أبي طالب وهزيمة طلحة والزبير وعائشة ﷺ ، ثم كان مقتل الزبير بن العوام ﷺ بعد معركة الجمل، وتولى معاوية بن أبي سفيان ﷺ الخلافة و لم يبد آل الزبير معارضة ضده، حتى عقد معاوية ﷺ البيعة بولاية العهد لولده يزيد، ولوحظ كيف استطاع معاوية ﷺ إرساء دعائم مبدأ جديد في النظام السياسي الإسلامي وهو حصر الخلافة في أسرة بني أمية، وذلك باتباع أساليب مرنة متباينة، كالملاينة والمصانعة أحيانا، والشدة والحزم حيناً، والتهديد حيناً آخر، ثم كانت فترة يزيد بن معاوية وما تلتها من أحداث، ثم وضحت الباحثة الأسباب التي دعت عبد الله بن الزبير ﷺ لإعلان نفسه خليفة منها: (ما قام به معاوية بن أبي سفيان ﷺ وابنه يزيد، عدم تطلع الصحابة ﷺ وأبنائهم إلى الخلافة، وضعف السلطة الأموية في الحجاز، وسوء الحالة الاقتصادية في الحجاز، والتباين الواضح بين شخصية ابن الزبير ﷺ ويزيد بن معاوية)، هذه الأسباب مجتمعة التي جعلت الناس يلتفون حول عبد الله بن الزبير ﷺ ، ويؤيدونه من سائر أطراف العالم الإسلامي، ماعدا بعض من أهالي الحجاز الذين كان لهم موقف من دعوة ابن الزبير ﷺ ، ومنهم: الهاشميين متمثلة في شخص محمد بن الحنفية ﷺ الذي عارض الدعوة الزبيرية، ما كان سبباً في ظهور حزب جديد هو حزب الشيعة الكيسانية، وغير الهاشميين منهم : عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ ، وكان من الذين شغلتهم العبادة عن المشاركة في الأمور السياسية، و لم يكن له أي أطماع سياسية ما كان له الأثر السلبي على بعض الناس من دعوة ابن الزبير ﷺ ، وبعد ذلك أعلن ابن الزبير ﷺ خلافته في الحجاز، مستغلاً كراهية الحجازيين للأمويين، فالتف الناس حوله، وتمكن من السيطرة على عدد من المناطق (اليمن، وخراسان، والكوفة،

والبصرة، ومصر)، وهكذا بايعت الأمصار الإسلامية جميعها ماعدا إقليم الأردن، ثم كان موقف عبد الله بن الزبير ﷺ من الحركات المناوئة للأمويين متمثلة في حزب التوابين من الشيعة ومحاولته الاستفادة من عدائهم للأمويين وطلبه منهم الانضمام إليه إلا أنهم رفضوا ذلك وبذلك لم يستفد منهم، ثم كان موقفه من المختار وحزبه الذي انتهى بوقوع معركة بين الطرفين انتهى بهزيمة المختار وأتباعه وزوال ثورة الشيعة، ومن ثم موقفه من الخوارج وانشغال ابن الزبير ﷺ بهم الأمر الذي كان له الدور الكبير في انتصار عبد الملك بن مروان عليه، ثم تطرقت الباحثة الى أهم الأعمال الإصلاحية التي قام بها ابن الزبير ﷺ فترة خلافته منها إعادة بناء الكعبة وتوسعة لمسجد الحرام، أما فيما يخص الأعمال الادارية فلم تختلف النظم الادارية التي اتبعها ابن الزبير عن النظم التي سادت فترة الخلفاء الراشدين ﷺ ، ثم كان الصراع بين عبد الملك بن مروان وابن الزبير ﷺ والمعارك التي دارت بين الطرفين وانتهت بهزيمة ابن الزبير ﷺ، وأخيراً الأسباب التي أدت الى هزيمة ابن الزبير ﷺ وأدت الى نهاية فترة حكمه على المناطق التي سيطر عليها، ولقد توصلت من خلال هذا البحث إلى أهم النتائج الآتية، ومنها:

- أن عبد الله بن الزبير ﷺ أضاع على نفسه فرصة لو انتهزها لتغير مجرى حياته وما وصل إلى هذا المصير المحزن – فقد ظل مقيماً بالحجاز دون أن يخرج لنجدة من ساروا في ركابه من أمراء الأقاليم، وكان ذلك من عوامل فشله، فالحجاز بلاد لا تصلح لأن تكون مركزاً لدعوة كبيرة، فهي بيئة فقيرة لا تستطيع أن تمد ابن الزبير بما يحتاج إليه من مال وعتاد، وكانت العصبية القبلية مع هذا تمزق وحدة أهل الحجاز، وتفرق كلمتهم ما كان له أثره على دعوة ابن الزبير ﷺ .
- أن ابن الزبير ﷺ قد أخطأ في رفضه دعوة الحصين بن نمير عندما دعاه بعد وفاة يزيد بن معاوية إلى الخروج معه إلى الشام، وأبدى استعداده لأن يأخذ له البيعة من جنوده، ثم من أهل الشام جميعاً ولكن ابن الزبير ﷺ رفض موافقته وأبى الشخوص معه إلى الشام.

- أن ابن الزبير ﷺ ضيع على نفسه فرصة أخرى حانت له بعد وفاة معاوية الثاني فقد تولى الضحاك بن قيس الفهري أمر الدعوة لابـن الـزبير ﷺ وأخذ البيعة له، فدانت له بلاد الشام جميعها ماعدا إقليم الأردن، بلغت قوة الدعوة الزبيرية إلى حد أن مروان بن الحكم عزم على مبايعـة ابـن الزبير ﷺ ولو كان ابن الزبير ﷺ خرج إلى الشام في هـذه الظـروف المواتية لاستقرت له الأمور تماماً، ولكن بقاء ابن الزبير في الحجاز أتـاح الفرصة لبني أمية أن يوحدوا كلمتهم ويختاروا مروان بن الحكم للخلافة، ثم انصرفوا إلى قتال الضحاك بن قيس داعية ابن الزبير فقتلوه حتى دانت لهم الشام، واتجهوا إلى مصر وتولى عبد الملك بن مروان القـضاء علـى الدعوة الزبيرية في العراق ثم في الحجاز.
- أن ابن الزبير ﷺ أهمل في حق نفسه وفي حق دعوته باعتمـاده علـى في نشر الدعوة على رجال غير جديرين بثقته التي وضعها فـيهم – فهـذا الضحاك بن قيس الذي عهد إليه بنشر الدعوة لآل الزبير في الـشام قـد أصبح طامعاً في الخلافة بعد وفاة يزيد فترك الدعوة لابن الزبير ﷺ وطلب من الناس أن يبايعوا له بالخلافة فانفض الناس عنه وعن ابـن الـزبير ﷺ وبايعوا مروان بن الحكم، كما اعتمد ابن لزبير في الدعوة له في العـراق على شخصيات ضعيفة أمثال عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمـد بـن طلحة، فأساءوا إلى الدعوة الزبيرية و لم يقيدوها بشيء علـى الإطـلاق، اللهم إلا إغضاب الناس وإيغار صدورهم على الدعوة الزبيرية، كما أننـا لم نر نشاطاً يُذكر لدعاة ابن الزبير ﷺ في مصر فاقتصر الأمر على الجهود المحدودة الذي بذله ابن جحدم الذي فرض نفسه على الناس والياً من قبل ابن الزبير ﷺ قهراً، وإجبارا فبايعوا لابن الزبير ﷺ تحت تأثير الخـوف والرهبة، حتى إذا قدم مروان بن الحكم إلى مصر وأصبح سـيد الموقـف نقضوا هذه البيعة وهرعوا إلى مبايعة مروان بالخلافة .

- أن موقف ابن الزبير ﷺ من المختار الثقفي كان العامل الأول لقيام حزب المختار في العراق، وكان لقيام هذا الحرب أكبر الأثر في إضعاف نفوذ ابن الزبير ﷺ في العراق.

والحمد لله أولاً وآخراً.

ثبت المصادر والمراجع

١-المصادر:

ابن تيمية ، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله (ت ٦١١هـ = ١٢١٣م).

ـــــــــ المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال ، تحقيق : محب الدين الخطيب ،الطبعة الثانية ، الرياض : الرئاسة العامة لادارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، ١٤٠٩هـ .

ـــــــــ منهاج السنة النبوية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، مكتبة ابن تيمية ، ١٤٠٩هـ.

ابن الأثير عز الدين، عز الدين أبو الحسن عليّ بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ=١٢٣٢م).

ـــــــــ أسد الغابة في معرفة الصحابة، د.ط، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٩هـ =١٩٨٩م.

ـــــــــ الكامل في التاريخ، د.ط، بيروت : دار صادر، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

الأزرقي , محمد بن عبد الله (ت ٢٥٠هـ = ٨٦٤م).

أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق : رشدي الصالح ملحس، ط٨، مكة المكرمة: مطابع دار الثقافة، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م.

الأصفهاني , أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ = ١٠٣٨م).

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا،ط١، بيروت:دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.

ابن الأعرابي (ت ٢٣١هـ =٨٤٥م.)، رواية الجواليقي , أبو منصور , (ت ٥٤٠هـ=١١٤٥م.) .

أسماء خيل العرب وفرسانها , تحقيق : نورى حمودي القيسي, حاتم صالح الضامن , ط١، بيروت : عالم الكتب , ١٤٠٧هـ =١٩٨٧م.

الأندلسي، ابن سعيد (ت ٦٨٥هـ = ١٢٨٦م).

نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق: نصرت عبد الرحمن، د.ط، (عمان : مكتبة الأقصى، د. ت).

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦هـ=٨٦٩م).

صحيح البخاري، مراجعة وضبط: محمد علي القطب، هشام البخاري، ط٤، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.

البري، محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري، (د.ت).

الجوهرة في نسب النبي ﷺ وأصحابه العشرة، تعليق: محمد التونجي، ط١، الرياض: دار الرفاعي، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

البغدادي، أبو الفوز محمد أمين لشهير بالسويدي، (د.ت)

سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، د.ط، بيروت : دار الكتب العلمية، د.ت.

ابن بكار , الزبير بن بكار بن عبد الله الأسدي (ت ٢٥٦هـ = ٨٦٩م).

الأخبار الموفقيات، تحقيق: سامي مكي العاني، ط٣، بيروت: عالم الكتب، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م.

جمهرة نسب قريش وأخبارها، شرح وتحقيق: محمود محمد شاكر،د.ط، القاهرة : مطبعة المدني، ١٣١٨هـ = .

البلاذري، أحمد بن يحي بن جابر (ت ٢٧٩هـ=٨٩٢م).

أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار، رياض زركلي، ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م.

فتوح البلدان، تحقيق : عبد الله أنيس الطباع، عمر أنيس الطبـــاع، د.ط، بيروت: مؤسسة المعارف، ١٤٠٧هـــ = ١٩٨٧م.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن محمد (ت ٥٩٧هـــ= ١٢٠٠م).

ـــــــــــ صفة الصفوة، ط١، بيروت: المكتبة العصـــــرية،١٤٢١هـــ=٢٠٠٠م.

ـــــــــــ الوفا بأحوال لمصطفى، تحقيق: مصطفى عبد الواحـــــد، ط١، مصر: مطبـــــعة السعادة، ١٣١٨هـــ = ١٩٦٦م.

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (د.ت)

صحيح ابن حبان بترتيب ابن لبان، تحقيق: شـــعيب الأرنـــؤوط، ط٢، بيروت : دار الرسالة، ١٤١٤هـــ = ١٩٩٣م.

ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥ هـــ = ٨٥٩ م).

ـــــــــــ المحبر، تصحيح:ايلزة ليختن شتيتر،بيروت:دار الآفاق الجـــــديدة،دت.

ـــــــــــ المنمق في أخبار قريش،تصحيح وتعليق: خورشيد أحمد فاروق، ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٥هـــ = ١٩٨٥م.

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حـــزم الأندلـــسي (ت ٤٥٦هـــــ = ١٠٦٣م)

جمهرة أنساب العرب، مراجعة وضبط : لجنة من العلماء بإشراف محمـــد علي بيضون، د.ط، (بيروت : دار الكتـــب العلميـــة، ١٤١٨هـــــ = ١٩٩٨م)

الحموي، شهاب الدين أب عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هــ = ١٢٢٨م).

معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، ط١، بيروت:دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـــ=١٩٩٠م.

ابن حنبل , أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت ٢٤١هـ = ٨٥٥م).

فضائل الصحابة، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، ط٢، الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

ابن خلدون , الإمام عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ = ١٤٠٥م).

ـــــــــــ تاريخ ابن خلدون، تعليق: تركي فرحان المصطفى، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م.

ـــــــــــ مقدمة ابن خلدون، تحقيق: درويش الجويدي، ط٢، بيروت : المكتبة العصرية، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ = ١٢٨٢م).

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، إعداد: وداد القاضي، عز الدين أحمد موسى، إشراف: إحسان عباس، د.ط، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.

ابن خياط،خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠هـ = ٨٥٤م).

تاريخ ابن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، دار القلم،١٣٩٧هـ =١٩٧٧م.

الدينوري , أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ = ٨٩٥م).

الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، جمال الشيال، د.ط، مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٣٧٩هـ = ١٩٥٩م.

الزبيري , أبو عبد الله المصعب ابن عبد الله بن المصعب (ت ٢٣٦هـ = ٨٥٠م).

نسب قريش، تعليق: إ.ليفي بروفنسال، ط٣، القاهرة : مكتبة ابن تيمية،١٩٥٣م.

السدوسي، مؤرج بن عمرو .(د.ت)

كتاب حذف من نسب قريش، رواية، أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي، نشره، صلاح الدين المنجد، د.ط، القاهرة : مكتبة دار العروبة، ١٩٦٠م.

ابن سعد , محمد (ت ٢٣٠ هـ = ٨٤٤م).

الطبقات الكبرى، تحقيق وتعليق: حمزة النشرتي، عبد الحفيظ فرغلي، عبد الحميد مصطفى،د.ط، القاهرة: المكتبة القيمة، ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.

ابن سلام، أبو عبيد القاسم، (ت ٢٢٤هـ = ٨٣٨م).

الأموال،ط١، بيروت : مؤسسة ناصر للثقافة، د.ت.

السيوطي , جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر (ت٩١١هـ = ١٥٠٥م).

ـــــــ تاريخ الخلفاء، تحقيق: أحمد إبراهيم زهوة، سعيد بن أحمد العيدروسي، الطبعة الثالثة، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م.

ـــــــ الخصائص الكبرى، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

ـــــــ ريح النسرين فيمن عاش من الصحابة مائة وعشرين، تحقيق: عدنان أحمد مجود،

ط١، جدة:دار الوفاء،١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.

الشبلي، بدر الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالله (ت ٧٦٩هـ =١٣٦٧م)

أحكام الجان , تحقيق: السيد الجميلي, بيروت: دار ابن زيدون , ١٤٠٥هـ =١٩٨٥م .

الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن مهران المهراني، (ت ٤٣٠هـ=١٠٣٨م)

معرفة الصحابة، تحقيق: محمد راضي بن حاج عثمان، ط١، المدينة المنورة : مكتبة الدار، ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م.

الأصبهاني، الإمام الحافظ يحي بن عبد الوهاب بن منده (د.ت)

من عاش مائة وعشرين سنة من الصحابة، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، د.ط، القاهرة : مكتبة القرآن، د.ت.

الطبري ، محب الدين أحمد بن عبد الله (ت ٦٩٤هـ = ١٢٩٤م).

الرياض النضرة في مناقب العشرة،إخراج: عبد المجيد طعمة حلبي، ط١، بيروت: دار المعرفة،١٤١٨هـ=١٩٩٧م.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ = ٩٢٢م).

تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط، بيروت: روائع التراث العربي، ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م.

ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣هـ = ١٠٧٠م).

الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ=١٩٩٢م.

ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ = ٩٣٩م).

العقد الفريد،ط١ بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ=١٩٩٦م.

ابن العربي، أبي بكر محمد بن عبد الله العربي (ت ٥٤٢هـ = ١١٤٨م).

العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، تحقيق: محب الدين الخطيب، إخراج الأحاديث : محمود مهدي الاستانبولي، تعليق: محمد جميل غازي، ط٣، بيروت : دار الجيل، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.

العسقلاني، شهاب الدين أب الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد علي(ابن حجر)،(ت ٨٥٢ هـ = ١٤٤٨ م).

ــــــ الإصابة في تمييز الصحابة، د.ط،بيروت : دار الفكر، ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م.

ــــــ تهذيب التهذيب، ضبط ومراجعة: صدقي جميل عطار، ط١، دار الفكر للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.

الفاسي، تقي الدين (ت ٨٣٢هـ = ١٤٢٨م).

شفاء الغرام بأخبار البيت الحرام،المشرف على التحقيق : سعيد عبد الفتاح، تحقيق: عادل عبد الحميد العدوي، هشام عبد العزيز عطا، أشرف أحمد الجمال، ط١، الرياض: مكتبة نزار الباز، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م.

الفاكهي، أبو عبد الله محمد بن إسحاق ت(٢٧٢هـ = ٨٨٥م).

أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق : د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط٣، بيروت : دار خضر، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م .

ابن فهد، عمر بن فهد محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد (٨٨٥هـ = ١٤٨٠م).

إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق وتقديم: فهيم محمد شلتوت، ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٤هـ=١٩٨٣م.

القرشي، يحي آدم (د.ت).

كتاب الخراج، تحقيق: حسين مؤنس، ط١، القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٧هـ.

القزويني، زكريا بن محمد بن محمود.

آثار البلاد وأخبار العباد،(د. ط)، بيروت : دار صادر، د.ت.

القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ = ١٤١٨م).

نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب، د.ط، بـيروت : دار الكتـب العلمية.

ابن كثير، أبو الفداء الحافظ الدمشقي (ت ٧٧٤هـ = ١٣٦٢م).

البداية والنهاية، توثيق: الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الوجود، ط١، بيروت: دار الكتب العلمـية، ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م.

ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤هـ = ٨١٩م).

جمهرة النسب، رواية: السكري عن ابن حبيب، تحقيق: ناجي حسن،ط١ (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م).

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغـدادي (ت ٤٥٠ هـ = ١٠٥٨م).

الأحكام السلطانية والولايات الدينية، د.ط، بيـروت : دار الكتـب العلمية، د.ت.

المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٥هـ = ٩٩٤م).

مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط١، بـيروت: المكتبة العصرية،١٤٢٥هـ=٢٠٠٥م.

المقدسي،موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة (د.ت).

التبيين في أنساب القرشيين، تحقيق وتعليق: محمد نايـف الدليمي،ط٢، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٥هـ=١٩٨٨م.

ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت ٢١٣هـ = ٨٢٨م).

السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيـظ شلبي،ط١، بيروت: دار القلم،١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح (ت ٢٨٤هـ = ٨٩٧م).

تاريخ اليعقوبي، ط٦، بيروت: دار صـادر، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.

أبو يوسف، القاضي يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ = ٧٩٨م).

كتاب الخراج، تحقيق وتوثيق: طه عبد الرءوف سعد، سعد حسن محمد، طبعة جديدة، القاهرة: المكتبة الأزهرية، ١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م،

٢.المراجع العربية:

آل الشيخ، نورة عبد الملك إبراهيم.

الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في المدينة المنورة في العصر الأموي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جدة، كلية التربية: ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٦م .

إبراهيم،إبراهيم حسن .

تاريخ الإسلام السياسي، د.ط، القاهرة : مطبعة حجازي، ١٩٩٥م .

أحمد،أحمد رمضان.

الخلافة والحضارة الإسلامية، د.ط، جدة : دار البيان العربي، د.ت.

أحمد،شكري يوسف حسين.

سياسة زياد بن أبيه في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، القاهرة: جامعة الأزهر، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٣م.

أمين،احمد.

فجر الإسلام، ط١١، بيروت: دار الكتاب العربي،١٩٧٥م.

بّرو، توفيق .

تاريخ العرب القديم، الطبعة الثانية، بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م.

بك،محمد أحمد جاد المولى، البجاوي، على محمد، إبراهيم،محمد أبو الفضل.

أيام العرب في الجاهلية، د.ط، بيروت : المكتبة العصرية، ١٩٦١م.

بيضون،إبراهيم.

ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، د.ط، لبنان : دار النهضة العربية، ١٩٧٩م .

جمعة،أحمد خليل.

فرسان من عصر النبوة، د.ط، بيروت: اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

الجميح، إبراهيم عبد العزيز.
قضاة المدينة ومكة في العصر الأموي، (جدة : مركز النشر العلمي، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م

الجيوشي،محمد إبراهيم.
ـــــ أخبار ابن ذي الجناحين، د.ط،القاهرة: مكتبة الحسين الإسلامية، د.ت.

حبيب،جميل إبراهيم.
سيرة الزبير بن العوام ومواقفه من معارك التحرير والفتوحات الإسلامية، ط١،بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٥م.

الحسكي،أحمد إبراهيم أحمد.
معاوية بن أبي سفيان وأثره في نظام الحكم في الإسلام، رسالة ماجستير غير منشورة، القاهرة،جامعة الأزهر، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.

حسن،حسن إبراهيم , حسن، علي إبراهيم .
النظم الإسلامية، ط٤، القاهرة : مكتبة النهضة العربية , ١٣٩٠هـ = ١٩٧١م.

حسن،حسن علي، محمد،التوم الطالب .
تاريخ الحضارة العربية الإسلامية , ط١، الكويت: مكتبة الفلاح , ١٤٠٦ هـ -١٩٨٦م .

بني حمد، فضيل أحمد فضيل.
بنو أمية ودورهم في الحياة العامة في ظل الحكم الأموي في المشرق الإسلامي، رسالة دكتوراه غير منشورة، الأردن : الجامعة الأردنية،١٤١٧هـ = ١٩٩٦م.

حميد الدين، محمد .

مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط٥، بيروت : دار النفائس، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م .

الخراشي، عبد الله بن عثمان عبد الكريم.

النشاط الاقتصادي في منطقة المدينة المنورة في العهد النبوي، رسالة دكتوراه غير منشورة، الرياض: جامعة الملك سعود.

الخربوطلي، علي حسن.

———— تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي السياسي، اجتماعي،اقتصادي، د.ط، القاهرة: دار المعارف،١٣٧٩هـ = ١٩٥٩م.

———— مكة على مر العصور، د.ط، القاهرة : دار المعارف، ١٩٦٧م.

الخرعان، عبد الله بن عبد الرحمن بن زيد .

أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية، رسالة دكتوراه غير منشورة، الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م .

خطاب،محمود غيث.

قادة فتح الشام ومصر،د.ط،بيروت : دار الفتح،١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م .

دماس، سعيد عوضة.

عقد التحكيم بين علي ومعاوية، رسالة ماجستير غير منشورة، الرياض : جامعة الامام محمد بن سعود، ١٣٩٩/١٤٠٠هـ.

الدومي،أحمد عبد الجواد ؛العناني،حسن صالح .

سلسلة أبطال الإسلام، الزبير بن العوام، العدد٧، بيروت: منشورات المكتبة العصرية.د.ت.

الراوي،ثابت اسماعيل.

العراق في العصر الأموي من الناحية السياسية والإدارية والاجتماعية،ط٢، بغداد : مكتبة الأندلس،١٣٩٠هـ= ١٩٧٠م .

الرشيدي، فتحي السيد أحمد.

عثمان بن عفان وسياسته في الحكم والإدارة، رسالة ماجستير غير منشورة، القاهرة: جامعة الأزهر، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م .

رضا، محمد.

الإمام علي بن أبي طالب، تحقيق: محمد أمين ضناوي، ط١، بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ = ١٩٩٦م.

الرويضي، محمود محمد فالح .

حركة عبد الله بن الزبير، رسالة ماجستير غير منشورة،الأردن : الجامعة الأردنية، ١٤١١هـ = ١٩٩٠م.

الزركلي،خير الدين.

الأعلام قاموس وتراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين، ط٣، بيروت : دار العلم للملايين، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.

زمباور.

معجم الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، إخراج: زكي محمد حسن بك، حسن أحمد محمود، ترجمة : سيدة إسماعيل كاشف، حامد أحمد محمود، أحمد ممدوح حمدي،د.ط، (القاهرة : مطبعة جامعة فؤاد، ١٣٧٠هـ = ١٩٥١م.

سلامة، عواطف أديب.

قريش قبل الإسلام دورها السياسي والاقتصادي والديني، رسالة ماجستير منشورة، إشراف: عبد الرحمن الطيب الأنصاري، الرياض: دار المريخ للنشر، ١٤١٤هـ= ١٩٩٤ م.

الشايب، أحمد .

تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني، د. ط، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٥م

شُراب،محمد محمد حسن .

المدينة في العصر الأموي، ط١، المدينـــة المنورة: مكتبـــة التراث، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.

الشريف،احمد إبراهيم.
دور الحجاز في الحياة السياسية في القرنين الأول والثاني الهجـري، د.ط، القاهرة : دار الفكر العربي،١٣٨٨هـ = ١٩٦٨م .

الشريف، عبد الله بن فهد.
فقه الإمام عروة بن الزبير، رسالة دكتوراه غير منشورة، المدينة المنـورة: الجامعـــة الإسلامية، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م.

صالح،محمد أمين.
العرب والإسلام من البعثة النبوية حتى نهايـة الخلافـة الأمويـة،د.ط، القاهرة : مكتبـة نهضة الشرق،١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م

صفوت، أحمد زكي.
جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، د.ط ، بيروت: المكتبـة العلمية ، ١٣٥٢هـ = ١٩٣٣م.
جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهـرة،،د.ط، القـاهرة: دار المطبوعات العربية،١٣٥٦هـ = ١٩٣٧م.

الطاهر،سلوى مرسي.
أول سيرة في الإسلام عروة بن الـزبير، ط١، عمـــان: دار الفارس،١٤١٦هـ = ١٩٩٥م.

عبد الرحمن، خالد سليمان حمد.
يزيد بن معاوية سيرته وخلافته، رسالة ماجستير غير منـشورة ،الأردن : كلية الدراســات العليا،١٤١٢هـ = ١٩٩١م.

عبد الغني، محمد الياس، فلاته، عمر محمد .
بيوت الصحابة حول المسجد النبوي الشريف، ط٤، المدينـــة المنورة :مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م.

عبد اللطيف، عبد الشافي محمد.

العالم الإسلامي في العصر الأموي، ط٣، القاهرة : دار اتحاد، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

علي،أحمد إسماعيل.

تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل الميلاد حتى نهاية العصر الأموي،ط٣، دمشق: دار دمشق،١٤١٥هـ = ١٩٩٤م.

عواجي، غالب بن علي.

الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها، ط١، دمنهور : مكتبة لينة، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م .

العودة، سليمان بن حمد.

عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام،ط٣، الرياض: دار طيبة، ١٤١٢هـ = ١٩٩١م.

غرايبة، طلال صالح.

الحياة السياسية في بلاد الشام في خلافة معاوية بن أبي سفيان، رسالة ماجستير غير منشورة،الأردن، الجامعة الأردنية، ١٤٠٠هـ = ١٩٧٩م.

الغنيم،عبد العزيز.

موقف الحسين بن علي من الخلافة وآثاره السياسية بين عامي الجماعة، رسالة دكتوراه غير منشورة، القاهرة، جامعة الأزهر، د.ت.

فروخ، عمر .

تاريخ الجاهلية، ط١، بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٦٤م.

الأفغاني،سعيد.

أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ط٢، دار الآفاق العربية، ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.

لحام، ماجد.

عبد الله بن الزبير العائذ ببيت الله الحرام، ط١، دمشق: دار القلم، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.

محمد، مصطفى زكي .

ثورة عبد الله بن الزبير وموقف الأحزاب السياسية منها، رسالة ماجستير غير منشورة، القاهرة : جامعة الأزهر، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .

مصطفى، اسحق محمد رباح .

أسرة آل المهلب إلى نهاية القرن الأول الهجري، رسالة ماجستير، القاهرة : جامعة الأزهر، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

مغربي،محمد علي .

أعلام الصحابة(١)، ط١، جدة : دار العلم، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م .

المقرن، عبد الرحمن عبد الله محمد.

ولاية أفريقية في العهد الأموي، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: ١٤٠٥- ١٤٠٦هـ.

مؤنس، حسين .

ـــــــ أطلس تاريخ الإسلام، الطبعة الأولى، القاهرة : الزهراء للإعلام العربي، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.

ـــــــ تاريخ قريش، الطبعة الأولى، جدة: الدار السعودية، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

الناطور، شحادة علي.

عبد الله بن الزبير والانتفاضة الثورية في عهد بني أمية، ط١، عمان : دار ابن رشد،١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م .

النجار، محمد الطيب.

الدولة الأموية في الشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء، ط٣، القاهرة : دار الاعتصام،١٤١٨هـ = ١٩٩٧م .

الهاشمي، عبد المنعم.

ـــــــ العشرة المبشرون بالجنة، الزبير بن العوام، ط١، الكويت : مكتبة ابن قتيبة،١٤١١هـ = ١٩٩٠م.

ـــــــــــــ من أعلام الصحابة، ط١، بيروت : دار ابن حـــزم، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م.

ـــــــــــــ تاريخ الخلافة الراشدة (خلاصة تاريخ ابـــــــــــن كثير)، ط١، بـــيروت : مكتبة المعارف، ١٤١٧هـ= ١٩٩٧م .

٣.الدوريات والمقالات:

الباشا، عبد الرحمن رأفت.

عروة بن الزبير منارة هدى ودليل فلاح، وداعية خير طوال حياته، المجلة العربية، العدد٢، الرياض: شعبان، ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م.

جبري، شفيق.

ـــــــــ البيان الصادق، المجلة العربية، العدد ١، السعودية: محرم، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٨م.

ـــــــــ لغة العامة، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق،الجزء الرابع، المجلد ٤٩ شعبان ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

جبوري، إبراهيم محمد علي.

قصي بن كلاب ودوره في تنظيم قريش قيادته لها، مجلة شؤون اجتماعية، الشارقة : العدد الخامس والستون، السنة السابعة عشرة، ربيع ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠.

الجمل، إبراهيم محمد حسن.

البيئة وأثرها في حياة السيدة خديجة بنت خويلد، مجلة الجامعة الإسلامية،،المدينة المنورة: العدد٥٨، ربيع الآخر، جمادى الأولى، جمادى الآخرة١٤٠٣هـ = ١٩٨٢م.

الجميح،د. إبراهيم عبد العزيز .

النشاط التجاري والحرفي في مكة في العصر الأموي من خلال كتاب الفاكهي، الدارة، مكة : العدد الثالث، السنة الحادية والثلاثون، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.

الحديثي، قحطان عبد الستار .

حركات الخوارج في خراسان في القرنين الثاني والثالث الهجري، مجلة كلية الآداب، العدد ٦ السنة الخامسة، البصرة :١٤١٣هـ = ١٩٩٢م .

حمودي، صلاح التجاني .

هجرة المسلمين إلى الحبشة أسبابها ونتائجها، مجلة العصور، المجلد التاسع،محرم: ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م.

خطاب، محمود شيت.

السفارات والرسائل النبوية كتاب النبي ﷺ وموادهم الكتابية، مجلة المورد، المجلد ١٦، العدد١، بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، ربيع١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م.

دكسن،عبد الأمير عبد.

من حركات المعارضة الدينية السياسية في العصر الأموي، المجلة التاريخية، العدد الثاني، بغداد : الجمعية العراقية للتاريخ والآثار،١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م .

الذويب، بسيم.

الإسلام يحطم الأصنام، مجلة الرسالة الإسلامية، العدد ١١٨،١١٧ ،بغداد:المكتبة الوطنية، شعبان، رمضان،١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م.

رمضان، د. عبد المحسن طه.

مظاهر التغيير في نظام الخلافة أيام معاوية بن أبي سفيان ونتائجه، مجلة كلية الآداب، العدد ١٠، جامعة طنطا: يناير،١٤١٧هـ = ١٩٩٦م.

زايد،محمود .

التاريخ السياسي لمكة قبيل الإسلام، مجلة العربي، العدد ٤٢، الكويت : ذو القعدة ١٣٨١هـ = مايو ١٩٤٢م.

زلهايم، المستشرق رودلف، تعريب : حسام الصغير .

فتنة عبد الله بن الزبير، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد التاسع والأربعون، دمشق، شعبان، سبتمبر، ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م .

زيود،محمد.

دراسة تحليلية لموقف الحجاز من خلافة يزيد الأول، مجلة الدراسات التاريخية، العددان ، ٦٢، دمشق:، أيلول، كانون أول،١٤١٨هـ = ١٩٩٧م.

ساعاتي،د. فوزي محمد .

شهداء بلاد الشام في عهد الخلفاء الراشدين، مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية المحكمة، العدد ١٨، السنة الحادية عشرة: ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.

السنيدي، إبراهيم عبد الكريم.

الصحابي الجليل الزبير بن العوام، مجلة كلية الملك خالد العسكرية، العدد ٤٠، شتاء : ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م .

شلبي، د. عبد الجليل .

عروة بن الزبير رضي الله عنه،،مجلة لواء الإسلام، رمضان : ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .

الطنطاوي، ناجي .

سعيد بن المسيب، مجلة الرسالة، العدد ١٥٥، القاهرة : ربيع الثاني، يونية، ١٣٥٥هـ =١٩٣٦م.

عبد الرحمن، محمد حسني.

عبد الله بن الزبير، مجلة الرسالة،العدد١١١، القاهرة: جمادى الأولى،١٣٥٤هـ = ١٩٣٥م.

عبد الرزاق، محمود إسماعيل:

الخوارج وقضية التحكيم، المجلة التاريخية المصرية، المجلد العشرون، القاهرة : الجمعية المصرية للدراسات التاريخية،١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م .

عبد المتجلي، محمد رجاء حنفي.

الزبير بن العوام البطل والقائد جواري الرسول الكريم، مجلة الخفجي، العدد ٩، شوال : ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م .

العبيدي، د. صلاح .

المنجنيق سلاح عربي في ضوء التنقيبات الأثرية، مجلة كلية الآداب،العدد ٢٥، جامعة بغداد: ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م .

العقيلي، محمد أرشيد.

مروان بن الحكم ينقذ الحكم الأموي، مجلة الدراسات التاريخية، العددان ٤٦،٤٥، دمشق:، آذار،حزيران، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م.

الفريح، عبد الرحمن .

العرب في خراسان وبلاد ما وراء النهر في العصر الأموي، مجلة الدرعية،السنة الثانية، العدد الخامس، الرياض : محرم، ١٤٢٠هـ = مايو ١٩٩٩م.

فرون، السيد حسن.

مذهب حواري النبي ﷺ في تسمية أبنائه، مجلة الأزهر، الجزء الخامس، السنة السادسة والأربعون، رجب :١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م.

القيسي، زهير أحمد.

الأصنام، مجلة التراث الشعبي، العدد١، بغداد: دار الحرية للطباعة،١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م .

٤. المراجع الأجنبية:

Dixon ,Abd al-Ameer, Abd.

The Umayyad Caliphate , 65 – 86\684 – 705 (Apolitical Study) , London , Luzac And Company , 1917.

Salem, Elie Adib.

Political Thery And Institutions of the Khawarij , The Johns Hopkins press, Baltimore, 1956.

Shaban, Muhammad A.

Islamic History:Anew Interpretation, Cambridge , 1977.

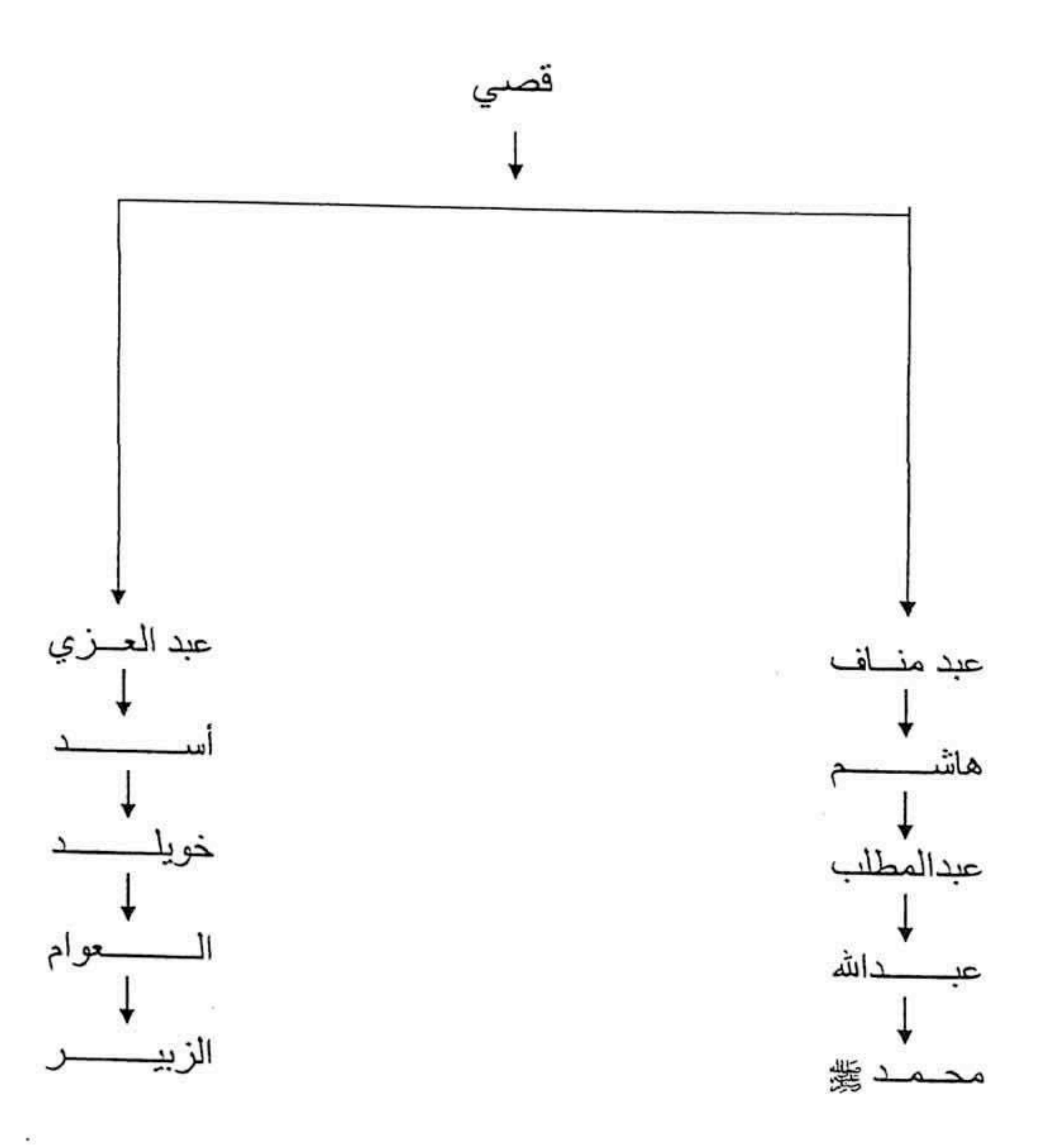
Vadja,G.

Azarika, Encyclopedia of Islam.

الملاحق

ملحق رقم ١

رسم يوضح التقاء نسب الرسول ﷺ بالزبير بن العوام رضي الله عنه



عبد العزى بن قصي

- أسد
  - الحارث
    - أمية
      - عمرو — من مهاجرة الحبشة
    - هاشم
      - العاص أبو البختري
        - الأسود — اصطلح عليه أهل المدينة وفتنت على ...
    - زهير
      - حميد
  - الحويرث
    - عثمان — أراد التملك على قريش من قبل قيصر فرفضت قريش، أوعز إلى رجال قيصر بسجن من كان من قريش في الشام، فسجنوا ومنهم أبو حيحة سعيد بن العاص
  - حبيب
    - تويت
      - الحولاء — انقطعت للتعبد على أيام الرسول ﷺ
  - المطلب
    - أبو حبيش
    - الأسود — كان من أشد قريش سعياً في إبطال أمر عثمان بن الحويرث
  - نوفل
    - ورقة
    - صفوان
      - بسرة — مهاجرة ولها صحبة
    - عدي — أمه أخت خديجة شقيقة
  - خويلد
    - خديجة — أم المؤمنين
    - عدي
    - رقيقة
    - هالة — أم أبي العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
    - حزام
    - نوفل — وهو ابن العدوية الذي قال الرسول ﷺ فيه يوم بدر: اللهم اكفني ابن العدوية، وكان يلقب أسد قريش وأسد المطيبين، قتله ابن أخيه الزبير يوم بدر
    - العوام
      - الزبير

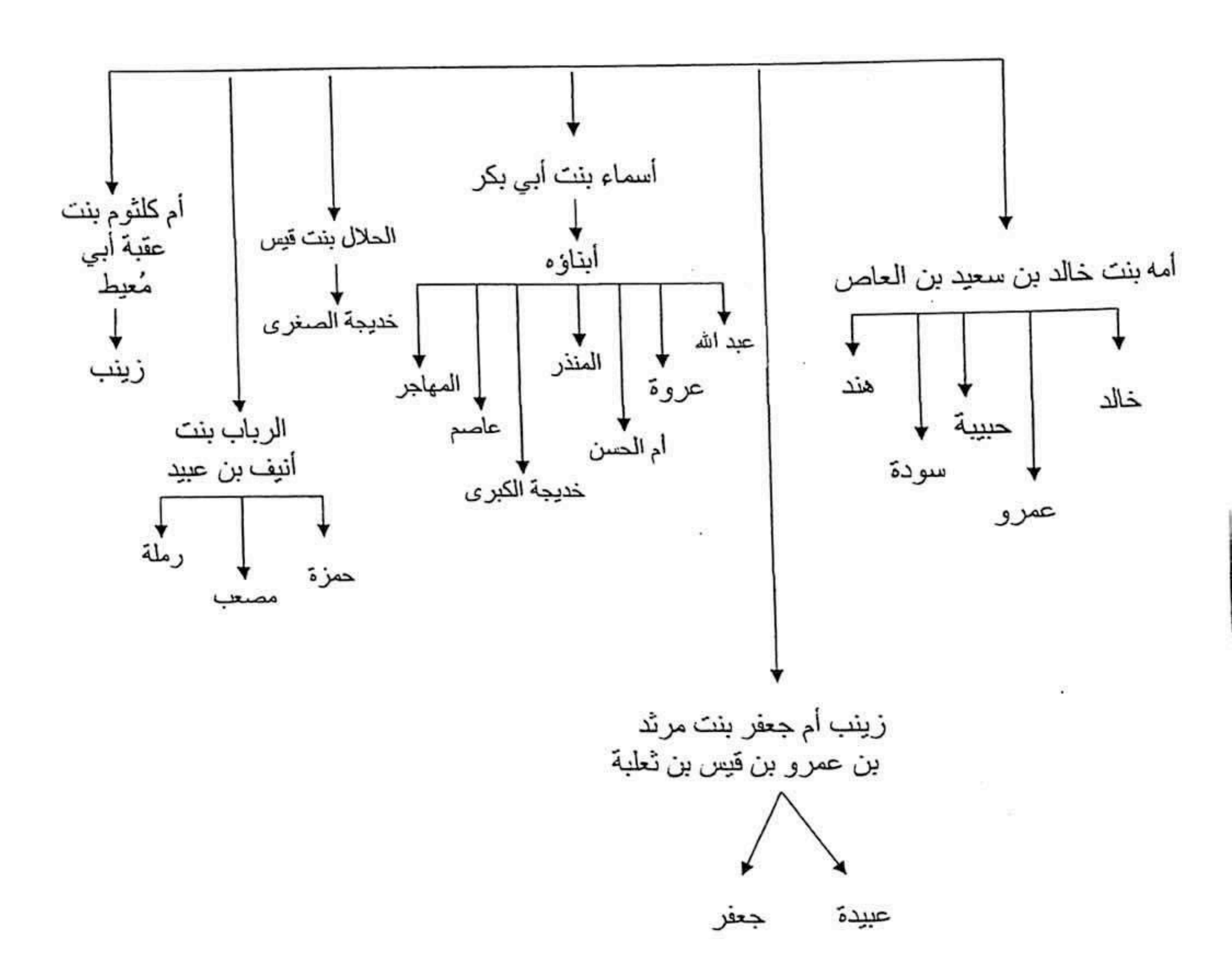
آل عبد العزى بن قصي

ملحق رقم ٢

ملحق رقم ٣

الزبير بن العوام رضي الله عنه

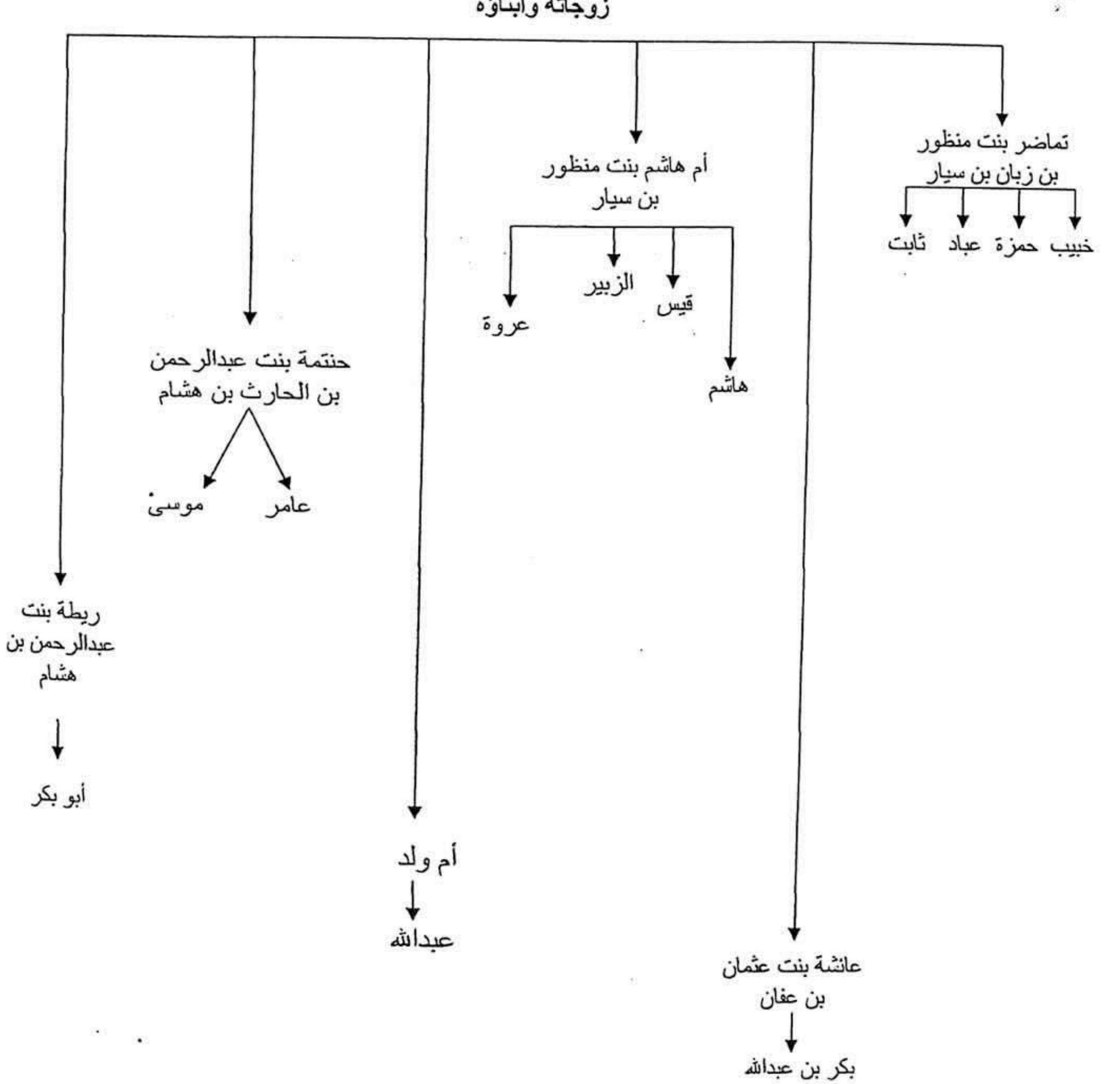
زوجاته وأبناؤه



ملحق رقم ٤

عبد الله بن الزبير ﷺ

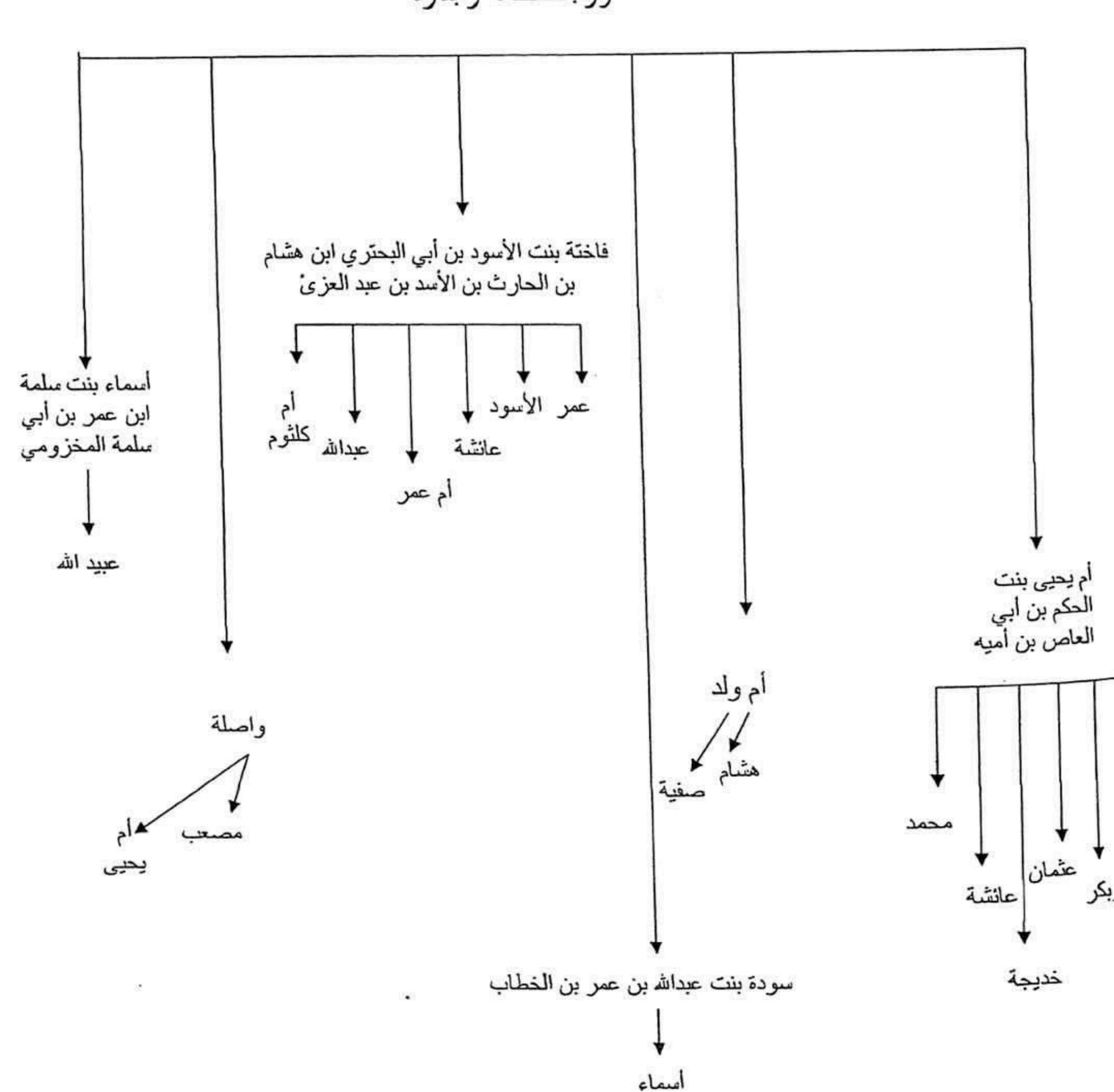
زوجاته وأبناؤه



ملحق رقم ٥

عروة بن الزبير

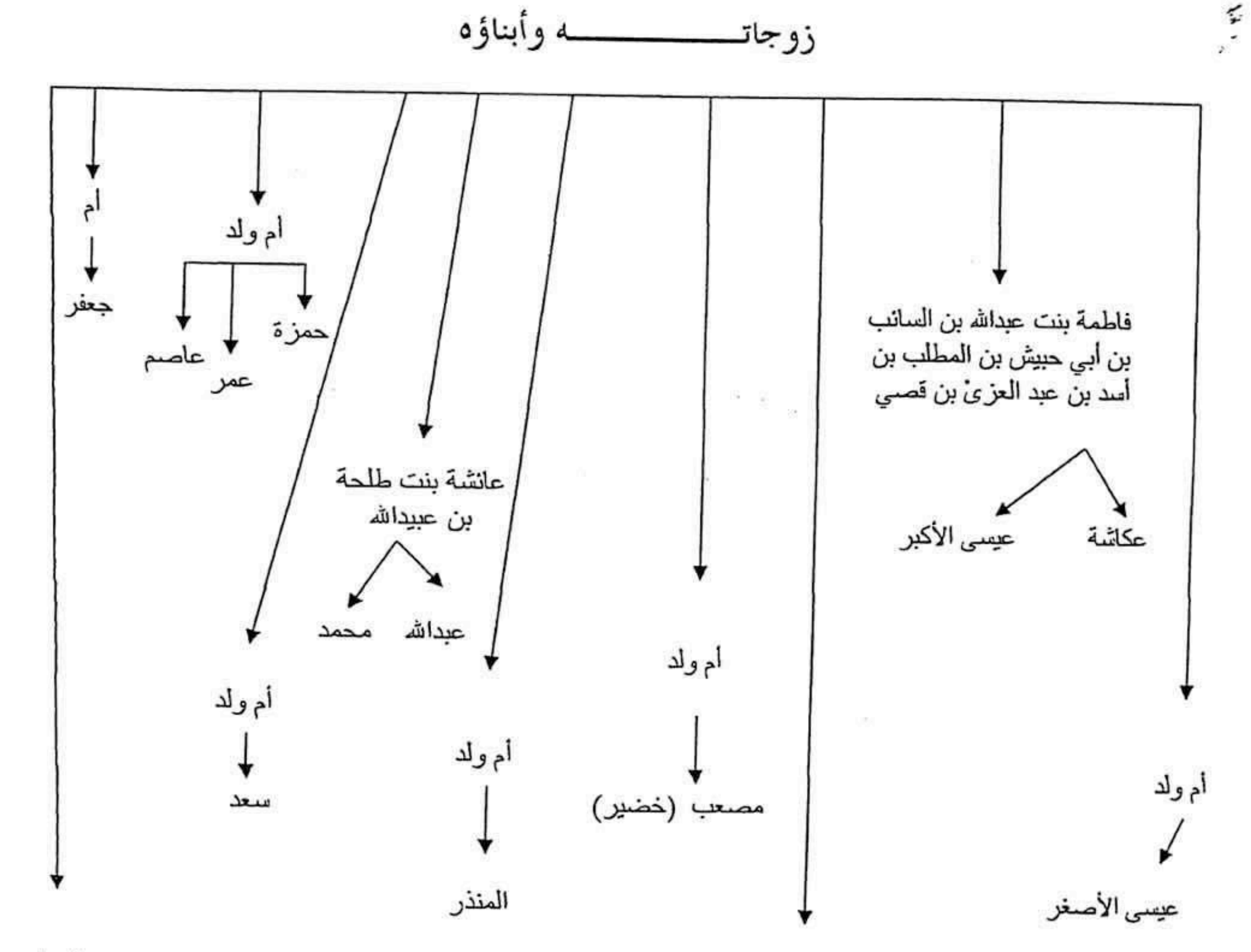
زوجـــــاته وأبناؤه



ملحق رقم ٦

مصعب بن الزبير

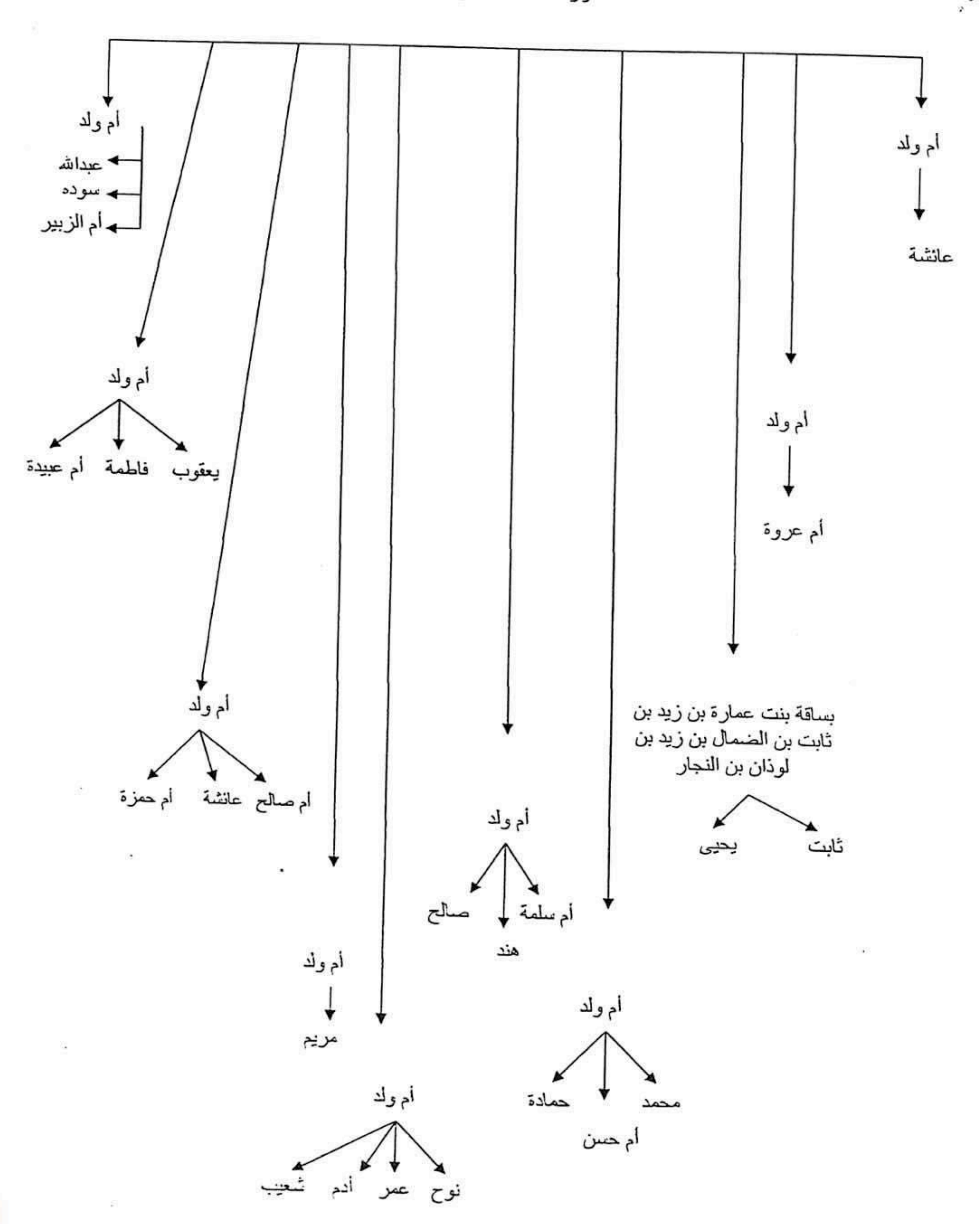
زوجاتـــــــــــه وأبناؤه



ملحق رقم ٧

جعفر بن الزبير

زوجـاتـــه و أبناؤه



ملحق رقم ٨

المنذر بن الزبير

زوجـــاتـــه وأبناؤه

أمهات أولاد

- عمر
- جندول
- عبدالله

ابنة حسان بن نهشل
من بني سلمى بن جندل

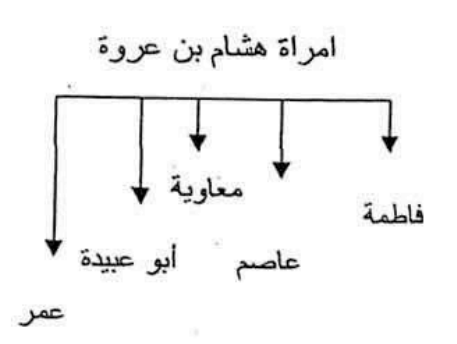
- عبيد الله

عاتكة بنت سعد بن
زيد بن عمرو بن نفيل

- محمد

حفصة بنت عبد الرحمن
بن أبي بكر الصديق

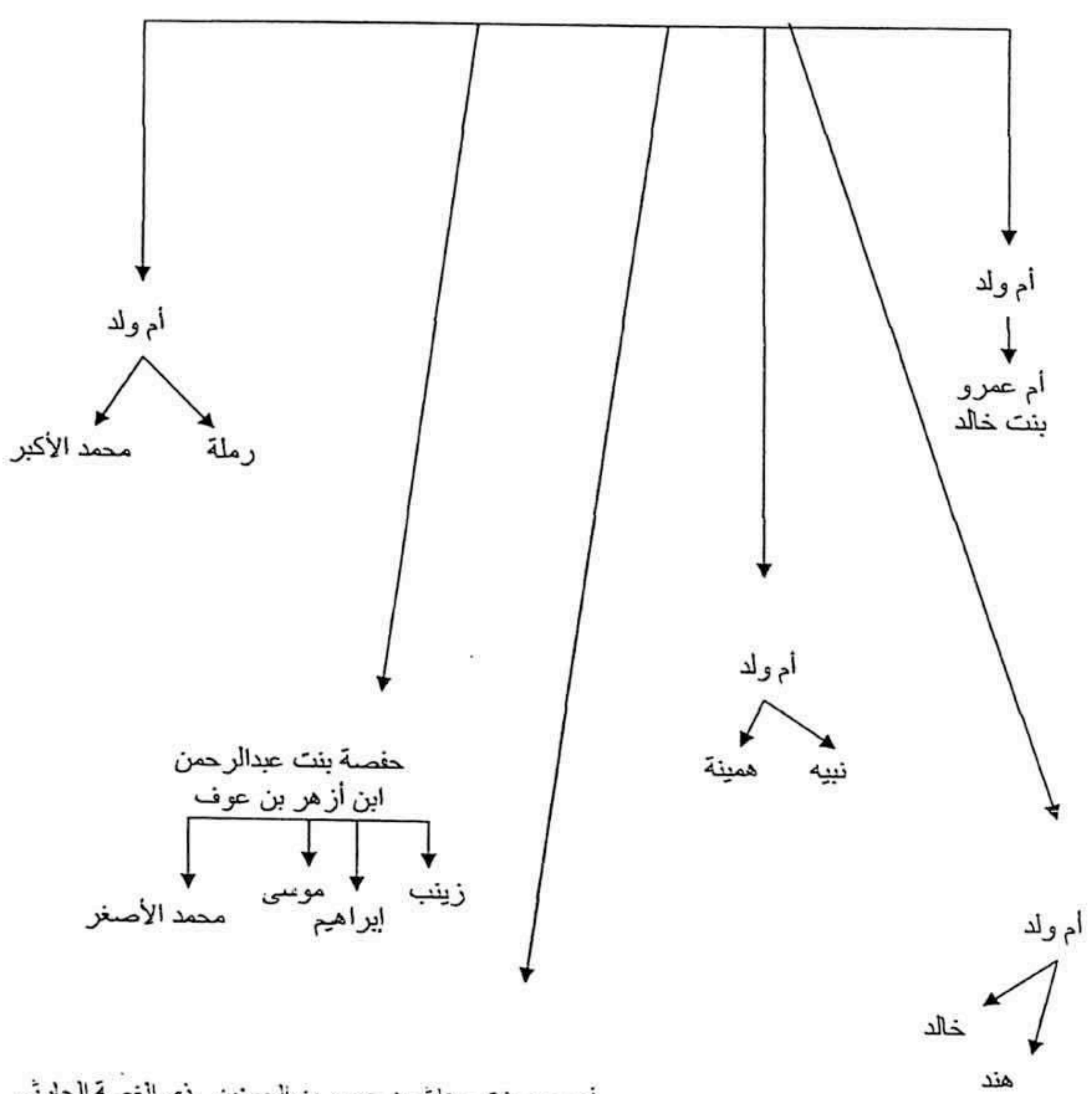
- عبدالرحمن
- إبراهيم
- قريبة



ملحق رقم ٩

خالد بن الزبير

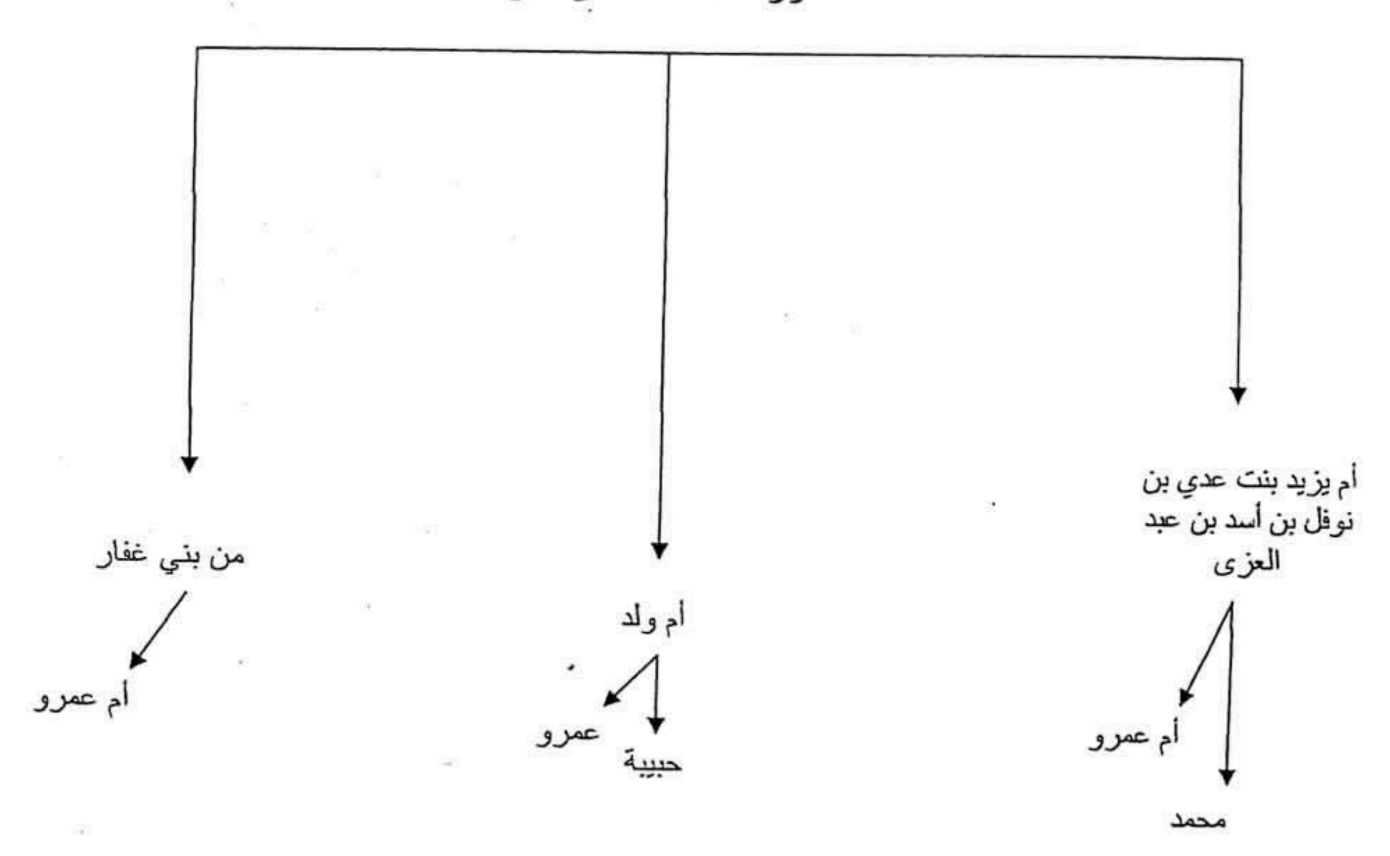
زوجـاتــــــه وأبناؤه



ملحق رقم ١٠

عمرو بن الزبير

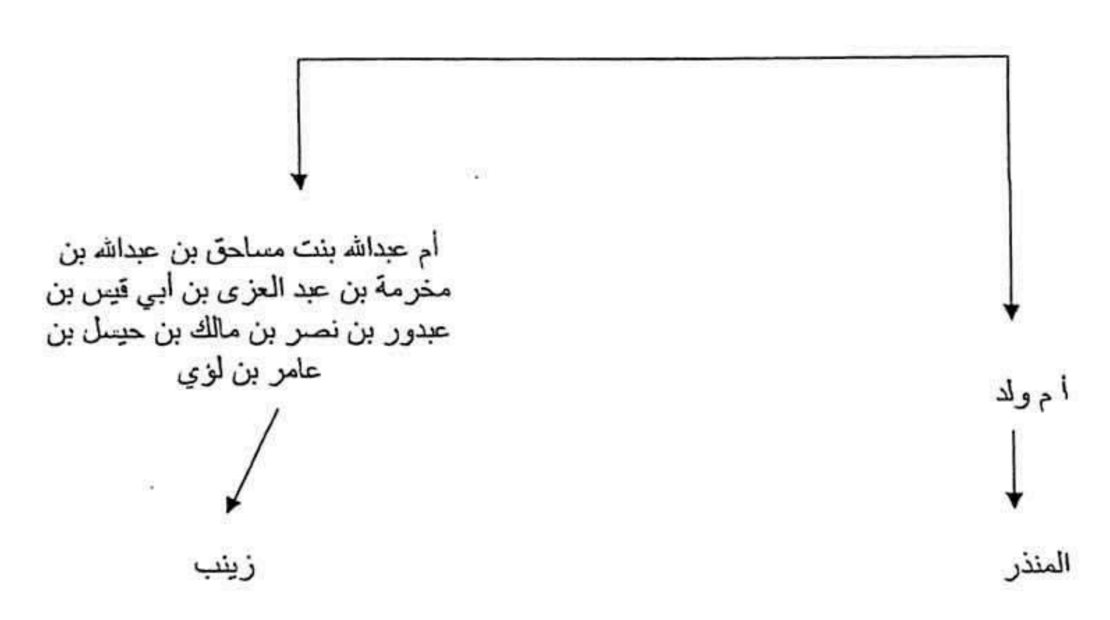
زوجـاتـه وأبناؤه



ملحق رقم ١١

عبيدة بن الزبير

زوجاته وأبناؤه



أبناء حمزة بن الزبير

عمارة بن حمزة

ملحق رقم ١٢

كتاب رسول الله ﷺ بإقطاع الزبير بن العوام

عثر على وثيقتين منشورتين كُتبتا على عهد رسول الله ﷺ، تتضمن إقطاع الرسول ﷺ للزبير بن العوام وهاتان الوثيقتان موجودتان في كتاب "مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة[١]".

نص الوثيق الأولى:

بسم الله الرحمن الرحيم

" هذا ما أعطى محمد رسول الله الزبير، أعطاه سوارق [٢] كله أعلاه وأسفله، ما بين مُورع القرية، إلى مُؤقِت، إلى حين الملحمة: لا يحاقه فيها أحد"

نص الوثيقة الثانية:

بسم الله الرحمن الرحيم

" هذا كتاب من محمد رسول الله للزبير بن العوام، إني أعطيته شواق أعلاه وأسفله لا يحاقه فيها أحد"[٣].

وقد ذكر بأن الاقطاعات التي منحت للزبير بن العوام كالآتي[٤]:

" اقطاع البقيع[٥]، وسمي (بقيع الزبير)، واقطاع آخر سبق وأن منحت لسليط الأنصاري وأرض زراعية بخيبر، وإقطاع البويلة بالعالية وأرض بثرير[٦]".

---

[١] محمد حميد الدين، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، الطبعة الخامسة، وثيقة رقم: (٢٢٩)، (بيروت: دار النفائس، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م)، ص (٣١٩،٣٢٠).

[٢] سوارق: واد قرب السوارقية من نواحي المدينة.

الحموي، معجم البلدان، ج (٣)، ص (٣١٣).

[٣] حميد الدين، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص (٣٢٠).

[٤] عبدالله بن عثمان بن عبدالكريم الخراشي، النشاط الأقتصادي في منطقة المدينة في العهد النبوي، رسالة دكتوراة، إشراف: عبدالله بن محمد بن ناصر، (الرياض: جامعة الملك سعود)، ص (١٠٤).

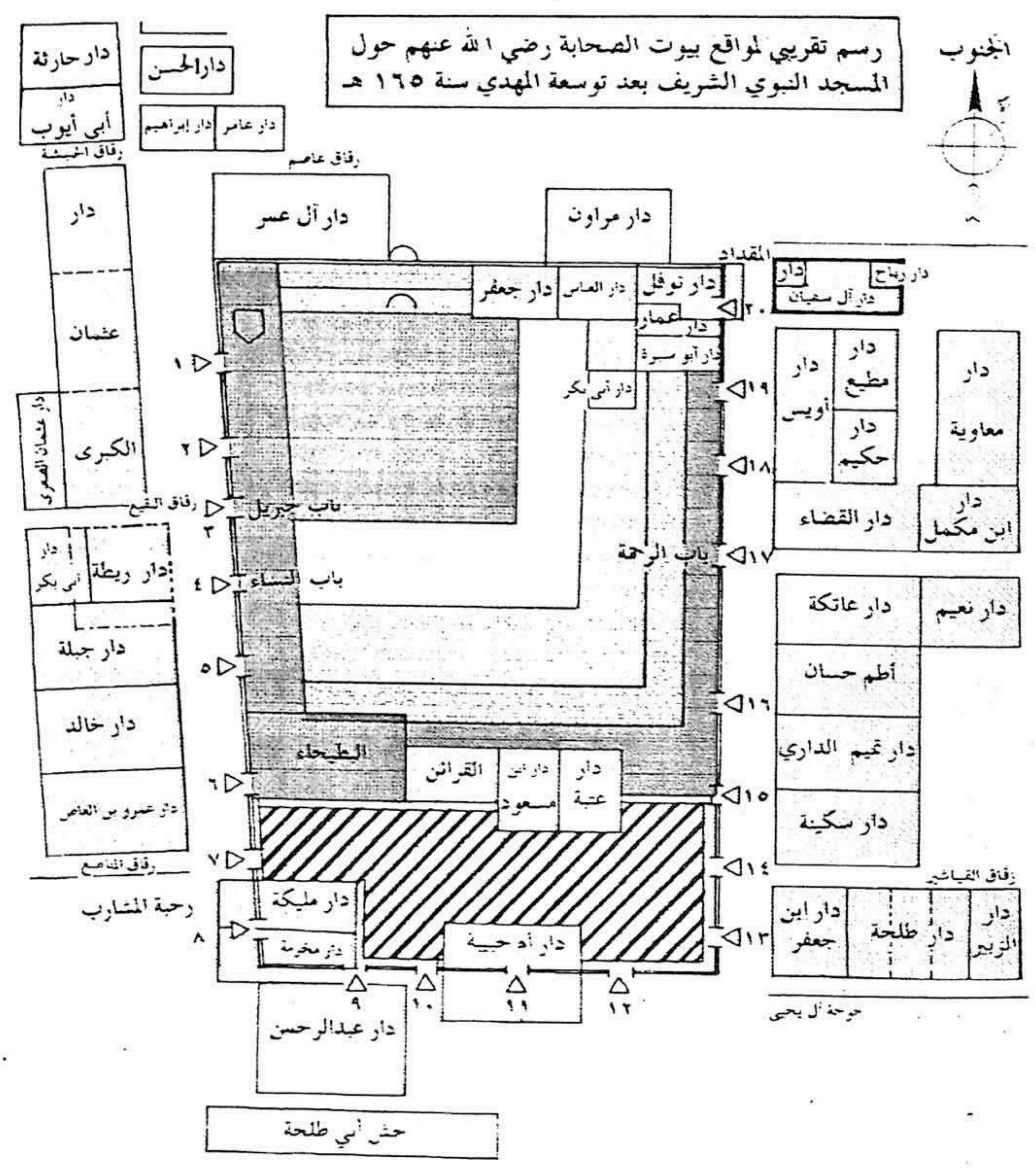
[٥] بقيع: بقيع الزبير في المدينة به دور ومنازل.

الحموي، معجم البلدان، ج (٣)، ص (٥٦١).

[٦] ثرير: موضع عند أنصاب الحرم بمكة مما يلي المستوفرة، وروى أن الزبير كان يقول لجنده لن تأكلوا ثمر ثرير باطلاً.

الحموي، معجم البلدان، ج (٢)، ص (٩١).

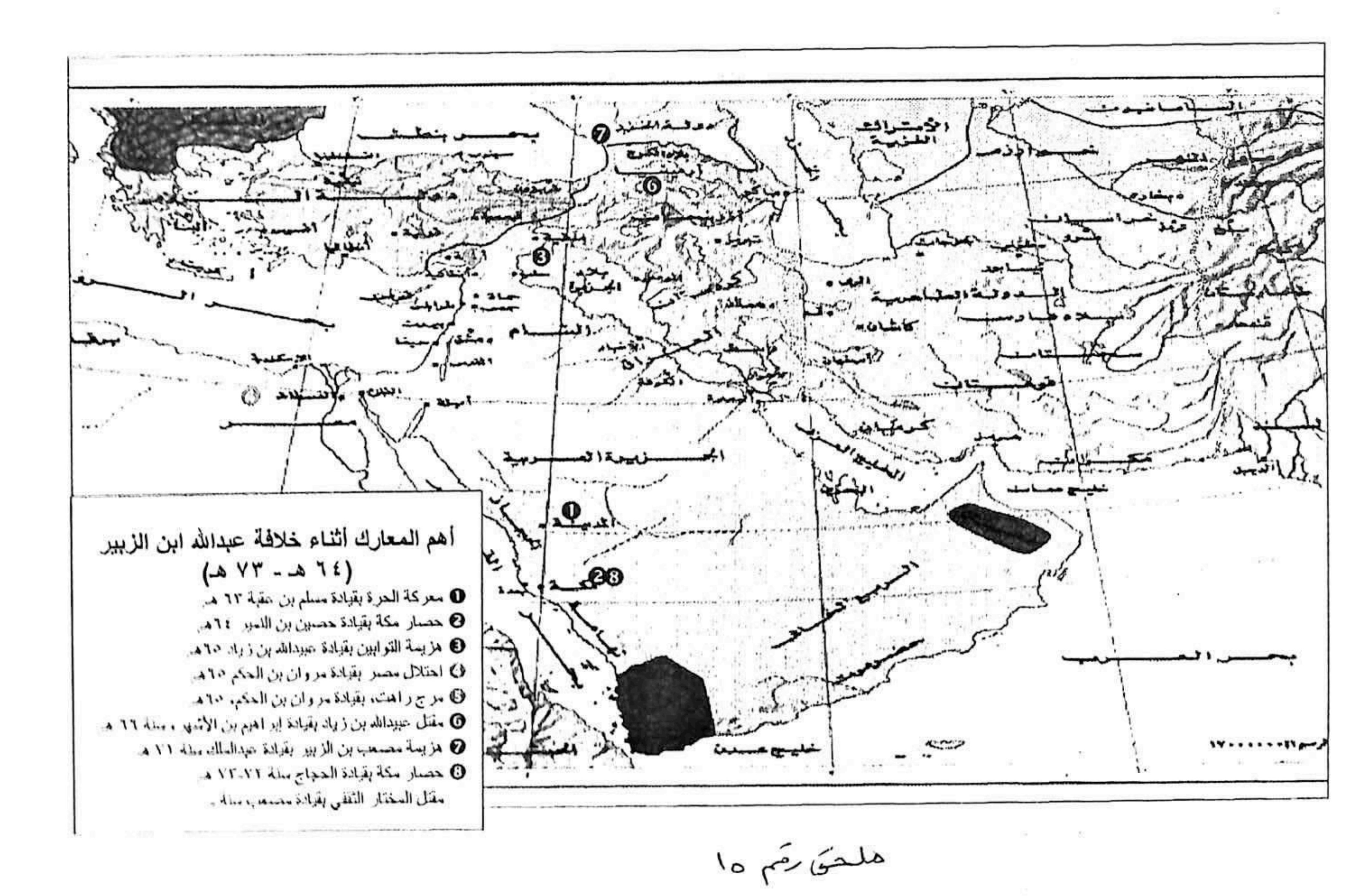
ملحق رقم ١٣

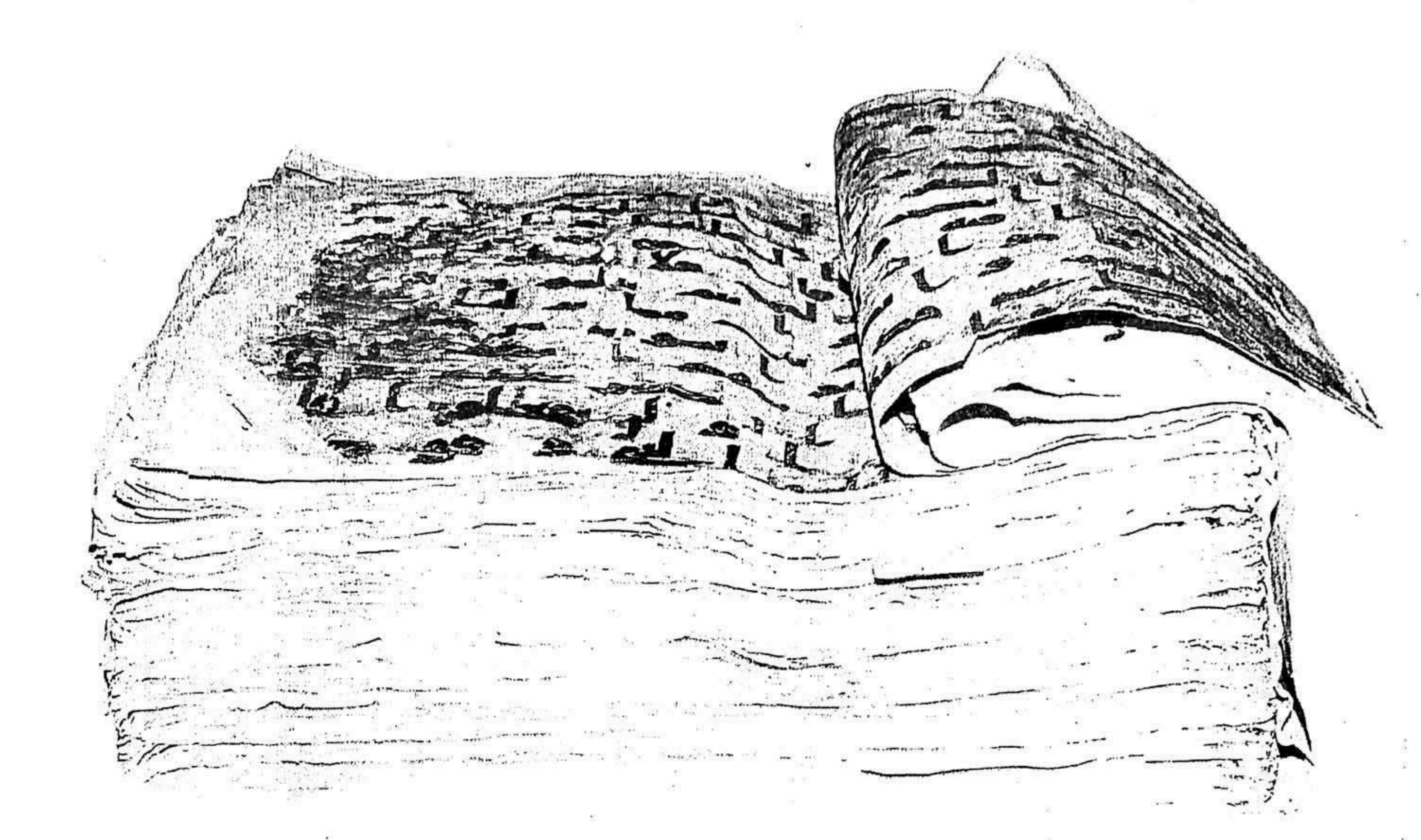


محمد الياس عبد الغني
عمر محمد فلاتة
بيوت الصحابة حول المسجد النبوي الشريف
الطبعة الرابعة ، المدينة المنورة : مكتبة الملك فهد
١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م

المناطق التي
سيطر عليها
عبدالله ابن الزبير
فترة خلافته

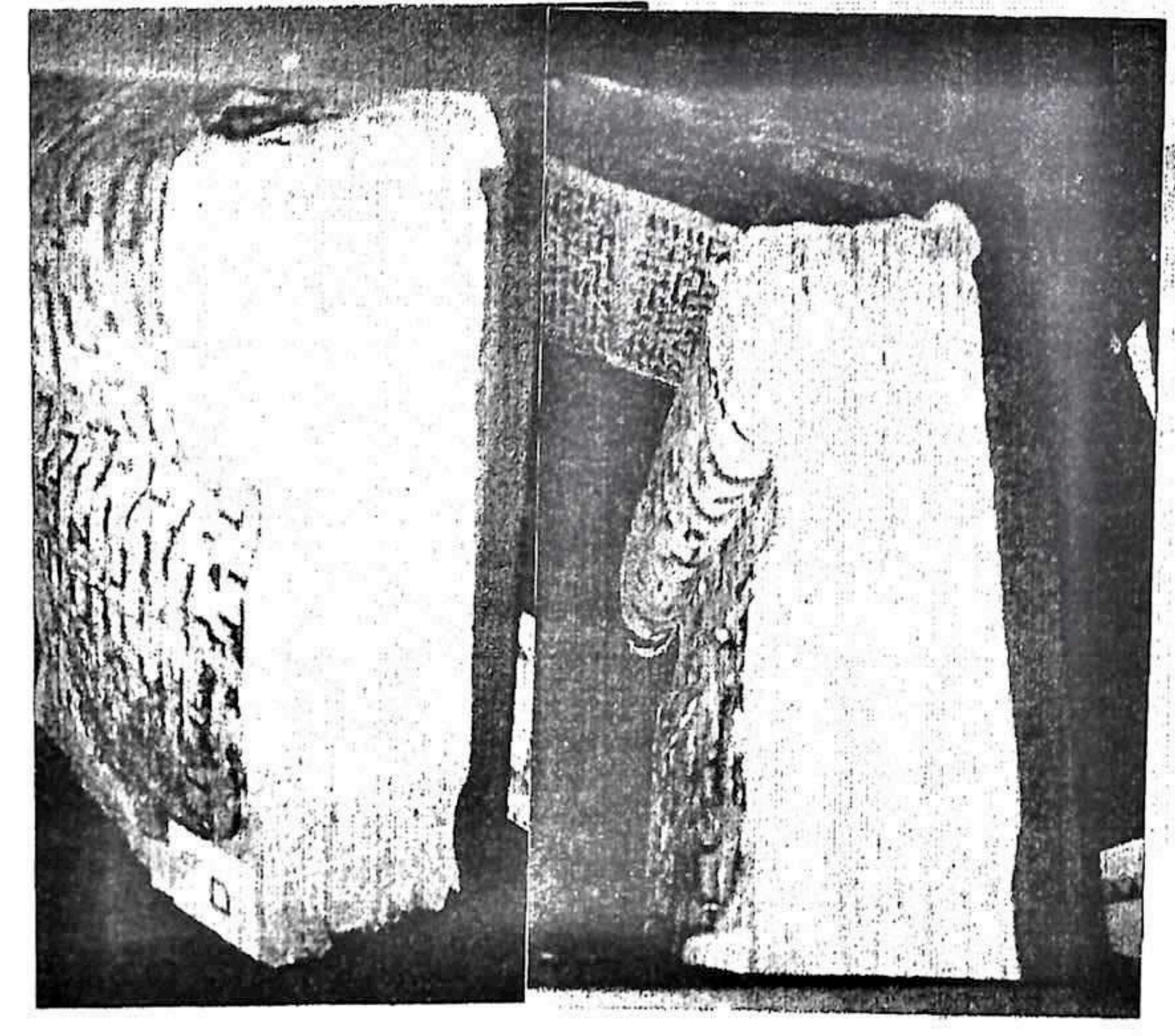
ملحق رقم ١٤


أهم المعارك أثناء خلافة عبدالله ابن الزبير
(٦٤ هـ - ٧٣ هـ)
❶ معركة الحرة بقيادة مسلم بن عقبة ٦٣ هـ
❷ حصار مكة بقيادة حصين بن النمير ٦٤ هـ
❸ هزيمة التوابين بقيادة عبيدالله بن زياد ٦٥ هـ
❹ احتلال مصر بقيادة مروان بن الحكم ٦٥ هـ
❺ مرج راهط، بقيادة مروان بن الحكم، ٦٥ هـ
❻ مقتل عبيدالله بن زياد بقيادة إبراهيم بن الأشتر ، سنة ٦٦ هـ
❼ هزيمة مصعب بن الزبير بقيادة عبدالملك سنة ٧١ هـ
❽ حصار مكة بقيادة الحجاج سنة ٧٢-٧٣ هـ
مقتل المختار الثقفي بقيادة مصعب سنة
الجزيرة العربية
بحر العرب
خليج عمان
مصر
الشام
ملحق رقم ١٥



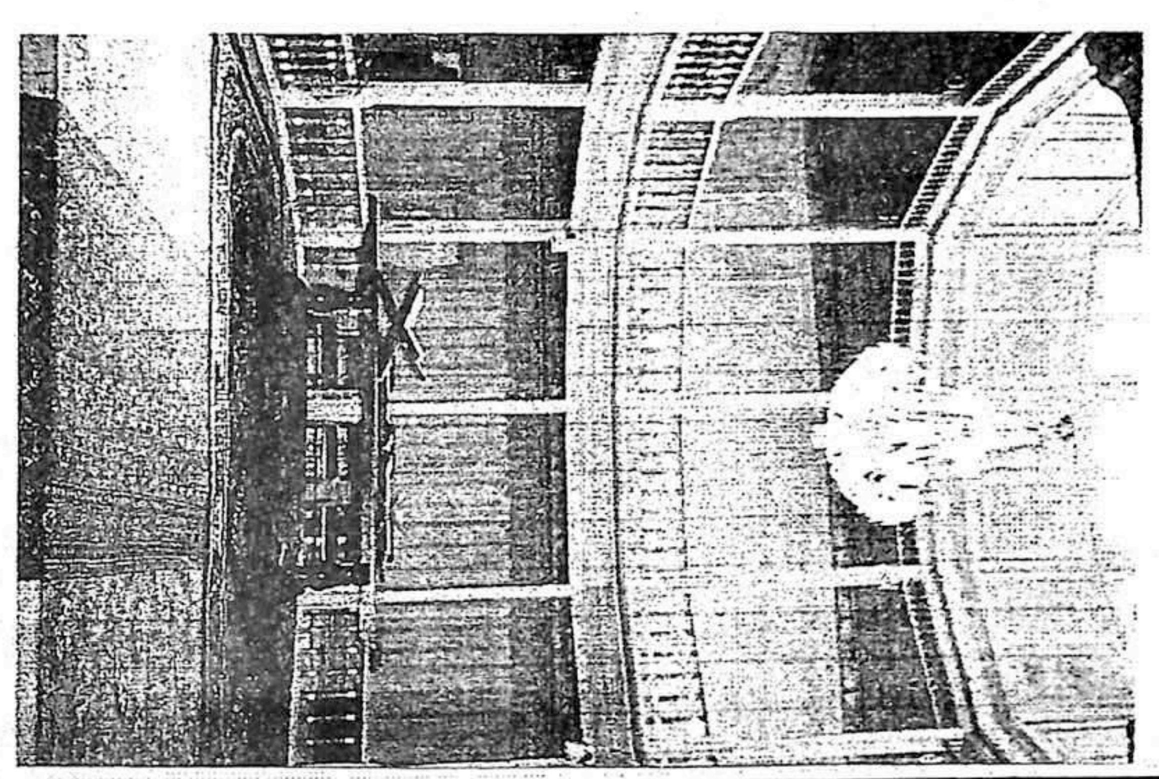
ملحق رقم ١٦

النسخة الأصلية الموجودة بالمدرسة والتي يروى انها للمصحف الشريف الذي كان بين



ملحق رقم ١٧

صورة التقطتها الباحثة للنسخة الأصلية من المصحف الشريف بمدرسة موي مبارك بطاشكند عاصمة الجمهورية الأوزبكية صيف عام (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)



ملحق رقم ١٩

فهرس تعريف الأعلام الواردة في حواشي البحث

م	الاســـــم	الصفحة
١	ابراهيم بن مالك	١٧٩
٢	الأحنف بن قيس	٨٩
٣	الحارث بن حاطب بن الحارث	٢٠٣
٤	الحارث بن خالد بن العاص	١٠٧
٥	الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة	١٦٣
٦	الحجاج بن يوسف	١٩٩
٧	الحسن بن علي	٨٤
٨	الحصين بن نمير	٥٤
٩	الضحاك بن قيس	١٣٢
١٠	العباس بن سهل	١٦٤
١١	القعقاع بن عمرو التميمي	٨٦
١٢	المختار بن أبي عبيد	١٣٨
١٣	المغيرة بن شعبة	١٢٦
١٤	المقداد الكندي	٤٠
١٥	المقداد بن عمرو	٤٠
١٦	المنذر بن محمد بن عقبة	٣٦
١٧	المهلب بن أبي صفرة	١٤٥
١٨	النعمان بن بشير	١١١
١٩	الوليد بن عتبة	١٠٥
٢٠	أبو جهل	٣٠
٢١	أبو جهم بن حذيفة	٩٤

ملحق رقم ٢٠

فهرس أعلام- النساء- ممن وردن في حواشي البحث

م	الاســـــــــــــــــم	الصفحة
١	آمنة بنت وهب	٢٤
٢	أسماء بنت أبي بكر	٢٤
٣	أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة	٣٥
٤	حفصة بنت عمر بن الخطاب	٦٥
٥	خديجة بنت خويلد	٢٥
٦	زينب بنت العوام	٢٨
٧	سعدى بنت عوف المرية	١٢٠
٨	صفية بنت عبد المطلب	٢٤
٩	عائشة بنت أبي بكر	٢٤
١٠	عاتكة بنت زيد	٩٠
١١	فاطمة الزهراء	٦٢
١٢	هند بنت عتبة بن ربيعة	٣٩

ملحق رقم ٢١

فهرس للأماكن التي وردت في حواشي البحث

ملحق رقم ٢٢

أسماء ولاة عبدالله بن الزبير ﷺ

من ربيع الثاني سنة ٦٤هـ - ١٥ جمادى الآخرة سنة ٧٣هـ[1].

المنطقة	الوالي	السنة
مكة	الحارث بن حاطب الجمحي	٦٤هـ-٦٦هـ
المدينة	عبيد الله بن الزبير	٦٤هـ
	جابر بن الأسود بن عوف	٦٥هـ
	العباس بن سهل	٦٥هـ
	مصعب بن الزبير	٦٥هـ
	جابر بن الأسود (للمرة الثانية)	٦٨هـ
	طلحة بن عبيد الله بن عوف	٧٢هـ
مصر	عبد الرحمن بن جحدم	٦٤هـ
البصرة	عمر بن عبد الله بن معمر	٦٤هـ
	عبد الله بن الحرث	٦٥هـ
	الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة الأزدي	٦٥هـ
	مصعب بن الزبير	٦٧هـ
	نائباه :	
	عبيد بن عبيد الله بن معمر	٦٧هـ
	الحارث بن عبد الله	٦٨هـ

[1] – زمباور، معجم الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، اخراج: زكي محمد حسن بك، حسن أحمد محمود، ترجمة : سيدة إسماعيل كاشف، حامد أحمد محمود، أحمد ممدوح حمدي، (القاهرة : مطبعة جامعة فؤاد، ١٣٧٠هـ = ١٩٥١م).

المنطقة	الوالي عليها	السنة
الكوفة	عامر بن مسعود بن أمية الجمحي	٦٤هـ
	عبد الله بن يزيد الخطمي	
	عبد الله بن مطيع	٦٥هـ
	المختار بن أبي عبيد	٦٥هـ
	الحارث بن أبي ربيعة	٦٦هـ
		٦٧هـ
خراسان	عبد الله بن خازم	٦٤هـ
	نائبه: المهلب بن أبي صفرة	
	أوس بن ثعلبة بن زفر بن وديعة بن مالك بن تيم بن ثعلبة .	٧٠هـ
	عبد الله بن خازم	
		٧١هـ
فارس	عمر بن عبد الله بن معمر	٦٧هـ

books had rarely mentioned Al-Zubarian family, inspite of historical information it include . I have taken advantage of these in some places in my research.

Recent studies had dealt with Al-Zubairian family and displayed this family in different ways. Some had singled out Al-Zubair Bin Al-Awam, some Abd Allah Bin Zubair and others Aurwah Ibn Al-Zubair... and so on. Some recent and modern studies and references had dealt with some aspects of our study. They stated valuable and beneficial information although they were very short and brief, they provide great importance. I have benefited very much of that in my research. Such books as " The Amawiyah Estate" by yousof Al-Ash, and " The Ten Promised with Paradise" by Abd Al-Munem Al-hasimy, and, " Knights from Prophet's Epoch" written by Ahmad Khalil Jumaa and companion's Houses around the Prophet's mosque by Mohammed Elyas Abd Al Ghani and Omar Mohammed Falata, and History of Islamic and Arabic civilization , by Hassan ali Hassa, Al-Toum Al-Taleb Mohammed and others who shall appear clearly in the research.

In addition to that I have referred to a number of previous studies, and essays related to the subject.

Although I have made advantage of the conceptions stated in these studies, the initial sources were still the basic resources on which the research has been founded.

Of the difficulties which I have met are the different between historians in historic events, and related time, place and so on. Also some of the historians, through their being leg by their emotions, they ignore, whether intentionally or otherwise, some of important beneficial information, which some gimes confuses the researcher. In addition to that scattered information in different sources, interlocking of events, verification of reports and stories

Understanding and conformation of the contradicting ones. This require accuracy, caution and exerting efforts to go on the correct route to reach the required goal. I have tried many times to match between different narrations to be on the neutral side.

If there is some defect or shortage in my research, that because I have exerted my best efforts and energy. If Allah grant us success we praise him for that and if we have been at a fault, I am only human being, and I request your patience, magnanimity, and your directives for what may be a place of criticism or correction. Human beings are subject to error and deficiency. Perfection is for Allah alone.

All success is from Allah.

And

We recommend our souls to Him.

apparent. No researcher shall dispense with this book. I have, for my part, made great benefit of this book.

The book " Mroug Al-Zhab and Maden Al-Jawhar " , by Ali Ibn Al-Hassan Bin Abd Allah Al-Massaudi (died 346H/957G) who visited many countries and regions for knowledge and learning. He had been an eye witness for events and news. It has been noted that he had adopted the objective method in recording events, and reports. He had listed the historical events under subject titles, but he had neglected mentioning his sources. He presented valuable information concerning Zubairian Family. When Al-Massaudi present the stand of Ibn Al-Zubair from the Prophet's Family, " Al- Al-Bait", the reader may feel that he was prejudiced to Al- Al-Bait against Ibn Al-Zubair, that for his sympathizing with Al-Al-Bait. This particular point made me compare what he present from moderate and neutral sources.

There is also " Maa'jam Al-Buldan" " Dictionary of countries" by Shihab Al-Deen Abi Abd Allah Yagout Bin ABd Allah Al-Hamawi (died 626H/ 1228D).

This book helped me very much in countries, and places information which has been mentioned in the research, which give the opportunity for geographical view of Battles course events development and the tracking of these events to grasp their relations.

One of important sources is " Al-Kamel in History" by Abi Al-hassan Ali Ibn Abi Al-Karam Ibn Mohammed Ibn Abd Al-Kareem Ibn Abd Al-Wahid Al-Shibani known as " Ibn Al-Atheir" (died 630H/1232D) which is regarded as one of the major sources in the study of Islamic History. This book displays Historical fact in a simple, connected way. This book has been a help to me, for it provided me with ample information.

As for literary sources, they are numerous and diverse. The research has benefited much of them. Such as Al-Zubair Ibn Bakar Appropriate News " died 256H/869G) which provided valuable information about Al-Al-Zubair, and benefit the research in many aspects.

The book " Al-leghd Al-Faried " by Ibn Abd Rabbuh Al-Andalwsi (died 328H/979G) one of the sources which had occupied a prominent position in the field of literature and History. It is characterized with its abundance of material, classification, and good selection. For Ibn Abd Rabbuh had been proficient in sciuences of his time such as History poetry, jurisprudence and others. The reader will find in this book many stories about Islam great figures, many historial information, literary texts, and stories of Arabs in Islam and Pre-Islam Epoch, their way of life, Although Ibn Abd Rabbu had wide knowledge, good in reporting news and events, his reports should be taken, with certain preservation because he had deleted mentioning attribution, and some of the stories he had told were of an unknown origin.

As for jurisprudence sources I shall specify Al-Kharaj by Abu Yousaf (died 182H/798G) and " The Funds" (Al-Amwal) by Aby Obaid (died 224H/838G). These books had dealt with the Arabic Directorate in the opened countries land and population. It had concentrated on Prophet's peace be upon him, systems and the orthodox Caliphs. Also it dealt with the reign o9f Omar Ibn Abd Al-Aziz. But these

Among the tribes. It is worth noting that Al-Zubairy hadn't been concerned with attribution related to information he specified aobut this family. His prejudice to Zubarian family was very apparent.

As for (History of Makkah, by Mohammed Ibn Abd Allah Al-Azraki (died 250H/365G) is one of the oldest historical books which we have received about the History of Makkah. The Azragi had adopted in his book a very easy and flexible plan for recording his information. He had divided his book into chapters, paid attention to mention attribution in most of his reports. He set out a large quantity of data which cannot be found elsewhere. For that this book is regarded the most important resource which any researcher in Makkah history may require. Although, he didn't pay much attention to the political aspect. Al Azragi gives details concerning the burning of Al-Kaba. He provided unique information about construction. He provided details about building Al-kaba, appreciating efforts exerted by Ibn Al-Zubair in the re-building of " Al-kaba". On the basis of Ibrahim peace be upon him, and he has been the only one to mention the expansion of the Holy Mosque.

The book " Collection of Quraish Descent and their stories:- by Al-Zubair bin Bakar (died 256H/869G) who depended greatly on " Quraish Descent " written by Mussab Al-Zubairy, but Bakar added a lot. He had provided information that helped this research in the administrative aspects, for he mentioned many, administrative characters names whom Ibn Al-Zubair had depended upon.

The book " Descent of ASHRAF" written by Ahmad Ibn Yahya Al-Blathry (died 279H/892G) is one of the basic sources which any researcher has to refer to concerning the study of Amawiyah state History. It includes wide information, and important data about the life of the family. He also presented important and valuable information about Mouwiah debates he usually conduct in his councils. This reveal clearly, the way Moawiah threats. Sons of Al Zubairian Family and sons of the companions. Blathery, was observing, generally the chronology of events, with clear reference to financial, economical and social aspects. Al- Blathery is distinguished for

Verification, where his efforts in collecting data and information through his visits to regions had been noted. Al Blathery is characterized, generally, by his accuracy and comprehension of his information.

Al-Yaaghobi, book " The History", (died, 284H/894G) includes important information about Al-Zubarian Family in different aspectrs of life. He never takes, much time in reporting events, which I have taken advantage in my research. His inclinations to Prophet's family was apparent, but that did not affect directly the correctness of his information. That because he had never interfered in what he provide of events. But he usually interfere in choosing the wording that express these inclinations.

One of the major sources the book:-
"History of Nations and Kings" written by Abi Gaaffar Mohamad Ibn Jareer Al-Tabary, (died 310H/932G). The importance of this book is clear from the fact that the author had mentioned different version for each event, but he hadn't given his own view in these events. His concern in chronology of attribution had been very

Abd Al Malik to subjugate Al-Hijaz, send armies to eradicate Ibn Al-Zubair, his attempts and the results.

I have, also, stated the reason for Abd Al-Malik choosing Al-Hajaj Ibn Yousif Al-Thagafi to lead the army heading for Hijaz. Then I displayed the struggle and fight between the two armies which had ended in crushing Ibn Al-Zubair's Army and his murder.

The Second Theme: Causes for Defeat of Ibn Al-Zubair:
In this theme I have dealt with the reasons for the defeat of Ibn Al-Zubair, and the discontinuation of his Caliphate, which hadn't exist, more than 9 (nine) years. These reasons can be summarized in:-

1- The ample resources of Abd Al-Malik Ibn Murrwan and the scarcity of Abd Allah Ibn Al-Zubair's.
2- Ibn Al-Zubair lack of shrewdness, his ignorance and little experience in the art of politics.
3- The blockade of the Amawi Army to Ibn- Al-Zubair in Haj time.
4- Non-disbursement of Ibn Al-Zubair on his followers at hardship times.

As for the finale, I have made a summary of the research, referring to new ideas, research's results, then I followed that with a list of the main sources and the references which I have depended on in this research and a table of contents for subjects of the research.

Regarding the sources I have used in the research they have been of different forms ranging, from historical compilations:- (History books, biographies, genealogy, and classes), literary and jurisprudential books. Although each one of these publications has its own interest but they all have dealt with the subject from this or that point of view, so I have made benefit of all. Even if the degree of benefit differ from a source to the other.

The following is a display of the most important sources:-
The major source which have provided information was " Al-Tabagat Al-Jubra) written by Mohamad Bin Saad (Died 230H/844G), the book consists of biographies of the companions, their succeeding followers and the Caliphs till his time. Ibn Saad did not depend on chronology in his book, but was characterized with his accurate and authentic information. He had provided us with important facts ab out Zubarian Family, and the position acquired by the companions of the Prophet, peace be upon him. The book also has provided us with Zubarian family's role in the political events during the epoch of orthodox Caliphs.

The book "Quraish Descent" by Mussaab Ibn Abd Allah Al-Zubairy (died 236H/850G) contained unique information, not to be found in other sources about tribes, families, prominent figures, their social positions and their political role, with reference to their residential places, properties and wealth. But the book has concentrated mainly on genealogy. He had stated information about Zubair Family descent, dealing with Zubair Ibn Al-Awam sons and his grand children showing the relationship of each one of them with him. He then advanced mentioning their news, and their position

stand of Ibn Al-Zubair by sending his brother Mussaab governor over Bassrah, and the conflict between Mussaab and Mukhtar which led to a battle between the two parties , and had ended with the defeat of Al-Mukhtar and his followers and the vanishing of Shiah Revolution which did notLast more than one and a half years in Kuffah.

As for the Dissidents " Al-Khawarij ", I have mentioned their identification, their rise, specially " Al-Azargah " who supported Abd Allah Ibn Al-Zubair in defending Makkah when blockaded by Al-Sham Army, then they abandoned him after that, stating the reason for that. Then I mentioned the struggle between them and Ibn Al-Zubair, which kept him occupied, and in the end provided opportunity for Abd Al-Malik Ibn Murrwan to defeat him. I then ended my discussion about this party by this question :- Had Abd Allah Ibn Al-Zubair been right in his views which were contradictory to theirs, or he had been wrong?, and answered that question.

The Fourth Theme: Religious and Administrative Works performed by Abd Allah Ibn Al-Zubair during this Period:-

I have set this theme for the religious works which Ibn Al-Zubair had performed represented by re-building of Al-Kabah after it had been affected by the blockade of Al-Sham citizens to makkah, and bombarding Al Kabah with mangonel during Yazeed's reign. He had expanded the Mosque greatly by buying many houses from people north, east, south and on the west.

As for his administrative works in his nine years of Caliphate, the administrative system did not differ greatly form those in force in the epoch of orthodox caliphs, I have specified the big authorities and empowerment he had granted to his governors. But there had been no detailed information concerning administrative jobs. We have only received some information consisting of some names of employees. I have clarified clearly how Ibn Al-Zubair had been very keen in his calling to account his governors and punishing them. He had depended on companions and their pursuers " Tabieen" in appointing for administrative positions. Also he appointed his brothers and his sons in important positions and I have explained the reason for that.

The Forth Chapter: The End of Abd Allah Ibn Al-Zubair Caliphate
I have divided this chapter into two themes or researches:

The First Theme:- Abd Al-Malik Ibn Marrwan assumed Caliphate Power, war between him and Ibn Al-Zubair, and the murder of Ibn Al-Zubair:-

I have dealt with the conflict between Abd Al-Malik Ibn Marrwan and Abd Allah Ibn Al-Zubair in Iraq. I have specified the circumstances that met Abd Al Malik, and difficulties he had faced when he had come to power and assumed Caliphate, and how he had overcome those difficulties. Also I have discussed the army commanded by Abd Al-Malik from Al-Sham to fight Mussab Ibn Al-Zubair in Iraq. Then I dealt with battles that took place between the two parties and which had ended with the defeat of Ibn Al-Zubair and his murder.

I followed that by speaking about the struggle between Abd Al-Malik Ibn Marwan and Ibn Al-Zubair over Hijaz. I have clarified here the reasons which had caused

As for Non-Hashimites it had been represented in Abd Allah Ibn Omar Ibn Al-Khatab stand, and his refusal to pay homage to Ibn Al-Zubair and the reason for that . I also stated the impact of that refusal on Ibn Al-Zubair call.

How Ibn Al-Zubair had been paid homage from Al-Hijaz citizens, and I specified the reasons for the desire of Al-Hijaz citizens in the Rule of Ibn Al-Zubair. I also, mentioned the regions controlled by Ibn Al-Zubair (Yemen, Khurasan, Iraq, Bassrah, Kuffah, Egypt, Al-Sham except Jordon).

The Third Theme:- Ibn Al-Zubair Relation with Amaween, and his stand from their opposing movements.

In this theme I have stated how Abd Allah Ibn Al-Zubair began to declare his propaganda after the murder of Hussain Ibn Ali, and how people had gathered around him, and requested him to take pledge of allegiance for himself, and the stand of Yazeed Ibn Muawiah from him. How he sent for bringing him tied in chains. Then I have followed up the events stating the stand of Amaween governors in Makkah and Madinah towards Abd Allah Ibn Al-Zubair. Then I mentioned the blockade of the Amaween in Madinah and their seeking help from Yazeed Ibn Moawiah. Also Yazeed stand, and

His death. Following events I have stated the abdication of Muawiah the second to Caliphate, his death, and its impact on the Amawiah family. Then I explained the stand of Amaween from Abd Allah Ibn Al-Zubair. How they met and pledge allegiance to Murrwan Ibn Al-Hakam. I have dealt with Murrwan Ibn Al-Hakam efforts to restore Al-sham to the Amawiyah state, his seizure of Egypt and Island Region , reviewing events for each of them. Then, I stopped at the struggle over Madinah between Murrwan and Ibn Al-Zubair, and how Murrwan failed in capturing it from Ibn Al-Zubair.

I have discussed the position of Ibn Al-Zubair from the movements opposing the Amaween represented by Shiah, Al-Mukhtar Ibn Abi Obaid, and the dissidents. As for Shiah I have dealt with the definition of Shiah party, their rise till the appearance of repentant party and how they had been formed secretly. Then I have moved to discuss Ibn Al-Zubair stand from this party, where he found that he can benefit from their enmity to Beni Aumaiyah, but they had refused his call for them to join him. As for Mukhtar Party, I have dealt with Al-Mukhtar Al-Thagafi and his rise in the political events theatre, then his going out to Hijaz where he met Abd Allah Ibn Al-Zubair and he had pledged him allegiance. How that Mukhtar had been loyal to Ibn Al-Zubair and supported him in defending the Holy Mosque during the campaign sent by Yazeed Ibn Muawiah under the command of Al-Hussain Ibn Namir, and the stand of Al-Mukhtar, after that. Including his going out to Iraq from Hijaz trying to join the Shiah to his side. Ibn Al-Zubair's governor's stand from Al-Mukhtar, their imprisonment to him. When he had been out of jail, he began to call Iraqi citizens in the name of Ali Ibn Al-Hussain, then mohammad Ibn Al-Hanafiyah. Then the Shiah had collected around him preparing themselves for the move . Abd Allah Ibn Muteea, the governor of Ibn Al-Zubair in Kuffah , position led to the war between the two parties, resulted in seizer of Mukhtar to Kuffah and departure of Ibn Al-Zubair governor from that town. I went on discussing Al-Mukhtar stand from Ibn Al-Zubair, where I explained Al Mukhtar trial to trick Ibn Al-Zubair, and the resultant

Then I referred to the Zubarian family position after the death of Moawiyah and coming of Yazeed. Where Zubairian family and companions sons in Al-Madinah had been opposing Yazeed. That resulted in moving out of Abd Allah Ibn Al-Zubair from Madinah to Makkah, and Al-Hussain Ibn Ali to Al-Kuffah where he had martyrized there. Then comes the fight which took

place by Yazeed's Army to Madinah citizens, and its results. Then I have mentioned the siege of the Amawian Army to Makkah, and the death of Yazeed during that siege.

The Third Chapter:- Abd Allah Ibn Al-Zubair's Caliphate in Hijaz:- which I have set out in four themes:-

The First Theme:- The courses that made Abd Allah Ibn Al-Zubair announce himself Caliph, and Hijaz stand from his appeal:-

In this part I stated, with detailed explanation the reasons which induced Ibn Al-Zubair to declare himself Caliph, which are:

First:- What had been performed by Muawiah Ibn Aly Sufian and his son Yazeed:-
a) The transfer of Islamic capital to Damascus.
b) The abusing of Muawiah Ibn Aby Sufian and his governors to Ali Ibn Aby Taleb may Allah be ple4ased with him in mosques pulpits.
c) The murder of Al-hassan and Al-Hussain, sons of Ali ibn Aby Talib may Allah be pleased with them all.
d) The Battle of Al-Harrah and it's results.
e) Burning of Al-kaba in Yazeed's epoch.
f) The stand of Muawiah from Caliphate.

Second:- The relinquishment of the companions and their sons from Caliphate.

Third:- The weakness of Amawian authority in Hijaz.

Fourth:- The bad economical situation in Hijaz.

Fifth:- The clear and apparent difference between the character of Ibn Al-Zubair and Yazeed Ibn Muawiah.

These reasons which I have concluded had pushed people to gather around Ibn Al-Zubair and support him, from all over Islamic world.

The Second Theme:- Abd Allah Ibn Al-Zubair Caliphate Announcement in Hijaz and major regions he had controlled:-

Before I start speaking about the announcement of Ibn Al-Zubair Caliphate in Hijaz I have stopped at Hijaz people stand from his call. I have divided them into two divisions:- Hashimites and Non- Hashimites. The Hashimites I have represented by Mohammad Ibn Al-Hanafiyah, and his party and their stand from Ibn Al-Zubair, for that had its results, and Abd Allah Ibn Abas and his stand from Ibn Al-Zubair call.

I have then specified the part of Al-Zubarian family during Omar Bin Al Khatab reign, who had trusted Zubair very much he had been taking his views in many circumstances. Then I dealt with his role in Jihad and the conquests in Omar's epoch. He had participated in all battles which he had engaged in like (Al Qadisiah, and Conquest of Egypt).

The Second Theme: " Zubarian Family during the Caliphate of Othman Bin Afnan, may Allah be pleased with Him, and their stand from the sedition."
I have stated here that Zubair had been very close to Caliph Othman may Allah be pleased, with him. This relationship started prior to Islam, then it had been manifested clearly after their Islam, their emigration to Ethiopia and then to Madinah. I have also dealt with the variables that had taken place during the reign of Caliph Othman, which led to the bitter feelings of people towards him. In this period Abd Allah Bin Al-Zubair role became apparent, where he participated in the conquest of North Africa and Sousah. The Caliph Othman had admired very much Ibn Al Zubair. Then I treated the sedition, its causes and results which ended with the murder of Caliph Othman Bin Afan, may Allah be pleased with him. In this occasion the stand of Al-Zubarian Family was very clear and they didn't desert him when many of his companions had done so.

The Third Theme :- " Al-Zubarian Family in the Caliphate of Ali Ibn Aby Talib May Allah be pleased with him, and their stand from Ali.

I have divided this theme into three points:-

* Al-Jamal Battle.
* The murder of Al-Zubair Bin Al-Awam.
* Zubair's Family after his murder.

First I stated the kinship between Al-Zubair Bin Al-Awam and Ali Ibn Aby Taleb, then his stand from homage to Ali, mayAllah be pleased with him. Then I have mentioned his role in Jamal Battle with Talhah Ibn Obaid Allah and Mrs. Aisha, may Allah be pleased with her, and his son against Caliph Ali, which ended with the murder of both Ali and Zubair mayAllah be pleased with them. Then I mentioned Zubair's family status after his murder.

The Fourt Theme:- In this part I have stated the position of Abd Allah Ibn Al-Zubair and his family towards Caliphate of Moawiyah Ibn Aby Sufian, before and after his coming to power, and had received the pledge of allegiance. He viewed himself as more worthier to rule than Moawiyah. I have specified how Moawiah was making different stands, sometimes he tries to gain him amicably. Sometimes he threatens him and sometimes he resorts to proofs and arguments, till they vied greatly in boasting with one another, to show their rights and worthiness compared to each other.

I have then stated the role of Abd Allah Ibn Al-Zubair from Moawiyah after he had entrusted his son Yazeed with the throne, and he had adopted different ways and methods till he had succeeded in taking the pledge of allegiance for his son Yazeed. In this way he had brought a new principle in the Islamic Political regime, that was his limitation to the Caliphate in Beni Aumaiyah family.

marriage to Asmaa bint Aby Bakr may Allah be pleased with them both. Then I have mentioned his brothers.

The Second Theme:- Al-Zubair Bin Al-Awam Entry in Islam and his Relation with the Prophet.

I have tackled the story of his entry into Islam and how he had dedicated himself for mission service and the Prophet, peace be upon him that Zubair had acquired a special position with the Prophet, which had been expressed in respect and dignity from the Prophet and his companions.

The Third Theme:- Major Zubair's works in the Prophet's Peace be upon him, Epoch.

I have specified the major Zubair's works which he had performed in the Prophet's epoch during the two emigrations to Ethiopia and Madinah. His participation in wars plunged into by the Prophet, peace be upon him against Quraish and his distinguished role therein :- Badur campaign, Ahud, Al-Ahzab battle, Khaibar campaign, Makkah conquest and Hunain campaign. Then I have stated Zubair's part may Allah be pleased with him, in writing for the Prophet, peace be upon him, and how the Prophet had looked for his help in writing affairs as well as military works. He had been instructed with many non-military tasks by the Prophet peace be upon him. As he had been one of the confidential relatives of the Prophet, he had been granted agricultural lands by the Prophet peace be upon him that he became an example in reclaiming sterile lands, from which he had given gifts, donations and alms. I have, then, mentioned his reporting many prophetic Hadiths.

The Fourth Theme:- Zubair Bin Al-Awam/s Sons:
I have dealt here with some of Al Zubair's sons who had prominent part in the history of the Islamic state whether politically or intellectually. Those include:- Abd Allah Bin Al-Zubair, Al-Munzir, Urwah, Mussaab, Gaaffar, khalid, Amro, Obaidah and finally Hamzah Bin Al-Zubair.

The Second Chapter:- The Zubarian Family:-
In the Orthodox Caliphs, and Amawiyah State Epoch:-
I have divided this chapter into four themes also:-

The First Theme:- The Zubharian Family in the Reign of Abu Bakar Al-Siddique and Omar Bin Al-Khatab, may Allah be pleased with them.

I have explained the relationship between Abu Bakar Al Sidique and the Zubarian Family. This relationship, had started prior to Abu Bakar and Zubair entry into Islam. It had been more stronger after their Islam, and increased further by the marriage of Ibn Al-Awam from the daughter of Abu Bakar Al-Sidique, May Allah be pleased with him. I also have stated his role during Abu Babakar, pledge of allegiance his participation in Apostasy war inside the Arabian Peninsula, his role in Jihad outside Arabia, and his part in Yarmouke battle. Also, Abu Bakar had granted him feudalities.

Then I have stated the role of Al-Zubair Bin Al-Awam as one of First Muslims after the Mohamadian mission. Zubair's family had, then, a great part in the orthodox Caliphs era, specially after Omar Bin Al Khatab reign, where Zubair's family had supported Othman Bin Afan till his murder, then they call for revenge to him. They have opposed Ali Bin Aby Talib. After the murder of Ali, and during the Amaween rule it had appeared very clearly the opposition of Al-Zubair's family to Muawia Bin Aby Sufian. Then came the Amaween, Resistence stage and inciting people against them, which led to the conflict between Al-Hijaz and Al-Sham for retaining Caliphate position. This conflict ended with the murder of Ibn Al-Zubair, which was the last chapter of the political role of Al-Zubair's family. For after that no one of Zubarian family had been looking forward to perform any important part in political life whether in Hijaz or al-Sham or else where in the Islamic State.

The method which I have followed through this research can be summarized in the following:-

* Picking out the different historic events from their original resources, analysis of that event, although it has a lot of obscurity, contradiction and similarity; then getting out with a view very near to reality, with the best of my ability, endeavor and capacity. Believing that my role and task is not to defend or accuse this family, but to reveal the bare truth for the reader.

* Not to consent to most of views mentioned by historians, and not to take them as facts.

* I have been abiding by the neutral scientific method, throughout this research concerning this subject in order to achieve the bare scientific truth void of any intolerance, prejudice or intention.

As for the plan I have adopted, I divided my research into four chapters, each is preceded by a preface, and a prelusion, then followed by an end.

Preface:- I displayed the causes for my choosing this subject and the method which I have followed. Then the study of the most important resources which I have depended upon, specifying difficulties which I have faced, then I added the plan which I have adopted in this research.

Prelusion:- Here I have explained the origins of Al-Zubairian family, where I have been aware of that origin, and where they were related to Qusai Bin Kilab, who was one of the ancestors of this family. This ancestor was regarded the founder of Quraish in Makkah. He had collected Quraish tribes, make them settle in makkah, and established the administrative positions, which were all concentrated in his hand alone.

First Chapter:- Al-Zubair Ibn Al Awam:-

I divided this chapter into four themes:-

The first theme:- His descent, his birth and family:-

Here I tackled Al-Zubair Ibn Al-Awam descent and his relationship to the Prophet peace be upon him. But resources didn't mention the year of his birth, so I calculated that estimating his year of birth approximately and I hope I would be a success in that. Then I have dealt with his mother Saffiah Bint Khoailid who brought him up as an orphan. She had been very tough with him. Then I have mentioned his father's

SUMMARY

Praise be to Allah, peace and blessings be upon our Prophet Mohammed, his kin and companions.

Islamic history had met with various Islamic families, which had rose in different regions in the Islamic state. Some had been adequately studied, others had been passed by researchers very quickly while still there are some obscured, no researcher had ever tackled through research or testing.

When I have been thinking to write a research in Islamic History, I started going through history, pages looking for a subject which had its effect on the events course in Islamic history. I found that Al-Zubairian Family is my target and object. For political parties and Amawiah state had taken a stand against this family that led to a great effect on its course.

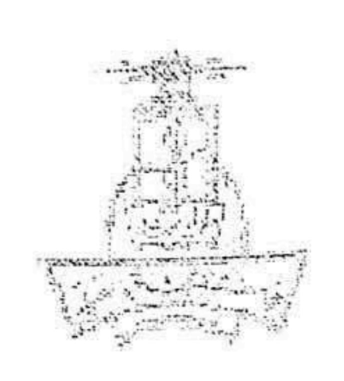
I haven't meant just to write about the family alone, but I am aiming to write in details, analysis the Zubairian family and its role from Prophets Epoch, through the Orthodox Caliphs till the end of its political role in the Epoch of the Amawiah state and their stand from all political parties.

What has encouraged me to choose this subject, was that I have found the history of this family scattered between references, and compilations pages specially most of researchers who dealt with this family have contented with some information about certain members of this family. Some has mentioned Al-Zubair Bin Al Awam and his role with our Prophet peace be upon him in his Mohamadian Mission. Some have mentioned Aurwah Bin Al-Zubair and his jurisprudence. Some has mentioned Abd Allah Bin Al-Zubair and his position from the Anaween .. etc. It has been noted that no source has been completely void of a reference or information about this, family. May be that is the cause that makes writing about this family full of difficulties. The previous studies has been characterized by a general view which has not dealt with the details in the events of this family and its comprehensive political role from its beginning till its end. All that has encouraged me to collect and classify this family in an independent research, which shall be with Allah success, a reference, which pile up the biography of this family, its history and impact during the first Hijrah century.

I have intended from this choice to make a new initial study for some aspects of this family.

I have been cognizant of the members of the Zubarian family, who has so many effective participations in political, scientific, commercial, and religious life inside and outside the Arabian Peninsula from the Pre-Islamic epoch. The origins of this family are related to Bani Asad who had a great impact with their cousins Bani Hashim, and Bani Omayah, on the general life in makkah. It had the sole sovereignty in Makkah and command over the Holy Mosque, other than all Arabian Tribes at that time.

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك عبد العزيز
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ



الأسرة الزبيرية ودورها السياسي خلال القرن الأول الهجري

The Zubairian Family And Its Political Role During The First Century Of Hijrah

إعداد
نادية عالم قربان

رسالة مقدمة كجزء من متطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ

إشراف
د. فائزة إسماعيل أكبر

جدة
١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م


بسم الله الرحمن الرحيم

مستخلص

تتناول هذه الدراسة الأسرة الزبيرية ودورها السياسي خلال القرن الأول الهجري، وهي من الدراسات المهمة التي ظهرت الحاجة إلى تناولها وبحثها بطريقة علمية متعمقة، وذلك لما لهذه الأسرة من تأثير على مجريات الأحداث السياسية في التاريخ الإسلامي، وقد اقتصرت الدراسات السابقة على إظهار دور بعض أفراد الأسرة بنظرة عامة لم تتوخ تفاصيل الأسرة ككل، وجاءت أخبارهم متفرقة، وتهدف الدراسة إلى معرفة المساهمات الفعالة لهذه الأسرة داخل وخارج جزيرة العرب منذ العصر الجاهلي، فقد كانت تمتلك السيادة في مكة وتهيمن على ولاية البيت الحرام دون بقية قبائل العرب، ثم دورها في عهد الرسول ﷺ ومساندته، وكذلك في عهد الخلفاء الراشدين ﷺ بدءاً من الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ في حروب الردة وفي الجهاد خارج الجزيرة، واشتراك عدد من أفراد الأسرة في المعارك التي خاضها عمر بن الخطاب ﷺ، ومن ثم وقوفها بجانب عثمان بن عفان ﷺ حتى مقتله ثم المناداة بأخذ الثأر له، معارضين علي بن أبي طالب ﷺ، ثم في عهد الدولة الأموية حيث كان موقفهم معارضاً للأمويين فقد قاموا بتأليب الناس عليهم ، فكان الصراع بين الحجاز والشام في الاحتفاظ بكرسي الخلافة الذي انتهى بمقتل عبد الله بن الزبير ﷺ، وكان مقتله آخر فصول الدور السياسي لآل الزبير. وقد اتبع في هذه الدراسة منهج البحث التاريخي القائم على جمع المادة العلمية من المصادر الأولية والمراجع المتوفرة حول الموضوع، ثم تحليل المادة العلمية ونقدها والمقارنة بين الحقائق التاريخية للوصول إلى أهم وأبرز النتائج، التي تتلخص في إظهار دور الأسرة الزبيرية بصورة أشمل مما توصلت إليه كثير من الدراسات السابقة حول هذا الموضوع، مع بيان الأسباب التي لم تمكنها من الاحتفاظ بالخلافة ومنها: وفرة موارد الدولة الأموية وقلة موارد ابن الزبير، وعدم إنفاقه على أصحابه وقت الشدة ، وقلة دهاء ابن الزبير وقلة خبرته بفنون الحرب، إضافة إلى حصار الأمويين له في زمن الحج.وقد استخلصت أهم نتائج البحث التي من أهمها: بقاؤه في الحجاز، وعدم الخروج لمساندة من ساعده، ورفضه دعوة الحصين بن نمير في الذهاب إلى الشام، ووضع ثقته في رجال غير مؤهلين لها، إضافة إلى موقفه من المختار الذي أدى إلى ظهور الحزب الشيعي، ما كان له أثر في إضعاف ابن الزبير.

ABSTRACT

This study deals with Zubairian Family and its political role during the first Hijrah century. It is one of the important studies needed for learning and research of such a family in a deep, scientific method. That is because this family has great influence on the course of political events that took place in Islamic History. All previous studies has been restricted to show the general part played by some of this family's members, without stating details of the whole family. The data about the family came scattered. This study aims to identify the effective participations of this family inside and outside the Arabian Peninsula since Pre-Islamic epoch. It had the sovereignty in Makkah and had command over the Holy Mosque other than Arabian tribes in that time. It has a positive role in the Prophet's,may peace be upon him, epoch and their support to him, and during the reign of the orthodox caliphs. Starting from the Caliph Abu Bakr Al Sidiq, May Allah be pleased with him. In Apostasy wars and in Jihad " Holy War " outside the Arabian Peninsula. Also the participation of a number of this family members in wars plunged into by Umar Bin Al-Khtab, May Allah be pleased with him, then their support to Uthman Bin Afan till his murder, and their proclaiming of revenge for him, opposing Ali Bin Abi Taleb, May Allah be pleased with their stand from The Amaween had been in the opposition side towards the Umayyad state. They incited people against them. That led to the conflict between Hijaz and Syria for the Caliphate position, which ended with the murder of Abd Allah Bin Zubair. His murder had been the last chapter in the political role of Al-Zubair Family. The method followed in this study was the historic research method, which is based on collecting the scientific data from the initial sources, and available references dealing with the subject, then the scientific material analysis, criticism and comparison between historical facts to achieve the most important and distinguished results, which in this case will be summarized in revealing the role of the Zubairian family in a more comprehensive way, than most of results reached by the previous studies concerning this subject. That also contains explaining the causes for the Zubarian family failure in retaining the Caliphate, some of these causes are:-

The large resources of the Umayyad State, compared with few resources of Ibn Al-Zubair. He couldn't pay his followers at times of distress. He lack shrewdness, experience in the art of war in addition to the blockade that has been performed by the Umayyads at Haj time. The major research results abstracted include:- His stay in Hijaz, and not leaving the region to support those who had helped him before . His refusal to the invitation presented to him from Al Hussain Bin Nameer to go to Al-Sham. His trusting unqualified men for that confidence. In addition to his attitude towards Al-Mukhtar, which led to the rise of Shi'a Party and had weakened Ibn Al-Zubair Tremendously.

شكر وتقدير

لا يسعني في هذه الصفحة إلا أن أشير إلى المجهود الكبير الذي بذلته معي أستاذتي الفاضلة الدكتورة فائزة إسماعيل أكبر واعترافاً بالفضل أقول إن الكلمات والسطور تعجز من أن تفي حقها لما أبدته معي من تعاون وعطاء وتوجيه دون ملل أو كلل، ومنحتني منه بصفة دائمة، ورحابة صدر وطول بال، وطلاقة وجه، وحلاوة لسان، وغزارة علم، وإصابة قول، وسلامة منطق، وسداد رأي، وجميل رعاية، حتى كنت متى قابلتها أفادتني أو قرأت علي وأرشدتني، وإذا تأخرت عن لقائها عاتبتني حرصاً على مصلحتي، فأنعم بها من مربية فاضلة.

أسأل الله تعالى أن يمنحها الصحة والعافية حتى ينتفع الجميع بعلمها وعملها إنه سميع مجيب.

كما أتوجه بالشكر إلى أعضاء اللجنة الموقرة لتشريفهم لي وموافقتهم على مناقشة هذا البحث فجزاهم الله خير الجزاء.

إهداء

إن كان التاريخُ قد سطّر مآثر الرجال سطوراً لا تُمحى،

فإنني أسجّل على صفحاته إهدائي هذا العمل إلى:

زوجي..

وأبنائي..

وأسرتي الكريمة..؛

أبي..

وأمي..

وكلّ من مدّ يدَ العون إليّ لأنجز هذا البحث.

المحتويات